

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة  
العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي- الجزائري  
منشورات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية

كتاب جماعي دولي محكم

## تاريخ البحرية العسكرية

أعمال مهداة للأستاذ الفاضل: الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهري



### الجزء الثاني: البحرية العسكرية الإسلامية

تقديم:

أ.د فاطمة بوعمامة  
المدرسة العليا للأساتذة  
بوزريعة- الجزائر

إشراف وتنسيق:

د. أحمد حمدي أبو ضيف (مصر)  
جامعة العلوم والتكنولوجيا  
الصومال

د. سمية شهري  
المدرسة العليا للأساتذة  
بوزريعة- الجزائر



المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة  
العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي- الجزائري  
منشورات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية



## كتاب جماعي دولي محكم تاريخ البحرية العسكرية

أعمال مهداة للأستاذ الفاضل: الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهري

### الجزء الثاني: البحرية العسكرية الإسلامية

إشراف وتنسيق:	تقديم:
د. أحمد حمدي أبو ضيف (مصر)	أ.د فاطمة بوعمامة
جامعة العلوم والتكنولوجيا الصومال	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة- الجزائر
د. سمية شهري	
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة- الجزائر	

ديسمبر 2024



كتاب جماعي دولي محكم

تاريخ البحرية العسكرية

أعمال مهداة للأستاذ الفاضل: الأستاذ الدكتور عبد العزيز شربي



الجزء الثاني: البحرية العسكرية الإسلامية

رقم ISBN: 978-9969-9872-1-8

منشوات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية

البريد الإلكتروني للمخبر: Labo.hg.ca@ensb.dz

عنوان المخبر: 93 شارع علي رملي بوزريعة، الجزائر

ديسمبر 2024

## رئيس اللجنة العلمية: أ.د/ أحمد شريقي

### أعضاء اللجنة العلمية الوطنيين

أ.د فاطمة بوعمامة	م.ع. بوزريعة	أ.د سليم حاج سعد	جامعة الوادي
أ.د خالد كبير علال	م.ع. بوزريعة	أ.د. زكية كريال	جامعة الجزائر-2
أ.د صفية ديب	م.ع. بوزريعة	أ.د. فاطمة الزهراء مالكي	جامعة الشلف
أ.د مريم بوخاوش	م.ع. بوزريعة	أ.د. نعيمة رحماني	جامعة تلمسان
أ.د عبد الحكيم بوزايدي	م.ع. بوزريعة	د. فاطمة خريس	جامعة وهران-1
أ.د. مروان بن شوش	م.ع. بوزريعة	د. شفيقة عيساني	جامعة الجزائر-2
أ.د عبد العزيز بوكنة	جامعة الجزائر-2	د. بشير مبارك	م ج تيبازة
أ.د موسى هيصام	جامعة المدية	د. حسام صلاح	جامعة الجزائر-2
أ.د توفيق مزاري عبد الصمد	جامعة المدية	د. مرزاق بومداح	م.ع. بوزريعة

### أعضاء اللجنة العلمية الدوليين

أ.د. أسامة محمد أبو نحل	فلسطين
أ.د. طارق أحمد شمس	لبنان
أ.م.د. حسين نهاد عبد الحميد حسين	العراق
د. أحمد حمدي أبو ضيف زيد	مصر
د. إسلام إسماعيل عبد الفتاح محمد أبو زيد	مصر
د. بهاء الدين عبد ربه خلف الله	فلسطين
د. محمد عبد الجواد محمد البطة	فلسطين
د. محمود خليل يوسف القدرة	فلسطين
م.د. كوثر عبد الحسن عبد الله	العراق

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
08	تقديم أ.د فاطمة بوعمامة (المدرسة ع أ، بوزريعة).....
09	مقدمة د. أحمد زنيمة (جامعة وهران 1).....
<b>المحور الأول: السياقات التاريخية للبحرية العسكرية</b>	
13	دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م) أ.د/ أسامة محمد أبو نحل (جامعة الأزهر - غزة فلسطين).....
71	النشاطات العسكرية للإسبترارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني أ.د عبد العزيز بوكنة (جامعة الجزائر 2).....
94	المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي د. رحيمة بيثي / أ.د. طاهر بن علي..... (جامعة غرداية الجزائر)
<b>المحور الثاني: استراتيجيات البحرية العسكرية</b>	
137	مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط أ.د. فاطمة الزهراء مالكي (جامعة الشلف).....
168	معركة سالونيك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م) د. هبة عبد الرازق عوض الزوكي (جامعة درنة ليبيا).....
191	الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط. د. صالح العبيدي (جامعتي أكس-مرسيليا وتونس).....

236	الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة- أنموذجا د. هاجر بن منصور (جامعة بسكرة).....
<b>المحور الثالث: البحرية العسكرية الإسلامية في المشرق</b>	
261	غزوات المسلمين البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أ.د. صفية ديب (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة).....
277	معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا" أ.د. أسامة سيد علي (كلية الآداب والعلوم الانسانية بجامعة قناة السويس مصر).....
312	الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج أ.د/ قاسم حسن آل شامان السامرائي (كلية التربية قسم التاريخ، جامعة سامراء العراق).....
353	الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية د. شفيقة عيساني (جامعة الجزائر2).....
<b>المحور الرابع: البحرية العسكرية في المغرب الإسلامي</b>	
387	الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م) أ.د/ أسامة محمد أبو نحل (جامعة الأزهر – غزة فلسطين).....
442	غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ/844م) د. فاطمة خريس /د. أحمد حمدي أبوضيف زيد ..... جامعة العلوم والتكنولوجيا بالصومال

463	الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6-12م د. مرزاق بومداح (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة).....
508	حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبي "فتح صقلية أنموذجا" أ.د/ البشير بوقاعدة (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة).....
544	الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنوية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي أ.د/ مريم بوخاوش (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة).....
575	جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية 453-500هـ /1061-1106م د/ زوبيدة عبدي (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة).....
602	الحرب البحرية بين الموحيدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م أ.د/ توفيق مزارى عبد الصمد (جامعة يحي فارس المدية).....
633	دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس (662هـ-743هـ/1260م-1341م). د. هشام بن سالم (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة).....

تقديم:

يشرفني أن أتولى مهمة تصدير الجزء الثاني من هذا الكتاب الجماعي القيم بعنوان "البحرية الإسلامية العسكرية". إن هذا الإنجاز العلمي الرائد، الذي قام به كوكبة من الأساتذة الباحثين المتخصصين، يُعدّ بمثابة تكريم استحققه بجدارة أستاذنا الفاضل، الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهري، الذي يُعتبر من أبرز رموز المدرسة الذي ينفرد بهدوئه ورفعة أخلاقه. فقد كان دائماً، على مرّ السنين، مرشداً كريماً لا يبخل بعلمه على أي طالب أو أستاذ لجأ إليه طلباً للنصيحة أو المساعدة العلمية.

إن هذه المبادرة التكريمية، وإن كانت تبدو بسيطة من حيث مظهرها، إلا أنها تحمل في طياتها عمقاً كبيراً في نفوس الباحثين الذين شاركوا في إنجاز هذا العمل العلمي، وكذلك في قلب أستاذنا المحترم الذي نُكِّم اليوم عطائه الثري في مجال البحث والمعرفة.

نأمل أن يشكّل هذا العمل، بما يحتويه من معلومات قيمة حول تاريخ البحرية منذ فجر الإسلام، لبنةً أخرى للبحث والتأليف في تاريخ العالم الإسلامي عامة، ومنطقة المغرب الأوسط خصوصاً، سواء من الناحية الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

أتقدّم بوافر الشكر وأخلص كلمات التقدير والامتنان لأستاذنا المحترم، الدكتور عبد العزيز شهري، على ما قدّمه من إسهامات علمية جليّة. كما أودّ أن أتوجّه بجزيل الشكر والامتنان لجميع الزملاء الأساتذة الذين ساهموا بأبحاثهم القيمة في إنجاز هذا الكتاب الجماعي، سائلين الله أن يعمّ هذا العمل بالفائدة والخير".

بقلم الأستاذة الدكتورة/ فاطمة بوعمامة  
مديرة مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية

### مقدمة:

تعود المستندات المكتوبة التي توثق تاريخ الملاحة في شبه الجزيرة العربية إلى 2000 سنة قبل الميلاد على الأقل، في عصر حكم سرجون الأكادي (2284-2334 قبل الميلاد)، ذُكرت صناعة السفن وممارسة الملاحة البحرية في منطقة ماجان في سلطنة عمان الحالية. وتعد سفينة بيليتونج Belitung وهي أقدم سفينة عربية مكتشفة وصلت إلى الشرق الآسيوي، ويعود تاريخها إلى أكثر من 1000 سنة. وفي الوقت نفسه، قدم عالم الآثار الفرنسي رومان غيرشمان Roman Gershaman وصفًا لأقدم اتصال للعرب بالشرق حيث يعود إلى ما قبل 15000 سنة قبل الميلاد، كانت بلاد فارس في تلك الحقبة مركزًا حضاريًا يمتد حتى شبه القارة الهندية وأقصى شرق آسيا. وأشار غوس فان بيك Gus van Beek إلى أن معظم العلماء أجمعوا على أن العرب الجنوبيين كانوا يمارسون التجارة البحرية المبكرة في المحيط الهندي وبحر العرب، وقد وضع فان بيك نظرية مشابهة للعصر الحديث في جدولة التجارة البحرية العربية الهندية التي كانت تتم عادةً خلال فترة هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية.

حافظت دول الخلافة الإسلامية من الخلافة الراشدة إلى الأموية والعباسية والفاطمية، وحتى العثمانية على شبكة التواصل البحرية التجارية الواسعة التي ورثتها تلك الدول عن شبكة العرب البحرية قبل الإسلام التي كانت تربط شبه جزيرة العرب بشرق وجنوب آسيا وشرق إفريقيا بأوروبا عبر الخليج والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط. وقد ساهمت تلك الشبكة التي كانت تتطور باستمرار في ترسيخ مكانة الأمة الإسلامية كقوة اقتصادية رائدة في العالم طوال قرون، كما ساهمت الشعوب التي اعتنقت الإسلام في

تطوير تلك المنظومة في معظم بلدان العالم الإسلامي البحرية والنهرية من القرن الثامن إلى القرن الثامن عشر الميلاديتين. ويُعتقد على نطاق واسع أن معاوية بن أبي سفيان كان المخطط الأول والمؤسس الفعلي للبحرية الإسلامية.

أسهمت المعارك البحرية المبكرة في انتقال العرب الذين اسلموا من الجزيرة العربية إلى مختلف مناطق العالم القديم، حيث تراكم إرث طويل من المشاريع البحرية الإسلامية منذ فتح قبرص ومعركة ذات الصواري الشهيرة (35هـ / 677م)، وحتى الدول التي كانت تابعة للخلافة أو منشقة عنها قد ساهمت عبر البحرية النهرية وفي البحيرات الواسعة في مناطق بعيدة مثل بلاد ما وراء النهر وجنوب شرق آسيا وإفريقيا في عملية الانتشار الكبرى للتجارة والثقافة الإسلامية، كما ساهمت البحرية الإسلامية في فتح أوروبا وحصار روما وفتح القسطنطينية، ويحتمل وصول المسلمين إلى قارة أمريكا انطلاقاً من جنوب غرب أوروبا وغرب إفريقيا.

وُصفت الحروب البحرية للخلفاء والولاة المسلمين بأنها كانت تبدأ بالمناوشات بالسهم، ثم تليها رمي المقذوفات الحجرية، ثم بعد نفاذ المقذوفات يقفز بعض البحارة في الماء ويربطون السفن ببعضها البعض مكونين كتلة واحدة كبيرة على البحر، كما كانت السنانير المقيدة بالسلاسل تربط سفن المسلمين بسفن الروم، ثم يتبعها كما يذكر الحوراني القتال المتلاحم الذي كان يفضله المحاربون العرب المسلمون الذين برعوا في مثل هذا الشكل من الحروب. أما فيما يتعلق بالطاقة المحركة للسفن الثقيلة، فقد استخدمت الخلافة الراشدة والأمويون الأوائل المنجنيق والمكاشط والسلاالم والخطاطيف في كل من الحصار والحرب البحرية. كما تذكر مصادر

التاريخ أن أو أول طوربيد في اخترعه المهندس السوري حسن الرماح (ت 1295م) وهاجمت به بحرية المماليك البحرية الصليبية. كما ذكر مؤرخ البحرية العسكرية فاسليوس كريستيدس Vassilios Christides أن التكنولوجيا البحرية عند العرب متأثرة بالإغريق تعلموها بشكل مستقل، وبتقنية الملاحة البحرية الهندية والفارسية في البحر الأحمر والخليج والمحيط الهندي، وهناك اثنا عشر مبدأً من مبادئ الملاحة في القرون الوسطى التي يفترض أن العرب المسلمين في زمن الخلافة الإسلامية قد فهموها، مثل تقنية تقدير المسافات بين الموانئ شرقاً وغرباً، وقواطع البوصلة، وحساب ارتفاع النجوم، ومعرفة الفصول والمناخات التي تعتبر محورية للملاحة البحرية، وتجهيزات السفن، والعلاقات الأخلاقية بين الطاقم والركاب.

لقد تراكم الإرث البحري الحربي لدى المسلمون عبر السنين والقرون ليشكلوا بحرية عظيمة استفادت من الكفاءات البشرية والتقنيات التي جمعتها الشعوب المسلمة من عرب وفرنس وبربر وأتراك وأفارقة وهنود وحتى صينيين وشعوب جنوب شرق آسيا، وأوروبيين الذي اعتنقوا الإسلام، وساهموا في نشر تعاليم الدين والتجارة والثقافة والعلوم والمعارف عبر العالم من القرن الثامن إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث صارت البحرية العثمانية وحلفائها في المشرق والمغرب وبحرية سلاطين الهند وشرق آسيا وشرق إفريقيا، تضعف تدريجياً وغير قادرة على مواجهة الاستعمار الأوروبي الحديث تقنياً وإستراتيجياً.

بقلم الدكتور / أحمد رنيمة

1. دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في

الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

2. النشاطات العسكرية للإستبارية في الجزء الغربي للبحر

المتوسط خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

3. المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر  
المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

---

دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي  
للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

The role of the Islamic navy in consolidating the presence  
of Muslims in the eastern basin of the Mediterranean  
(28-99 AH / 648-718 AD)

أ.د. أسامة محمد أبو نحل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الأزهر- غزة (فلسطين)

osamabunahel@hotmail.com / osamabunahel@gmail.com

---

ملخص:

عندما توسّع العرب المسلمون في أصقاع كثيرة، ومساحات واسعة في منطقة الشرق الأدنى على حساب إمبراطورتي فارس وبيزنطة، حاولت بيزنطة -لاحقًا- استرداد الممتلكات التي خسرتها، من خلال هجماتها الدائمة ضدّ السواحل الإسلاميّة في الشام ومصر، الأمر الذي دفع والي الشام (معاوية بن أبي سفيان) التفكير مليًا بضرورة أن يكون للمسلمين قوّة بحريّة، يستطيعون من خلالها التصدّي للمخاطر البيزنطيّة من جهة، ثمّ مهاجمة أراضي بيزنطة في عقردارها من جهةٍ أخرى. وفي سبيل ذلك، بذل (معاوية) مجهودًا كبيرًا في إقناع الخليفين الراشدين (عمر بن الخطّاب)، و(عثمان بن عفّان)، للموافقة على مشروعه البحري الطموح؛ ففشل مع الأول ثمّ نجح في إقناع الثاني. فتمكّن من الاستيلاء على عددٍ من الجزر البيزنطيّة في الحوض الشرقي من البحر المتوسط، أهمها جزيرة قبرص. وفي خطوةٍ لاحقة، حاول (معاوية) و(سليمان بن عبد الملك) الاستيلاء على عاصمة بيزنطة (القسطنطينيّة)،

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

لكنهما فشلا في ذلك، مما أدى -لاحقًا- لإضعاف البحرية الإسلامية حتى تاريخ القضاء على حكم الخلافة الأموية.

ولقد توصلت الدراسة لعددٍ من النتائج من أهمها: استطاع (معاوية بن أبي سفيان)، أن يحقق ما تآقت له نفسه بإنشاء قوة بحرية إسلامية، وصلت إلى حدٍ وصفها بالترسانة البحرية، ليحقق بها أهدافٍ سامية متعلقة بإبعاد نفوذ البيزنطيين عن السواحل الإسلامية؛ بل وغزو جزرهم التي تُعتبر محطات تموين مباشرة لأساطيلهم من ناحية، وليبدأ مرحلة جديدة من عصرنة العرب، تنقلهم من طور البداوة إلى مرحلة الاحتكاك البحري المباشر مع أعدائهم من ناحية ثانية، وكذلك ليحقق طموحاته الذاتية من ناحيةٍ ثالثة. كما أن العصر الذهبي للبحرية الإسلامية، استهلَّ في عام 28هـ (648م) بغزو قبرص، وحتى عام 99هـ (718م)، أي السنة التي فشل فيها المسلمون من الاستيلاء على القسطنطينية.

كلمات مفتاحية: البحرية الإسلامية، البحر المتوسط، الجزر البيزنطية، القسطنطينية.

### Abstract:

When the Muslim Arabs expanded in many parts and large areas in the Near East region at the expense of the empires of Persia and Byzantium, Byzantium tried - later - to recover the properties it lost, through its permanent attacks against the Islamic coasts in the Levant and Egypt, which prompted the governor (Wally) of the Levant (Syria) Muawiyah bin Abi Sufyan to think carefully about the need for the Muslims to have a naval force, through which they can confront the Byzantine dangers on the one hand, and then attacking the lands of Byzantium in its heartland on the other hand. To do so, Muawiyah made a great effort to persuade the two caliphs Umar bin El-Khattab and Othman bin Affan to agree to his ambitious naval project. He failed with the first, then succeeded in persuading the second. He seized

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

---

several Byzantine islands in the eastern basin of the Mediterranean, the most important of which is the island of Cyprus. In a later step, Muawiyah and Suleiman bin Abdul-Malik tried to seize the capital of Byzantium (Constantinople), but they failed to do so, which later led to the weakening of the Islamic navy until the date of elimination of the rule of the Umayyad caliphate.

The study reached several results, the most important of which are: Muawiyah bin Abi Sufyan was able to achieve what he yearned for by establishing an Islamic naval force, which reached the point of being described as a naval arsenal, to achieve lofty goals related to removing the influence of the Byzantines from the Islamic coasts. Rather, he invaded their islands, which are considered direct supply stations for their fleets on the one hand, and to start a new phase of modernizing the Arabs, moving them from the stage of nomadism to the stage of direct sea friction with their enemies on the other hand, and also to achieve his own ambitions on the third hand. As that the golden age of the Islamic navy began in the year 28 AH (648 AD) with the invasion of Cyprus and until the year 99 AH (718 AD), i.e., the year in which the Muslims failed to seize Constantinople.

**Keywords:** The Islamic navy, The Mediterranean Sea, Byzantine islands, Constantinople.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

مقدمة:

تمهيد:

يُعتبر موضوع البحريّة من أكثر المواضيع أهميّةً بالنسبة إلى الفكر العالمي، والشغل الشاغل للدارسين والباحثين في مجاله منذ بدأ الاهتمام بالبحريّة وحتى يومنا هذا. ولقد أوضحت الدراسة التي بين أيدينا دور البحريّة الإسلاميّة بين عامي (28-99هـ / 648-718م)، وذلك بهدف بيان دور المعارك البحريّة في تعزيز وترسيخ الوجود الإسلامي في الحوض الشرقي للبحر المتوسّط.

أهميّة الدراسة:

تكمن أهميّة الدراسة، من خلال توضيح دور القوى البحريّة في التاريخ الوسيط بحسم الصراعات الإقليميّة والدوليّة، ومناقشة دور البحريّة الإسلاميّة في تحجيم نفوذ الأسطول البيزنطي في البحر المتوسّط. ثمّ إن هذه الدراسة سوف ترفد المكتبات العربيّة والدوليّة، بدراسةٍ قد لا تكون الأولى من نوعها فيما يخص هذا الموضوع المهم، لكنّها تُعدُّ قراءة جديدة له. ويأمل الباحث بأن يحذو الباحثون في الحقل التاريخي حذوه، لتقصّي الحقائق المجهولة عن دور البحريّة الإسلاميّة.

مشكلة الدراسة:

لقد كتب الكثير عن دور البحريّة الإسلاميّة، وأهميّتها بالنسبة إلى المسلمين، مع اختلاف وجهة نظر من تناول هذا الموضوع. فقد تناوله على سبيل المثال بعض الكتاب الأجانب، منهم: (أرشيبالد لويس) في كتابه الموسوم بـ (القوى البحريّة والتجاريّة في حوض البحر المتوسط)، وكذلك (J. B. Bury) في كتابه الموسوم بـ (A History of The Later Roman Empire). ومن المراجع العربيّة، نجد (السيد عبد العزيز سالم؛ أحمد مختار العبادي) في الكتاب الموسوم بـ

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

(تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام). لذا، ارتأينا ضرورة الكتابة عن دور البحرية الإسلامية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط خلال فترة الدراسة، مع بيان رؤيتنا الخاصة به.

وتتمحور مشكلة الدراسة حول سؤالٍ رئيسٍ مفاده: ما دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط بين عامي (28-99هـ / 648-718م)؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة لتوضيح الآتي:

1. بيان الاهتمام بزوغ البحرية الإسلامية خلال فترة الفتوحات الإسلامية.
2. تناول الأهمية الاستراتيجية لاستيلاء المسلمين على جزيرة قبرص.
3. التوقُّف عند دور موقعة ذات الصواري في تعزيز الوجود الإسلامي في البحر المتوسط.
4. توضيح أهمية استيلاء المسلمين على الجزر البيزنطية الحيوية.
5. تناول محاولات استيلاء الأمويين على مدينة القسطنطينية.

حدود الدراسة الزمنية:

تمتدُّ حدود الدراسة الزمنية ما بين عامي (28-99هـ / 648-718م)، أي منذ أول غزوٍ إسلامي لجزيرة قبرص، وانتهاءً بفشل الأمويين لاستيلاء على مدينة القسطنطينية.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على ثلاثة مناهج رئيسية، هي:

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

المنهج التاريخي: الذي نتمكّن من خلاله، الحصول على المعلومات الأولية لموضوع الدراسة.

المنهج الوصفي التحليلي: وذلك لتفسير تلك المعلومات الخاصة بتطوّر دور البحرية الإسلامية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وتحليلها، وبيان أهميّتها وقيمتها العلميّة.

نظرية الدور: حيث تهتم هذه النظرية بدراسة سلوك الدول، بوصفها أدوارًا سياسيّة تقوم بها على المسرح السياسي الدولي.

أولاً: الاهتمام بزوغ البحرية الإسلامية خلال فترة الفتوحات الإسلاميّة تمهيد:

بعد ظهور الإسلام وبدء حركة الفتوحات الكبرى، وما نجم عنها من فتح العراق والشام ومصر، بدأت الإدارة الإسلاميّة تعي تمامًا وتُدرك أهميّة البحرية الاستراتيجية وضرورتها، لحماية الممتلكات الجديدة التي استحوذوا عليها. من هنا، شغلت القوى البحرية الإسلاميّة مركزًا مهمًا ومرموقًا في تاريخ البحر المتوسط تحديدًا. ومن الخطأ الذريع التقليل من شأن وأهميّة البحرية وحروبها؛ فالحروب البحرية لا تقلّ أهميّةً عن الحروب البرية؛ بل قد تكون أخطر بكثير ممّا يدور من معارك في البرّ. فاهتمام المسلمين بالبحرية لم يكن جزافيًا؛ بل لتفهّمهم تمامًا للأوضاع الجديدة التي آلت إليها دولتهم الوليدة، بعدما رأوا أنهم يملكون سواحل طويلة، وليس لديهم قوّة بحريّة يستطيعون الدفاع بها عنها، حتى كان عام عامي 23، و25 للهجرة (643، 645 للميلاد)، حيث وقع هجومان من جانب الروم البيزنطيين على سواحل الشام ومصر؛ فكانا أحد الأسباب التي دفعت والي الشام (معاوية بن أبي سفيان)، للتصميم على بناء أسطولٍ إسلاميٍّ ليقوم بحماية تلك السواحل كخطوةٍ أوليّة، ثمّ

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

التحوُّل من نهج المدافعة إلى المهاجمة، والانطلاق صوب آفاقٍ أخرى جديدة، وخططٍ سديدة رسمها قادةٌ أكفاء بذلوا الكثير في سبيل إعلاء كلمة الله في مناطقٍ لم تطأها أقدامٌ عربيّة من قبل.

وكان الأسطول البيزنطي يصول ويجول في البحر المتوسط دون منازع حتى اندلاع الفتوحات الإسلاميّة، حيث تعزّزت السيادة البحريّة البيزنطيّة بمحاولات دعمٍ اقتصاديّة، استهدفت -ولو جزئيًّا- استئصال سيطرة الإمبراطوريّة الفارسيّة الاقتصاديّة، بقطع أرباحها من تجارة التوابل والحير؛ فكانت مدينة القسطنطينيّة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين أعظم مدن الشرق قاطبة<sup>(1)</sup>.

وإذا ما أردنا التحدّث عن بزوغ البحريّة الإسلاميّة في عهد الخلافة الراشدة؛ فإن الأمر يستوجب منا أن نلّم إمامةً موجزة عن الفتوحات التي تمّت في خلافة كلٍّ من (عمر بن الخطّاب) و(عثمان بن عفّان) -رضى الله عنهما - في الشام ومصر. فهذه الإمامة ستعطينا صورةً مُبسّطةً لفهم واستيعاب ما سيجري -لاحقًا - في المجال البحري، إذ إن قوّة كالبحريّة لها مكانتها في المحافظة على السواحل الإسلاميّة.

وكثيرٌ من المؤرّخين يعتبرون أن موقعة اليرموك عام 13هـ (634م) التي انتصر فيها المسلمون على البيزنطيين، كانت بمثابة القشّة التي قصمت ظهر البعير، ونقطة الانطلاق التاريخيّة للمسلمين لكي يستولوا على مدن الشام ومصر، وما تلا ذلك من غزوٍ لمناطق بلاد المغرب. كما كانت نقطة تحوُّل في

(1) - نبعثد الله. عبد العزيز (صيف 1997). "الأساطيل العربية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط المعروف بالبحر الشامي والعربي"، مجلة التاريخ العربي، الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة، العدد (3)، ص 1199-1200.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

حركات الفتوحات الإسلامية التي أدت إلى تحطيم قوى البيزنطيين، وانفصال الشام عن جسم الإمبراطورية البيزنطية. وبعد هذه الموقعة، سرعان ما أخذت المدن الشامية تهاوى تبعاً في أيدي المسلمين<sup>(1)</sup>، وذلك بعد أن رأى الإمبراطور (هرقل Hercules) جميع جهوده تذهب أدراج الرياح<sup>(2)</sup>، أمام الزحف الإسلامي المندفع والضاغط بشدة على أنفاس إمبراطوريته.

بعد أن تمّ للمسلمين فتح معظم المدن الشامية الرئيسية، خطو خطوةً أخرى أكثر جراءة، حيث رأى (عمرو بن العاص) القائد العسكري المُحنك، وإحدى ذُهاة العرب المشهورين، أن فتح الشام سوف يؤديّ حتمًا -وكنتيجةً طبيعياً- إلى ضرورة فتح مصر، حيث كانت تربط الإقليمين منذ أقدم العصور مصالحً سياسية وحربية وتجارية واحدة. ولأن مصر والشام متجاورتان فقد ارتبطا معًا بفضل موقعهما الجغرافي، والمصالح المشتركة في وحدة تاريخية وثيقة<sup>(3)</sup>.

وبفتح مصر عام 20هـ (640م)، وسيطرة المسلمين على سواحلها، إضافةً إلى السواحل الشامية التي تمّ فتحها من قبل، غدا المسلمون سادة أهم شواطئ الحوض الشرقي للبحر المتوسط<sup>(4)</sup> إطلاقاً، يصلون ويجولون فيه، ما جعلهم يفكرون بضرورة اصطناع سياسةً استراتيجيَّةً بحريَّةً ليواجهوا بها

(1) - سالم، السيد عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار (1981)، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت: دار النهضة العربية، ص13.

(2) - البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1407هـ (1987))، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ص186؛ لويس، أرشيبالد (1960)، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص78.

(3) - الطبري، محمد بن جرير (1977)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، القاهرة: دار المعارف، ص104 وما بعدها؛ سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص14.

(4) - العدوي، إبراهيم (1951)، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ص53.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

هجمات البيزنطيين البحرية<sup>(1)</sup>، على السواحل الطويلة التي يمتلكونها، دون أن يكون لهم دورٌ بحريٌّ في مياه البحر.

ومع سقوط مصر بوقتٍ قصير، بدأت غارات المسلمين في وقتٍ مبكرٍ ضدَّ حدود منطقة "قليقية Cilicia" وعمق آسيا الصغرى، والتي استمرت خلال ولاية (معاوية بن أبي سفيان) على الشام<sup>(2)</sup>. وعليه؛ فعند بلوغ الفاتحين المسلمين سواحل الشام ومصر، وجدوا الوضع مغايرًا عنه في الداخل بعض الشيء، إلا أنه لم يكن باستطاعتهم مواجهة البيزنطيين في البحر لأنهم كانوا أهل برّ وبدواة، وغير مستعدّين ولا راغبين في مواجهة البحر<sup>(3)</sup>. لكنَّ البيزنطيين وهم ينظرون إلى مستعمراتهم التي افتقدوها بأسى وحزنٍ عميقين لم تفتر لهم همّة لاستردادها، متوسّلين في ذلك كل السبل الممكنة لتحقيق استردادها من قبضة المسلمين، فعمدوا لمهاجمة السواحل الشامية والمصرية.

أدى هذا إلى لجوء الخليفة (عمر بن الخطّاب) لاتباع سياسة بحرية دفاعية، لكي يواجه بها خطر البيزنطيين، فعمد إلى استعمال الوسائل البرية؛ كترميم القلاع والمناور (المنارات) والمراقب والمساح الممتدة على طول الساحل، وإمدادها بالمقاتلين والمرابطين. وفيما بعد، كتب والي الشام (معاوية) للخليفة، واصفًا له حال السواحل؛ فكتب الأخير له طالبًا منه ترميم حصونها، وترتيب المقاتلين فيها، وأن يتخذ المواقيد لها، لكنّه لم يسمح له بأن يغزو في البحر<sup>(4)</sup>، كما كان يرغب. وبعد أن تولى (عثمان بن عفّان) مقاليد الخلافة، تغلّب

(1) - سالم، السيد عبد العزيز: العبادي، أحمد مختار (1969)، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية، ص14.

(2) - Treadgold (Warren) (1997), A History of the Byzantine State and Society. Stanford, California: Stanford University Press, pp. 312-313.

(3) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص88.

(4) - البلاذري، فتوح البلدان، ص175.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

البيزنطيون على بعض سواحل الشام حوالي عام 23هـ (643م)، نظرًا لوجود قوة بحرية ضاربة لهم تجوب البحر المتوسط دون منازع ومنافس؛ فسار إليهم (معاوية) وخلصها منهم وأتم فتحها، فرمّمها وأمدّها بالمقاتلين ومنحهم القطائع من الأرض ليقوموا باستثمارها والتمتع بخيراتها<sup>(1)</sup>. أي أن (معاوية) السياسي المحنك، أدرك ببصيرته الثاقبة أن قوة البيزنطيين تكمن في البحر أساسًا، وأن ذلك هو السبب في قوتهم وبقائهم.

وفي عام 25هـ (645م)، بعث الإمبراطور البيزنطي (قنسطانز الثاني Constantine II) حملة بحرية كبيرة لمهاجمة مدينة الإسكندرية، فنجحت بالاستيلاء عليها. وما كان له أن يقوم بهذا الهجوم البحري، إلّا بعد أن تيقن تمامًا إلى افتقار المسلمين لأسطولٍ يحمهم. ويبدو أن الصعوبات التي واجهها المسلمون بالاستيلاء على مدينة طرابلس الساحلية بالشام، حتى تمّ لهم ذلك بالفعل في عام 26هـ (646م)<sup>(2)</sup>، كان لها صدىً واسع، إذ ترتّب عليه اهتمام المسلمين بالبحر، وضرورة حماية السواحل الإسلامية من الهجمات البيزنطية عليها في أي وقت.

لقد أراد كلا الجانبين الإسلامي والبيزنطي إقامة نظامٍ بحريٍّ خاصٍ بهما، وكان من الضروري لكلاهما نقل معركتهما إلى البحر؛ فالقدرة على التحكّم في طرق التجارة، والاستفادة من البحار في النقل السريع، والإغارة. وغالبًا ما أدّى الغزو إلى قلب الموازين لصالح القوة التي تمتلك أقوى قوة بحرية. ولم تكن الحروب الإسلامية البيزنطية استثناءً من هذه الفكرة؛ ففي

(1) - العدوي، إبراهيم (1953)، الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص51.

(2) - لمزيد من التفاصيل، انظر: العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص52؛ أبو النصر، عمر (1963)، سيوف أمية في الحرب والإدارة، بيروت: منشورات المكتبة الأهلية، ص122، 124.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

وقت مبكر من صراعهم مع إدراك البيزنطيين أن المسلمين كانوا بحاجة إلى ذلك، من أجل ترسيخ دولتهم الجديدة، وذلك بتحدّي البيزنطيين في البحر. وفي غضون ذلك، ردّ البيزنطيون على هذا التهديد بإصلاح أسطولهم البحري، أي أنهم تبّنوا أسلوباً دفاعياً كانت استراتيجيته تمنع المسلمين من الاستيلاء على المزيد من الأراضي البيزنطية<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: استيلاء المسلمين على جزيرة قبرص وأهميتها الاستراتيجية

باستيلاء المسلمين على مصر، فتحوا صفحةً جديدة في تاريخ البحر المتوسط التي دشّنها والي الشام (معاوية بن أبي سفيان)، ووالي مصر (عبد الله بن أبي سرح)؛ فهاتان الشخصيتان اشتركتا معاً في رسم سياسة المسلمين إزاء البحر المتوسط من وقت مبكر، بهدف حل المشكلة البحرية التي اعترضتهم منذ الفتوحات الأولى في شرق هذا البحر، وكان هدفهم الرئيسي يتمثل بالاستيلاء على الجزر القريبة من مقرّ ولايتهما.

#### 1. غزو جزيرة قبرص للمرة الأولى عام 28هـ (648م):

لمّا تولّى (عثمان بن عفّان) الخلافة في عام 24هـ (644م)، أرسل (معاوية) إليه كتاباً يطلب فيه غزو قبرص؛ فردّ عليه كما ردّ عليه من قبل الخليفة (عمر بن الخطّاب) بالنهي، لكنّه في وقت لاحق سمح له القيام بالغزو البحري، شريطة ألاّ يكره أحدًا على ركوب البحر، وأن يعبئ أساطيله من المتطوّعين فقط<sup>(2)</sup>. واستهلّ (معاوية) نشاطه بمحاولته الاستيلاء على جزيرة قبرص، وكانت الاستعدادات التي أعدّها لغزوها تتناسب وأهميّة الحملة، وضخامة أهدافها<sup>(3)</sup>.

(1) - Carlson (Shane) (2016), Early Byzantine, and Arab Naval Strategies and Organizations, 645-718 C.E., Undergrad Thesis, University of Mary Washington, p. 2.

(2) - الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص260..

(3) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص80.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

كما طلب الخليفة من (معاوية)، أن ترافقه زوجته في أثناء حملته. وكخطوة أولية في اتجاه غزو الجزيرة، تجمّع الأسطول الإسلامي في ميناء عكا. واستعمل (معاوية) على البحر (عبد الله بن قيس الجاسي) حليف بني فزارة، وذلك في عام 28هـ (648م)<sup>(1)</sup>، وقُدِّرت عدد السفن الإسلاميّة بنحو ألفٍ وسبعمائة سفينة زُوِّدت بالعدّة والسّلاح<sup>(2)</sup>.

وقد اشترك في هذه الحملة عددٌ كبير من الصحابة، منهم: (أبو أيوب الأنصاري)، و(عبادة بن الصامت)، و(فضالة بن عبيد الأنصاري)، و(وائل بن الأسقع الكناني)، وغيرهم. واتّسمت هذه الغزوة باصطحاب النساء، حيث اصطحب (معاوية) معه زوجته (فاخته بنت قرظلة)، الأمر الذي شجّع (عبادة بن الصامت)، على اصطحاب زوجته (أم حرام بنت ملحان) التي استشهدت في أثناء الغزوة<sup>(3)</sup>.

لكن ما مدى أهميّة قبرص حتى يعطيها (معاوية) جُلَّ اهتماماته؟ إن قبرص تستمدُّ أهميّتها من الموقع الجيوستراتيجي الذي تتمتع به، والموجي للناظر بأنها شبيهة بمدفع يدويّ فوهته مصوّبة إلى إقليم الشام، وهي واقعة في شرق هذا البحر بالقرب من سواحل الشام. ولشدة هذا القرب؛ فهي تحاذي مدينة جبلة الواقعة جنوب مدينة اللاذقية، بالإضافة لذلك؛ فإن قبرص تشكّل أهميّة عظمى لبيزنطة، لذا عملت على إحكام قبضتها عليها فقد

(1) - البلاذري، فتوح البلدان، ص208؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص260؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (1407هـ (1987م))، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، مج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ص489.

(2) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص90؛ شلي، أحمد (1984)، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص114.

(3) - البلاذري، فتوح البلدان، ص208-210.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

كانت بمثابة محطة بحريّة لها ولأسطولها<sup>(1)</sup>، حيث كانت تُهاجم منها السواحل الإسلاميّة. وقبل انطلاق الحملة الإسلاميّة على قبرص، ونظرًا لأهميّتها بالنسبة للبيزنطيين، سارعوا بإرسال أسطولٍ تحت قيادة (كوبيكولاريوس كاكوريزو Cubicularius Kakorizo)، في محاولةٍ منهم لإنقاذ الجزيرة<sup>(2)</sup>.

ومهما يكن من أمر؛ فبعد نزول القوّات الإسلاميّة إلى الأراضي القبرصيّة، كانت أول خطوة يتخذونها طمأننة أهالي قبرص بأنهم لم يأتوا طامعين في جزيرتهم؛ بل للاتفاق معهم على ما فيه سلامة المسلمين وسلامة بلادهم، وأنهم أرادوا دعوتهم للإسلام، ثمّ تأمين حدود الدولة الإسلاميّة بالشام؛ وذلك لأن البيزنطيين كانوا يتخذون منها محطةً يستريحون فيها إذا غزوا، ويتموّنون منها إذا قلّ زادهم، فكانت بلدًا مهمّةً لإخضاعها تحت سيطرة المسلمين، إلّا أن هؤلاء الأهالي رفضوا الدخول في مفاوضاتٍ مع المسلمين، وتحصّنوا بأسوار مدنها، ممّا حدا بالمسلمين للاتجاه قُدّمًا صوب عاصمة الجزيرة (قنسطنطينة Constantina) (سلاميس القديمة Salamis)<sup>(3)</sup> العامرة بالسكّان، وتمكّنوا من الاستيلاء عليها، الأمر الذي دعا حاكمها إلى مصالحة المسلمين، والرضوخ لعقد معاهدة معهم كانت تتضمن شروطًا عدّة، منها دفع جزية مقدارها سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدّونها كل عام. ومن شروط الصلح بين الطرفين - أيضًا - ألاّ يمنع المسلمون أهل قبرص من أداء الصلح مع البيزنطيين، وكذلك

(1) - ابن حوقل، أبي القاسم (1965)، صورة الأرض. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ص164؛ أبو النصر، سيوف أمية، ص126.

(2) - Theophanes (1982), The Chronicle of Theophanes, Trans. By Harry Turtledove, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, p. 43.

(3) - مدينة قنسطنطينة أو سلاميس: هي مدينة أثرية قديمة تقع في شرق قبرص، وتبعد نحو 6 كم شمال مدينة فاماغوستا الحالية في قبرص الشماليّة، وهي مصب لنهر "بيديوس Pedieos".

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

أن يُخبر أهالي الجزيرة المسلمين بمسير البيزنطيين نحوهم<sup>(1)</sup>، أي أن يكون موقف أهل قبرص بذلك، هو عدم التدخّل في الصراع الدائريين الطرفين.

ومن نافلة القول، أن هذه المعاهدة تُعتبر نصرًا كبيرًا لشخص (معاوية) تحديدًا، إضافةً إلى أن هذه الغزوة كانت بمثابة درسٍ لبيزنطة، كي لا تعتمد لمهاجمة السواحل الشامية والمصرية مجددًا. وعاد الأسطول الإسلامي من هذه الغزوة ظافرًا بعد ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، وزال تهيبهم لركوب البحر<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن استيلاء المسلمين على قبرص فتح شهيتهم في استكمال عمليّاتهم البحريّة؛ إذ واصلت بحريّتهم مهمّتها، وحاولوا مهاجمة سواحل آسيا الصغرى، لكن تمّ اعتراضهم قبالة سواحل "ليشيا" Lycia، من قبل سرب بيزنطي الذي دمر حوالي (300) سفينة إسلاميّة، ما دعا البيزنطيين لمحاولة الهجوم على مدينة الإسكندريّة، بقيادة قائد أرمني يُدعى (مانويل Manuel)، ممّا أثار تمردًا بين السكّان اليونانيين في المدينة، وحاولوا مساعدة رجال الحملة على النزول والاستيلاء عليها بلا طائل<sup>(3)</sup>.

### 2. الغزو الإسلامي لجزيرة قبرص للمرة الثانية 33هـ (654م)

إن (معاوية) المعروف بكياسته وحذره لم يكن مطمئنًا لنوايا القبارصة، فعمد إلى مراقبتهم للتأكد من تطبيقهم لشروط الصلح الموقع معه. وكان

(1) - البلاذري، فتوح البلدان، ص208؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج4، ص262؛ الصلابي، علي محمد (1423هـ (2002م))، تيسير الكريم المتّان في سيرة عثمان بن عفّان، ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص190.

(2) - العدوي، إبراهيم (1985)، مصر والشرق العربي درع الإسلام، القاهرة: دار الأنجلو المصرية، ص46.

(3) - Cosentino (Salvatore) (2006), "Constans II and The Byzantine Navy", A paper given at the Seminar of Late Antiquity and Byzantium of the University of Chicago, p. 583; Whittow (Mark) (August 1996), The Making of Byzantium, 600-1025 Berkeley: University of California Press, pp. 40-41.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

صَادَقًا فِي حَذْرِهِ هَذَا، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُمْ مَوْقِفًا مَتَسَرِّعًا. وَمِنْ خِلَالِ مَرَاقِبَتِهِ لَهُمْ لَاحِظٌ فِي عَامِ 32هـ (653م)، أَنَّهُمْ سَاعَدُوا الْبِيزَنْطِيِّينَ وَأَمَدَّوهُمْ بِمَرَاقِبٍ أَعْطَوْهُمْ إِيَّاهَا، فَأَخْلَوْا بِذَلِكَ بِشُرُوطِ الْمَعَاهِدَةِ الْمُبْرَمَةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَامَ بِتَجْهِيزِ حَمَلَةٍ بَحْرِيَّةٍ عَامَ 33هـ (654م) فِي نَحْوِ خَمْسِمِائَةِ سَفِينَةٍ<sup>(1)</sup>. وَخِلَالِ هَذِهِ الْحَمَلَةِ، تَمَّ تَحْطِيمُ مِينَاءِ قَنْسَطَنْطِينَةِ، وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَى كَامِلِ الْجَزِيرَةِ، وَأَقْرَبُوا الْقِبَارِصَةَ عَلَى صِلْحِهِمْ<sup>(2)</sup>. وَلَمْ يَقْتَنِعْ (مَعَاوِيَةَ) بِفَتْحِ الْجَزِيرَةِ؛ بَلْ أَثَرُ أَن يُدْعِمَ نَفُوذَهُ بِهَا، وَذَلِكَ بِبَعْتِهِ "إِلَيْهَا بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفًا كُلَّهُمْ أَهْلَ دِيَوَانَ"<sup>(3)</sup> بِهَدَفِ تَعْرِيبِهَا، ثُمَّ نَقَلَ إِلَيْهَا جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ بَعْلَبَكِ الْبَلْبَانِيَّةِ، تَمَّتْ إِقَامَتُهُمْ فِي "لِيبِيثُوسِ Lepithos" عَلَى السَّاحِلِ الشَّمَالِيِّ لِلْجَزِيرَةِ، فَبَنَوْا بِهَا الْمَسَاجِدَ<sup>(4)</sup>.

لَقَدْ رَفَعَتْ هَذِهِ النِّجَاحَاتُ فِي اسْتِكْمَالِ الْاسْتِيلَاءِ عَلَى قَبْرِصَ، مَعْنَوِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَحْرِ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، وَتَنَامَتْ طَمُوحَاتُهُمْ أَكْثَرَ مَعَ بَعْتَاتِهِمُ الْبَحْرِيَّةِ فِيمَا بَعْدَ، إِذْ لَمْ يَكْتَفُوا فَقَطْ فِي الْإِغَارَةِ عَلَى الْمَزِيدِ مِنْ جِزْرِ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ، وَلَكِنْهُمْ بَدَأُوا -أَيْضًا- فِي احْتِلَالِهَا<sup>(5)</sup>.

وَبِإِكْمَالِ فَتْحِ قَبْرِصَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ، أَضْحَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ عِبَارَةً عَنْ رَأْسِ جِسْرِ اسْتِطَاعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ خِلَالِهِ الْوَصُولُ إِلَى الْجِزْرِ الْوَاقِعَةِ خَلْفَهَا؛ بَلْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى وَصُولِ الْمُسْلِمِينَ بِجَوَارِ حَاضِرَةِ بِيْزَنْطَةَ الْعَتِيدَةِ (الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ)، حَيْثُ جَادَلَ الْمُؤَرِّخَانِ (شُونَ أَوْسُولِيْفَانَ Shaun O'Sullivan)، وَكَذَلِكَ (إِيسَاو كُوبَايَاشِي Isao Kobayashi) بِأَنَّهُ هَجُومًا إِسْلَامِيًّا عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنَ الْمُمْكِنِ

(1) - البلاذري، فتوح البلدان، ص209.

(2) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص91؛ سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص20.

(3) - البلاذري، فتوح البلدان، ص209.

(4) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص91؛ سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص20.

(5) - Carlson, op. cit, p. 12.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

أن يكون قد حدث بالفعل في عام 33هـ (654م)<sup>(1)</sup>. غير أن (شان كارلسون (Shane Carlson)، شكك في أن هذا الهجوم كان خطيرًا للغاية<sup>(2)</sup>. وبعبارة أخرى، استسلم سكان آسيا الصغرى في هذا العام للغزو الإسلامي دون مقاومة. وهذا يشير إلى وجود استراتيجية إسلامية محددة فيما يتعلق بالحصار الأول للقسطنطينية. ففي هذا العام، كانت الدولة الإسلامية تنوي -بالفعل -لأول مرة الإجهاز على الإمبراطورية البيزنطية، وذلك من خلال الاستيلاء على حاضرتها نفسها، بعدما رأى المسلمون أن أي عمل عسكري كبير في آسيا الصغرى لن يكون ضروريًا طالما لم يتم تأمين طريق آمن عبر بلاد الشام؛ لذلك لم يكن المسلمون قادرين على فرض الحصار المطبق على القسطنطينية، ولكن عوضًا عن ذلك أُجبروا على الاكتفاء بشن غارات على آسيا الصغرى، حتى تمّ فيما بعد إعادة ترميم الأسطول الإسلامي فيما بعد<sup>(3)</sup>، بعد توقّف الاقتتال الداخلي بين المسلمين.

ولقد كان لانتصار المسلمين في قبرص، أن شجّعهم على فرض هيمنتهم على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وتمثّل ذلك في محاولتهم التقرب من السواحل البيزنطية، ومن ثمّ اندلاع موقعة ذات الصواري التي سيكون لها شأنٌ آخر في مجرى الأحداث البحرية.

(1)- O'Sullivan (Shaun) (January 2004), "Sebeos's Account of an Arab Attack on Constantinople in 654", Byzantine and Modern Greek Studies, Vol. 28, No. 1, p. 71; Kobayashi (Isao) (2015), "By His Upraised Arm God Saved The City" Byzantine and Arab Strategy in mid-7th Century Asia Minor, in New Approaches to the Later Roman Empire, edited by Takashi Minamikawa, Kyoto: Kyoto University, p. 147.

(2)- Carlson, op. cit, p. 12.

(3)- Kobayashi, op. cit, p. 148, 150-151.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

ثالثاً: دور موقعة ذات الصواري 35هـ (656م) في تعزيز الوجود الإسلامي في البحر المتوسط

### 1. أسباب الموقعة وأحداثها

لم يكن تركز المسلمين في قبرص يعني بأي حالٍ من الأحوال نهاية نشاطهم البحري؛ بل إنهم فكّروا إلى أبعد من ذلك، فوصلوا بتفكيرهم إلى اتخاذ خطوة كانت من الجرأة، بحيث فكّروا في مهاجمة القسطنطينية ذاتها، وذلك بعد عامٍ من سيطرتهم على قبرص. واتخاذ مثل هكذا خطوة لم يكن بالأمر اليسير؛ ففي هذه الفترة المبكرة من النشاط البحري لوالي الشام (معاوية)، اتضح مدى الارتباط والتعاون بين الشام ومصر في هذا الميدان، فقام والي مصر (عبد الله بن أبي سرح) ببناء أسطولٍ مصري<sup>(1)</sup>.

وفي الوقت الذي كان فيه المسلمون يتأهبون ويعدّون العدة اللازمة للغزو، أخذت بيزنطة تراقب الأوضاع والاستعدادات البحرية الإسلامية من كثب وحذر بالغين. وبعد إتمام هذه الاستعدادات، صدقت مخاوف الإمبراطور (قنسطانز الثاني)، من احتمال اتساع دائرة النشاط البحري الإسلامي؛ فالاستعدادات الإسلامية لم تكن بحريةً فحسب؛ بل كانت -أيضاً- بريةً؛ فهدف (معاوية) وغايته كان اقتحام القسطنطينية براً وبحراً، وعمد (قنسطانز) لتلافي خطر المسلمين المزمع على عاصمته قبل أن يقترب منها<sup>(2)</sup>. وكان تصدّي (قنسطانز الثاني) للغارة الإسلامية أمام أسوار القسطنطينية قد منحه الثقة، للإبحار في مواجهة المسلمين وجهاً لوجه<sup>(3)</sup>.

وثمة أسبابٌ بيزنطيةٌ عدّة دفعت لاندلاع موقعة ذات الصواري، منها:

(1) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 18.

(2) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص 42.

(3) - O'Sullivan, op. cit, p. 74.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

1. محاولة بيزنطة إجهاض قوّة البحريّة الإسلاميّة النامية، إذ يبدو أن استيلاء المسلمين على جزيرة قبرص، أثارت حماسة بيزنطة نحو البحر، ودفعتها للقيام بعملياتٍ بحريّةٍ جديدة، بعد أن توقّفت منذ فشلها في حملتها على الإسكندرية عام 25هـ (645م)<sup>(1)</sup>.
2. التحوُّف البيزنطي من النشاط البحري الإسلامي المتزايد<sup>(2)</sup>، إذ كان البيزنطيون يتخوّفون من أن تكون هذه محاولة أولى جادّة من قبل (معاوية)، الذي كان يقود جيشاً عبر "قبادوقيا Cappadocia" للهجوم على القسطنطينيّة<sup>(3)</sup>.
3. محاولة البيزنطيين الانتقام لما أصابهم من هزائمٍ على أيدي المسلمين في بلاد المغرب، وكذلك محاولتهم استرداد مصر<sup>(4)</sup>.

ومهما يكن من أمر، لما أنهى (معاوية) استعداداته وأعدَّ سفنه في مدينة طرابلس، قام أخوان من النصارى أخذتهما الغيرة بما فعله المسلمون، ففتحا باب السجن في المدينة وأخرجوا كل البيزنطيين المتواجدين فيه، ثمّ قتلوا عامل المدينة وأحرقا السفن والسلاح وفرّوا هاربين<sup>(5)</sup>. وما كان هذا ليحدث إلا بسبب غفلة القائمين على أمر المدينة، وتهاونهم في حراسة هذه السفن، وهم يعلمون بأنها مُعدّة لأمرٍ جليل. ولم يتوان البيزنطيون في استغلال هذه الفرصة ليفعلوا فعلتهم، ثمّ يهربون بعد انتهاء مهمّتهم.

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 91.

(2) - ماجد، عبد المنعم (1956)، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين، ج 1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص 244.

(3) - Theophanes, op. cit, p. 45.

(4) - الطبري، تاريخ الطبري، ج 4، ص 240.

(5) - علي، محمد كرد (1925)، خطط الشام، ج 1، دمشق: المطبعة الحديثة، ص 142؛

Bury (J. B) (1889), A History of The Later Roman Empire, Vol. II, London & New York: MacMillan and Co., p. 290.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

وما حدث جعل (معاوية) يعيد حساباته في تعامله مع هؤلاء، ما حدا به إلى عدم الاطمئنان إليهم، وذلك بعد أن كان كل اعتماده عليهم في صناعة الأساطيل، وأصبح اعتماده فيما بعد على العرب أنفسهم الذين أجادوا هذه الصنعة<sup>(1)</sup>. ثم استطاع (معاوية) أن يعدّ بعد الحادثة السابقة من آلات الحرب أكثر من الذي حرقه عملاء البيزنطيين، وقام بإنهاء استعداداته بسرعة. ثم أبحر الأسطول الإسلامي عام 34هـ (655م) باتجاه آسيا الصغرى، في حين سار (معاوية) بنفسه على رأس جيشٍ بريٍّ وصل به إلى مدينة "قيصريّة Caesarea" في "قبادوقية Cappadocia" بآسيا الصغرى، وألقى الأسطول مرساه بالقرب من "ليكيا" في موضعٍ يُقال له "فونكس Phoenix" في آسيا الصغرى بقيادة (عبد الله بن أبي سرح)<sup>(2)</sup>.

بلغت هذه الأنباء (قنسطانز) الذي كان يؤمن بأن المقادير قد ادّخرته لكي يُنقذ دولته من الضعف، وإبعاد خطر المسلمين عنها، حيث إنه عاش في فترةٍ صعبةٍ جدًّا، فقدت خلالها بيزنطة أعلى مستعمراتها في الشام ومصر<sup>(3)</sup>، واتخذ أهبته لخوض معركةٍ حامية الوطيس. ويبدو أنه كان متأهبًا لاستقبال السفن الإسلاميّة بسفنٍ كثيرة، اختلفت الروايات التاريخيّة حول عددها؛ فقيل: إنها سبعمائة سفينة، وقيل: إنها ألف سفينة، على حين كان عدد سفن الأسطول الإسلامي نحو مائتي سفينة، حسب أغلب المصادر الإسلاميّة.

(1) - أبو النصر، سيوف أمية، ص120.

(2) - بروكلمان، كارل (1948)، تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ج1، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، ص150؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص290:91، Bury, op. cit.

(3) - العدوي، إبراهيم (1982)، تاريخ العالم الإسلامي، ج1 (عصر البناء والانطلاق)، القاهرة: منشورات معهد الدراسات الإسلاميّة، ص144.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

ولقد سُميت هذه الغزوة بذات الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها<sup>(1)</sup>، بينما تُسَمَّى في المراجع الأجنبية باسم "معركة فونكس Battle of Phoenix" نسبةً للموقع الذي دارت فيه<sup>(2)</sup>. ويبدو أن عدد سفن البيزنطيين، كان كفيلاً ببثِّ الرهبة والخوف في قلوب المسلمين لحدائثة عهدهم بالبحر.

ودلَّت استعدادات الفريقين على أن (قنسطانز) قد صمَّم على إيقاف التوسُّع الإسلامي، بينما دلَّت استعدادات (معاوية) والمسلمون على صدق عزمهم في الجهاد والدفاع عن الأراضي الإسلامية<sup>(3)</sup>، وهذا ما اتَّضح جلياً من خلال التفاهم والتنسيق بين القوَّات البحريَّة المصريَّة والشاميَّة.

كانت الرياح حين اجتمع الفريقان غير ملائمة للقتال في البحر، ففضيا ليلتهما تحسُّباً لما سيسفر عنه الصباح. وعندما انجلى الصباح، بدأ القتال واشترك فيها كل من (ابن أبي سرح) و(قنسطانز). ولقد بدأ المسلمون القتال باستخدام الأقواس والسهم، وهو السِّلح التقليدي الذي يحاربون به في معاركهم البريَّة، ولا يجيدونه في المعارك البحريَّة، مما حدا بالإمبراطور (قنسطانز) إلى القول: "غَلبت الروم"، واضطرَّ المسلمون فيما بعد إلى استخدام الحجارة في معركتهم. وعندما تأكَّد المسلمون بأن هذه الأسلحة لن تجدي معهم شيئاً طالما سفن أعدائهم بعيدة عن متناولهم، عمدوا إلى رمي السلاسل على سفن البيزنطيين فاقرنت بها، ممَّا جعل السفن أشبه بميادين القتال البريَّة. واشتبك

(1) - بن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (1963)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، القاهرة: وزارة الثقافة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ص80؛ الكندي، محمد بن يوسف (1908)، كتاب الولاية وكتاب القضاة، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ص13؛ ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (1961)، فتوح مصر والمغرب، ج1، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص256.

(2) - Treadgold, op. cit, pp. 313-314.

(3) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص95.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

الفريقان في معركة حامية الوطيس، وعند ذلك تيقن (قنسطانز) أن جيشه سيُهزم، وعبر عن ذلك بقوله: "غلبت الروم"<sup>(1)</sup>.

واشتد القتال وكثر عدد القتلى من الفريقين، وبينما يعمل المسلمون التقتيل بجند البيزنطيين، عمل (قنسطانز) على نشر الفوضى بين صفوف المسلمين، بعد أن رأى كفتهم ترجح على كفة جيشه، فقاذ جنده خطأً على سفينة (ابن أبي سرح)، فعلق بها وأخذوا يجذبونه اتجاههم. وكادت خطة البيزنطيين أن تنجح، ولكن شاء الله أن يُفشل مرامهم ويرد كيدهم، إذ عمد الجندي (علقمة بن يزيد الغطيفي) بضرب السلسلة بسيفه، مما أدى إلى قطعها، وإنقاذ قائده من الوقوع بأيدي الأعداء<sup>(2)</sup>. وكادت الدائرة تدور على (قنسطانز) نفسه، وذلك عندما جذب المسلمون سفينته، ولكنه استطاع استبدال ملابسه بملابس ابن أحد ضاربي الطبول على السفينة، فأنقذ بذلك حياته وفرَّ إلى جزيرة "صقلية Sicily"، تاركًا خلفه جيش إمبراطوريته يواجه مصيره المحتوم، وأقام (ابن أبي سرح) في مكان الموقعة بعض الوقت، ثم أقفل راجعاً<sup>(3)</sup>.

ويحقُّ لنا التساؤل عن السبب الذي دعا البيزنطيين للقبول بتحويل المعركة من حرب سفن إلى حرب برية؟ وإذا ما أردنا الإجابة عن هذا السؤال المهم، لنا أن نضع هنا سيناريوهين؛ الأول: أن المسلمين قد نجحوا في استخدام

(1) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3، ص13-14: المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (1998)، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار المعروفة بالخطط المقرئية، ج1، تحقيق: د. محمد زينهم، ومديحة الشراوي، القاهرة: مكتبة مدبولي، ص475: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص256؛  
Von Kremer (Alfred Freiherr) (1920), The Orient Under the Caliphs, Trans. By: Khudā Bukhsh (Shaikh), Calcutta (India): University of Calcutta, p. 357.

(2) - ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج1، ص257؛ 358: Von Cremer, op. cit, p.

(3) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج3، ص14؛ 45: Bury, op. cit, pp.290-291; Theophanes, op. cit, p.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

تكتيك حربي، يتناسب وقدراتهم على القتال في بيئة برية مكشوفة بامتياز. والثاني: أن البيزنطيين على الرغم من أنهم لم يكونوا في وضع سيئ للغاية، لكن نجاعة التكتيك الحربي الإسلامي أجبرهم على الانصياع لرغبة المسلمين؛ فتمكّن الأخيرين من تحقيق النصر المؤزر. ومن ثمّ، نرى أن هذين السيناريوهان قابلان للتطبيق؛ فالتكتيك الحربي الإسلامي من جهة، كان له دورٌ في انتصار المسلمين. كما أن مفاجأة المسلمين باستخدام هذا التكتيك أوقع البيزنطيين في مأزق، ما اضطرهم للرضوخ لتكتيك المسلمين، على الرغم من أنه كانت لديهم الأفضلية في القتال، حيث يدور القتال قبالة شواطئهم ولم يكونوا في وضع سيئ للغاية. لكن على ما يبدو؛ فإن الروح المعنوية للإمبراطور البيزنطي وجيشه، لم تكن في حالة تؤهلهم لمواجهة مباغته الأسطول الإسلامي لهم في عقر دارهم.

ولعلّ موقعة ذات الصواري، كانت من أهم المعارك البحريّة بين المسلمين والبيزنطيين في صراعاتهم الطويلة والتي تُعدّ حدًا فاصلاً في تاريخ البحر المتوسط<sup>(1)</sup>. إذ بموجب هذا الانتصار الساحق، انتقل سلطان البحر من بيزنطة إلى المسلمين، وتمّ تشبيه هذه الموقعة بموقعة اليرموك<sup>(2)</sup>، فكما انتهى أمر الروم البيزنطيين فيها برياً، وجعل بيزنطة عاجزة عن استعادة ما فقدته من مستعمرات أيضاً، انتهى أمرهم بحرياً واتخذوا موقع الدفاع عن عاصمتهم نفسها.

(1) - رمضان، أحمد (1967)، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط"، القاهرة: هيئة الآثار المصرية، ص9.

(2) - ماجد، عبد المنعم (1966)، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت: مكتبة الجامعة العربية، ص85.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

لكن ما الذي جعل هذه الموقعة تدور على سواحل آسيا الصغرى؟ لقد دارت الموقعة عند ساحل الأناضول المزدحم بأشجار السرو الكثيفة، وهو ما يُستخدم لصناعة صواري السفن، ممّا جعل المسلمين يسعون للحصول على مصدرٍ جديدٍ للأخشاب التي تلزم صناعة السفن. وإن دلّ هذا على شيء؛ فإنما يدلُّ على أهميّة الخشب في الصراع بين المسلمين وبيزنطة<sup>(1)</sup>، حتى يضيف المسلمون هذا المصدر إلى مصدر الأخشاب الرئيسي لديهم والموجود في لبنان. فإذا كان المسلمون ينوون غزو القسطنطينية فقط؛ فلماذا ألقوا مراسهم على سواحل آسيا الصغرى؟

وبالإمكان القول: إن الهدف الذي سعى إليه المسلمون من هذه الغزوة لم يكن الحصول على أخشاب آسيا الصغرى فقط، أو الاستيلاء على القسطنطينية فقط؛ بل كان هدفهم يتمركز في الحصول على الكسبين معاً؛ فهم كانوا يطمحون للحصول على الأخشاب ليزيدوا من عدد سفنهم، ويريدون الاستيلاء على القسطنطينية أيضاً ليقضوا على قوّة بيزنطة إلى الأبد. ومن نافلة القول أيضاً، أن الانتصار الإسلامي في موقعة ذات الصواري، غيرت تماماً مجرى التاريخ في البحر المتوسط، إذ بات بإمكان المسلمين مهاجمة البيزنطيين في عقردارهم من ناحية، وتأمين السواحل الإسلامية من خطرهم الداهم من ناحيةٍ أخرى.

### 2. نتائج موقعة ذات الصواري

كان انتصار المسلمين في هذه الموقعة، حدثاً من الأحداث المهمّة والخطيرة التي بموجبها تغيرت خارطة منطقة الحوض الشرقي للبحر المتوسط، إذ بدأ المد الإسلامي يتقدّم خطاه حثيثاً لا يعوقه أي معوّق. وغدا العرب المسلمون

(1)- لويس، القوى البحرية والتجارية، ص92؛ سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص29.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

الجاهلون بأمور البحريّة والملاحه، أساتذة يلقون دروسهم في هذا المضمار عمليًا، من خلال الغزوات البحريّة المتتالية.

وكانت هذه الموقعة إحدى المواقع الحاسمة في التاريخ الوسيط، لأنها حوّلت العلاقات الإسلاميّة البيزنطيّة نحو اتجاهٍ جديدٍ في الحوض الشرقي للبحر المتوسّط، إذ إنها عدّت المدخل الذي أطلّ منه المسلمون على العالم كقوّة بحريّة منافسةٍ في المنطقة. وكان من نتيجتها أن تخلى الإمبراطور (قنسطانز) ومن جاء بعده من الأباطرة، عن فكرة طرد المسلمين من الأراضي التي فتحوها في شرقيّ هذا البحر، والاكتفاء بتأمين الدفاع عن الأراضي البيزنطيّة في الجهة الجنوبيّة من آسيا الصغرى، وضاعت من أيدي البيزنطيين آخر فرصة لاستعادة مواقعهم في الشام ومصر، حيث كان اعتمادهم على التفوّق البحري<sup>(1)</sup>.

وبالإمكان إيجاز أهم هذه نتائج هذه الموقعة، كما يلي:

1. لقد كان انتصار الأسطول الإسلامي في موقعة ذات الصواري، تدعيمًا متينًا للسيادة الإسلاميّة على شواطئ البحر المتوسّط<sup>(2)</sup>، إذ أصبحت هذه السواحل آمنة من شرّ الهجمات البحريّة البيزنطيّة.

2. إن هذه الموقعة المهمّة تُعتبر من المعارك الحاسمة التي غيرت مجرى الأحداث في تاريخ البحر المتوسّط؛ فهي تقف على قدم المساواة مع موقعتي أكتيوم عام 31 ق.م، وأبي قير البحريّة عام 1798م. فموقعة ذات الصواري قضت على اتّصاف البحر المتوسّط بأنه بحر الروم، وجعلته حرّياً بأن يُدعى

(1) - طقوش، محمد سهيل (2003)، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط1، بيروت: دار النفائس، ص384.

(2) - رمضان، فن القتال البحري، ص14.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

بحر المسلمين<sup>(1)</sup>، وهو ما حدث -بالفعل- بعد أن استولى المسلمون على الجزر كافة الموجودة في هذا البحر.

3. لقد أحدثت الهزيمة في هذه الموقعة، موجاتٍ من الصدمة العنيفة في المجتمع البيزنطي<sup>(2)</sup>.

4. كما توقّف النشاط البحري بين القوتين الإسلاميّة والبيزنطيّة لأكثر من عشر سنوات، وذلك لوجود أزماتٍ ومشاكلٍ داخلية عند كلٍّ من الطرفين دون معاهدة موقّعة بينهما. فنجد (معاوية) انشغل بالمطالبة بدم الخليفة (عثمان بن عفّان) عقب مقتله منذ عام 35هـ (656م)، والخلاف بينه وبين (علي بن أبي طالب)، من أجل الحصول على منصب الخلافة ولم يعد مهتمّاً بشؤون البحريّة خلال هذه المدّة. أمّا البيزنطيّون فقد انشغلوا بالاضطّرابات التي سادت منطقة البلقان وبقية ممتلكاتهم في الغرب، ما جعل الإمبراطور (قنسطانز) ينشغل عن الصراع مع المسلمين مؤقتاً.

5. إن فترة الهدوء التي مرّت بها القوتان لا تعني بأي حالٍ من الأحوال إهمال بيزنطة للبحريّة؛ فالبيزنطيّون استغلّوا فرصة المشاكل الداخليّة داخل الدولة الإسلاميّة، وعملوا على دعم جبهتهم الداخليّة؛ ومن ثمّ إعادة بناء القوّة البحريّة. ثمّ أتبع (قنسطانز) هذه الخطوة بنقل عاصمته إلى جزيرة صقلية، لكي يربط إمبراطوريّته بالبقية الباقية لها في بلاد المغرب، ولكي يصدّ التقدّم الإسلاميّ المندفع من مصر إلى هذه البلاد، ولينقذ ما يمكن إنقاذه من أراضي الإمبراطوريّة في تلك المنطقة المهمّة لها<sup>(3)</sup>.

(1) - العدوي، مصر والشرق العربي، ص 51.

(2) - Carlson, op. cit, p. 14.

(3) - سالم، السيد عبد العزيز (1982)، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ص 109؛ العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص 55؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 92.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

6. واهتمام (قنسطانز) بالجانب الغربي، وفي بلاد المغرب لم يجعله ينسى اهتمامه بالجانب الشرقي، وأحلامه التي راودته من حين لآخر باستعادة مصر والشام إلى ممتلكاته مجددًا، إذ إنه عندما أحسَّ عام 46هـ (666م) بالأمن في البرِّ والبحر، قام بإرسال ما يُسمَّون بـ "المردة Mardaites" الذين وصلوا حتى فلسطين<sup>(1)</sup>.

7. كما أن (معاوية) غدا الشخصية الأولى في عالم البحر المتوسط، بالإضافة إلى فتح صفحة رائعة للمسلمين في تاريخ هذا البحر، وعمد إلى تحصين حدود الشام الشماليَّة، لحمايتها من أخطار البيزنطيين<sup>(2)</sup> المتكرِّرة على أراضيها.

8. كذلك أصبحت عملية غزو بلاد المغرب ضروريَّة وأكثر حيويَّة عن ذي قبل، بسبب ضعف البحريَّة البيزنطيَّة التي كانت تقوم بمساعدة قوَّات بيزنطة الموجودة هناك، والمدافعون عنها ضدَّ التقدُّم الإسلامي في محاولةٍ لإيقاف هذا الزحف.

رابعًا: أهمية استيلاء المسلمين على الجزر البيزنطيَّة الحيويَّة في شرقي البحر المتوسط

بعد أن تمَّت هزيمة البيزنطيين في ذات الصواري، أصبح للمسلمين قوَّةً بحريَّةً هائلة ذات بأس، جعلت البيزنطيين يتقوقعون داخل أراضيهم يجترعون كأس الخيبة والمهانة، إلَّا أن هذا الأمر لم يستمرَّ طويلًا، حيث استغلَّ البيزنطيون فرصة الاضطرابات الداخليَّة في الدولة الإسلاميَّة بين (معاوية) و(علي بن أبي طالب)، وعملوا جادين في محاولةٍ منهم لتحقيق مكسبٍ من

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 95.

(2) - العدوي، الأمويين والبيزنطيين، ص 99.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

وراء ما يدور بين المسلمين، ما اضطرّ (معاوية) لإبرام الهدنة، ودفع الجزية لبيزنطة في عام 38هـ (659م)<sup>(1)</sup>.

قام البيزنطيون بمساعدة المردة<sup>(2)</sup> على مهاجمة الأراضي الإسلامية، في محاولة منهم لإنهك القوى الإسلامية. واستهدف هؤلاء المردة من خلال غاراتهم العديدة، إيقاع الاضطراب بين المسلمين بتشجيع من بيزنطة التي قدّمت لهم المساعدات الحربيّة. والذي شجّع الإمبراطور البيزنطي على مساعدة المردة، ما رآه من حصانة السواحل الإسلامية<sup>(3)</sup>. ونجح البيزنطيون بمساعدة أعوانهم المردة في هجومهم هذا، وكان ذلك في عام 46هـ (666م)، واستفاد المردة من موقع سلسلة جبال لبنان الجغرافي، وكذلك خلؤها من المحارِس<sup>(4)</sup> الإسلاميّة والتي كان من المفترض أن توجد بها.

وترتّب على هذا الهجوم العاتي، قرار (معاوية) ببناء دارُ لصناعة الأسطول في مدينة عكا، عوضاً عن اعتماده في جلب السفن على دار صناعة مصر فقط. وكان قد قام من قبل بنقل أعداد كبيرة من الفرس ليقيموا في المدن الشاميّة الساحلية، مثل: جبيل، وبيروت، وصيدا، وعكا، وغيرها من المدن، وذلك في عام 43هـ (663م)<sup>(5)</sup>، لتدعيم هذه السواحل من خطر أي هجوم بحريّ بيزنطي محتمل.

(1) - Theophanes, op. cit, p. 46; Treadgold, op. cit, p. 315.

(2) - المردة: هم الذين يُعرفون بالجراجمة، المنتسبين إلى مدينة جرجومة الواقعة على جبل اللكام بالثغر الشامي، عند معدن الزاج الواقعة بين بياس وبوقّة بالقرب من أنطاكية.

البلاذري، فتوح البلدان، ص217.

(3) - العدوي، الأمويين والبيزنطيين، ص110؛ علي، خطط الشام، ج1، ص149.

(4) - العدوي، الأمويين والبيزنطيين، ص110.

(5) - سالم، تاريخ الإسكندرية، ص109؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص95.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

### 1. الحملة الاستطلاعية على جزيرة صقلية

يُعتبر (معاوية بن أبي سفيان) أول والٍ إسلامي، تمكّن من وضع حجر الأساس للاستراتيجية التوسعية في البحر المتوسط، وذلك عندما فكّر في غزو الأملاك البيزنطية في هذا البحر، تمهيدًا لخطوةٍ أخرى أكثر جراءة -لاحقًا - باتخاذها قرارًا مصيريًا بمحاولة الاستيلاء على مدينة القسطنطينية نفسها، وكان الهدف من وراء هذا كله توجيه ضربة قاتلة لبيزنطة.

ومهما يكن من أمر، كانت أول محاولة من جانب المسلمين للإغارة على الجزر البيزنطية قد تمت في عام 32هـ (652م)، حيث نزلوا بأسطولٍ صغير على شواطئ جزيرة صقلية<sup>(1)</sup>، ولكنهم فشلوا في محاربة الحصون بسبب مناعتها<sup>(2)</sup>. وأغلب الظنّ أن الذي قام بهذا الغزو (معاوية بن حُديج الكندي)<sup>(3)</sup>، إلّا أن المسلمين لم يعطوا هذه الغزوة أهمية كبيرة، ويُستدلّ على ذلك من قلة السفن المستخدمة لهذا الغرض، إذ لم تتعدّ هذه العمليات في صقلية هذه المرّة دور "اللقاء التافه" حسب وصف (فازيليف). فقد عزم (معاوية) على إنهاء هذه الغزوة، مكتفيًا بالغنائم والأسرى<sup>(4)</sup>. ونستطيع القول: إن هذه الحملة لم تكن سوى حملة استطلاعية، لقياس مدى قوّة تحصينات هذه الجزيرة المهمة.

(1) - تُعتبر صقلية على شكل مثلث متساوي الساقين، والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون، كما أن أكثر أراضيها مسكونة مزروعة، ولا يوجد بها مدينة مشهورة ومعروفة سوى مدينة بُلرم (باليرمو Palermo) عاصمة الجزيرة.

ابن حوقل، صورة الأرض، ص113.

(2) - فازيليف (د.ت)، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة: دار الفكر العربي ص63.

(3) - البلاذري، فتوح البلدان، ص329.

(4) - فازيليف، العرب والروم، ص63.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

وحسب قول (أرشيبالد لويس)؛ فإن توجيه المسلمين غزواتهم نحو الجزر الغربيّة للبحر المتوسط لم تكن سوى خدعة حربيّة، إذ إن جهودهم كانت منصّبة أساسًا نحو القسطنطينيّة نفسها باعتبارها مركز الثقل السياسي والعسكري لبيزنطة<sup>(1)</sup>.

أدى إنشاء دار الصناعة في عكا إلى زيادة خطورة المسلمين على البيزنطيين، فاستغلّ المسلمون قيام اضطرابات في جزيرة صقلية بسبب مقتل الإمبراطور (قنسطانز) في "سرقوسة Syracuse" عام 48هـ (668م)، فأبحر الأسطول الإسلامي من ميناء الإسكندريّة، مكوّنًا من مائتي سفينة عليهم (عبد الله بن قيس) قاصدًا الجزيرة. وكان من شجاعة هذا القائد، أنه كان يذهب إلى الأماكن التي يوجد بها البيزنطيّون ليتحقّق من مفاجاتهم، وليوقع بهم الهزائم، لكنّه استشهد خلال إحدى جولاته وهو يستطلع سفنهم<sup>(2)</sup>.

### 2. غزو جزيرة "Rhodes"

لم يكتفِ المسلمون بغزو صقلية؛ بل رأوا من باب السلامة والتكتيك العسكري ضرورة غزو بقية الجزر، حتى يسهّل عليهم فيما بعد الوصول إلى القسطنطينيّة. ففي عام 47هـ (667م)، أرسل (معاوية بن أبي سفيان) والي مصر (عقبة بن عامر الجهني) لغزو جزيرة رودس، إلّا أن هذه الحملة كانت بمثابة نوع من المكيدة لوالي مصر، حيث كان في نيّة (معاوية) خلعه عن مصر، وتسليم الولاية إلى (مسلمة بن مخلّد)، ويتضح هذا جليًّا في مقولة (عقبة): "أخلعنا وُغربة"<sup>(3)</sup>، وذلك بعد أن وصله الأمر بعزله.

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص96.

(2) - فازيليف، العرب والروم، ص63؛ العدوي، الأمويين والبيزنطيين، ص63.

(3) - الكندي، كتاب الولاة، ص37؛ بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص127.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

وجزيرة رودس جزيرة مهمّة، لذا أعاد المسلمون عليها الكرة بُغية ضمّها إلى أملاكهم. وتُعتبر دُرّةً ثمينة تمّ ترصيع العالم الإسلامي بها لأهميّتها الاقتصادية والحربيّة. وكان (جُنادة بن أمية الأزدي) قد استولى عليها في عام 33هـ (654م)<sup>(1)</sup>. وفي أوائل صيف العام نفسه، قاد الإمبراطور (قنسطانز الثاني) أسطولاً بيزنطياً ضدّ أسطول المسلمين المتجه نحو القسطنطينيّة، لكنه عانى من الهزيمة وعاد إلى عاصمته، وبدأ في تجميع قوّاته لتنظيم الدفاع عنها<sup>(2)</sup>، كما سبق الإشارة.

ثمّ أعاد (جُنادة) فتح رودس عام 52هـ (672م)، وأقام بها معسكراً، وأنزل بها قومًا من المسلمين. ووصف (البلاذري) الجزيرة قائلاً: "ورودس من أخصب الجزائر... فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة"<sup>(3)</sup>. واستفاد المسلمون من غنى هذه الجزيرة، كما أنهم اتّخذوا بها أموالاً ومواشي يقومون برعيها، كما كان لهم حارسٌ ليحدّثهم ويراقب البحري لا ينزل عليهم العدو<sup>(4)</sup> بغتة. وكان (معاوية) يدُرّ لهم العطاء، فلمّا مات طلب منهم ابنه (يزيد) العودة<sup>(5)</sup>.

### 3. غزو جزيرة أرواد "Cyzicus"

لم تقتنع القيادة الإسلاميّة في دمشق بغزو رودس؛ بل كان طموحها أكبر من ذلك؛ فكان هدفها غزو المزيد من الجزر، حتى تشلّ حركة البحريّة البيزنطيّة تمامًا. وكان لغزو قبرص ورودس أكبر الأثر في تدعيم البحريّة الإسلاميّة

(1) - العدوي، الأمويين والبيزنطيين، ص 91؛

Bosworth (C. Edmund) (July 1996), "Arab Attacks on Rhodes in the Pre-Ottoman Period", Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. 6, Issue 2, p. 158.

(2) - Cosentino, op. cit, p. 592.

(3) - البلاذري، فتوح البلدان، ص 330.

(4) - أبو النصر، سيوف أمية، ص 118.

(5) - بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 1، ص 144.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، إذ اتخذهما المسلمون بمثابة قاعدتين ليوجّهوا منها الغزوات على أملاك بيزنطة. فقد أدّى الاستيلاء على هاتين الجزيرتين إلى تشجيع (معاوية) لإرسال قائده (جُنادة بن أمية الأزدي) لغزو جزيرة أرواد (كزيكوس)، والتمكّن منها في عام 54هـ (674م) في أثناء حصار القسطنطينية، وتقع هذه الجزيرة بالقرب منها<sup>(1)</sup>. واستخدمها المسلمون فيما بعد أثناء حصارهم لهذه المدينة كمحطة تموين للجند، بالإضافة إلى كونها مأوى لهم خلال فصل الشتاء القارس، وهي بمثابة الباب الرئيسي وخط الدفاع الأول عن العاصمة. وبسقوط أرواد في أيدي المسلمين، باتت عاصمة بيزنطة شبه عارية بعد سقوط أهم نقطة دفاعية عنها من الخارج، وأصبحت تحت رحمة القوّات الإسلاميّة المحاصرة لها.

### 4. غزو جزيرة إقريطش (كريت Crete)

أردف (جُنادة) غزوته هذه بغزو جزيرة إقريطش (كريت) في عام 55هـ (675م)، وهي جزيرة كبيرة عامرة، ومعروفة بموانئها المائة، وتابعة سياسيًا للبيزنطيين وسكانها من اليونانيين. وتلي إقريطش جزيرة صقلية من حيث الأهمية الاستراتيجية؛ فعمل البيزنطيّون أقصى جهدهم لمنع سقوطها في أيدي المسلمين وهذا ما حدث بالفعل، إذ فشل (جُنادة) في الاستيلاء عليها بسبب ضخامتها، فاكتفى بالإغارة عليها فقط<sup>(2)</sup>. ولو تمّ له فتحها -حينئذ - لأصبح هدفه الرئيسي في محاولاته لفتح القسطنطينية يسيرًا. وبقيت هذه الجزيرة تمثّل عقبة في وجه المسلمين، إلى أن تمكّن الخليفة (الوليد بن عبد الملك) من فتح بعضها واكتفى بذلك<sup>(3)</sup>.

(1) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص24.

(2) - البلاذري، فتوح البلدان، ص330؛ ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب، ص88.

(3) - البلاذري، فتوح البلدان، ص330.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

### 5. غزو جزيرة قوصرة "Pantelleria"

تمّ للمسلمين فيما بعد في خلافة (عبد الملك بن مروان) عام 51هـ (671م)، الاستيلاء على جزيرة قوصرة (المعروفة الآن باسم بانتليريا)، وتبعد نحو ستين ميلاً من صقلية، وأربعين ميلاً من المغرب الأدنى (تونس حالياً) <sup>(1)</sup>.

ونؤيد ما ذهب إليه (أرشيبالد لويس) من قوله: بأن استيلاء المسلمين على الجزر المهمة كان لأهدافٍ دفاعية، إذ كانت طرسوس وقبرص تقومان بحماية الشواطئ الشامية، بينما إقريطش تقوم بحماية مصر <sup>(2)</sup>، لكننا نرى أن هدف المسلمين لم يكن دفاعياً بحتاً؛ بل إنهم وضعوا نصب أعينهم قوة بيزنطة البحرية والتي كانت لا تزال تستطيع الوقوف على قدميها؛ فعمد (معاوية) باستيلائه على هذه الجزر، إلى جعل بيزنطة عاجزة عن التحرك بعيداً عن نطاق عاصمتها، وإجهاض أي هجومٍ مفاجئٍ قد يقوم به البيزنطيون على سواحل الشام ومصر، وأن يتمّ تجريد بيزنطة من أوراق قوتها المتمثلة بتلك الجزر.

### خامساً: محاولات الأمويين الاستيلاء على مدينة القسطنطينية

يبدو أن (معاوية بن أبي سفيان)، اعتقد أن بإمكانه أن يكون الشخص الذي بشر به الرسول الكريم بأنه الذي سيفتح مدينة القسطنطينية؛ لذلك لم تغب عنه يوماً فكرة الاستيلاء عليها، فعمل جاهداً على تحقيق حلمه هذا، من خلال جهوده الحثيثة التي تنمّ على عبقريته السياسية والعسكرية على حدٍ سواء. فقد مهّد لذلك بإجراءاتٍ عسكريةٍ عدّة اقتضتها الظروف التكتيكية، حتى إذا ما حان وقت تنفيذ حلمه كان التنفيذ سهلاً لا يحتاج إلى كبير عناء.

(1) - فازيليف، العرب والروم، ص63.

(2) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص249.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

فإذا ما سقطت القسطنطينية في أيدي المسلمين؛ فإن المقاومة البيزنطية ستفشل وتتحطم، وسوف تتمدد مناطق نفوذ إضافية إلى ممتلكاتهم، كما ستضعف بيزنطة بشدة. ناهيك عن أن القسطنطينية ستكون أعظم جائزة للفاتحين المسلمين. ويضاف إلى ذلك، أن أهم الفوائد للاستيلاء على حاضرة بيزنطة، هي منح المكانة العظيمة للقائد الفاتح لها الذي من شأنه أن يمثل أعظم إنجاز لأي حاكم مسلم، وسيكون نهاية أعظم خصم للخلافة الأموية. ناهيك أن غزو المدينة سوف يكسب الأمويين -أيضاً- شرعية في حكمهم<sup>(1)</sup>، بعد الخلافات الداخلية التي دبت بعد مقتل الخليفة (عثمان بن عفان).

وكان (معاوية) بعد فترة وجيزة من توليه خلافة الدولة الإسلامية، قد حقق نجاحاً كبيراً في أرمينيا التي كانت حتى ذلك الحين، تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية كأرض تابعة لها. وبعد بضع سنوات، استسلم (جوانشر Juansher)، أمير ألبانيا القوقازية وكذلك إقليم "ميديا Media" لحكم (معاوية). وبالتالي: تسبب (معاوية) في انهيار جميع إنجازات الإمبراطور (قنسطانز الثاني) في منطقة القوقاز في عام 29هـ (650م)<sup>(2)</sup>.

### 1. محاولات الاستيلاء على القسطنطينية في عهد (معاوية بن أبي سفيان)

حاول (معاوية) كأول خليفة أموي أن يغزو القسطنطينية مرتين، لكنّه وهو السياسي المخضرم، وإحدى ذهاة العرب المشهورين فشل في مهمته، إذ لم تكن إمكانياته العسكرية واللوجستية بحجم وقدرات مدينة حصينة وعتيدة كالقسطنطينية.

<sup>(1)</sup> - Humphreys (R. Stephen) (2006), Mu'awiya ibn Abi Sufyan: From Arabia to Empire, Oxford: One world Publications, pp. 105-106.

<sup>(2)</sup> - Kobayashi, op. cit, p. 149.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

ويبدو أن ثمة سببين رئيسيين كانا وراء تغيير المسلمين لاستراتيجيتهم العسكرية؛ الأول: إنه في ستينيات القرن السادس للميلاد، اضطرّ (معاوية) إلى إعادة بناء الأسطول بعد أن تعرّض لأضرارٍ جسيمة في عاصفة عام 33هـ (654م)، وفي موقعة ذات الصواري<sup>(1)</sup>، وكذلك بسبب الاقتتال الداخلي، إذ لم يكن بوسع المسلمين القدرة بالحفاظ على أسطولهم البحري بالقدر الكافي. لذلك، عندما انتصر (معاوية) في صراعه ضدّ الخليفة (علي بن أبي طالب) وأصبح خليفةً للمسلمين، كان بحاجة إلى إعادة بناء الأسطول مجددًا<sup>(2)</sup>، أي أن إعادة بناء وتجهيز أسطول كبير جديد، تتطلب من (معاوية) فترةً زمنيّةً طويلة.

وثانيًا: أنه في تلك الفترة، غزا المسلمون ودمروا الكثير من المدن والحصون والمناطق الريفية، ولا سيّما في غرب آسيا الصغرى. فقد تعرّضت مدنها للهجوم، وتمّ أسر العديد من سكّانها. كما أن السلاف الذين كان الإمبراطور (قنسطانز الثاني) قد أجبرهم على الهجرة من البلقان إلى آسيا الصغرى، استقرّوا في منطقة "أفاميا Apameia"، وكانت الأجزاء الغربية من آسيا الصغرى مهمّة اقتصاديًا بالنسبة لبيزنطة<sup>(3)</sup>.

أ. المحاولة الأولى عامي 49-50هـ (669-670م): بعد أن استتبّ الأمر إلى (معاوية) بتوليّه مقاليد الخلافة والقضاء على خصومه، أخذ يُعدّ جيشه لمواجهة المخاطر البيزنطية المتزايدة، فاستعمل على البحر أحد قوّاده العرب

<sup>(1)</sup> - Hoyland (Robert G.) (tr.) (2011) Theophilus of Edessa's Chronicle and the Circulation of Historical Knowledge in Late Antiquity and Early Islam, Translated Texts for Historians Volume (57), Liverpool: Liverpool University Press, p.141.

<sup>(2)</sup> - Howard-Johnston (James) (2010), Witnesses to a World Crisis: Historians and Histories of the Middle East in the Seventh Century, Oxford: Oxford University Press, p. 489.

<sup>(3)</sup> - Hoyland, op. cit, pp. 152-153.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

يُسمّى (عبد الله بن قيس) الذي قام بخمسين غزوة ما بين شاتية وصائفة، كما بدأ (معاوية) جهاده البرّي بأن أرسل (سفيان بن عوف العامري) إلى الطوانة بأرض البيزنطيين وشقّى بها في عام 50هـ (670م)<sup>(1)</sup>. كما قام من قبل (بسر بن أرطأة) بغزو بيزنطة وشقّى بها في عام 43هـ (663) في البحر<sup>(2)</sup>، وغزاهم (مالك بن هبيرة) في البحر في عام 48هـ (668م)، و(عقبة بن عامر الجهني) ومعه أهل مصر وأهل المدينة<sup>(3)</sup>. وفي عام 47هـ (667م)، قام أحد الثائرين في "أرمينيا Armenia" يدعى (سابوروس Saborius) بدعوة المسلمين إلى دخول هذا الإقليم، وما كاد المسلمون الوصول إلى ملطيّة، حتى كان الإمبراطور قد أطفئ نار الثورة، غير أن المسلمين واصلوا تقدّمهم حتى وصلوا إلى "خلقدونية Chalcedon". ثمّ جاءت الفرصة مواتية إلى (معاوية) ليقوم بما خطّط له مسبقاً، وذلك بعد مقتل (قنسطانز الثاني) في صقلية عام 48هـ (668م)، وتولّى عرش الإمبراطوريّة خلفاً له نجله (قنسطنطين الرابع Constantine IV) الصغير السن<sup>(4)</sup>.

وعلى ضوء ما استجدّ من أمورٍ في بيزنطة، أسرع (معاوية) باستغلال هذه الفرصة، فأرسل (فضالة بن عبيد الأنصاري) على رأس جيشٍ في عام 49هـ (669م) برّاً لغزو القسطنطينيّة. ثمّ أردفه (معاوية) بابنه وولي عهده (يزيد)، وزوّده بقوةٍ برّيّة<sup>(5)</sup>. وهذا الأمر ما يؤكّده المؤرّخ (ماريك يانكوفياك

(1) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص 23.

(2) - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (1995)، تاريخ اليعقوبي، مج 2، ط 6، بيروت: دار صادر، ص 239.

(3) - المرجع السابق، ص 239-240؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1421هـ (2000م)). تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 3، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 11.

(4) - بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج 1، ص 151؛ Kobayashi, op. cit, p. 149; Treadgold, op. cit, p. 320.

(5) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج 2، ص 240؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص 155.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

(Marek Jankowiak)؛ بأن حصارًا إسلاميًا قد وقع بالفعل، وأن التاريخ الصحيح للحصار يجب أن يكون بين عامي (47-49هـ / 667-669م)، وتحديدًا مع ربيع عام 48هـ (668م) بهجوم كبير<sup>(1)</sup>. أي أن المسلمين كانوا في ستينيات القرن السادس للميلاد قد غيروا استراتيجيتهم ضدَّ بيزنطة، كما سبق الإشارة<sup>(2)</sup>.

وأرسل (معاوية) ضمن جيش ابنه عددٌ من الصحابة، منهم (عبد الله بن عباس)، و(عبد الله بن عمر)، و(عبد الله بن الزبير)، و(أبو أيوب الأنصاري)، وذلك لكي تكتسب الحملة نوعًا من الجهاد المقدس<sup>(3)</sup>. وبعد أن أتمَّ (معاوية) جمع كلِّ ما يلزم للحملة، توجهت بقيادة (يزيد) إلى مدينة خلقدونية، المقر الذي اتخذه (فضالة) كمركزٍ لإدارة دقَّة الهجوم على القسطنطينية. وعند مضيق البسفور اجتمعت قوَّات (يزيد) بقوَّات (فضالة)، وعبر مياه البسفور إلى الجانب الأوروبي، فكان إلى (يزيد) وجيشه بذلك السبق في الوقوف أمام أسوار القسطنطينية يدقُّون أبوابها بالآتهم الحربيَّة. وتمَّ فرض الحصار عليها، فأثبت المسلمون صبرهم وجلدهم، وهم يقومون بحصارها، ويضيقون على سكَّانها الخناق. واستشهد خلال مدَّة هذا الحصار الكثير من المسلمين، وكان منهم الصحابي الجليل (أبو أيوب الأنصاري) الذي تمَّ دفنه بالقرب من سورها، ووقف المسلمون عاجزين أمام هذه المدينة العنيدة غير قادرين على اقتحام

(1) - see: Jankowiak (Marek) (2013), The First Arab Siege of Constantinople. In Constantin Zuckerman (ed.). Travaux et Mémoires, Vol. 17: Constructing the Seventh Century, Paris: Association des Amis du Centre d'Histoire et Civilisation de Byzance, pp. 237-320.

(2) - Kobayashi, op. cit, p. 151.

(3) - أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل ابن علي (د.ت)، المختصر في أخبار البشر، ج1، القاهرة: مكتبة المنبئي، ص186؛ بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص135؛ حسن، إبراهيم حسن (1416هـ / 1996م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ط14، بيروت: دار الجيل، القاهرة: دار النهضة المصرية، ص229.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

أسوارها الحصينة، ممّا دعا القيادة إلى طلب العودة بالجيش الإسلامي إلى الشام في العام نفسه<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من فشل المسلمين في تحقيق نتيجة إيجابية في هذه الغزوة، إلا أنهم اكتسبوا خبرةً واسعة في المجال الهجومي، وعرفوا الطريق إلى المدينة جيّداً، فكانت هذه الغزوة بمثابة تجربة وصقل خبرات استفادوا منها.

لقد أظهرت هذه الحملة بجلاءً للمسلمين إمكانية توجيه ضربة مباشرة إلى القسطنطينية، فضلاً عن ضرورة وجود قاعدة إمداد في المنطقة التي تمّ العثور عليها في شبه جزيرة (سيزيكس Cyzicus)، على الشاطئ الجنوبي لبحر مرمرة. وعاود (معاوية) نشاطه الحربي ضدّ بيزنطة، حتى لا يعتقد البيزنطيون بأن عجز المسلمين في الاستيلاء على عاصمتهم قد أدّى إلى ابتعادهم عن هذا النشاط، حيث أقام أسطول مدهامة بقيادة (فضالة) الشتاء عام 51هـ (671م)<sup>(2)</sup>.

ب. الحملة الثانية بين عامي (54-60هـ / 673-679م): في عام 54هـ (673م)، أرسل (معاوية) للمرة الثانية حملة بريّة بقيادة (عبد الرحمن بن خالد) إلى القسطنطينية يساندها الأسطول البحري، وحلّ الشتاء والقوّات الإسلاميّة كانت -لا تزال -في طريقها عبر آسيا الصغرى، فاستولى الأسطول على "إزمير Izmir" وليكيا، كما استولى أيضاً على جزر رودس و"كوس Kos" و"خيوس Kaisos". وبدأ التنسيق والتنظيم يظهر بين القوتين البريّة والبحريّة، وبدأت قيادة القوتين متفاهمة. ثمّ عبر الأسطول الإسلامي مضيق الدردنيل دون مقاومة تُذكر من البيزنطيّين، واستولى المسلمون على جزيرة أرواد الواقعة في مياه

(1) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص 156-157.

(2) - Treadgold, op. cit, p. 325.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

القسطنطينية، واتخذوها مقرًا ليديرا منها حملتهم على العاصمة. فكانت الأساطيل الإسلامية تقوم بنقل الجنود منها إلى البرّ لمحاصرة أسوار المدينة، بينما يكمل الأسطول أيضًا حلقة الحصار حول المدينة، وذلك بوقوف سفنه في منطقة "تراقيا Thrac" بين مرتفعات "هبدومون Hebdomn" الواقعة على بُعد سبعة أميال عن أسوار المدينة من ناحية الشرق، وبين "رأس كيلكليبيون Kyklobion Cape of" الواقعة على مقربة من "البوابة الذهبية The Golden Gate" (1).

في الوقت نفسه، أدى الانشغال بالتهديد الإسلامي إلى الحدّ من قدرة بيزنطة على الردّ على التهديدات في أماكن أخرى؛ ففي إيطاليا استغل اللومبارديون "Lombards" الفرصة لغزو معظم مقاطعة "كالابريا Calabria"، بما في ذلك "تارانطوم Tarentum" و"برونديزي Brundisium". بينما في البلقان، هاجم تحالف القبائل السلافية مدينة "تسالونيكى Thessalonica"، ووصلوا إلى مصب نهر "فاردار Vardar" وقطعوا الاتصال عن القسطنطينية، وشنت غارات بحرية في بحر إيجه، حتى توغلت في بحر مرمرة (2). كما خرج سكان جزيرة صقلية عن طاعة بيزنطة، بسبب عداوتهم لمذهب الطبيعة الواحدة (3).

أحكم المسلمون حصارهم حول المدينة برًا وبحرًا، رغم المناوشات التي كانت تحدث بين الفريقين في أثناء فترة الحصار، إلا أن الأسطول الإسلامي كان خلال فصل الشتاء يضطرّ إلى رفع الحصار عن المدينة، ويعود المسلمون إلى أرواد حتى ينتهي الشتاء فيعودون لمزاولة الحصار مجددًا. ولقد استمرّ الحصار العنيف حتى عام 60هـ (679م)، واضطرّ المسلمون إلى رفعه عن القسطنطينية دون أن يتمكنوا مجددًا من اقتحامها، لكن الجيش

(1) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص 164-165.

(2) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 92-93؛ Treadgold, op. cit, p. 326-327.

(3) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 93.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

الإسلامي أبدى كثيرًا من ضروب البسالة والإقدام، على الرغم من توّسل البيزنطيين في الدفاع عن المدينة بوسائلٍ كيميائية<sup>(1)</sup>.

وثمة أسبابٌ عدّة، حالت دون تمكّن المسلمين من تحقيق هدفهم الذي من أجله أتوا إلى تلك البقاع الشديدة البرودة والسقيع، نوردها كالآتي:

1. إن المدينة كانت تحصل على كل ما تحتاج إليه من مؤن وإمداد؛ فالإمبراطور (قنسطنطين الرابع) كان قد ملأ خزائن المدينة بكل ما تحتاجه من المؤن والعتاد. وكان بإمكانها الصمود أمام أي هجومٍ بريٍّ أو بحريٍّ، حيث تأتمت الإمدادات من البلاد المجاورة لها<sup>(2)</sup>.

2. إصلاح وترميم أسوار المدينة قبل أن يبدأ المسلمون هجومهم بزمنٍ قليل<sup>(3)</sup>، وقام الإمبراطور بذلك تحسُّبًا لمثل خطورة ترك الأسوار دون ترميم.

3. كانت "النار البحرية الإغريقية" Greek fire<sup>(4)</sup>، العامل الرئيسي الذي أدّى إلى تحطيم القوّة الإسلاميّة أمام أسوار المدينة العنيدة، حيث عانى منها المسلمون كثيرًا. ويُنسب هذا الاختراع لمهندسٍ سوريٍّ يُسمّى (كاليينيكوس Kallinikos) كان مقيمًا في القسطنطينيّة؛ لذا فقد كان هذا السّلاح عقبة كؤود في وجه الجيوش الإسلاميّة التي قامت بمحاصرة المدينة مرّاتٍ عدّة، إذ لم يرَ المسلمون في حياتهم مثل هذا السّلاح إلّا أمام هذه المدينة، فتفرّق

(1) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص33.

(2) - العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص56؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص96.

(3) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص165.

(4) - تتكوّن هذه النار من مزيجٍ من الكبريت وبعض الراتنجات والأدهان في شكل سائل، يتم صبّه في أسطوانة نحاسيّة مستطيلة. ويتم شدّها في مقدّم المركب، ثمّ يقومون من خلال هذه الأسطوانة بقذف السائل مشتعلًا، أو يتم إطلاقه على شكل كُرّاتٍ مستقلّة.

بطاينة، محمد ضيف الله (ديسمبر 1985)، "الأسطول الإسلامي: نشأته وتطوره"، مجلة الدارة السعودية، العدد 2، السنة 11، ص28؛ العمدة، إحسان صديقي (سبتمبر 1987)، "الأسلحة النارية"، مجلة العربي الكويتية، العدد

346، ص117؛ Bury, op. cit, p. 319

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

شملهم في اتجاه بحر إيجه. وأصل التسمية بأنها نارٌ بحريّة أنه تمّ استخدامها ضدّ السفن في البحار، وكذلك على الجنود في البرّ. ولم يفلح المسلمون في إطفائها عن طريق الماء، إذ إن الماء يُزيد من اشتعالها<sup>(1)</sup>.

4. كذلك، عدم قدرة المسلمين العبور إلى البحر الأسود، لكي يفرضوا من خلاله حصارًا مُكتملاً للحصار المفروض في بحر مرمرية.

5. كما كان للعوامل الطبيعيّة دورٌ فعّال في قلة فاعليّة الحصار، حيث إنه في فصل الشتاء يُرفع الحصار عن المدينة، ممّا يساعدها على استجلاب المؤن وما يلزم لمدة الحصار القادمة.

6. وكذلك، إحساس الخليفة (معاوية) بدنو أجله، فأرسل إلى ابنه وولي عهده (يزيد) الذي كان مشاركًا في هذا الحصار، طالبًا منه العودة إلى الشام<sup>(2)</sup>، حيث يقتضي الأمر وجود ولي العهد في بلاط الخلافة في مثل هذه الأحوال ليُمسك بزمام الأمور، خاصةً أن موقف (يزيد) من الرعيّة كان سيئًا وضعيفًا.

ومهما يكن من أمر؛ فإن فترة هذا الحصار تُعتبر من أطول فترات الحصار التي واجهت القسطنطينيّة، ودامت لمُدّة سبع سنوات، إلّا أن بيزنطة استطاعت المقاومة فأنقذت أوروبا<sup>(3)</sup> من الزحف الإسلامي الذي لو تحقّق لتغيّرت صورة العالم آنذاك.

وممّا سبق، نرى أن النار الإغريقيّة لم تكن هي السبب الرئيسي في فشل المسلمين اقتحام أسوار القسطنطينيّة، وإن كنا لا نُنكر أنها أثّرت في عزيمة الجند المحاصرين لها لشدّة مفعولها وخطورتها. وهذا ما يؤكّده كلٌّ من (جون بريور John H. Pryor) و(إليزابيث جيفريز Elizabeth M. Jeffreys)، بأن النار الإغريقيّة كان لها حدود خاصة، لا يمكن استخدامها إلّا عندما تكون الرياح

(1) - العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص58؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص97.

(2) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص166.

(3) - لودفيغ، إميل (1952)، البحر المتوسط "مصاير بحر"، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة: دار المعارف، ص422.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

في الخلف، وعندما يكون البحر هادئًا، وإلا فإن مستخدميها سيخاطرون بإشعال النيران في سفنهم، أو السفن الصديقة<sup>(1)</sup>. تلك النار الشبيهة بشكل كبير بـ "قنابل النابالم Napalm bombs" المحرّمة دوليًا، والتي يتم استخدامها بهدف إحراق جنود الأعداء، وشلّ حركتهم. ومع ذلك؛ فإن ثمة أسبابًا أخرى أدّت لهذا الفشل لم تستطع القيادة الإسلاميّة التخلّص من بعضها على الأقل خلال فترة الحصار التي دامت سبع سنوات، أو إن صحَّ التعبير لم يستفد المسلمون من أخطائهم، ففشلوا في تحقيق مبتغاهم، كما أن الوسائل التي اتبعها (معاوية) للحصول على القسطنطينيّة، كانت أقل من الإمكانيات المتاحة لديه.

وبما أن القسطنطينيّة كانت المركز العصبي للإمبراطوريّة البيزنطيّة؛ فلو قُدِّر لها السقوط لكان من غير المرجّح أن تتماسك المقاطعات المتبقية لها، ولكانت ستصبح فريسة سهلة للمسلمين. وفي الوقت نفسه، كان فشل الهجوم الإسلامي على القسطنطينيّة، حدثًا بالغ الأهميّة في حدّ ذاته الذي كان تتويجًا لحملة الاستنزاف التي قام بها (معاوية) والتي استمرّت بشكلٍ مطّرد منذ عام 41هـ (661م)، حيث تمّ ضخ موارد هائلة في هذا المشروع، بما في ذلك إنشاء أسطول ضخم. وكان لفشل هذه الحملة تداعياتٌ مهمّة، شكّلت ضربة قويّة لهيبة (معاوية).

ويحقُّ لنا أن نتساءل: لماذا كانت القسطنطينيّة تحديدًا هي الهدف الرئيسي لسياسيّ مخضرم مثل (معاوية)؟ وهل كان ينوي بالفعل الاستيلاء عليها دفعةً واحدة؟ في الواقع لم يكن بالإمكان، تحقيق ذلك الهدف إلا باستخدام

<sup>(1)</sup> - Pryor (John H.) and Jeffreys (Elizabeth M.) (2006), The Age of the Dromon, The Byzantine Navy Ca 500-1204, Leiden - Boston: Brill, p. 621.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

السفن، خصوصًا بعد ما عاناه المسلمون بعد اقتتالهم الداخلي على إثر وفاة الخليفة (عثمان بن عفان). لذلك، اختار (معاوية) استراتيجية أقل تكلفة، وحاول الاستيلاء على المدينة من خلال ما يُسمّى بحرب الاستنزاف. فقد تمّ شن غارات مدمّرة على منطقة الأناضول، سواء في الصيف أو الشتاء؛ فدمّرت هذه الغارات اقتصاد الأناضول، وأضعفت أي دفاعات للبيزنطيين. وفي الوقت نفسه، اجتاح الأسطولان المصري والشامي شمال البحر المتوسط، وداهما بحر إيجه. واستمرّت هذه الغارات لعقدٍ من الزمن، وبلغت ذروتها في عام 53هـ (673م)، عندما استولى الأسطول الإسلامي على جزرٍ استراتيجية عدّة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط والرسوف فيها، مثل: رودس وكريت، وغيرها من الجزر التي كانت ضروريّة للمسلمين لمحاصرة القسطنطينيّة<sup>(1)</sup>.

ومن ثمّ، كان (معاوية) يُدرك -تمامًا- أن مسألة الاستيلاء على مدينة جيوسراتيجية كالقسطنطينيّة حبتها الطبيعة بمميّزاتٍ دفاعيّةٍ دفعهً واحدة، أمرٌ يرفضه الفكر المنطقي والعسكري؛ لذا اعتمد تكتيكًا يقوم على استراتيجيةٍ متمثّلة بتشتيت القوّة البيزنطيّة برًّا كان أو بحرًا، بُغية إنهاكها، وفرض ما يُسمّى في العُرف العسكري بـ "فكي الكمّاشة"، تمهيدًا لإطباقها على العاصمة البيزنطيّة.

### 2. محاولات الاستيلاء على القسطنطينيّة في عهد (سليمان بن عبد الملك)

لقد فشل (معاوية) في تحقيق حلمه الذي عاش أملاً بإحرازه، ولم يحاول بعده ابنه (يزيد) القيام بعملٍ ما ضدّ بيزنطة في البحر، ما أدّى إلى استفادتها من قلة نشاط (يزيد) البحري، وعادت تظهر مجددًا في الحوض الشرقي للبحر المتوسط؛ بل وأرغمته على سحب الحامية الإسلاميّة من جزيرة

(1) - Carlson, op. cit, pp. 16-17.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

قبرص بعد ثلاثين عامًا من السيطرة الإسلامية عليها<sup>(1)</sup>. ولاحقًا، استغلت بيزنطة الخلافات الداخلية الأموية التي برزت بعد وفاة (يزيد)، وتخلّى ابنه (معاوية الثاني) عن السلطة، وما آلت إليه الخلافة الأموية من اضطرابات، حتى تمكّن الفرع المرواني من الاستيلاء على زمام السلطة، وعودة الحكم إلى البيت الأموي الكبير. وخلال الفترة التي أمضاها الخلفاء الذين خلفوا (يزيد) في القضاء على الثورات والقتال التي واجهتهم، استغلّ البيزنطيون هذا الوضع، فقام الإمبراطور (قنسطنطين الرابع) بشنّ هجماتٍ على الشام، نقّذها المردة الجراجمة سكّان اللكام في شمال الشام الذين ظلّوا يثيرون المتاعب للمسلمين من آنٍ لآخر، حتى تمكّن الخليفة (عبد الملك بن مروان) من القضاء عليهم<sup>(2)</sup>. وبدأت بعدها الاستعدادات لحركة الفتوحات الكبرى في آسيا وبلاد المغرب والتي كان للخليفة (الوليد بن عبد الملك)، الفضل الأوّل في تسييرها من فتحٍ إلى فتح.

عندما خطت هذه الفتوحات المرحلة التي أصبح بمقتضاها ازدياد نفوذ المسلمين على مناطقٍ شاسعة من العالم، شرع الخليفة (الوليد بن عبد الملك) يعدّ العُدّة اللازمة لغزو البيزنطيين بعد أن استفحل أمرهم، وازدادت خطورتهم، واقتضى الأمر منه اقتحام القسطنطينية للمرة الثالثة. كما حاول من قبل الخليفة (معاوية). فكانت أوّل خطواته بهذا الصدد تقوية الأسطول الإسلامي، وعمل على تنسيق التعاون بين القوتين البحرية والبرية، وخلق مناخ طيّب للعمليات الحربية ضد بيزنطة. ثمّ بدأ مجهوده الحربي بفتوحاته داخل آسيا الصغرى، فتابع الفتوحات التي قام بها أبوه (عبد الملك بن مروان) فيها، وكان هدفه الاستيلاء على المعاقل البيزنطية التي تقع في الطريق الرئيسي المؤدّي إلى

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 97.

(2) - العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص 58.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

القسطنطينية. ولم يكتفِ (الوليد) بهذه الفتوحات؛ بل عمد إلى إعداد ما يلزم لكي يُهاجمها. وكان الإمبراطور (جستينيان الثاني Justinian II) يعي ما يسود أقاليم آسيا الصغرى من فوضى، وافتقار هذه الأقاليم إلى القادة الأكفاء، في وقتٍ كان فيه لدى المسلمين سلسلةٍ من القادة الأقوياء والفاعلين. ويبدو أنه لم يكن يتسم بالحكمة، عندما كسر الهدنة الموقعة -من قبل- مع المسلمين<sup>(1)</sup>.

واستغلَّ (الوليد) هذه المتاعب لدى أعدائه ليقوم بتنفيذ ما يرمي إليه، لكنّه توفي قبل أن يخرج لحصار القسطنطينية في عام 96هـ (714م). ثمّ تولى الخلافة أخيه (سليمان بن عبد الملك)؛ فتبيّ مشروع أخيه الذي مات دون تحقيقه. وبدأ (سليمان) يستعدّ لغزوها، وقام بمحاولاتٍ تمهيدية ليؤمن الطريق البري الذي تسلكه الجيوش الإسلامية عادةً للوصول إلى هذه المدينة، فأرسل (عمر بن هبيرة) في غزوةٍ على البيزنطيين في البحر، وكان ذلك في عام 97هـ (715م)<sup>(2)</sup>.

ثمّ جاء الخبر إلى الخليفة (سليمان) بأن البيزنطيين قد هاجموا ساحل حمص، وقاموا بسبي امرأة وجماعة من سكّان المدينة، فصمّم على الاستيلاء على القسطنطينية أو الموت دون ذلك. وقد أدّى هذا الهجوم لازدياد عزمته على غزو بلادهم، فأرسل ابنه (داود) على الصائفة ففتح حصن المرأة في العام نفسه أيضًا<sup>(3)</sup>. وأرسل في طلب القائد (موسى بن نصير) وطلب منه المشورة بخصوص غزو بيزنطة، فأشار عليه قائلاً: "أرى يا أمير المؤمنين أن توجهه بمن

(1) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص34؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص181-

Carlson, op. cit, p; 27 :182

(2) - ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (1407هـ / 1987م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله

القاضي، ط1، مج4، بيروت: دار الكتب العلمية، ص303؛ بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص235.

(3) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج4، ص303؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج3، ص71.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

معه، فلا يمرّ بحصنٍ إلّا صيّر عليه عشرة آلاف رجل، حتى يفرّق نصف جيشه، ثمّ يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينيّة" (1).

أقام (سليمان بن عبد الملك) معسكرًا كبيرًا في مرج دابق شمال الشام، ليكون مقرًّا لإدارة العمليات الحربيّة ضدّ العاصمة البيزنطيّة، في الوقت الذي هبّت فيه الجيوش الإسلاميّة قاصدَةً إياها بقيادة أخيه (مسلمة بن عبد الملك) في عام 98هـ (717م)، وسار معه أهل الشام والجزيرة والموصل في البرّ، وكان عددهم نحو مائة وعشرين ألفًا، وغزا أهل مصر وبلاد المغرب الإسلامي في البحر في ألف مركب (2)، بينما يذكر (أرشيبالد لويس)، بأن عدد السفن الإسلاميّة وصل إلى ألفٍ وثمانمائة سفينة (3).

سارت الحملة الإسلاميّة قاصدَةً حاضرة بيزنطة، مستغلّة الاضطرابات التي حدثت في الإمبراطوريّة، والخلاف حول العرش بعد موت الإمبراطور (جستينيان الثاني). وطلب (سليمان) من (مسلمة) أن يقيم على القسطنطينيّة حتى يفتحها؛ فاستطاع (مسلمة) في أثناء تقدّمه نحو هدفه، استمالة أحد قادة بيزنطة يُدعى (ليو Leo) الذي ينتمي إلى إقليم "إيسورة Isaura": لذا كان يُلقّب باسم (ليو الأيسوري Leo the Isaurian). وكان هذا قد تيقّن من هدف المسلمين، وهو الوصول إلى العاصمة، وأقنعهم بمصاحبتهم لهم، وهو بذلك إنما كان يُبيّت أمرًا لم يكشف عنه لأحد، حيث كان من المعارضين لحكم الإمبراطور البيزنطي الجديد (تيودوسيوس الثالث Taudasius III) (4)، ويطمح

(1) - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (1410هـ / 1990م)، الإمامة والسياسة، ج2، ط1، تحقيق: علي شيري، بيروت: دارالأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ص102.

(2) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج4، ص304؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص182؛ علي، خطط الشام، ص154.

(3) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص104.

(4) - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص182-183، 186-187.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

بأن يكون إمبراطورًا، وسار (مسلمة) و(ليو) معًا صوب القسطنطينية، ومكيا فيلية كلٍ منهما تناقض الآخر.

بعد ستة عشر يومًا من وصول (مسلمة) إلى أسوار المدينة، دخل أسطول إسلامي كبير مياه البسفور في عام 98هـ (717م)، ونظّم قوّاته البرية والبحرية لتحقيق التعاون فيما بينهم، ولإتمام حلقة الحصار على العاصمة<sup>(1)</sup>. وابتدأ هذا الأسطول نشاطه بالاستيلاء على جزر بحر إيجه وعلى مضيق الدردنيل، فأصبح الجيش والأسطول سويًا أمام القرن الذهبي<sup>(2)</sup>. في هذا الوقت، أدركت بيزنطة الخطر المحيق بها من الجوانب كلّها، ممّا دعا البيزنطيين لمراسلته عارضين عليه أن يدفعوا عن كل رأس دينار، لكنّه رفض هذا العرض<sup>(3)</sup>.

استمرّ (مسلمة) في محاصرة القسطنطينية من ناحية البر والبحر، فتمّ إغلاق المنافذ والمسالك المائية التي عن طريقها تستمدّ المدينة إمداداتها ومؤنّها، ثمّ حاصر أسوارها البحرية<sup>(4)</sup>، في الوقت الذي كان فيه (ليو الأيسوري) قد استولى على الحكم وأصبح إمبراطورًا لبيزنطة تحت اسم (ليو الثالث Leo III)، وتنصّل من وعده للمسلمين بمساعدتهم على دخول المدينة<sup>(5)</sup>. وهنا، اتخذ المسلمون خطوةً مهمّةً بقطع الاتصالات البحرية بين القسطنطينية وبين البحر الأسود شمالًا، وكذلك بينها وبين بحر مرمره وبحر إيجه جنوبًا. فنجح المسلمون في إغلاق الباب الجنوبي، وفشلوا في إغلاق الباب الشمالي، والسبب في ذلك أن الجهة الجنوبية كان سهلًا على المسلمين الوصول إليها والتحكّم في طرقها، بينما كان الوصول إلى البحر الأسود أمرًا شبه مستحيل، وذلك لسببين:

(1)- العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص 189.

(2)- لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 104.

(3)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 4، ص 304.

(4)- العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص 189.

(5)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 4، ص 304: 383، Bury, op. cit, p. 383

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

الأول: انحدار تيار مائي من البحر الأسود عبر البسفور إلى بحر مرمرة. والثاني: انفتاح القسطنطينية على البحر الأسود، ووصول المؤن إليها عن طريقه، أي أن أي محاولة من جانب المسلمين للوصول إلى هذا البحر، ستصطدم حتمًا بالقوات البيزنطية الموجودة فيه<sup>(1)</sup>.

ومهما يكن من أمر؛ ففي أثناء تقدّم المسلمين صوب البحر الأسود، هجمت عاصفة عاتية شديدة على قطع الأسطول الإسلامي، ممّا أدّى إلى تحطيم عدد كبير من السفن، وتسببت في إحداث خللٍ في مسيرته، وانتهز البيزنطيون هذه الفرصة وقاموا بتسليط النيران الإغريقية على سفن المسلمين، ما تسبّب بإحراق عددٍ كبيرٍ منها، مع ذلك بقي المسلمون محاصرين للمدينة<sup>(2)</sup>. وأثناء الحصار الإسلامي للقسطنطينية، استخدم المسلمون مادة النفط، كما استخدموا نوعًا أشبه بالمدفعية في حصارها<sup>(3)</sup>. وعندما شعر الخليفة بدنو أجله وهو مقيمٌ في مرج دابق، بايع بالخلافة لابنه (أيوب) لكتّه مات قبل موت والده<sup>(4)</sup>.

اتخذ حصار المسلمين للقسطنطينية اتجاهًا آخر بعدما تفاوض الإمبراطور (ليو) مع البلغار، بعد أن كانت العداوة بين بيزنطة والبلغار مستفحلة، بسبب غارات البلغار على الأراضي البيزنطية باستمرار. وكان من نتائج هذا الاتفاق،

<sup>(1)</sup> - العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص60: رمضان، فن القتال البحري، ص17:

Pryor (John H.) (1988), *Geography, Technology, and War: Studies in the maritime history of the Mediterranean, 649-1571*, Cambridge; New York: Cambridge University Press, p. 13; Bury, op. cit, pp. 401-402.

<sup>(2)</sup> - Bury, op. cit, p. 402.

<sup>(3)</sup> - العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص190:

Christides (Vassilios) (2002), *Arab-Byzantine Struggle in the Sea: Naval Tactics (7th-11th C. A.D.): Theory and Practice. in Aspects of Arab Seafaring: An Attempt to Fill the Gaps of Maritime History*, Athens: Institute for Graeco-Oriental and African Studies, and, Kuwait Fondation for the Advancement of Science, p88.

<sup>(4)</sup> - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج4، ص304-305.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

هجوم البلغار على المسلمين المحاصرين للعاصمة من الجانب الأوروبي، ومن ثمَّ إبعادهم عنها<sup>(1)</sup>.

بعد وفاة (سليمان) وتوليَّ (عمر بن عبد العزيز) الخلافة بعده، ضعُف المدد وبدأ موقف الحملة يسوء؛ فأرسل الخليفة الجديد قائداً يُدعى (عمر بن قيس) على الصائفة، ووجّه معه الكساء والطعام والأعطية لمن كان مع (مسلمة) من المسلمين، طالباً منه رفع الحصار عن القسطنطينية والعودة إلى الشام<sup>(2)</sup>. وثمة سببٌ ثانويّاً أدّى إلى فشل هذه الحملة، ويتمثّل بانحياز البحّارة النصارى العاملين ضمن قطع الأسطول الإسلامي إلى بيزنطة<sup>(3)</sup>، الأمر الذي جعل كفة البيزنطيين ترجح على كفة المسلمين، إضافةً إلى النار الإغريقية، ذلك السلاح الذي أدّى إلى إحراق غالبية السفن الإسلاميّة.

وبالإمكان إضافة عواملٍ أخرى ذات أهميّة كما يذكرها (جون بريور)، أدّت لصعوبة مهمة المسلمين في اقتحام القسطنطينية. فقد كان للبيزنطيين ودفاعاتهم عواملٌ عدّة عملت لصالحهم، كان أولها: موقعهم على البحر المتوسط، حيث عملت التيارات المائية، والرياح، ومواقع الموانئ لصالحهم، وضدّ أعدائهم. وثانها: كان استعدادهم وتصميمهم على البقاء، والتكيّف مع وضعهم. وثالثها: إدخال نظام يُسمّى (The theme system)، وهو إنشاء قوّة عسكريّة في كل جزءٍ من أجزاء إمبراطوريتهم، للدفاع ضدّ الهجمات الإسلاميّة، حيث كانت إحدى هذه القوّات مكوّنة من وحداتٍ بحريّة وبرمائيّة مكلفة بالدفاع عن جزر بحر إيجه والساحل الجنوبي للأناضول، وكان آخر مزيج من القوّة البريّة والبحريّة، مهمتها الدفاع الفعّال عن القسطنطينية. وأخيراً:

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص104.

(2) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص302؛ شلي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج2، ص119؛ العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص192.

(3) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص104؛ Theophanes, op. cit, p. 89.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

والأهم من كل ذلك، كان زيادة الدفاعات عن القسطنطينية، حيث تمّ إضافة تحصينات إضافية للدفاع عن المركز العصبي للإمبراطورية. كل هذه العوامل مجتمعة، شكّلت خطّ دفاعي صلب ضد الهجوم الإسلامي الكاسح. ولذلك؛ لا بدّ من فحص تأثير الجغرافيا البحرية على تفاعل الإنسان مع البحر، وكيف عملت كميزة وعقبة على حدّ سواء. في الوقت ذاته؛ فإن هذه العوامل لم تكن إجابات كاملة على الأسئلة المتعلقة بتاريخ البحر المتوسط التي لا ينبغي تجاهلها. فهذه العوامل الجغرافية للبحر المتوسط، لعبت دورًا مهمًا في الصراع، لا سيّما وأن أيًا من الجانبين لم يكن لديه خبرة كبيرة في القتال على الأمواج<sup>(1)</sup>.

وبالإمكان القول: إنه ما بين عامي (28-98هـ / 648-717م)، حارب البيزنطيون والمسلمون باستخدام استراتيجيات متعارضة، وبسبب عدم احترافية ومهارة الجنود في المناورات البحرية من كلا الجانبين، انتهت هذه المرحلة الافتتاحية من الصراع بينهما إلى مسدود.

لقد كانت هذه النكسة التي ابتلى بها المسلمون في أثناء حصارهم لهذه المدينة صعبة المراس، أشدّ أثرًا من فشل (معاوية بن أبي سفيان) لفتحها وحصارها من قبل، إذ استطاع خلفائه من تقوية القوّة الضاربة (البحرية). أمّا الفشل الثاني؛ فكانت عواقبه وخيمة على السياسة البحرية الإسلامية فيما بعد، حيث أدى هذا الفشل إلى كتابة الحياة والبقاء لبيزنطة فترةً أخرى من الزمن؛ إذ انهارت الخلافة الأموية وسقطت في عام 132هـ (750م)، وبقيت القسطنطينية -الحلم الذي تحطّمت عليه آمال الخلفاء الأمويين- صامدة. وبذلك، انتهى العصر الذهبي للبحرية الإسلامية؛ فلم يعد لها أي نفوذ في البحر المتوسط الذي أضحي جكرًا لبيزنطة وسفنها، كما أصبحت السواحل المصرية والشامية عرضة للهجمات البيزنطية.

<sup>(1)</sup> - Pryor op. cit, pp. 10-11.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

### نتائج الدراسة:

بعد الانتهاء من الحديث عن دور البحرية الإسلامية في ترسيخ الوجود الإسلامي في الحوض الشرقي للبحر المتوسط؛ بالإمكان التوقف عند أهم الاستنتاجات والنتائج المستخلصة من هذا الموضوع، منها:

1. من خلال ما دار من أحداثٍ في أثناء فترة الفتوحات الإسلامية في الشام ومصر، وما تلا ذلك من امتلاك المسلمين لسواحلٍ طويلة، وكثرة الهجمات البيزنطية على تلك السواحل، صمّم والي الشام (معاوية بن أبي سفيان) على بناء أسطولٍ يحمي به هذه السواحل، وساعده في ذلك شريك دربه في هذه المهمة والي مصر (عبد الله بن أبي سرح).

2. إن المراسلات التي دارت بين (معاوية)، والخليفة (عمر بن الخطاب)، بشأن إنشاء أسطولٍ وقوّة بحريّة إسلامية، مهمته الدفاع عن الديار الإسلامية كمرحلة أولى، ثمّ تطويره إلى خطوةٍ تالية أكثر تقدّمًا، تتمثّل بالهجوم على بيزنطة نفسها في عقردارها. وهذه المراسلات -إن جاز التعبير- لم تكن من قبيل الجدل البيزنطي العقيم، أو الأسلوب الفاطمي للكلام؛ بل نمت عن وعيٍ سياسيٍّ وحربيٍّ لدى هاتين الشخصيتين البارزتين، وعن حريّة الرأي والتعبير الذي كان مُتبعًا في الدولة الإسلامية.

3. استطاع (معاوية بن أبي سفيان) أن يحقق ما تآقت له نفسه بإنشاء قوّة بحريّة إسلامية، وصلت إلى حدٍّ وصفها بالترسانة البحرية، ليحقق بها أهدافٍ سامية متعلّقة بإبعاد نفوذ البيزنطيين عن السواحل الإسلامية؛ بل وغزو جزرهم التي تُعتبر محطات تموين مباشرة لأساطيلهم من ناحية، وليبدأ مرحلة جديدة من عصرنة العرب إن جاز لنا التعبير، تنقلهم من طور البداوة إلى مرحلة الاحتكاك البحري المباشر مع أعدائهم من ناحية ثانية، وكذلك ليحقق طموحاته الذاتية من ناحيةٍ ثالثة.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

4. لم يكن الغرض من إنشاء الأسطول في البداية غزو جزيرة قبرص؛ بل الدفاع عن السواحل الإسلاميّة كمرحلةٍ أولى، حتى تستطيع التصديّ لأية هجماتٍ أخرى. ثمّ استعمال هذا الأسطول في مرحلةٍ تاليةٍ لمهاجمة الأراضي البيزنطيّة، ابتداءً بقبرص التي كانت تُمثّل رادارًا ومركزًا استراتيجيًا لمراقبة تحرّكات المسلمين.

5. تُعتبر غزوة ذات الصواري بمثابة إعلان عن وصول الأسطول الإسلامي إلى طور الشباب والفتوة، بينما على النقيض نجد أن الأسطول البيزنطي قد وصل إلى مرحلة الشيخوخة، إذ ترتّب على هذه الغزوة إزالة الرهبة التي ملكت العرب المسلمين من ركوب البحر نهائيًا.

6. شجّع الانتصار الإسلامي في غزوة ذات الصواري على استكمال المسلمين مباغته الأملاك البيزنطيّة في الحوض الشرقي للبحر المتوسّط، والاستيلاء على جزرهم المهمّة التي كانت تقف كحجر عثرة في طريقهم صوب مدينة القسطنطينيّة، تلك المدينة التي حلم بها (معاوية) يومًا ما بأن تخضع لسلطانها، وتخزّ أمامه معلنةً استسلامها.

7. إن محاولات الخليفة الأموي (معاوية بن أبي سفيان) وحلمه بالاستيلاء على حاضرة بيزنطة (القسطنطينيّة) تبدّدت وذهبت أدراج الرياح، إذ ذهب (معاوية) ومات وبقيت القسطنطينيّة صامدة، تتساقط أمامها الحملات الإسلاميّة الواحدة تلو الأخرى، غير مكترثة بما جلبوا لها من قوى وطاقات، كانت أقصى ما بلغت الدولة الإسلاميّة.

8. رغم الإمكانيات المتاحة التي امتلكها (معاوية) وغيره من خلفاء بني أميّة، إلّا أنها لم تكن بحجم هجومهم على مدينة ليست ككل المدن الأخرى، إذ كان الموقع الجيوسراتيجي الذي تمتّعت به المدينة مانعًا لاقتحام المسلمين لها، ناهيك عن استخدام النار الإغريقيّة التي كانت عاملاً مهمًا، أدّى إلى فشل المسلمين في اقتحامها.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

9. كان لفشل الخليفة (سليمان بن عبد الملك) في اقتحامه لمدينة القسطنطينية، صدىً انعكست نتائجه على المسلمين، حيث دخلت الخلافة الأموية بعدها طور السكون والبيات الشتوي، واسترداد بيزنطة لقوتها البحرية مجددًا التي استلبها منها المسلمون لفترةٍ من الزمن. ومن عجائب القدر، أن يموت (معاوية)، و(سليمان بن عبد الملك) في السنة نفسها التي فشل فيها في تحقيق حلمهما بفتح القسطنطينية.
10. يمكن القول: إن العصر الذهبي للبحرية الإسلامية استهلَّ في عام 28هـ (648م) بغزو قبرص، وحتى عام 99هـ (718م)، أي السنة التي فشل فيها المسلمون من الاستيلاء على القسطنطينية.

### مصادر ومراجع الدراسة:

#### أولاً: المصادر الأولية

- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (1407هـ (1987م))، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، مج2، 4، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1407هـ (1987))، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.
- بن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (1963)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، القاهرة: وزارة الثقافة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- ابن حوقل، أبي القاسم (1965)، صورة الأرض، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1421هـ (2000م))، تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبروديوان المبتدأ والخبر، ج3، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الطبري، محمد بن جرير (1977)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، القاهرة: دار العارف.
- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (1961)، فتوح مصر والمغرب، ج1، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل ابن علي (د.ت)، المختصر في أخبار البشر، ج1، القاهرة: مكتبة المتنبي.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (1410هـ (1990م))، الإمامة والسياسة، ج2، ط1، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.
- الكندي، محمد بن يوسف (1908)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (1998)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج1، تحقيق: د. محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (1995)، تاريخ اليعقوبي، مج2، ط6، بيروت: دار صادر.
- ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة
- بروكلمان، كارل (1948)، تاريخ الشعوب الإسلامية، ج1، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

- حسن، إبراهيم حسن (1416هـ (1996م))، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ط14، بيروت: دار الجيل، القاهرة: دار النهضة المصرية.
- رمضان، أحمد (1967)، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط"، القاهرة: هيئة الآثار المصرية.
- سالم، السيد عبد العزيز (1982)، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- سالم، السيد عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار (1969)، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية.
- سالم، السيد عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار (1981)، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت: دار النهضة العربية.
- شلي، أحمد (1984)، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- الصلّابي، علي محمد (1423هـ (2002م))، تيسير الكريم المثنان في سيرة عثمان بن عفّان، ط1، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- طقوش، محمد سهيل (2003)، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط1، بيروت: دار النفائس.
- العدوي، إبراهيم (1951)، الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الإسلامية، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- العدوي، إبراهيم (1985)، مصر والشرق العربي درع الإسلام، القاهرة: دار الأنجلو المصرية.

## دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

- العدوي، إبراهيم (1982)، تاريخ العالم الإسلامي، ج 1 (عصر البناء والانطلاق)، القاهرة: منشورات معهد الدراسات الإسلامية.
- العدوي، إبراهيم (1953)، الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- علي، محمد كرد (1925)، خطط الشام، ج 1، دمشق: المطبعة الحديثة.
- فازيليف (د.ت)، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة: دار الفكر العربي.
- لودفيغ، إميل (1952)، البحر المتوسط "مصاير بحر"، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة: دار المعارف.
- لويس، أرشيبالد (1960)، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- ماجد، عبد المنعم (1956)، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين، ج 1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ماجد، عبد المنعم (1966)، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت: مكتبة الجامعة العربية.
- أبو النصر، عمر (1963)، سيوف أمية في الحرب والإدارة، بيروت: منشورات المكتبة الأهلية.
- ثالثاً: الدوريات والمجلات
- بنعبد الله، عبد العزيز (صيف 1997)، "الأساطيل العربية الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط المعروف بالبحر الشامي والعربي"، مجلة التاريخ العربي، الرباط: جمعية المؤرخين المغاربة، العدد (3).
- بطاينة، محمد ضيف الله (ديسمبر 1985)، "الأسطول الإسلامي: نشأته وتطوره"، مجلة الدارة السعودية، العدد 2، السنة 11.

دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر  
المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

---

– العمدة، إحسان صدقي (سبتمبر 1987)، "الأسلحة النارية"، مجلة العربي الكويتية، العدد 346.

رابعاً: المراجع الأجنبية

- Bosworth (C. Edmund) (July 1996), "Arab Attacks on Rhodes in the Pre-Ottoman Period", *Journal of the Royal Asiatic Society*, Vol. 6, Issue 2
- Bury (J. B) (1889), *A History of The Later Roman Empire*, Vol. II, London & New York: MacMillan and Co.
- Carlson (Shane) (2016), *Early Byzantine, and Arab Naval Strategies and Organizations, 645-718 C.E.*, *Undergrad Thesis, University of Mary Washington*.
- Christides (Vassilios) (2002), *Arab-Byzantine Struggle in the Sea: Naval Tactics (7th-11th C. A.D.): Theory and Practice*. in *Aspects of Arab Seafaring: An Attempt to Fill the Gaps of Maritime History*, Athens: Institute For Graeco-Oriental and African Studies, and, Kuwait Fondation for the Advancement of Science.
- Cosentino (Salvatore) (2006), "Constans II and The Byzantine Navy", A paper given at the Seminar of Late Antiquity and Byzantium of the University of Chicago.
- Howard-Johnston (James) (2010), *Witnesses to a World Crisis: Historians and Histories of the Middle East in the Seventh Century*, Oxford: Oxford University Press.

دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر  
المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

---

- Hoyland (Robert G.) (tr.) (2011) *Theophilus of Edessa's Chronicle and the Circulation of Historical Knowledge in Late Antiquity and Early Islam, Translated Texts for Historians Volume (57)*, Liverpool: Liverpool University Press.
- Humphreys (R. Stephen) (2006), *Mu'awiya ibn Abi Sufyan: From Arabia to Empire*, Oxford: One world Publications.
- Jankowiak (Marek) (2013), *The First Arab Siege of Constantinople*. In Constantin Zuckerman (ed.). *Travaux et Mémoires*, Vol. 17: *Constructing the Seventh Century*, Paris: Association des Amis du Centre d'Histoire et Civilisation de Byzance.
- Kobayashi (Isao) (2015), "By His Upraised Arm God Saved the City" *Byzantine and Arab Strategy in mid-7th Century Asia Minor*, in *New Approaches to the Later Roman Empire*, edited by Takashi Minamikawa, Kyoto: Kyoto University.
- O'Sullivan (Shaun) (January 2004), "Sebeos's Account of an Arab Attack on Constantinople in 654", *Byzantine and Modern Greek Studies*, Vol. 28, No. 1.
- Pryor (John H.) (1988), *Geography, Technology, and War: Studies in the maritime history of the Mediterranean, 649-1571*, Cambridge; New York: Cambridge University Press.
- Pryor (John H.) and Jeffreys (Elizabeth M.) (2006), *The Age of the Dromon, The Byzantine Navy Ca 500-1204*, Leiden - Boston: Brill.
- Theophanes (1982), *The Chronicle of Theophanes*, Trans. By Harry Turtledove, Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

دور البحرية الإسلامية في ترسيخ وجود المسلمين في الحوض الشرقي للبحر  
المتوسط (28-99هـ / 648-718م)

---

- Treadgold (Warren) (1997), *A History of the Byzantine State and Society*, Stanford, California: Stanford University Press.
- Von Kremer (Alfred Freiherr) (1920), *The Orient Under the Caliphs*, Trans. By: Khudā Bukhsh (Shaikh), Calcutta (India): University of Calcutta.
- Whittow (Mark) (August 1996), *The Making of Byzantium, 600-1025* Berkeley: University of California Press.

النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال  
الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

---

النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط،  
خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

The Hospitallers Military Operations in The Western  
Mediterranean Sea, since the beginning of the Crusade  
Movement to the Ottoman's period

أ.د عبد العزيز بوكنة (جامعة الجزائر 2)

جامعة الجزائر 2، الجزائر

boukscientific@gmail.com

---

ملخص:

يتناول هذا البحث النشاطات العسكرية الإسبتارية كتنظيم ديني وعسكري بامتياز خلال الحركة الصليبية، منذ بعثها مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي إلى غاية بسط السيادة البحرية للعثمانيين على الجزء الغربي للبحر المتوسط، أي إلى القرن السادس عشر الميلادي. ولعل النشاطات العسكرية الإسبتارية لم تقتصر على الجزء الشرقي للبحر المتوسط كما يعتقد البعض، وإنما امتد نشاطها إلى الجزء الغربي، خاصة ضد السواحل الشرقية للأندلس وسواحل بلاد المغرب الإسلامي، بما فيه الجزر: كجزيرة صقلية وجزيرة مالطا على وجه الخصوص. نحاول تتبع تلك النشاطات العسكرية في هذا الجزء من عالم البحر المتوسط، من خلال بعض الكتابات المتخصصة في هذا الجانب، والتي قامت في المدة الأخيرة بدراسة بعض هذه الجوانب العسكرية والدينية الإسبتارية، خاصة في بعض المراكز التاريخية الغربية المتخصصة.

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

كما نحاول التركيز على جوانب من النشاطات العسكرية الإسبتارية على سواحل الأندلس الشرقية وبلاد المغرب الإسلامي، وماهية الدوافع من تلك الحملات العسكرية في ظل الصراع العسكري الصليبي بين الشرق والغرب على الجزء الغربي للبحر المتوسط.

كلمات مفتاحية: فرسان القديس يوحنا، الإسبتارية، الحروب الصليبية، النظم العسكرية، النظم الدينية، البحر المتوسط، بلاد الشام، المغرب والأندلس، فرنسا، مملكتي: أرغونا وقشتالة، جزر صقلية، مالطا، نقل الحجاج، المؤمن، الخيول، أملاك مؤسسات، معاهدات.

### summary

This paper want to shows,the Military Order of St.John,and its contribution to the success of the crusaders to take over the lands of Muslims in the Eastern and Western Mediterreanean Sea.The Hospital was,originally a monastic order,their followers were bounded by vows of poverty,and brotherhood.But they turned their attention from civil service to a military organization mixed with religious zeal and authority.As St.Bernard had discabled theme“ They are joined in a peculiar union –so that one wonders whether they should be called monks or knights)).The Muslim military organisation particularly the ribat (fortified fortress) left a great influence upon the military orders of the Christains Spain.From the beginning of the Arabs conquest (al-Fath) to The Maghrib and Spain, in the 7<sup>th</sup> century,the Muslim emirs made al-Mahdiyya (Tunis),Tanger,Ceuta,Almaria and other coastal ports as their strong fortified military headquarters where they could

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

wage war into territories of their enemy. The influence of the ribat on Christian military orders could largely be seen, for instance, on the Orders of Catatrava, Alcantara, Montesa and Avis. Perhaps the only military order, Santiago, was influenced by the military orders of the Temple and the Hospital of the Latin kingdom of Jerusalem. Santiago had been for a long time the pilgrimage road through the Pyrenees to Normandy, (Toulouse), France, Rome and England. From these countries foreign ecclesiastical and military intervention were increased in the north of Spain.

### نشأة الإسبتارية:

يعود تأسيسها إلى الربع الأخير من نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، ربما سنة 1080م، في مدينة القدس بفلسطين، وكان الغرض من تأسيسها: رعاية الحجاج إلى بيت المقدس، كما أنتقل دورها إلى الرعاية والتكفل بالمرضى، وحتى بنزلاء بيت المقدس من حجاج وتجار لاتنيين خاصة (إطالينين أو مالفيين Amafians على وجه التحديد). كما تحول أعضاء هذا التنظيم الذي تشكل من رجال ونساء، إلى نظام ديني جديد، اعترفت به الكنيسة الرومانية سنة 1113م، والذي عُرف بالإسبتارية، كما أهتم منتسبوه برعاية كل شخص وعابر سبيل للأراضي المقدسة، بغض النظر عن دينه وعرقه.

*By 1080, a hospital was set up in Jerusalem to care for pilgrims, combining the roles of a hospice and a host. The men and women who worked there were member of a new*

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

*religious order, officially recognised by the Church in 1113,  
known as the Hospitallers...they care for anyone, without  
distinction of race or faith.*

كما عُرف هذا التنظيم عند المسلمين والعرب باسم البيمارستان (بفتح الراء وسكون السين) وهي كلمة فارسية انتقلت إلى العربية، وهي مركبة من كلمتين (بیمار) بمعنى مريض أو عليل أو مصاب و(ستان) بمعنى مكان أو دار، فهي إذًا دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان. ويرى عدد من الدارسين للنظم الدينية العسكرية الأوروبية، إن نظام القديس يوحنا، أو ما يعرف بالإسبتارية، كان أول نظام لاتيني مسيحي قام بتأسيس مستشفى للمرضى، كما يرون أن جذور هذا التنظيم المؤسساتي، تعود إما إلى المجتمع (الحضارة) الإسلامي أو البيزنطي.

*((Scholars have maintained that the knights of  
Saint John, known also as the Hospitallers, were the first  
Latin Christians to organize a hospital for the sick, and they  
assert that the roots of the new constitutions are to be found  
either in Islamic society or Byzantine.))*

وتؤكد هذه الدراسة أن الأراضي الشرقية الإسلامية للبحر المتوسط عرفت أول تنظيم (الإسبتارية) خاصة في عهد هارون الرشيد (786-809) الذي أسس في بغداد (بيمارستان bimaristan). ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب. ويصف لنا الرحالة الألماني ثيودريس (القرن 6هـ/12م) بعض القلاع العسكرية لفرقتي الإسبتارية والداوية في فلسطين.

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

((من برج داود، سوف يجد عند الحافة الغربية للمدينة الكنيسة وبعض المصابين بمرض الجذام، وهم يتصفون بالوسامة ويظهرون بمظهر لائق، مروراً على حوض الإسبتارية الكبير وصولاً إلى كنيسة القديس ستيفن...)).

(( وشيدت على ضفة نهر الأردن كنيسة كان يقطن فيها ستة رهبان، حيث تم قطع رؤوسهم من قبل زنكي [المقصود عماد الدين زنكي -1145 و1127 والملقب عند اللاتينيين بالدموي Sanginus]، ويوجد هنا قلعة حصينة لفرسان المعبد 'الداوية' )).

لقد تميزت الحياة الدينية المسيحية الغربية في أواخر القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين بنظم الرهبانية العسكرية، والتي كانت شبيهة بتلك القواعد الديرية (مُفرد، دير) القائمة عندئذ في أوروبا.

لكن الشيء الجديد فيها، هي كونها تحولت من طريقة دينية إلى طريقة عسكرية، أو لنقل بأنها طريقة دينية امتزجت بالقتال. كما حمل جندها رتب عسكرية، فرتبة (سيرجيت)، خُص بها الفرسان والمساعدين، أما رتبة (السيرجنت)، منحت للمشاة وغير العسكريين. والملاحظة الثانية، هي أن النظم العسكرية المسيحية قد ضمت عُضوات من النساء في صفوفها، على الرغم من كونهن لم يكن يسمح لهن بالمشاركة في الأنشطة العسكرية. كما يعتبر تنظيم الداوية أو (فرسان المعبد)، أول نظم الرهبة العسكرية، أسسه الصليبيون في القدس سنة 1120م. رغم أن مستشفى القديس يوحنا، كان أول (مستشفى) قام بالقدس قبل الحملة الصليبية الأولى، كما أشرنا لذلك سابقاً، إلا أنه تحول بمرور الزمن إلى تنظيم رهباني عسكري، وكان ذلك في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي. على الرغم من أن عدد من

## النشاطات العسكرية للإسبانية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

المؤرخين ينفون أن المنتسبين للإسبانية أنفسهم قد حملوا السلاح في ذلك الحين.

بالمقابل، نجد الاعتقاد عند بعض الدارسين لتاريخ النظم العسكرية وخاصة عند المسلمين خلال العصور الوسطى، بأن نظام الرهينة العسكري كان تقليدياً لنظام الربط (مفرد، رباط)، عند المسلمين. لكن دلت بعض الدراسات الحديثة أن الأمر لم يكن كذلك. ومهما يكن من أمر، فإن نظام الرهينة العسكري ما هو إلا نظام أنتجه المجتمع المسيحي خلال فترة الحركة الصليبية، لأن الزمان والمكان الذي وضعوا أنفسهم فيه، للنقل والتنقل، حتم عليهم، ليس فقط بناء الحصون والقلاع العسكرية بعسكرات المحيط الذي عاشوا فيه، وإنما أيضاً بعسكرية رجال الدين من رهبان ومبشرين وغيرهم، وهذا ما لمسناه في بلاد الشام والأندلس خلال الحروب الصليبية. كما أن الداوية والإسبانية، كانتا أول النظم التي حملت السلاح في إسبانيا المسيحية.

ولم ينته القرن الثاني عشر الميلادي، حتى تأسست أنظمة عسكرية أخرى، منها: نظام سان جورج دي الفاما، ونظام سانتا ماريا دي إسبانيا، ونظام أقيس بالبرتغال.

ومن المؤكد بأن هذه المؤسسات الإسبانية كانت نظماً رهبانية عسكرية منذ البداية، كما أنها تأسست تقليدياً للداوية والإسبانية. كما ظلت إسبانيا مركزاً في غرب أوروبا لجلب المغامرين والمرتزقة، ومصدراً للدخل والرزق، للسيطرة على أراضي المسلمين الفارين من مدهامات الصليبيين الوحشية لهم، ولم تستثنى من ذلك الفرق العسكرية الأخرى، وخاصة الإسبانية من دعم تلك الحروب، ليس فقط في الأندلس وإنما في الشرق الإسلامي أيضاً.

## النشاطات العسكرية للإسبانية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

كما عملت الإسبانية على تطوير أساطيلها البحرية خاصة مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، لدعم عملها اللوجستيكي في البحر المتوسط، شرقه وغربه.

ولنا شهادة من أحد المصادر الإغريقية، عن العداء الذي كان ليس بين التجار اللاتينيين والإغريق، وإنما أمتد حتى ما بين الإغريق، حيث يصور لنا نيسيتاس Nicetas، كيف أن الكراهية والقتل مست هذه العناصر، وذلك في أحداث القسطنطينية سنة 1182م، في عهد الإمبراطور البيزنطي ايكسوس الثاني (1183-1180).

*((La haine des Grecs s'en prenant à tous les Occidentaux, il s'ensuivit un épouvantable massacre; on n'épargna ni les femmes ni les enfants, pas même les malades de l'hôpital des chevaliers se St. Jean;...aussi les prêtres et les religieux furent-ils traités avec un raffinement de barbarie...)).*

النظم العسكرية الإسبانية (الإسبانية) وصراعها البحري مع المسلمين في الجزء الغربي للبحر المتوسط.

وإن كان المسلمون في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لم يعترضوا للسفن (الصليبية)، التي كانت عادة ما يُطلق عليها سفن (الحجاج) لأن وجهتها حتى وإن كانت مُسلحة ظلت فلسطين وبلاد الشام بصفة عامة. ومع ذلك كثيراً ما كانت تتحول هذه السفن إلى 'حملة صليبية' تمارس أعمال السلب والنهب والاستيلاء على الثغور والموانئ الإسلامية. وعادة كانت لا ترفع الشارات البحرية الخاصة عند الإبحار بالقرب من السواحل المغربية، كما

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

كانت تخرج دائماً في قوافل بحرية مسلحة (*Armament caravans*)، وعند ظهور أي طارئ في البحر تهاجم مُجمّعة. وكثيراً أيضاً ما كان يرافق هذه السفن محاربين "حُرّاس" يصحبون السفن في رحلاتهم التجارية، ويتولون مهمة الدفاع وحماية عن الأشخاص والبضائع المنقولة فوق هذه السفن.

لكن يبقى السؤال في اعتقادنا جوهرى، وهو كيف يمكن لنا تفسير تلك الانكسارات الصليبية؟ بمعنى آخر، على أي أساس وعلى أي دوافع قامت تلك الحملات الصليبية ضد المسلمين على السواحل الغربية والشرقية للأندلس؟ وكيف تم تنظيمها؟ هذه الأسئلة وغيرها يمكن لنا استخلاصها من الكتاب الأوروبيين المعاصرين أنفسهم، فكيف كان موقفهم منها؟، وردود أفعالهم على تلك الهزائم البحرية؟، أي الهزائم التي صاحبت الحملة الصليبية الثانية، (1145-1149)، فعلق عليها المؤرخ ماير بقوله: ((أن النجاح الوحيد للصليبيين كان في الأجنحة [يقصد إسبانيا الشرقية والغربية]، وأن خيبة الأمل كانت بدون شك عميقة)). ولعل هذا الإخفاق الصليبي، كان أيضاً في إفريقية، حيث نجح الموحدون في صد خطر الصليبيين المدعومين من قبل الفرق العسكرية، وعلى وجه الخصوص الإسبتارية والداوية، على سواحلهم، وإن كان لفترة قصيرة. استمرت مضايقات الصليبيين للمسلمين في الحوض الغربي للبحر المتوسط، بل ازدادت تحرشاتهم ضد الموائئ والثغور الإسلامية على المحيط الأطلسي. حيث خرجت حملة صليبية إسبانية سنة 659هـ/1260م، ضد مدينة سلا، إحدى الثغور الرئيسية المغربية، وأحدثوا فيها خراباً كبيراً، قبل انصرافهم عنها.

ويذكر الإدريسي أن مدينة سلا، ((مدينة حسنة في أرض رمل، ولها أسواق نافعة وتجارات ودخل وخرج...، ومراكب اشبيلية وسائر المدن الساحلية

## النشاطات العسكرية للإسبترارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

من الأندلس يقلعون عنها ويحطون بها بضرب من البضائع، وأهل اشبيلية  
يقصدونها بالزيت الكثير...))

لقد صاحبت سياسة ألفونسو المحارب الصليبية، حركة نشيطة في  
تشديد القلاع العسكرية لتكون مراكز للدفاع ضد المسلمين. حيث أقدم سنة  
512هـ/1118م، بعد غزو سرقسطة مباشرة، على تشييد قلعة مونريال  
(Monreal). كما قام بتأسيس جمعية بلشر المدينة، وهي عبارة عن جماعة  
من الفرسان المسيحيين، على غرار جماعة الإسبترارية أو الداوية (فرسان  
المعبد) في إسبانيا. إن تأسيس هيئات حربية على نمط الجماعات الرهبانية  
التي أقيمت في بيت المقدس، كانت تهدف إلى إخضاع المسلمين في الجزء  
الشرقي من الأندلس. كما مكن للفرسان والحجاج الذين حاربوا في الأراضي  
المقدسة من الاستيلاء على الشريط الساحلي الشرقي للأندلس، وبالتالي تأمين  
الطريق إلى بيت المقدس. وقبل وفاته سنة 526هـ/1134م أوصى بتسليم  
الثلاث من أملاكه، لفرسان الداوية، وللفرع المقدس وللإسبترارية.

ولكن ألفونسو المحارب، لم يكن الإسباني الأول ولا الأخير الذي تحالف  
مع الصليبيين في حروبه ضد المسلمين، فقد خلفه في العهد الموحد، ملوك  
آخرون، خاصة الملك البرتغالي هنريكينز، والملك فرناندو الثالث ملك قشتالة  
وليون (614-650هـ/1217-1252م)، وجيمس الأول ملك أراغونة الملقب  
بالباتح (610-675هـ/1213-1276م).

ولعل فترة جيمس الأول كانت وظلت من أهم الفترات التي برزت فيها  
نشاطات الإسبترارية، ليس بكونها تمسكت بعودها وبالتزاماتها الدينية  
والعسكرية اتجاه الصليبيين في الشرق، وإنما سعيها الدؤوب على محاربة  
المسلمين في الأندلس. حيث سخرت كل إمكانياتها المادية من مداخيل عينية

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

كالحبوب والخيول ونقل الحجاج، وغيرها من تلك المداخيل التي كانت تتلقاها من أمراء وملوك إسبانيا لدعم الصليبيين بالشرق وغرب البحر المتوسط. حتى وإن كانت فترة جيمس الأول عرفت صراعات حادة مع المسلمين ليس في الأندلس فقط، وإنما على سواحل بلاد الشام وفي محيط إمارة عكا الصليبية أيضاً، إلا أن الإسبتارية لم يستثنوا من تقديم الدعم إلى تلك الأجنحة الصليبية في الشرق والغرب. حيث ترى المؤرخة: جوديث برونستان JUDITH BRONSTEIN أن الاستثناء الوحيد من تقديم الدعم إلى الصليبيين في الشرق، كثيراً ما ارتبط بمدى تقدم حرب الاسترداد في الأندلس، ما عدى ذلك فظلت وحافظت الإسبتارية على تعهداتها وخدماتها الجليلة اتجاه الصليبيين في الشرق.

*Their ability to supply them and to react to crises in the East greatly depended on their involvement in the Reconquista.*

كما توضح وثائق الإسبتارية بإسبانيا بأن إمارة نافارا ظلت في طليعة الإمارات الإسبانية في دعم الصليبيين بالشرق، لأنها لم تكن منشغلة كغيرها من الإمارات الأخرى في الدفاع عن الحدود المسيحية. أما الإسبتارية في مملكتي قشتالة وليون، ظلت متمسكة بدعمها الاقتصادي للصليبيين في الشرق والأندلس، وهذا على الأقل إلى غاية سنة 1188م.

*They were probably able to send supplies from the kingdom of Navarre, which was not deeply involved in the defence of frontier land,100 but documents relating to the*

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

*Hospitallers in Castile and León evince no change in the Order's  
economic activity in these kingdoms after 1188*

كما أن مداخيل الإسبتارية تضاعفت أكثر نتيجة مساهماتها ودعمها  
لحرب الاسترداد خاصة في مملكة أراغونا، مما شجعها على مواصلة دعمها  
للصليبيين في الشرق. ولعل بسبب نقص التوثيق في هذا الجانب اللوجستيكي  
التجاري، تعذر على الباحثة معرفة قيمة تلك المساعدات التي أرسلتها  
الإسبتارية إلى الصليبيين في الشرق.

*((As very little evidence survives it is extremely difficult  
to assess the extent of help sent from the Iberian peninsula  
to the East)).*

كما تقدم إلينا إشارة واحدة من تلك الوثائق، والخاصة بالاتفاقيات  
التي أبرمها جيمس الأول مع الأسبتارية، سنة 1262م، حيث سمح لهم  
بإرسال أو تسيير سفينتين في السنة تنطلقان من موانئ شرق الأندلس نحو  
المشرق، مع إعفائهم من كل الرسوم (الشحن والجمركة). ومن الباحثين من  
يرى بأن في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، عرفت الإسبتارية  
انكماشاً كبيراً في مداخيلها، ليس في الأندلس فقط وإنما في مناطق أخرى في  
الشرق والغرب (خاصة فرنسا).

*((Forey points out that by the mid-thirteenth century  
there was a decline in the number of donations given to  
the Military Orders in north-eastern Spain...)).*

ويعود هذا العجز في الميزانية إلى كثرة الحروب في الأندلس وتهجير  
سكانها من المسلمين من تلك الأقاليم الخصبة التي أفتكها جيمس الأول

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

منهم، خاصة في الأقاليم الشرقية من الأندلس، ومن جهة أخرى انهزام الصليبيين في الشرق وخاصة بسقوط عكا في يد المسلمين سنة 1291م.

نشاطات الإسبتارية على سواحل الأندلس الشرقية:

نحاول (وبإختصار) تتبع تلك النشاطات العسكرية في هذا الجزء من عالم البحر المتوسط، من خلال بعض الكتابات المتخصصة في هذا الجانب، والتي قامت في المدة الأخيرة بدراسة بعض هذه الجوانب العسكرية والدينية للإسبتارية، خاصة في بعض المراكز التاريخية الغربية المختصة. كما نحاول التركيز على جوانب من النشاطات العسكرية للإسبتارية على سواحل الأندلس الشرقية وبلاد المغرب الإسلامي (إن وجدت)، وما هي الدوافع من تلك الحملات العسكرية في ظل الصراع العسكري الصليبي بين الشرق والغرب على الجزء الغربي للبحر المتوسط.

إن إنشاء النظم العسكرية الإسبانية، تعود بالدرجة الأولى إلى تأثيرات الإسبتارية والداوية.

((. قامت على يد فارس إفرنجي من منطقة شومبان بفرنسا، إسمه: هيق دي بيان (Hugh de Payens) توفي حوالي 1136م. قام ملك بيت المقدس بالدوين الثاني(1118-1131م)، بتخصيص جناحاً لهم في المعبد المجاور له (على جانب المسجد الأقصى) فعرفوا بذلك بفرسان المعبد (Templars)).

لقد تعدت النظم العسكرية الإسبانية، كنظامي الإسبتارية والداوية، في المنهج والأسلوب، حيث جلبت إلى صفوفها ليس الرهبان ورجال الدين فقط، وإنما أيضا قطاع الطرق، والمتعصبين الفارين حتى من كنائسهم وأديرتهم الدينية.

## النشاطات العسكرية للإسبانية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

ويُلخص لنا المؤرخ ألان فوري Allan Forey، العبرة من تأسيس الأنظمة العسكرية والدينية الإسبانية والبرتغالية على النحو التالي: ((...على الرغم من أن مؤسسة النظام الرهباني العسكري قد ظهرت في الأرض المقدسة، فإنها لم تلبث أن ظهرت على مناطق حدودية أخرى للمسيحية الغربية. فكانت الداوية والإسبانية أو النظم التي حملت السلاح في إسبانيا. وكان اهتمامها في البداية منصباً على شبه الجزر الإيبيرية باعتبارها مصدراً للدخل وتجنيد المحاربين فقط، ولكن في سنة 1143م تمكن كونت برشلونة من إقناع الداوية بالإسهام في الحرب ضد المسلمين. ومع منتصف القرن الثاني عشر كان الداوية قد حملوا السلاح للقتال ضد المسلمين في إسبانيا)).

ولنا أن نلاحظ تواريخ تأسيس بعض النظم العسكرية في الأندلس خلال الحركة الصليبية، لنذكر أن الفترة التي تأسست فيها كانت من أعنف الفترات في تاريخ الصراع الإسباني والبرتغالي الصليبي مع المسلمين في الأندلس أو في بلاد المغرب الإسلامي.

- نظام [ كالاترقا ] تأسس بقشتالة سنة، 1158م.
- نظام [ سانتياقوا ] تأسس بليون سنة 1170م.
- نظام [ مونتجواديو ] تأسس سنة 1173م.

- Calatrava (castile 1158).
- Order de Santiago (Leon 1170).
- Mante Gorgana(Aragon 1176).
- San Julian Del Periero (or Orden De Alcantara).

## النشاطات العسكرية للإسبانية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

-St George de Algama and Santa Maria de Spania in the 13<sup>th</sup> century.

ولم ينته القرن الثاني عشر الميلادي، حتى تأسست أنظمة عسكرية أخرى، ومنها: نظام سان جورج دي الفاما، ونظام سانتا ماريا دي إسبانيا، ونظام أقيس بالبرتغال.

تعليق على نشاطات بعض النظم العسكرية الإسبانية (الإسبانية) في الأندلس.

من المؤكد أن هذه المؤسسات الإسبانية كانت نظماً رهبانية عسكرية منذ البداية، كما أنها تأسست تقليداً للداوية والإسبانية.

ظلت إسبانيا مركزاً في غرب أوروبا لجلب المغامرين والمرتزقة، ومصدراً للدخل والرزق، للسيطرة على أراضي المسلمين الفارين من مدهامات الصليبيين الوحشية لهم، ولم تستثنى من ذلك الفرق العسكرية الأخرى، وخاصة الإسبانية من دعم تلك الحروب ليس فقط في الأندلس وإنما في الشرق الإسلامي أيضاً.

عملت الإسبانية على تطوير أساطيلها البحرية خاصة مع نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، لدعم عملها اللوجستيكي في البحر المتوسط، شرقه وغربه.

وهكذا نجد أن الإسبانية قد ربطت الصلات حتى مع الموانئ البيزنطية، وأصبحت تتقاسم نشاطات تجارية مع الجمهوريات الإيطالية في شرق البحر المتوسط، خاصة مع جمهورية جنوة ودوقية البندقية، وهذا ما ذهب إليه المؤرخ الألماني وليام هايد، في حديثه عن دور الإسبانية في الموانئ البيزنطية، خاصة خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، في إبراز هذا الدور وبامتياز.

## النشاطات العسكرية للإسبانية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

النظم العسكرية الإسبانية (الإسبانية) وصراعها البحري مع المسلمين في الجزء الغربي للبحر المتوسط، وعلى سواحل المحيط الأطلسي.

لم يعترض (بتحفظ) المسلمون في الحوض الغربي للبحر المتوسط، للسفن (الصليبية)، التي كانت عادة ما يُطلق عليها سفن (الحجاج) لأن وجهتها حتى وإن كانت مُسلحة ظلت فلسطين وبلاد الشام بصفة عامة.

كثيراً ما كانت تتحول هذه السفن (الحجاج، الحجيج) إلى "حملة صليبية" تمارس أعمال السلب والنهب والاستيلاء على الثغور والموانئ الإسلامية. وعادة كانت لا ترفع الشارات البحرية الخاصة عند الإبحار بالقرب من السواحل المغربية، كما كانت تخرج دائماً في قوافل بحرية مسلحة (*Armament caravans*)، وعند ظهور أي طارئ في البحر تهاجم مُجتمعة. وكثيراً أيضاً ما كان يرافق هذه السفن محاربين "حُرّاس" يصحبون السفن في رحلاتهم التجارية ويتولون مهمة الدفاع وحماية الأشخاص والبضائع المنقولة فوق هذه السفن.

لم تفلح النظم العسكرية الإسبانية والداوية والإسبانية من صد هجومات المسلمين البحرية خاصة في عهد الموحدين وبني غانية في جزر البليار، وهذا إلى غاية القرن 13م.

الصراع العثماني مع فرسان الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي.

ظلت طرابلس وجزيرة مالطا خاضعتان لفرسان القديس يوحنا لمدة طويلة من الزمن إلى أن تمكن سليمان القانوني من نجدتهما وفك الحصار عليها، حيث أرسل أسطوله البحري بقيادة (سنان باشا Sinan Pasa) سنة 1551م، كان الأسطول العثماني يتكون من حوالي 192 سفينة بحرية. لكن سنان باشا لم يتمكن من فتحها، ونزلت جيوشه في جزيرة قوزو (Gozzo)، ثم

## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

أبحر من جديد إلى طرابلس، حيث تمكن من طرد فرسان القديس يوحنا منها، وكان ذلك بعد حصار دام عدة أيام. وكان ذلك بعد وساطة السفير الفرنسي (Armont)، وبعد أن حول العديد منهم إلى أرقاء. وجاء هذا النصر على الإسبتارية بمساعدة القائد (صالح رايس Salah Pasa) أميرال أسطول الجزائر. وبحلول سنة 1565م، تجدد الصراع البحري بين الطرفين على جزيرة مالطا، نظراً للخطورة التي أصبحت عليها خلال القرن السادس عشر الميلادي، حيث حولتها الإسبتارية إلى مركزاً للقرصنة والسطو حتى على الحجاج المسلمين، خاصة القادمين منهم من المغرب الأقصى أو الجزائر. وكانت قيادة الأسطول الجزائري البحري هذه المرة بقيادة حسان باشا. لكن هذه الحملة لم تتمكن من إفتكاك الجزيرة من الإسبتاريين، (( the Ottoman seige of Malta, which began on 19 May 1565, was plagued by an unusual lack of coordination. )) لكنها قلصت من تعدياتهم وقوضت حركتهم في تلك المياه الغربية للبحر المتوسط وإلى الأبد، رغم تجدد الصراعات بينهم وبين الأسطول الجزائري خلال القرنين السابع وحتى الثامن عشر الميلاديين.

### خلاصة:

ومهما يكن من أمر، فقد واصلت الإسبتارية نشاطاتها الدينية والعسكرية في الأندلس، بالمزيد من تشييد القلاع والحصون العسكرية للدفاع وحماية المسيحيين من هجمات المسلمين بالمنطقة. كما يجب أن لا ننفي على الإسبتارية دورهم الكبير في حرب الاسترداد إلى غاية سقوط غرناطة بالأندلس سنة 1492م. لقد شاركوا في الحملة الأراغونية على بلنسيا سنة 1238م، وعلى مرسيا Murcia سنة 1266م. كما شاركوا في الحملات العسكرية للملكي

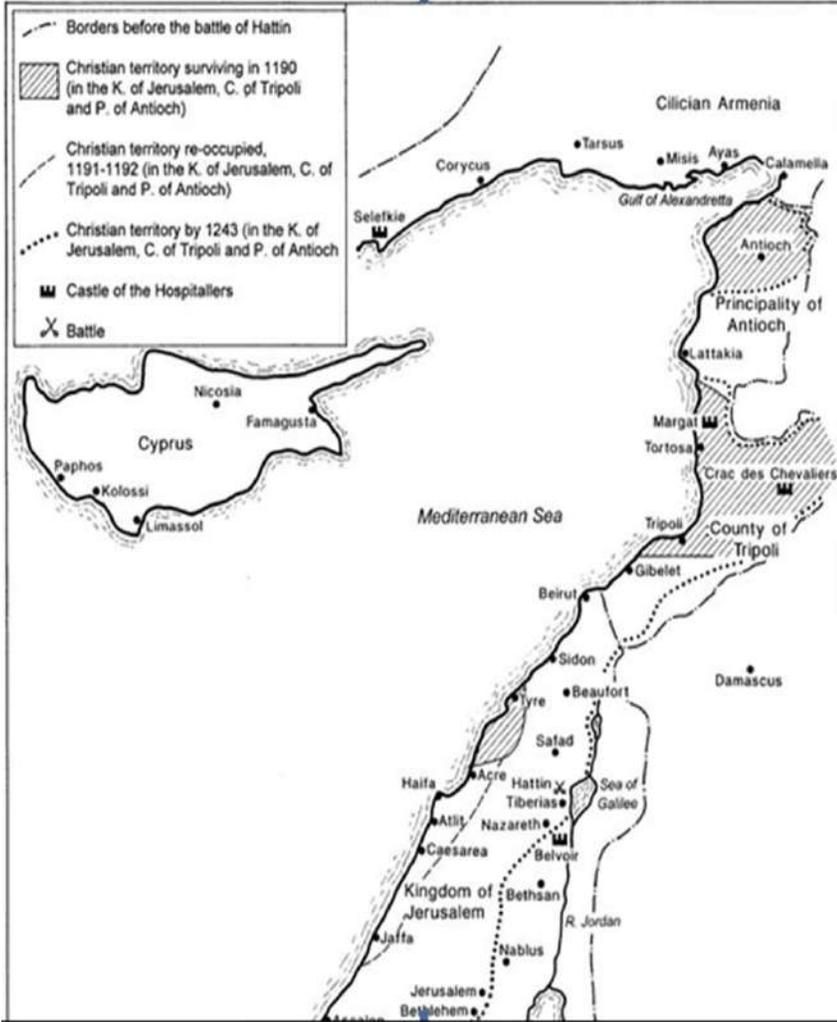
## النشاطات العسكرية للإسبترارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

قشتالة وليون ضد المسلمين، وإلى جانب حملة الملك فرديناند الثالث بالأندلس. كما تعهد الملك بتقديم لهم دخل سنوي ما قيمته 3,800 Marveies عند انتهائه من احتلال إشبيليا. وخلص التعهد أو الالتزام (( إلى أن قدم هذا المبلغ على أساس الخدمات التي قدمت خلال حصار مدينة إشبيليا)). 'for the services you gave me during the siege of Seville'

ولم ينقطع أبداً الدعم المادي والعسكري للإسبترارية في الأندلس من تقديم الدعم لحروب جيمس الأول في المنطقة، أو حتى في حملته الصليبية ضد الشرق سنة 1268م، خاصة من خلال الدعم الذي ظلت تتلقاه من الإسبترارية من قبل كبار الملاك الإقطاعيين في إسبانيا خلال حرب الاسترداد.

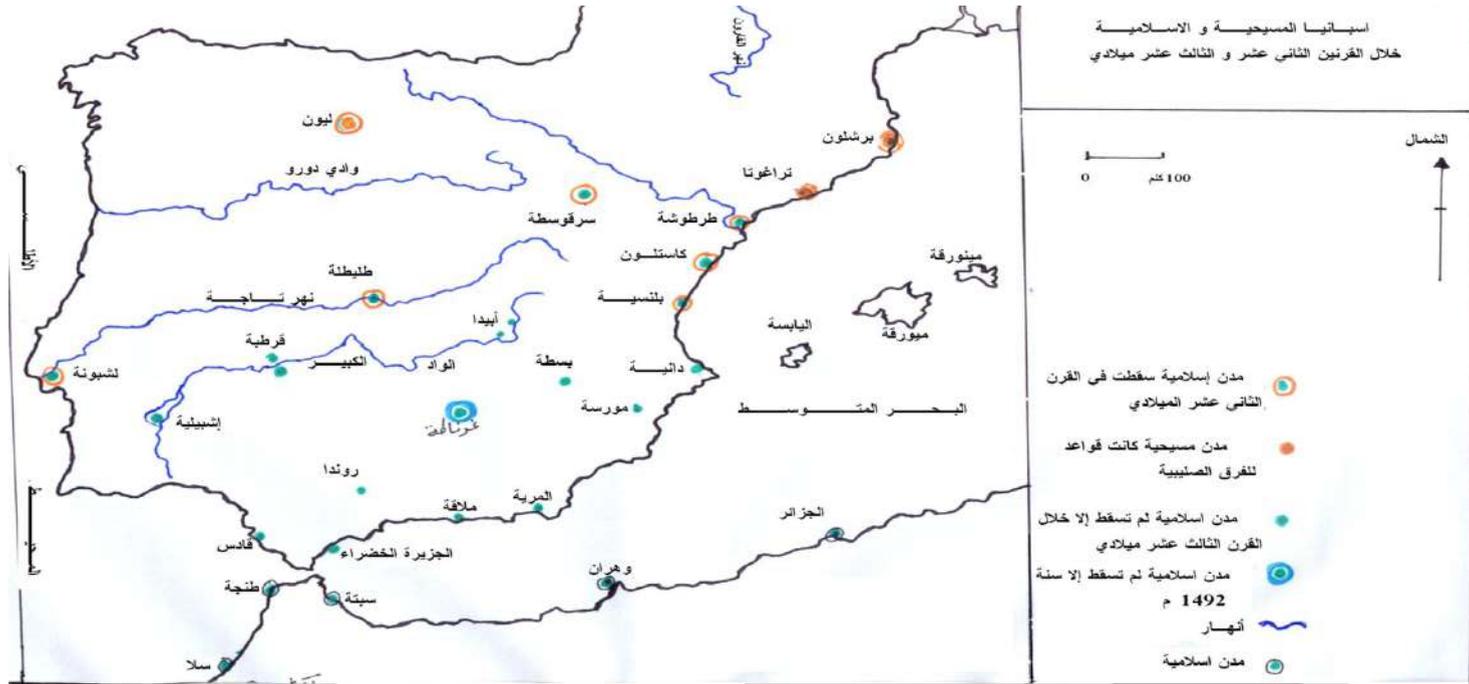
كما أننا لم نسجل على أن الإسبترارين قاموا بحملات أو مساعدات ضد موانئ المغرب الإسلامي، ربما باستثناء الحملة على ميناء سالا بالمغرب الأقصى. وعلى أية حال، يبقى البحث في هذا الجانب ضروري، لكي يتسنى لنا تحديد هذا الدور الديني والعسكري في الصراع المسيحي الإسلامي خلال العصور الوسطى. كما أن تلاشي دور الإسبترارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد، لا يعني على الإطلاق أن الإسبترارية انتهى وجودها في هذا الجزء من عالم البحر المتوسط، وإنما انتقل إلى إيطاليا وجزيرة صقلية، ولم ينته أبداً من الأندلس، وبرزت الإسبترارية بإسم آخر خلال العصر الحديث كان أكثر شيوعاً في البحر المتوسط، وهو فرسان القديس يوحنا، أي لم يعد (المستشفى) وإنما فرسان وجنود يوحنا.

## النشاطات العسكرية للإستبارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني



بعض القلاع العسكرية للإستبارية في بلاد الشام خلال فترة الحروب الصليبية في حوالي سنة 1180م، كان بيد الإستبارية حوالي 25 قلعة، مثل بيت جبرين. أما الداوية فكانت لها قلعة في غزة.

## النشاطات العسكرية للإستبارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني



## النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

### قائمة المصادر:

1. ابن أبي دينار القيرواني (أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيثي)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد هشام، "3، المكتب العتيقة، تونس 1967م.
2. ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله). أعمال الأعلام في من بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، ط2، بيروت 1956م.
3. \_\_\_\_\_، تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال
4. \_\_\_\_\_، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1973 م.
5. الإدريسي (مُحَمَّدُ بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي الهاشبيّ القُرشيّ)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، نقلاً عن: المكتبة العربية الصقلية، لبيسيك 1857م.
6. \_\_\_\_\_، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتقديم وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م.

### قائمة المراجع:

1. أرشيبالد . رلويس، القوة البحرية والتجارية (في حوض البحر المتوسط 500-1100، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة، بدون تاريخ.
2. أشباخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابيطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة 1958م.

## النشاطات العسكرية للإستتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

3. جوناثان رالي سميث، تاريخ أوكسفورد للحروب الصليبية، تحرير،  
جوناثان رالي سميث، ترجمة قاسم عبد قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة،  
2007.

4. سحر عبد العزيز سالم، أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر  
الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006م.

5. السيد محمود، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مؤسسة شباب  
الجامعة، الإسكندرية 1999م .

6. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية،  
بيروت 1978م

7. عنان (محمد عبد الله)، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر  
المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني: عصر الموحدين  
وانهيار الأندلس الكبرى، ط3، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة 1990م.

8. هانس ابرهارد ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم،  
منشورات مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس ليبيا 1990م.

### المراجع الأجنبية:

1. Abun-Nasr Jamil M., A History of the Maghrib, First pub,1971,  
Rep 1977, Cambridge University Press, London 1980.
2. Addison C.G, The Knight Templars, London,1842.
3. Benjamin of Tudela, The Itinerary of, Critical Text, Translation  
and Commentary by: Marcus athan Adler, Henry Frowde,  
London,1907. Rept Frankfurt am Main (R.F.ALL,1995).

النشاطات العسكرية للإسبانية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال  
الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

---

4. Berthini.S, XIII.c; Guarmani ,Italianni in Terra Santa Sania ; William of Tyre, History of the Crusades,I,10and XVIII,4 ;Juan Augustin Funes, Cronica de la milicia y sagrada
5. Burns R.I, Moor and Crusades in Mediterranean Spain,in, Variorum Reprints, London,1978.
6. Cahier de civilisation médiévale,Xe, XII.Siecles, Xe Année,No3°, 3-4,Juillet-December1967 .
7. Defourneaux Marcelin, Les Français en Espagne aux Xle et XIIe Siecles, PUF, 1944.Voire, chapt,III. « Les Croisades d'Espagne, la France et la Reconquête espagnole aux Xle et XIIe Siecles »
8. Heyd W. Histoire du Commerce du Levant 2vols., First pub, 1885., rep 1959, Amsterdam 1959.
9. J.Riley-Smith ,The Knight of St.John in Jerusalem and Cyprus(1050-1310), London,1967.
10. Jamil M.Abun-Nasr, The History of the Marghrib, First pub 1971, Rept 1977, Second edition, London,1980,
11. Judith Bronstein, The Hospitallers and the Holly Land Financing The Latin East,1187-1274, Judith Bronstein GB,2005.
12. Lewis R.Archibald, Naval Power and Trade in The Mediterranean A.D 500-1100, Princeton University Press, New Jersey,1951.
13. Lopez R.S, La Révolution Commercial dans L'Europe Médiévale, Trad, Jean P.Delumeau, Paris,1974.
14. religion de San Juan Batista de Jerusalem,I,chap.I.

النشاطات العسكرية للإسبتارية في الجزء الغربي للبحر المتوسط، خلال  
الحركة الصليبية حتى العصر العثماني

---

15. René Grousset, Histoire des croisades et de royaume franc de  
Jerusalem, Tome,I,

قائمة المقالات:

1. Burns.S.J. R.Ignatius, "Immigrations from Islam:The Crusaders'Use  
of Muslims As Settlers in Thirteenth-Century Spain", in,A.H.R.  
Vol.80,No.1 February 1975
2. Miller S.Timothy, "The Knights of Saint John and the  
Hospitals of the Latin West",in,Speculum, October,1978
3. Mollat.Michel, " Problèmes navals de l'histoire des croisades "  
,in,Revue :Cahiers
4. Robert I.Burns, " Moors and Crusaders in Mediterranean Spain"  
in, *The Collections Studies Series*.
5. Timothy S.Miller, " *The Knights of Saint John and the Hospitals  
of the Latin West* " ,in,Speculum, (Oct,1978).

المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي  
The historical trajectory of naval jihad in the Islamic Maghreb

د. رحيمة بيثي / أ. د. طاهر بن علي

جامعة غرداية، الجزائر

ezzahirit@gmail.com / bichi-rahima@univ.ghardaia.dz

ملخص:

استقر المسلمون الفاتحون في بلاد المغرب الإسلامي بعد بناء مدينة القيروان بين عامي (50-55هـ / 670-675م)، وانطلقوا بعدها في نشاطهم الدعوي، لكن هذا النشاط لم يكتمل بسبب ضعف المسلمين في الجانب البحري، فاستدركوا هذا الضعف بتشيد دار لبناء السفن على يد حسان بن النعمان الذي تمكن من رد الهجمات البيزنطية وتثبيت الانتصارات الإسلامية في المنطقة التي أصبحت قاعدة لمواصلة الجهاد البحري في غربي البحر الأبيض المتوسط، وبعد قيام الدول المستقلة في بلاد المغرب الإسلامي اهتمت كل دولة بإنشاء أسطولها الخاص لضمان سيطرتها السياسية على واجهتها البحرية ودعم اقتصادها، فكان للأغالبة شرف مواصلة الجهاد البحري في جزيرة صقلية والمدن الإيطالية، ليأتي بعده الأسطول العبيدي ثم الزيري والحمادي والمرابطي في بلاد المغرب الأقصى، ثم أسطول الخلافة الموحدية التي وحدت بلاد المغرب لينتهي دور أساطيل العصر الوسيط في بلاد المغرب بالدولة الحفصية والمرينية.

كلمات مفتاحية: الجهاد البحري؛ العهد الراشدي؛ العهد الأموي؛ دويلات بلاد المغرب الإسلامي.

### Abstract:

The conquering Muslims settled in the Islamic Maghreb after the construction of the city of Kairouan between the years (50-55 AH √ 670-675 AD), and then launched their advocacy activity, but this activity was not completed due to the weakness of Muslims on the maritime side, so they realized this weakness by building a shipbuilding house by Hassan bin al-Nu'man, who was able to repel the Byzantine attacks, and install Islamic victories in the region, which became a base for continuing maritime jihad in the western Mediterranean, After the establishment of the independent states in the Islamic Maghreb, each country was interested in establishing its own fleet to ensure its political control over its waterfront and support its economy, so the Aghlabids had the honor of continuing the maritime jihad in Sicily and Italian cities, followed by the Obeidi fleet, then Al-Ziri, Hammadi and Almoravids in the Far Maghreb, and then the Almohad Caliphate fleet, which united the Maghreb to end the role of the medieval fleets in the Maghreb in the Hafsids and Marinid states.

**Keywords:** naval jihad; the Rashidun era; the Umayyad era; the states of the Islamic Maghreb.

### الهدف من الدراسة:

الهدف من دراسة المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي، هو إثبات أن هذا النشاط لم يكن مستحدثا في العصور الحديثة، وأنه جهاد في البحر، أقره النبي عليه السلام، وجعل فضله مضاعفا على فضل مجاهد

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

البر، وقد مارسته الدويلات المغاربية في الفترة الوسيطة، وكان امتها لها، إما بغرض الدفاع عن أراضيها من الاحتلال الصليبي الأوروبي، أو بدافع الفتوح الإسلامية، وأن صفة اللصوصية والقرصنة وكل النوعات المشينة التي ألصقت به لتشويهه، ماهي إلا زيف وضلال.

### المنهج:

استعملت المنهج الوصفي لأنه قاعدة وأساس لكل بحث تاريخي، لا يمكن الاستغناء عنه وهو ضروري لمراعاة التسلسل الزمني ووصف الأحداث والوقائع كما وردت في مصادرها.

كما استخدمت المنهج التحليلي عند الانتقال لتحليل تلك الأحداث وإعادة تركيبها وقراءتها على ضوء مختلف الدراسات التي تناولتها.

### مقدمة:

استقرت أوضاع المسلمين في شبه الجزيرة العربية، فانطلقت الجيوش الإسلامية فاتحة للأمصار في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تعترضها صعوبات، إلا وذلقتها بحكم طبيعة الفرد العربي الذي تعود على التنقل والترحال لمسافات طويلة، لكن ما لم يعتده هو ركوب البحر وصناعة السفن.

وبعد سيطرة المسلمين على أغلب مناطق اليابسة، كان لزاما عليهم الدخول في صراعات مع البيزنطيين على المدن الساحلية خاصة في بلاد المغرب البعيدة عن خطوط الإمداد، فكانت أول دار لصناعة السفن بتونس في عهد عبد الملك بن مروان، والتي ساهمت في صناعة أسطول لرد الهجمات البيزنطية على السواحل المغربية ومواصلة حركة الفتوحات للأندلس وجزيرة صقلية، ليصبح بعدها البحر الأبيض المتوسط تابعا للخلافة الإسلامية الأموية، فكانت الجهود الجهادية في الجانب البحري لا تقل أهمية عنها في الجانب

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

البري، فتبليغ الرسالة الإسلامية هو الهدف الأسمى، لذلك حافظت دول بلاد المغرب على صناعة السفن والعمل البحري ليصبح بعدها عملا متوارثا فيها، والتي كان لأساطيلها أثر على علاقاتها مع دول الجوار في البحر الأبيض المتوسط.

من هذا المنطلق، جاءت دراستنا موسومة ب: " المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي"، وذلك للتعريف بجهود بلاد المغرب في الفتوحات التي قامت بها، وكذا رد الاعتداءات التي كانت موجّهة ضدها.

وللإجابة عن الإشكالية، واستفصال الموضوع نقسم الورقة إلى الآتي:

أولاً: الجهاد البحري في العهد الراشدي والأموي.

ثانياً: الجهاد البحري في عهد الدويلات.

ثالثاً: الجهاد البحري في عهد المرابطين (431-541هـ / 1040-1147م).

رابعاً: الجهاد البحري في عهد الموحدين (515-666هـ / 1121-1269م).

خامساً: الجهاد البحري في عهد الحفصيين والزينيين والمرينيين.

موضوع البحث:

أولاً: الجهاد البحري في العهد الراشدي والأموي

1. في عهد الخلافة الراشدة (11-41هـ/632-661م):

أدرك الفاتحون المسلمون أهمية الأسطول البحري، ودوره في تثبيت السيطرة الإسلامية على الشام ومصر، لأن عديد المدن الساحلية استعصى فتحها بسبب الإمدادات التي كانت تصلها من البيزنطيين عن طريق البحر كعسقلان<sup>(1)</sup>، وقيصرية وطرابلس وغيرها. وبناء لأوامر الخليفة عمر بن الخطاب،

(1) - عسقلان: مدينة بالشام، بينها وبين فلسطين مرحلة. وهي الآن عامرة بأيدي الروم، وهي على ساحل البحر، فتحتها معاوية على صلح سنة ثلاث وعشرين. وعسقلان بينها وبين الرملة ستة فراسخ، وأسواقها مفروشة

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

قام معاوية<sup>(1)</sup> بتحسين المدن الساحلية، وتدعيمها بالجند، تحسباً لهجمات البيزنطيين على سواحل الشام<sup>(2)</sup>، وكان هذا أول توجيه عملياتي بحري في الإسلام حول الدفاع الساحلي، وقد حدث ما كان يتخوف منه الخليفة، إلا أن المسلمين استطاعوا التغلب على هذه الهجمات التي جاءت لتؤكد أن البيزنطيين لن يتوقفوا عن محاولاتهم لاسترجاع المناطق التي فقدوها، ما داموا يسيطرون على البحر المتوسط، فتيقن المسلمون بضرورة خوضهم غمار هذا الصراع البحري جهاداً في سبيل الله، ومحافظة على فتوحاتهم وتجارهم ومكاسمهم الاقتصادية، ولن يتأتى لهم ذلك إلا بإنشاء أسطول إسلامي يقف في وجه الأساطيل البيزنطية<sup>(3)</sup>.

وتتحدث معظم المصادر الإسلامية أن تخوف الخليفة عمر بن الخطاب من البحر وأهواله كان سبباً في تأخر المسلمين عن خوض غماره، لكن من وجهة نظرنا أن الخليفة كان ثاقب الرأي حسن البصيرة، وله بعد نظريوؤمن بالمرحلية في قضية الفتوحات، ولا يريد زج المسلمين في المجهول، وما أمره بتحسين المدن الساحلية كخطوة أولى، لدليل على ذلك كي تصبح مراكز للجهاد البحري في خطوة تالية، لذلك فإنه من وجهة النظر التاريخية والعسكرية نجد أن الخليفة قد أصاب في توجيهه المذكور.

---

بالرخام، وفيها عين ماء لإبراهيم عليه السلام، ينظر: الجميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ج1، مؤسسة ناصر للثقافة: بيروت، ط2، (1980م)، ص420.

(1) - معاوية بن أبي سفيان: ويكنى أبا عبد الرحمن فأسلم في الفتح، وقال: لقد دخل الإسلام قلبي ولكن أبوابي كانا يقولان لئن أسلمت لمننعتك القوت. وولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد، وولاه عثمان الشام في خلافته فلما قتل أظهر الطلب بدمه، وقد كتبنا خبر محاربته علياً حين طلب قتله عثمان وصلحه الحسن، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: إحسان عباس، ج5، جمعية المستشرقين الألمانية: بيروت، (1400هـ/1979م)، ص13.

(2) - البلاذري، فتوح البلدان، دارومكتبة الهلال: بيروت، (1988م)، ص134.

(3) - حسين منمنمه، «الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي مرحلة التأسيس، في كتاب ندوة الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي، جمعية أبي رقرق، اللجنة المغربية للتاريخ البحري: سلا، (أيام 30-31 ماي 2017-2018 يونيو 1997م)، ص27.

وفي خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه (24-35هـ/644-655م) رفع إليه سيدنا معاوية طلبه بإنشاء أسطول بحري، فرفض سيدنا عثمان في أول الأمر، لكن عندما تجرأ البيزنطيون على الإسكندرية<sup>(1)</sup>، والتي كانت بيد المسلمين، عندها طلب الإذن من الخليفة عثمان موضحاً له أضرار عدم وجود قوة بحرية إسلامية تقف في وجه بيزنطة، فأذن له بعدما اقتنع بأهمية المشروع، لكنه اشترط أن يكون الجهاد البحري تطوعاً، ولا يُكره عليه أحد، وعلى الفور شرع معاوية في بناء الأسطول مستغلاً كل الإمكانيات الموجودة في مصر والشام لصناعة السفن، ولم تمض أربع سنوات حتى ظهر للوجود أسطول بحري إسلامي، عندها استهل معاوية باكورة نشاطه البحري بمحاولة فتح قبرص<sup>(2)</sup> سنة (28هـ/648م) ليتخذها قاعدة لفتح القسطنطينية<sup>(3)</sup>، وفي سنة (33هـ/65م) تم فتح جزيرة أرواد الواقعة بالقرب من ساحل الشام بين جبلة وطرابلس سنة (28-29هـ/648-649م)، وجزيرة رودس سنة (33هـ/653م)، وهي أهم جزر بحر إيجه، وتوج حملاته البحرية بغلق بحر إيجه وسد منافذه الرئيسية في وجه السفن البيزنطية، ومنعها من الوصول إلى بلاد المسلمين، وذلك بالاستيلاء على جزيرة إقريطش "كريت" كما هزم الأسطول البيزنطي في موقعة ذات الصواري<sup>(4)</sup> عام (35هـ/655م) وكانت الأخيرة فاتحة باب الجهاد

(1) - الإسكندرية: مدينة على شطّ البحر كثيرة الرخام في الفرش والابنية والعمد وبها منارة قد أسست في الماء من صخر رفيع السمك جدًا تشتمل على زيادة من ثلاث مائة بيت لا يصل المرتقى إليها إلا بدليل، ينظر: الاضطخري، المسالك والممالك، ج1، دارصادر: بيروت، (2004م)، ص 51.

(2) - جزيرة قبرص: هي جزيرة فتحها المسلمون في مدة خلافة معاوية، ومدينتها في وسطها، حيث الطول داخل في الجزء الرابع خمس وخمسون درجة ونصف، والعرض ثلاثون درجة ودقائق. وطول هذه الجزيرة من الغرب إلى الشرق مائتا ميل، ولها ذنب دقيق ينظر للشرق إلى ساحل الشام، وعرضها الواسع مائة ميل والضيق أميال، ينظر: بن سعيد المغربي، الجغرافيا، تحقيق وتعليق. إسماعيل العربي، المكتب الحجازي للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ط1، (1970م)، ص 51.

(3) - البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ص 157-158.

(4) - معركة ذات الصواري: وتعتبر هذه الواقعة البحرية من المعارك الحاسمة القلائل التي غيرت مجرى تاريخ البحر المتوسط .... إذ قضت على اتصافه بأنه بحر الروم، وجعلته حرياً أن يدعى "بحر المسلمين"، فقد انطلقت

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

البحري الإسلامي، والتي انتهت بنصر المسلمين، ومثلت هذه المعركة نهاية سيطرة الدولة البيزنطية على البحر المتوسط.

### 2. في عهد الدولة الأموية (41-132هـ/661-750م):

وجه سيدنا معاوية بن أبي سفيان أنظار المسلمين شطر البحر الأبيض المتوسط، وأوقفهم على أهمية جزره، فاستولى على ما استطاعت أساطيله أن تفتحه منها، وطرق باب غيرها ممهدا الطريق لمن يأتي بعده من الخلفاء الأمويين، وكفل للمسلمين قوة بحرية نافست البيزنطيين سيادتهم القديمة على البحر الأبيض المتوسط، ثم أخذ يعيئها لأهم عمل في تاريخها، وهو ضرب عاصمة البيزنطيين أنفسهم، والاستيلاء عليها<sup>(1)</sup>، وإذا كان معاوية لم ينجح في فتح القسطنطينية لأسباب كثيرة يطول ذكرها والتفصيل فيها، فإنه قد نجح في جعل الدولة البيزنطية العتيدة تقف موقف الدفاع عن كيائها وعن عاصمتها، كما أن نظرية معاوية كانت سليمة تماما، فإن ما قدره وجعله هدفه قد تحقق بعده بنحو ثمانية قرون، فعندما نجح السلطان العثماني محمد الفاتح في فتح القسطنطينية سنة (857هـ/1453م) سقطت الدولة البيزنطية على الفور وانتهت من الوجود، وأصبحت عاصمة القياصرة عاصمة للدولة العثمانية<sup>(2)</sup>.

وفي عهد (معاوية) سَير الفاتحون المسلمون حملاتهم إلى بلاد المغرب برا وبحرا حتى لا تبقى فرصة للبيزنطيين المستعمرين لهذه البلاد في استردادها، فقد بعث معاوية بن حديج لاستكمال فتح المناطق الجنوبية في إفريقية سنة

=

فيه السفن الإسلامية في حرية تذهب حيثما تريد، رافعة علم الإسلام، ينظر: طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيّة، موجز عن الفتوحات الإسلامية، ج1، دار النشر للجامعات: القاهرة، د.س.ن، ص 26.

(1) - طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيّة، المرجع السابق، ج1، ص ص 29 - 30: محمد بن عبد الرزاق بن محمّد، كُرد علي: خطط الشام، ج1، مكتبة النوري: دمشق، ط3، (1403هـ/1983م)، ص 101.

(2) - عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ج1، دار السلام: القاهرة، ط1، (1428هـ)، ص 246.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

(46هـ/666م) رويغ بن ثابت لفتح جزيرة جربة من نفس العام<sup>(1)</sup>، وأرسل حملة بقيادة عبد الله بن قيس لجزيرة صقلية من نفس السنة أيضاً، والتي أقام فيها الفاتحون شهراً، ورجعوا إلى إفريقية محملين بغنائم كثيرة ورقيقاً وأصناماً مصنوعة من الجواهر<sup>(2)</sup>.

و عندما فقد البيزنطيون قواعدهم في شرق المتوسط بعد انهزامهم في موقعة ذات الصواري كما أسلفنا اتجهوا لحوضه الغربي، واتخذوا من جزره مركزاً يستعيدون فيه توازنهم، لينطلقوا بعد ذلك لاسترجاع مستعمراتهم بالمغرب وهاجموا برقة<sup>(3)</sup>، ثم تونس<sup>(4)</sup>، ليستكمل قام حسان بن النعمان ما سلف<sup>(5)</sup>، بتسيير حملة إلى قرطاجة<sup>(6)</sup>، التي كانت تعتبر آنذاك أقوى قاعدة لأسطول الروم في مياه المغرب، وكان ذلك في (76هـ/695م)، وقام بتخريبها، وأنشأ قاعدة بحرية بتونس تُسيّر منها عمليات الجهاد البحري ضد قواعدهم البيزنطيين في جزر البحر المتوسط<sup>(7)</sup>.

(1) - الطاهر الزاوي، ولاية طرابلس من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر: بيروت، السيد محمد الرماح: ليبيا، ط1، (1970)، ص23.

(2) - عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، ج1 منشأة المعارف: الإسكندرية، (1993م)، ص173: البلاذري، فتوح البلدان، المصدر السابق، ج1، ص278.

(3) - برقة: بفتح أوله والقاف، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر: بيروت، ط2، (1995م)، ص388.

(4) - تونس: مدينة بأرض المغرب كبيرة على ساحل البحر، قصبة بلاد إفريقية أصلح بلادها هواء وأطيبها ماء وأكثرها خيراً وبها من الثمار والفاواكه ما لا يوجد في غيرها من بلاد المغرب حسناً وطعماً، ينظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1، دار صادر: بيروت، ص173.

(5) - حسان بن النعمان الغساني من أمراء عرب الشام، يقال: إنه ابن النعمان بن المنذر وولاه عبد الملك بن مروان غزو المغرب في سنة بضع وسبعين، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ج2، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، (2003م)، ص808.

(6) - قرطاجنة: مدينة كانت على ساحل البحر الأبيض من ساحل إفريقية فيما يسمى اليوم بتونس، ينظر: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ج1، دار مكة للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، ط1، (1402هـ/1982م)، ص252.

(7) - عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، (1969م)، صص35-36.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

لما تولى موسى بن نصير<sup>(1)</sup> ولاية المغرب جعل قضية الجهاد البحري هدفه الأسمى، حيث كلف ابنه عبد الله بغزو جزيرة صقلية<sup>(2)</sup>، التي عرفت في كتب التاريخ بغزوة الأشراف، والحملات التي شنتها الأساطيل الإسلامية طوال عهدة بن نصير، لم تقتصر على جزيرة صقلية فحسب بل شملت معظم الجزر في الحوض الغربي للبحر المتوسط، حيث كانت الاستراتيجية التي تبعتها ابن نصير ومن خلفه هي سياسة الضغط على المراكز البحرية للبيزنطيين، حتى لا يترك لأساطيلهم فرصة التفوق البحري، وقام بتكليف ابنه عبد الله الإغارة بأسطوله على قواعد أسطول البيزنطيين في جزيرتي مينورقة وميورقة سنة (89هـ/707م)<sup>(3)</sup>، وفي نفس السنة عقد موسى بن نصير لعبد الله بن مروة على "بحر إفريقية، الذي غزا جزيرة سردينيا"<sup>(4)(5)</sup>. ومن بين أهم الحملات البحرية أيضاً: العبور الشهير لطارق بن زياد للمضيق الذي سمي باسمه وفتحه الأندلس عام (91هـ/711م)، وعملية غزو طريف مولى موسى بن نصير للأندلس في (92هـ/712م) الذي أنزل قواته من أربع سفن

(1) - موسى بن نصير الأعرج الأمير أبو عبد الرحمن فاتح الأندلس وكان والده نصير على حرس معاوية، ومزنته عنده مكينة وكان عبد الله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان واليا على مصر وإفريقية، فبعث إليه ابن أخيه الوليد بن عبد الملك أيام خلافته يقول له: أرسل مع ابن نصير عسكرياً إلى إفريقية، وذلك في سنة تسع وثمانين، ينظر: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق. بوجمعة مكري وخالد زواري، ج1، دار المنهاج: جدة، ط1، (1428هـ/2008م)، ص 503.

(2) - صقلية: جزيرة صقلية في قطعة من البحر الشامي، بينها وبين أقرب بر من مالطة ثمانون ميلاً، افتتحها المسلمون في صدر الإسلام وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميراً وقاضياً سنة اثني عشرة ومائتين، ينظر: الجيمري، المصدر السابق، ص366.

(3) - عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص31-33.

(4) - جزيرة سردينيا ومدينتها حيث الطول إحدى وثلاثون درجة واثنتا عشرة دقيقة. وفي غربها يخرج المرجان، وطول هذه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب مجراوان ونصف، والضيق بجهة مرسى الخزر مائة ميل وقليل. وفي شمالها جزيرة قرسقة المقابلة لجنوة، وطولها من الشمال إلى الجنوب مجرى ونصف، والضيق لجهة جنوة والوسع في الوسط قدره ستون ميلاً، ينظر: بن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص 50.

(5) - ابن قتيبة محمد أبو عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق. طه محمد الزيني، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع: القاهرة، (د.ت.ن)، ص58.

في جزيرة تاريفا<sup>(1)</sup>، وقد تُوجت هذه الحملات بفتح الأندلس التي دامت تحت حكم المسلمين إلى غاية سقوطها (897هـ/1492م). كما غزا عطاء بن رافع سنة (107هـ/725م) بنية الجهاد جزيرة صقلية، وكان الموسم شتاء، وغنم منها مغائم كثيرة وتحفا من الذهب والفضة والجوهر وقفل راجعا، لكن عاصفة هوجاء أغرقت سفنه<sup>(2)</sup>. وغزا بشر بن صفوان عامل افريقية صقلية سنة (109هـ/727م)، وسير عبيد الله بن الحبحاب والي افريقية أسطولا إليها أيضا سنة (116هـ/734م)، وسار أيضا حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة إلى سردينيا، وعاد غانما منها (سنة 117هـ/735م)، ثم سيره أيضا إلى صقلية سنة (122هـ/740م) ومعه ابنه عبد الرحمن بن حبيب، وقد غزاها الأخير مرة أخرى سنة (135هـ/752م)<sup>(3)</sup>.

عندما انتصبت الدولة العباسية في بغداد أصبح اهتمامها آسيويا، ولم يعد في مقدورها مواصلة جهود الأمويين الذين عرفت دولتهم بدولة الفتوحات وقد وصلوا إلى جبال البيرينييه في فرنسا بعد تحكّمهم في الأندلس ومضيق جبل طارق، وترك العباسيون الاهتمام بالجهاد البحري في المتوسط لولّاهم على مصر وبلاد المغرب بسبب بعد مركز الخلافة عن هذه المناطق، ولأسباب أخرى يطول شرحها أولا، وليست في نطاق بحثنا ثانيا، وما يهمننا بلاد المغرب التي تشكلت بها دويلات استقل معظمها عن العباسيين، فكيف كان مصير الجهاد البحري في ظل هذه الدويلات؟

### 3. نواة أسطول بلاد المغرب:

تأخر فتح بلاد المغرب وأخذ وقتا طويلا، حيث استغرق نحو سبعين عاما، وأسباب ذلك كثيرة منها انشغال الدولة الإسلامية بالفتن والحروب

(1) - وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي، منشورات جامعة دحلب، معهد التراث العلمي العربي: حلب، (1995م)، صص 15-16.

(2) - عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، صص 28.

(3) - محمد ياسين الحموي، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الشرقي: دمشق، (1945م)، صص 121-122.

الداخلية، التي اندلعت بين المسلمين منذ منتصف خلافة عثمان بن عفان نحو سنة (30هـ/651م) واستشهد فيها سيدنا عثمان بن عفان، ثم استمرت إلى عهد سيدنا علي بن أبي طالب (36-40هـ/656م)، الذي استشهد على يد عبد الرحمن بن ملجم، ولما اجتمع شمل الأمة على خليفة واحد هو سيدنا معاوية بن أبي سفيان سنة (41هـ/661م) أستأنف الفتوحات في شمال إفريقيا للقضاء على الوجود البيزنطي فيها، فَعهد بقيادة الفتوحات في هذه الجبهة لعقبة بن نافع، الذي أسس مدينة القيروان (50-55هـ/670) لتكون قاعدة ثابتة للمجاهدين ينطلقون منها ثم يعودون إليها، لأنه رأى أن خطوط إمداداتهم من مصر كانت طويلة وتوالى على المنطقة عدد من القادة العظام بعد عقبة، مثل أبي المهاجر دينار (55-62هـ/675م)، ثم عقبة ثانياً (62-63هـ/682م)، ثم زهير بن قيس البلوي (63-69هـ/683م) وفي هذه الأثناء داهمت المسلمين الفتنة الثانية التي اندلعت بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية سنة (64هـ/684) والتي استمرت نحو عشرين، ولم تنته إلا بقضاء عبد الملك بن مروان على أكبر منافسيه السياسيين المتمثل في عبد الله بن الزبير سنة (73هـ/692م)، وأعاد عبد الملك الوحدة للدولة الإسلامية، وشرع في إعادة بعث حركة الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، وعهد بالأمر لحسان بن النعمان وقد استطاع فتح معظم بلاد المغرب في غضون عشر سنوات (74-85هـ/693-704م) وعمل بعدها على تنظيم البلاد ووضع الأسس الإدارية لها، وأسس مدينة جديدة هي مدينة تونس، وأحس بحاجته لأسطول بحري مستقل يواجه به هجمات الأساطيل البيزنطية بدلا من الاعتماد على الأساطيل المصرية المرابطة في قاعدتي برقة والإسكندرية لطول المسافة، فرأى حسان بن النعمان ضرورة إنشاء قاعدة بحرية خاصة بشمال إفريقيا، فأنشأ قاعدة تونس البحرية بعد تدميره مدينة قرطاجنة التي كانت عاصمة شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، وطردهم منها، و أيقن أن الاحتفاظ بالانتصارات التي حققها على البيزنطيين والبربر معا، في المغربين

الأدنى والأوسط يتطلب إنشاء قاعدة بحرية حصينة، ودارا لصناعة السفن، وأن الآوان قد حان لتعتمد بلاد المغرب على قواعدها وأساطيلها الخاصة في الدفاع عن نفسها وأن ذلك كله لن يتم إلا إذا كان للمسلمين قوة بحرية فعالة في غرب البحر الأبيض المتوسط، فأرسل أربعين رجلا من أشرف العرب يشرحون له أهمية المشروع الذي ينوي حسان القيام به، ومدى حاجته للمهندسين والعمال المصريين لبدء العمل وبعد ما سمع عبد الملك بن مروان من وفد حسان، أصدر تعليماته على الفور لعبد العزيز بن مروان أمير مصر بأن يوجه دون إبطاء ألف رجل من المهندسين والبحارة والعمال المهرة المصريين بأسرهم للعمل في دار الصناعة بتونس، وتحت إدارة أميرها حسان بن النعمان، وكتب عبد الملك بن مروان لحسان بن النعمان بأن يحسن استقبالهم ومعاملتهم، وأن يوفر لهم الراحة الكافية، ليتفرغوا تفرغا كاملا لعملهم وإتقانه على أحسن وجه وأن تكون دار الصناعة المزعم إقامتها قوة وعدة للمسلمين، بل أصبحت قاعدة انطلقت منها الغزوات البحرية الإسلامية، التي غزت معظم جزر البحر الأبيض المتوسط الغربي<sup>(1)</sup>، وكانت النتيجة بروز بحرية إسلامية قوية، وانتشرت الأساطيل البحرية الإسلامية في شرق وجنوب وغرب البحر الأبيض المتوسط، ولم تصبح الأساطيل الإسلامية نداءً للأساطيل البيزنطية فحسب بل تفوقت عليها وانتزعت منها السيادة على البحر الأبيض المتوسط، ويعد المؤرخون معركة ذات الصواري التي دارت بين الأساطيل الإسلامية بقيادة أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعلى شواطئ مصر الغربية سنة (34هـ/655م) وبين الأساطيل البيزنطية معركة فاصلة في التاريخ البحري في مطلع العصور الوسطى، فقد قررت مصير البحر الأبيض المتوسط لمصلحة المسلمين، ولعدة قرون قادمة<sup>(2)</sup>.

(1) - عبد الشافي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ص 246 - 250.

(2) - نفس المرجع، ص 251.

ثانياً: الجهاد البحري في عهد الدويلات

1. في عهد الأغالبة (183-296هـ/800-909م):

من بين الدول التي حملت لواء الجهاد البحري في بلاد المغرب الدولة الأغلبية، التي كان أولى اهتماماتها مواجهة الروم البيزنطيين في البحر المتوسط، والتصدي لهجماتهم على سواحل المغرب، وقد كانت حملاتهم البحرية في بداية الأمر عبارة عن استطلاع ومناورات حربية لكنها تحولت فيما بعد لغزو حقيقي إلى أن تمكنوا من فتح صقلية في عهد زيادة الله الأول (201-223هـ/813-838م) على يد القائد الأسد بن الفرات<sup>(1)</sup>، فدخل المسلمون بالرمو سنة (212هـ/827م) وكان فتح هذه القاعدة وسيلة للاستيلاء على الجزيرة كلها، ثم فتحوا قوصرة (Pantelleria) وتواصل زحف المسلمين حيث بلغوا مدينة ميسينا (Messina) عام (223هـ/843م) في عهد محمد (841-856م) ومدينة سرقوسة عام (265هـ/878م) في عهد إبراهيم الثاني<sup>(2)</sup>، ثم في سنة (223هـ/843م) استولى الأغالبة على مدينة مينيو (Mineo)، وتمكنوا من السيطرة على مضيق بين قلورية<sup>(3)</sup> وصقلية، كما قام الأغالبة بعدد الحملات التي توجت بفتح جزيرة مالطة عام (257هـ/870م) في إمارة أبي

(1) - أسد بن الفرات: أسد بن الفرات بن سفيان، أبو عبد الله، مولى بني سليم، قاضي إفريقية أصله من أبناء جند خراسان ومولده في سنة أربع وأربعين ومائة، وأقام بالكوفة، وكتب عن أهلها، وكتب بالري عن جرير بن عبد الحميد وأخذ الموطأ عن مالك بن أنس، وروى عنه المسائل الأسدية، وهو معدود من كبار أصحاب مالك، ينظر: المقرئ، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، ج2، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط2، (1427هـ/2006م)، ص ص 36 - 37.

(2) - مولاي بلحميسي: البحر والعرب في التاريخ والأدب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: الجزائر، 2005م، ص73.

(3) - وهي جزيرة في شرقي صقلية وأهلها أفرنج ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة، ينسب إليها فيما أحسب أبو العباس القلوري، روى عن أبي إسحاق الحضرمي وغيره، وحدث عنه أبو داود في سننه، ومن مدن هذه الجزيرة: قبوة ثم بيش ثم تامل ثم ملف ثم سلوري، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، دار صادر: بيروت، ط2، (1995م)، ص 392.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

الغرانيق<sup>(1)</sup>، وتأكدت بذلك سيطرتهم الكاملة على المضائق الواقعة بين صقلية وإفريقية، وتمكن الأغالبة من بسط نفوذهم على كامل المنطقة عام (290هـ/902م) خاصة القواعد التي كان ينطلق منها البيزنطيون في صقلية لمهاجمة المسلمين مثل طبرمين وضواحيها، والتي أضحت كلها في أيدي المسلمين<sup>(2)</sup>.

كان فتح جزيرة صقلية عناداً مستمداً من القوة النفسية التي خرج بها أسد بن الفرات لانشغال زيادة الله بالفتنة في الداخل والغزاة من الخارج، ولما أصبح في مقدور زيادة الله مدهم بالجند، تمكنوا من فتح بالرمو سنة (216هـ/831م)، وكان فتحها خطوة كبيرة أدت للسيطرة على الجزيرة، فلم يعد المسلمون في حاجة إلى الانحياز في المعسكرات أو القلاع وكانت بالرمو مدينة بحرية جيدة الميناء، واتصالها بأفريقية سهل، ولذلك أصبح في استطاعتهم الاعتماد على مدد دائم من أفريقية، والحصول على المؤن باستمرار، ثم إن المنطقة حول بالرمو خصبة يمكنها تزويد عساكرهم بمؤن كثيرة ولذلك اتخذها المسلمون قاعدة لهم ساعدتهم في فتح مناطق جديدة من جزيرة صقلية<sup>(3)</sup>، وقد شارك الأسطول الأندلسي في سواحل البحر المتوسط رفقة الأسطول الأغلب في إتمام فتح جزيرة صقلية<sup>(4)</sup>، وفي عهد محمد بن الأغلب نعمت البلاد بالهدوء والسكينة ثم سرعان ما قامت ضده بعض الثورات كان أخطرها ثورة أخيه أحمد بن الأغلب، وثورة سالم بن غليون والي إقليم

(1) - عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 66.

(2) - أرشيبالد. د. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، تعريب. أحمد محمد عيسى، مراجعة. وتقديم. محمد شفيق غريال، مكتبة النهضة المصرية: مصر، ص 213.

(3) - ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 1، تحقيق. خليل شحادة، دار الفكر: بيروت، ط 2، (1408هـ/1988م)، ص 314؛ إحسان عباس، العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب، ج 1، دار الثقافة: بيروت، ط 1، (1975)، ص 35 و ص 314.

(4) - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ج 1، دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت، ط 1، (2000م)، ص 458.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

الزباب، وثورة تامر بن عمرو التجيبي بتونس، لكنه تمكن من القضاء عليها، وأمن دولته من الأخطار الخارجية والداخلية، وواصل مسيرة سابقه في فتح صقلية، كما أغار بجيشه على روما العاصمة الإيطالية ردًا على إغارة الإيطاليين على سواحل تونس، ونجح في دخول روما والبقاء بها لمدة شهرين ثم غادرها بعد وصول الإمدادات الأوروبية إليها، وقد استغرق فتح صقلية قرابة 75 سنة أي من (212هـ / 827م) إلى (290هـ / 902م) لذلك فإن فتح هذه الجزر كان يخضع للضرورة التاريخية، وأنه إذا ما تقاعس الفاتحون عن السيطرة على الضفة الشمالية للمتوسط، فإن أصحابها سيوجهون أطماعهم للضفة الجنوبية<sup>(1)</sup>.

### 2. في عهد الفاطميين ببلاد المغرب (297- 359هـ / 909- 970م):

أسس الفاطميون دولتهم في المغرب الأدنى وأنشأوا مدينة المهديّة سنة (303هـ / 915م) التي عبرت عن اهتمامهم بالبحر، واختير موضعها في جزيرة تتصل بالبر ويحيطها البحر من ثلاثة جوانب<sup>(2)</sup>. كان لمدينة المهديّة التي اتخذها الفاطميون عاصمة لهم أثر عظيم في تدعيم الأسطول الفاطمي، والتي غدت مركزا تنطلق منه العمليات الجهادية التي خاضوها، فقد غزوا جنوب فرنسا ومدينة جنوة<sup>(3)</sup> ومدينة بيزا، وخرج القائد صابر سنة (315هـ / 928م) إلى صقلية في أربع وأربعين مركبا للغزو على سواحل إيطاليا واستولى على مدينة طارنّة Tarente قبل أن يغير على نابلي، وفي عام (317هـ / 929م) حاصر الأسطول

(1) - مجموعة مؤلفين، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج 10، ص 998.

عبد محمد سوادى وعمار صالح الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، مكتب المعري للنشر وتوزيع المطبوعات: مصر، ط1، (2004)، ص143.

(3) - مدينة جنوة قديمة أزيلت البناء حسنة الجهات والأفناء بنيانها شاهق السمو وهي وافرة الثمر كثيرة المزارع والقرى والعمارات وهي على قرب نهر، ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، عالم الكتب: بيروت، ط1، (1409هـ)، ص 749.

اليوناني في بحر الأيوني، وقاد جعفر بن عبيد الله المدعو "صعلوك" الأسطول الفاطمي سنة (311هـ / 924م) لمهاجمة صقلية وكلايريا، لذلك فاق الفاطميون الأغالبة في الجهاد البحري، وكانوا يقبون من ركب البحر للجهاد غازي البحر<sup>(1)</sup>، وقد بلغت بحريتهم المستوى العالي قبل التحاقهم بمصر، وغدا البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، وفي هذا يقول ابن خلدون.. "وانحازت أمم النصرانية بأساطيلها إلى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الأفرنجة والصقالبة والجزائر الرومانية، لا يعدونها وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح.." <sup>(2)</sup>، إلا أن هذه القوة البحرية قضى عليها التنافس الشديد بين الدولة الفاطمية وبني أمية في الأندلس<sup>(3)</sup>، وعندما تولى الخلافة الحكم المستنصر ازداد اهتمامه بالأساطيل البحرية وأخذت دور الصناعة تنتج المزيد من القطع البحرية فوصل عددها في عهده إلى ستمائة جفن بين غزوي وغيره، والسبب في ذلك هو حرصه على استمرارية السيطرة على مضيق جبل طارق لخشيته من أي هجوم مفاجئ قد يشنه الأسطول العبيدي، لذا كان يقوم بزيارة تفقدية لقاعدة المرية، في شهر رجب من سنة (353هـ/964م) ووقف على ما تم إنجازه من أعمال التحصينات وشاهد حصن القبطة، ونظر في الأسطول المرابط هناك وجدده وكانت عدد قطعه في ذلك الوقت ثلاثمائة قطعة<sup>(4)</sup>، هذه المهام الحربية التي كان الأسطول الأموي يقوم بها بغية السيطرة

(1) - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة. إحسان عباس، ج 1، ج 4،

دار الثقافة: لبنان، ط3، (1983)، ص196؛ مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص75.

(2) - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار القلم: لبنان، ط7، (1989م)، ص254.

(3) - مولاي بلحميسي، البحر والعرب...، المرجع السابق، ص ص73-75.

(4) - سالم بن عبد الله الخلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة

الإسلامية: المدينة المنورة، ط1، (1424هـ/2003م)، ج2، ص585.

على الثغور الساحلية للمغربين الأوسط والأقصى، وهي في حقيقتها مجابهة حربية مع الأسطول العبيدي<sup>(1)</sup>.

### 3. في عهد الزيبرين (361-543هـ/972-1148م):

لما سار المعز الفاطمي إلى مصر استخلف على أفريقيا يوسف بلكين بن زيبري، ولما عاد يوسف بلكين من وداع المعز أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد، ثم سار في البلاد، وباشراً الأعمال، وطيب قلوب الناس، وكان المعز يريد استخلاف يوسف بلكين على الغرب لقوته وكثرة أتباعه، ولكنه كان يخشى تغلبه على البلاد بعد مسيره عنها إلى مصر، ولما اختلف يوسف مع قبيلة زناتة أمن المعز تغلبه على البلاد، ولكن يوسف اجتمعت له صنهاجة كما اجتمعت لأبيه من قبل وبدأ يقوى أمره<sup>(2)</sup>، لكن قبيلتهم تقطن الجبال، وليس لهم سابقة بمعرفة أسرار البحر وخباياه، ووجدوا أنفسهم فجأة مسؤولين عن الجهاد البحري لأنهم أمام شريط ساحلي شاسع، يجب عليهم حماية ثغوره بالرد على هجمات المغيرين وتتبع فلولهم<sup>(3)</sup>، وعندما رحل الفاطميون اصطحبوا معهم أسطولهم المكون من 200 سفينة، لذلك عانى حكام الدولة الزيبرية كثيراً من أجل إنشاء أسطول حربي، خاصة في قضية تجنيد الرجال أولاً، وقلة السفن ثانياً نظراً لافتقار مدينة المهديّة للمواد المستعملة في البناء، ورغم الظروف المعاكسة التي واجهتهم، ولا يسعنا المقام لذكرها<sup>(4)</sup>.

(1) - سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص 578.

(2) - علوي بن عبد القادر السقاف وآخرون، الموسوعة التاريخية موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحالي، موقع الدرر السنية، ج3، ص 152.

(3) - وفي هذا يقول الشاعر "أبو محمد القاسم بن عبد الله التميمي":

إذا كان لا ينجيك أنك هارب      فلم يبق حزم غير أنك هاجم  
وطيب حياة المرء في عز موته      وما الموت إلا أن تهون الكرائم

ينظر: إبراهيم سعيود، القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة، القرصنة الإيطالية نموذجاً، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات: ع 11، جامعة غرداية: الجزائر، (2011م)، ص 150.

(4) - للمزيد حول هذه القضية ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ص 229-230.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

إلا أنهم استمروا في محاولات منتظمة لإنشاء أسطول قوي، وفي سنة (416هـ/1025م) أرسل الإمبراطور باسيل الثاني جيشا لمهاجمة صقلية وكلايريا، وأقاموا فيها تحصينات قوية استعدادا للعمليات المستقبلية، وردا على هذا جهز المعز أسطولا ضخما<sup>(1)</sup>، معظمه كان مستأجرا لحمل المجندين والمتطوعين للجهاد البحري، وأبحر الأسطول في (416هـ/1026م)، لكن عاصفة قوية هبت وحطمت الأسطول عندما كان بالقرب من جزيرة قوصرة<sup>(2)</sup>، ولم ينج منهم إلا القليل، وفي سنة (444هـ/1052م) تلقى المعز نداء استغاثة من مسلمي صقلية يلتمسون فيه المساعدة ضد النورمان بقيادة روجر الأول، أدركهم المعز بأسطوله، إلا أن الكارثة حلت بهم مثل المرة الماضية، لأن عاصفة شتوية التهمت معظم الأسطول<sup>(3)</sup>.

كانت الحملات الجهادية التي يقودها بني زيري ذات نشاط ملموس، خاصة في عهد تميم بن المعز، والذي كان رد الدول المعادية له هو تكوين حلف مقدس جمع كلا من بيزا وجنوة وباركه البابا فيكتور الثالث، واتجهوا في ثلاثة مئة سفينة نحو المهديّة في سنة (480هـ/1087م) فسلبوها، ونهبوا زويلة وأضرموا النار، وغادروا بعد منحهم غرامة حربية فادحة واستعادوا الأسرى النصارى<sup>(4)</sup>. فقد الزيرون أهم المراكز التي فتحوها في البحر المتوسط بسبب

(1) - قدرها بن الأثير بحوالي 400 قطعة، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة. محمد يوسف الدقاق، ج8، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، (1987م)، ص 152.

(2) - جزيرة قوصرة: وبلي مدينة مازر من جزيرة صقلية جزيرة قوصرة بينهما مجرى واحد وهي في شرقي جزيرة مليطمة، وهي من جزيرة الراهب بين جنوب وشرق، وتوازي الشاقة ومازر وبينهما مجرى، وكذلك من قوصرة إلى بر إفريقيا مجرى، وجزيرة قوصرة ترى من مدينة مازر وترى أيضا من إقليمية من بر إفريقيا، لأن هذه الجزيرة جبل مشرف عال جدًا، ولها مرسى من جانب الشمال، وهي مقطع للخشب الجيد ويحمل منها إلى صقلية، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج1، دار الغرب الإسلامي: بيروت، (1992م)، ص 488.

(3) - جورج مارسيه، بلاد الغرب وعلاقتها بالشرق في العصور الوسطى، ترجمة. محمود عبد الصمد هيجل، مراجعة. مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الأنصار: الإسكندرية، (1999م)، ص 251-252.

(4) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، دار المسيرة: لبنان، ط3، (1993م)، ص 107: التجاني، رحلته، تق. حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب: ليبيا، تونس، (1981)، ص 340-341: ابن عذارى، المصدر السابق، ص 301.

الغزو الهلالي، ولم تعد عملياتهم الجهادية منتظمة تهدف إلى غاية ثابتة بل ضربات هنا وهناك يقوم بها أهل إفريقية حيناً وأهل صقلية حيناً آخر، وبسقوط مدينة المهديّة في يد النورمان سنة (542هـ/1148م) انتهت معه التهديدات الزيرية للبلدان المسيحية<sup>(1)</sup>.

### 4. في عهد الحماديين (398-547هـ/1007-1152م):

اعتمد الزيريون في حكم البلاد التي ورثوها عن الفاطميين على بني عمومتهم الحماديين خاصة في منطقة المغرب الأوسط، والذين كان شرطهم منذ البداية الاستقلال بالمناطق التي يخضعونها، وتم لهم ذلك، وحذوا حذو الزيريين في نقل عاصمتهم من الدواخل لمنطقة ساحلية هروبا من الهلاليين الذين حاولوا إسقاط القلعة عاصمة الدولة الحمادية الأولى، فاتجه الناصر بن علناس إلى بجاية التي أقام بها تحصينات عسكرية، واتخذها عاصمة للدولة<sup>(2)</sup>. أنشأ بنو حماد أسطولا لرد الأخطار الخارجية المنتشرة في البحر الأبيض المتوسط التي كان يشنها النورمانديون بقيادة روجر، وذلك منذ احتلالهم لبعض المدن في جزيرة صقلية سنة (444هـ/1052م)، وامتلاكهم لها نهائيا في (484هـ/1091م) والتي قاموا بشن غاراتهم منها على بلاد المغرب، وهذا ما يعد تحديا حقيقيا للحماديين وغيرهم. إلا أن ما عرف عن بني حماد هو انتهاجهم للتسامح الديني مع الممالك النصرانية، والتزموا الهدوء، ولم يحاولوا فتح باب جديد من أبواب الصراع على أنفسهم، حتى ولو كان هذا الباب جهادا مقدسا ضد المسيحيين<sup>(3)</sup>، واستغل الطرف المعادي هذه النقطة،

(1) - حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، (الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع: مصر، (1993م)، ص ص113-117.

(2) - رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، (1977م)، ص ص69-70.

(3) - عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع: القاهرة، (2007م)، ص185.

وحاول جهده تعميق علاقات الود بينه وبين الحماديين، وهو ما تدل عليه رسالة الراهب غريغوار السابع للأمير الحمادي في بجاية<sup>(1)</sup>. واعتبرت هذه الرسالة من الأسباب القوية التي كانت وراء عدم مشاركة بني حماد في حركة الجهاد البحري، وكللت جهود غريغوار بعقد صلح مع الناصر بن علناس، وهدفه من ذلك هو تفويت الفرصة عليه في عدم مساعدته لتميم بن المعز الذي تحركت لديه النخوة الإسلامية وبعث أسطولاً جهادياً لمحاربة النورمان ومؤازرة مسلمي صقلية، وبعث الأمل في نفوسهم<sup>(2)</sup>، كان بنو حماد كما أسلفنا مسلمين في تعاملهم مع النصارى، لكن غلب على هؤلاء التعامل وفق ما تقتضيه المصلحة، ونسوا الخدمات الحمادية السابقة، فحاول النورمان إغراق الأسطول الحمادي عندما كان محاصراً لمدينة المهديّة سنة (529هـ / 1106م)<sup>(3)</sup>، كما هاجموا جيجل سنة (537هـ / 1142م)، وتتابعت غاراتهم على المدن الحمادية الساحلية، وكان هدفهم التالي بعد احتلال المهديّة هو الجزائر الحمادية، وهاجموا مدينة بونة لهذا الغرض، ولم يمنعهم عن التوغل في الأرض الحمادية إلا ظهور الموحدين الذين وضعوا حداً لأطماعهم وتوسعاتهم<sup>(4)</sup>.

ثالثاً. الجهاد البحري في عهد المرابطين (431-541هـ / 1040-1147م):

اعتمدت الدولة في حروبها على المشاة ولم يكن لها ميول ولا انشغال بالبحر وشؤونه إلى أن استوعب المرابطون أهمية مضيق جبل طارق ذو الموقع الاستراتيجي وضرورة الاستيلاء عليه وحماية السواحل المغربية المحيطة

(1) - ينظر نص الرسالة في سعد سامي سلطان: دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع إلى العاهل الحمادي الناصر بن علناس في عام (469هـ/1076م)، في مجلة الدراسات التاريخية : ع1، الجزائر، صص 42-43.

(2) - رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص72.

(3) - ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص113.

(4) - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص190.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

والمتموسطية، وما زادهم إصراراً على ذلك استغاثات إخوانهم المسلمين في الأندلس<sup>(1)</sup>.

في البداية استعان المرابطون بسفن إشبيلية وأوكلوا قيادة البحرية لبني ميمون وأنشأوا ورشات للسلاح في وهران والريف وسبتة وطنجة وشيدت المراسي وحُصنت لرد هجمات النصارى المغيرين عليها، وفي هذا يقول ابن خلدون: "وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو، ولا كانت لهم به كر، فكان قائد الأسطول به لعهد لمتونة بني ميمون.."<sup>(2)</sup>.

وعندما ضم يوسف بن تاشفين الأندلس لدولته، لم يتعرض بسوء لأمير الجزائر الشرقية مبشر بن سليمان (486-508هـ/1093-1115م) لأن هذه الإمارة تقف حائلاً أمام هجمات الأساطيل الأوروبية ضد الأندلس، ولم تصمد الجزائر الشرقية طويلاً أمام هجمات الحملات الأوروبية البحرية الكبيرة عام (508هـ/1115م)، وأثناء الحصار توفي أمير الجزائر مبشر، فتولى أمرها أبو الربيع سليمان الذي واصل المقاومة وحاول مغادرة الجزيرة لطلب العون من المرابطين، إلا أنه وقع أسيراً بأيدي الأعداء، فدخلت القوات الأوروبية الجزائر الشرقية عام (508هـ/1115م) وعاثت فيها فساداً، ولم يتمكن الأسطول المرابطي من الوصول للجزائر الشرقية إلا بعد سيطرة العدو عليها، وكان الأسطول المرابطي بقيادة أمير البحر ابن تاقريطاس، فلما علم الإيطاليون وحلفاؤهم باقترابه، انسحبوا من الجزيرة مثقلين بالسبي والغنائم، بعدما أدرکوا أنهم سيخوضون معركة غير مأمونة العواقب، وبعدها دخل المرابطون الجزيرة وشرعوا في تعمييرها عام (509هـ/1116م)، وبذلك غدت الجزائر الشرقية ولاية مرابطية يديرها وانور بن أبي بكر اللمتوني الذي حكمها إلى

(1) - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 93.

(2) - ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 255.

سنة (520هـ/1126م)، ثم حكمها من بعده بنو غانية وأقاموا فيها إمارة مستقلة، ولما سيطر روجار الأول على صقلية عام (485هـ/1092م)، أخذ النورمان يشنون هجماتهم البحرية على المهديّة قاعدة بني زيري في تونس، الذين استنجدوا بأبناء عمومتهم المرابطين، فأرسل إليهم أمير المسلمين علي بن يوسف أسطوله البحري بقيادة أبي عبد الله بن ميمون، الذي هاجم صقلية وفتح بعض المدن فيها وسبى الكثير من نساءها وأطفالها انتقاماً لأبناء جلدته في أفريقية، وكان ملوك النورمان في صقلية يتوجسون خيفة من الأسطول المرابطي، لذا لم يتمكنوا من احتلال المهديّة، إلا بعد سنة (543هـ/1149م) أي بعد سقوط دولة المرابطين بقليل<sup>(1)</sup>، ومن بين أهم الأعمال الجهادية للمرابطين إرسال يوسف بن تاشفين أسطولا لنجدة بيت المقدس الذي حاصره الصليبيون عام (499هـ/1005 - 1006م) غير أن عاصفة بحرية اعترضتهم فأتلقت حوالي 70 سفينة<sup>(2)</sup>.

### رابعاً. الجهاد البحري في عهد الموحدين (515-666هـ/1121-1269م):

منذ عصر عبد المؤمن أول الخلفاء الموحدين نرى الخلافة الموحدية، فضلاً عما آل إليها من بقايا الأسطول المرابطي، تُعنى بإنشاء القطع البحرية سواء في مياه المغرب، أو إفريقية أو الأندلس وقد أنشأ عبد المؤمن في أواخر عهده عدداً ضخماً منها بلغ نحو ثلاثمائة أو أربعمائة، والتي كانت عماد الأسطول الموحدية الكبير، وكان الأسطول، فضلاً عن قيامه بنقل الجيوش الموحدية الزاخرة، وعتادها الهائل عبر المضيق للأندلس في الذهاب والأوبة،

(1) - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص 416 - 417.

(2) - مولاي بلحميسي: المرجع السابق، ص 94، إلا أن ابن عذارى أورد ما يلي: "وفي هذه السنة خرجت سبعون قطعة من البحر الغربي وقصدت بيت المقدس فلما توسطت البحر (هبت) عليها ريح فرقها وأغرقتها، فلم يرجع شيء منها وكفى الله المسلمين شرها". نستنتج مما سبق أن الأسطول الذي قصد بيت المقدس ليحاصرها كان صليبياً ولم يكن مرابطياً. ينظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 4، ص 45.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

يقوم بحراسة الشواطئ الأندلسية، من مياه البرتغال جنوباً، حتى مياه بلنسية والجزائر الشرقية، وشواطئ المغرب الشمالية حتى مياه تونس والمهدية وكانت للأسطول الموحدى وحدات كبيرة، ترابط فى المعمورة وسبته وتونس ومالقة وقادس وأحياناً فى مياه البرتغال الجنوبية، وقد لعب الأسطول الموحدى أدواراً هامة فى معارك الخلافة الموحدية مع البرتغال، وكذلك فى تحرير المهدية، وحوادث الصراع مع بنى غانية، وفى افتتاح الجزائر الشرقية، وغيرها من مواطن الصراع بينها وبين خصومها<sup>(1)</sup>.

كان من أهداف عبد المؤمن بن على مؤسس الدولة هو تخليص الشواطئ الإسلامية من النورمان، وبدأ بتطهير الساحل التونسى (548هـ/1153م) ثم المهدية<sup>(2)</sup>، وبعد حصار شاق ومكلف حرر سوسة ثم صفاقس ثم بونة (548هـ/1153م)<sup>(3)</sup>، وبفضل جهود الموحدين استردت الضفة الجنوبية من أيدي النورمان، وتكررت ضغوطات ألفونسو الثامن على مسلي الأندلس مما حملهم على الاستنجد بالموحدين، فعبر عبد المؤمن إلى الأندلس التى دخلها فى (539هـ/1145م)، واستولى على قادس وإشبيلية فى (541هـ/1147م) وعلى المرية فى (547هـ/1152)، ويقول بن خلدون فى شأن هذه الدولة: "ولما استفحلت دولة الموحدين فى المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول، على أتم ما عرف، وأعظم ما عهد..."<sup>(4)</sup> أمام سرعة الأحداث أمر عبد المؤمن أهل الثغور بضرورة إنشاء السفن، لكي يقوم بشن حملات كبرى على نصارى الأندلس الذين هددوا المسلمين فى عقردارهم، فأنشأوا أربع مائة

(1) - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس، ج4، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط2، (1411هـ/1990م)، ص 638.

(2) - عبد الواحد المراكشي، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دارالفرجاني للنشر والتوزيع: القاهرة، (1994م)، ص ص192-193.

(3) - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص ص95-96.

(4) - ابن خلدون، المقدمة... المصدر السابق، ص255.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

قطعة بحلق الوادي ومائة وعشرين قطعة بالمهدية ومئة بمراسي الريف وبادس وسبتة وطنجة، ومئة بوهران ومرسى هنين، وثمانين ببلاد الأندلس<sup>(1)</sup>. وفي سنة (583هـ/1187م) استولى الصقلي قائد أسطول الموحدين<sup>(2)</sup> على جزيرة يابسة، وأغار على ميورقة سنة (600هـ/1203م)، ويستنتج من رسائل عبد المؤمن للطلبة<sup>(3)</sup>، في أمور البحرية آراء جديدة واستراتيجية فريدة من نوعها طبقت في الهجوم على العدو برا وبحرا، فقد كانت فنون السباحة والقتال والحصار البحري وإدارة السفن مواد لها حيزها ضمن البرامج المقررة، يقوم بتعليمها أمراء بحر لهم تجاربهم وخبراتهم، وكان ملحقا بهذا التعليم أحد الصهاريج، حيث يمارس الطلبة (الحفاظ) مختلف تمارينهم، قبل أن أخذها على نطاق أوسع في المراسي المغربية، ومن هذا المنطلق أدركنا مدى النمو الذي بلغته القوة البحرية في الغرب الإسلامي أيام عبد المؤمن. لقد قيل أن هذا الملك كان يعتزم اقتحام بلاد الروم حينما أوصى بالزيادة في عدد وعدة الأسطول، وقد نشك في أن هذا الأمر كان جدا لا يشوبه روح من المناورة، ولكن من المؤكد كان استجابة لواقع بحري خطير، وهو أن بحرية الغرب المسيحي أخذت تتكفل ضد بلاد الإسلام على نحو أكثر من ذي قبل، وناهيك بأطراف هذا العدو مجتمعة في مدن الجمهوريات الإيطالية ونورمان صقلية وإسبان الشماليين وأتباعهم في جنوب شرق فرنسا<sup>(4)</sup>.

(1) -محمد ياسين الجموي، المصدر السابق، ص133.

(2) -وفيه يقول ابن خلدون: "...فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمرّة والكرامة، وأجزل الصلة، وقلده أمر أساطيله فجلى في جهاد أمم النصرانية، وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين"، ينظر: ابن خلدون: المقدمة...، المصدر السابق، ص255.

(3) - الطلبة: هم الوحدات التي أقام عليها ابن تومرت تنظيمه، ومهمتهم تبليغ الدعوة، ينظر: ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دارصادر: بيروت، ط2، (1988)، ص55.

(4) - القوة البحرية في المغرب الإسلامي بعد الفتح إلى قيام الدولة الموحدية، في مجلة دعوة الحق، ع118.

<http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2824> على الساعة 22:08 يوم 2018/8/25.

بلغ الصراع الموحيدي البرتغالي ذروته أيام يوسف بن عبد المؤمن (1163-1184م) عندما أغار بن مردنيش على لشبونة التي حمل منها الغنائم والأسرى، كان هذا الأخير دائم التفوق على المسلمين في غاراته التي كان يشنها عليهم<sup>(1)</sup>، كما هاجم الأسطول البرتغالي مدينة شلب سنة (575هـ/1180م)، فردت وحدات بقيادة عبد الله بن إسحاق الهجوم على لشبونة من نفس السنة، وفي سنة (576هـ/1181م) سجل انتصار للأدميرال البرتغالي، غير أن المسلمين أعادوا الكرة على لشبونة، وفاجئهم الأدميرال في مياه سبتة فأغرق سفنا عديدة للمسلمين، ومازال الصراع على أشده، ففي سنة (576-577هـ/1181-1182م) نهض الأسطول الموحيدي بقيادة أحمد الصقلي فبدد الأسطول البرتغالي، وقتل الأدميرال البرتغالي سنة (577هـ/1182م) أثناء محاولة ثانية على سبتة<sup>(2)</sup>.

خضعت الأجزاء الغربية والوسطى من الأندلس للموحيدين بسهولة، وبقي شرقها يعارض الانضمام للمغرب فقامت فيه إمارات بحرية مستقلة أولاها إمارة المرية، والتي أصبحت قاعدة بحرية لمهاجمة شواطئ إسبانيا الشمالية وإيطاليا وفرنسا، ونظراً لخطورتها سيطرت عليها الأساطيل والجيوش الإسبانية والأوروبية عام (542هـ/1148م)، وأصبحت تحت سيطرة ألفونسو السابع، إلا أن الموحيدين أعادوا المرية لحوزتهم عام (552هـ/1157م) وثنائهما إمارة بني غانية المرابطية التي استقلت في الجزائر الشرقية وبقيت تقاوم الحكم الموحيدي في الأندلس وشمالي إفريقية فترة طويلة ومع هذا فكثيراً ما قامت هذه الإمارة بمهاجمة سواحل قطلونية وجنوبي فرنسا، كما كانت تربطهم بمدن جنوه وبيزا علاقات تجارية طيبة، وفي الوقت نفسه كانوا يهادون الموحيدين دفعاً لخطرهم، إلى أن خضعت هذه الجزر لسلطة الموحيدين عام

(1) - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 209.

(2) - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص ص 96-97.

(599هـ / 1203م)، وعزز الخليفة الموحي الأول عبد المؤمن بن علي (524 - 558هـ / 1163م) سيطرة أسطوله على مضيق جبل طارق لتأمين عبور أساطيله باستمرار بين المغرب والأندلس، فبنى مدينة الفتح على سفح جبل طارق عام (555هـ / 1160م) واهتم بتدريب شباب المغرب والأندلس على أعمال الفروسية، وتعلم السباحة وخوض المعارك البحرية، وأولى اهتماماً كبيراً بتدريبهم على ركوب السفن وكيفية قيادتها واستخدامها أثناء القتال واهتم بالأسطول كذلك الخليفة الموحي أبو يعقوب يوسف (558 - 580هـ / 1185م) وأولاه عنايته، واستخدمه في ضرب أوكار القراصنة في غربي الأندلس، كما شاركت أساطيله في معارك الجهاد ضد البرتغال وقاد الأسطول الموحي غانم بن مردنيش ودمر بعض سفن البرتغاليين وذلك في عام (575هـ / 1180م) وتبادل الطرفان النصر والهزيمة في حروب البحر، وقد أسر في إحداها غانم وأخوه أبو العلا وأطلقا بقدية كبيرة وأراد الخليفة قيادة الجيوش بنفسه لتأديب البرتغاليين فعبر للأندلس وحاصر مدينة لشبونة براً وبحراً، ثم حاصر مدينة شنترين، إلا أنه أصيب بهزيمة منكرة، واستشهد على أثرها عام (580هـ / 1185م) ومن أشهر قادة أساطيله أمير البحر أبو العباس الصقلي، وعلي بن الرويتر اللذان قادا أساطيله في معارك الجهاد وفي عهد الخليفة يعقوب المنصور (580 - 595هـ / 1199م) تعاون الأسطول البرتغالي مع الأساطيل الصليبية الأخرى الفرنسية والألمانية لمهاجمة ثغور الأندلس الغربية وخاصة مدينة شلب التي سيطروا عليها عام (585هـ / 1189م)، مما صعب أمر الأسطول الموحي، وتمكن الخليفة من الرد عليهم بعبوره وقواته للأندلس وهاجم أساطيل البرتغال في غربي الأندلس وانتصر عليها وذلك في عام (586هـ / 1190م)، وتم له استرداد مدينة شلب وقصر أبي دانس، وفي عهد الخليفة الناصر (595 - 611هـ / 1215م) سيطرت الدولة الموحدية على الجزائر الشرقية عام (599هـ / 1203م) بعد إعداد حملة بحرية كبيرة خرجت من دانية بقيادة ابن عمه

أبي العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن، والتي أفلحت في هذه المهمة، كما هاجم الأسطول الموحدى مملكة أرغون وأحرز النصر على أساطيلها عام (607هـ/1210م)، وبعد هزيمة الأسطول الموحدى في معركة العقاب سنة (609هـ/1212م)، بدأت المدن الأندلسية تسقط بأيدي الممالك الإسبانية<sup>(1)</sup>.

خامسا. الجهاد البحري في عهد الحفصيين والزيبانيين والمرينيين:

1. في عهد الحفصيين (626-981هـ/1229-1574م):

اهتم الحفصيون بالجانب البحري كغيرهم من الدول التي بسطت نفوذها على هذه الرقعة الجغرافية من بلاد المغرب بحكم أن منطقة المغرب الأدنى يحدها البحر المتوسط شرقا وشمالا، وذلك اتقاء للغارات التي كان يشنها النصارى على بلادهم، وبما أن تونس معروفة بامتلاكها دار صناعة السفن، التي بناها الفاتحون الأوائل، لم يكن من الصعوبة إنشاء أسطول بحري، وما زاد الأخير دعما هو منطقة بجاية وضواحيها الغنية بغابات الأشجار وحسب ابن خلدون فإن الأسطول الحفصي كان ضعيفا مقارنة بقوة الأساطيل النصرانية، وأرجع ذلك لضعف الدولة وعدم إلمامها بالجانب البحري وخباياه، فقال " ثم تراجع عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر"<sup>(2)</sup>، لكن هذا لا ينفي أن الأسطول البحري قد اضطلع بمهمات هي:

أ. صد هجمات الدول الأوروبية، مثل الحملة الصليبية على تونس سنة (668هـ/1270م) بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا، لكنها منيت بالفشل إثر وفاته<sup>(3)</sup>. كما تم احتلال جزيرة جربة سنة (683هـ/1284م) من طرف الإسباني روجيردو لوريا وبنوا بها حصن القشتيل، ولما اطمأن النصارى لمتانته

(1) - خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 417 - 418.

(2) - عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ ... المصدر السابق، ج1، ص 317.

(3) - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماخ، الأدلة البيئية النورانية من مفاخر الدولة الحفصية، تح وتوق: الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب: تونس، (1984م)، ص ص 67-68؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية: تونس، ط1، (1872م)، ص 25.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

غدا ملجأ لسفهم ومركزاً لتهديد السواحل التونسية وسيطرت حامياته على سكان الجزيرة. وعندما أحس الحفصيون بخطر هذا الحصن على دولتهم، حاولوا طرد الحامية الإفريقية منه وهدمه، فغزاه أبو يحيى زكرياء اللحياني في أيام أبي عصيدة الحفصي سنة (706هـ/1306م) وهي الحملة التي صحبه فيها التجاني صاحب الرحلة، فحاصره شهرين ثم رفع عنه الحصار حين شعر بعجزه عن التغلب عليه. وفي (738هـ/1337م) حاصر أبو بكر الثاني حصن القشتيل حتى تغلب على حاميته وطهر جزيرة جربة من الاحتلال الأجنبي<sup>(1)</sup>.

وشهدت سنوات (685-686هـ/1286-1287م) غارات على جزر قرقنة وساحل سوسة والمهدية وكان النصارى يحرقون ويقتلون ويهجون ويقتادون الأسرى، وكان الأهالي يردون بإعلان الجهاد ضدهم<sup>(2)</sup>.

في سنة (714هـ/1314م) فكر خايم الثاني باعتباره الصديق الرسمي لسلطان تونس بن اللحياني في مشروع احتلال الدولة الحفصية متعللاً بأمل اعتناق سلطانها للدين المسيحي. حتى أن الجند المسيحي العامل في خدمة سلطان تونس يظهر بمظهر السلك الملحق بالجيش الأروغوني. كما قدم الأسطول الأروغوني مساعدات للحفصيين مقابل تعويضات مالية، حتى أنّ الاسبانيين من رعايا الأروغون هم الذين كانوا يقومون بدور المنصرين في البلاد الحفصية<sup>(3)</sup>. وفي أواخر القرن (8هـ/14م) قاموا بحملات تآديبية على القل، عنابة، دلس، وأيضاً ضد المغاربة الذين كانوا يقومون بغارات ضد السواحل الإسبانية، وفي عام (828هـ/1424م) هاجم ملك الأروغون أرخبيل قرقنة، كما

(1) - أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، الرحلة، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب: تونس، (2005)، ص ص 128-132.

(2) - عبد الرحمان الدباغ وأبو القاسم بن ناجي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ج 4، ح 4، دار الكتب العلمية: بيروت، ط 1، (2005م)، ص 58.

(3) - روبرار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تعريب: حمادي الساحلي، ج 2، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط 1، (1988م)، ص 455.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

هجم ألفونسو الخامس بنفسه على جزيرة جربة سنة (836هـ/1432م)، فأجبره السلطان أبو فارس على الانسحاب وقد كانت هذه الحملة تمثل آخر هجومات مسيحي قبل القرن (10هـ/16م)<sup>(1)</sup>.

ب. العمليات الجهادية التي قادها الأسطول الحفصي ضد السواحل النصرانية مثل: مالطة وغودش والسواحل الإيطالية<sup>(2)</sup>، ولما تولى السلطان أبو العباس أحمد الحفصي حُكم البلاد عام (773هـ/1370م)، قضى على الأسطول الجنوي الذي هاجم المهديّة<sup>(3)</sup>، ولما تولى أبو فارس عبد العزيز (797-838هـ/1394-1434م) غزا أسطوله صقلية، وغنم مغانم كثيرة، ونجح في ترحيل النصارى عن جزيرة جربة بعد أن غزوها ونزلوا بها<sup>(4)</sup>.

ج. تقديم الدعم والعون لإخوانهم المسلمين، كما فعل أبو زكرياء الحفصي الذي أرسل أسطوله محملاً بالمؤونة والأسلحة والمال بقيادة أبي يحيى بن أبي حفص، وكانت قيمة ما بعث به مائة ألف دينار<sup>(5)</sup>. وفي النصف الأول من القرن (8هـ/14م)، أمد أبو بكر الحفصي صهره السلطان أبا الحسن المريني بأسطول حربي مساعدة له في حربه ضد التكتل النصراني في وقعة طريف، وكان هذا الأسطول مكوناً من 16 سفينة تحت إشراف قائد البحر ببجاية زيد بن فرحون<sup>(6)</sup>.

(1) - نفسه، ج 1، ص 253-262.

(2) - نفسه، ج 2، ص 95.

(3) - محمود السيد، تاريخ إفريقية القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، (2006 م)، ص 233-234.

(4) - أحمد بن أبي عامر، الدولة الحفصية، دار الكتب الشرقية، تونس، (1974م)، ص 53؛ عبد الرحمان الدباغ وأبو القاسم بن ناجي، المصدر السابق، ج 4، ص 203-205.

(5) - محمد المطوي العروسي، السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، (1986)، ص 138.

(6) - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تح وتعل. جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج 3، دار الكتاب، الدار البيضاء: المغرب، (1955م)، ص 135.

2. في عهد الزيانيين (631-961هـ/1234-1554م):

تنسب هذه الدولة لزيان بن ثابت بن محمد من بني طاع الله، وكان يغمراسن أول ملوكها<sup>(1)</sup>، اتخذت من المغرب الأوسط مقرا لها ومن تلمسان عاصمة لدولتها وظلت قائمة مدة 294 سنة<sup>(2)</sup>.

شهدت منطقة المغرب الأوسط جوا من الاضطرابات نتيجة الصراع السياسي لتكون بدورها لقمة سائغة في يد الإسبان بدافع ديني امتدت جذوره منذ الحملة الإسلامية الأولى لفتح الأندلس فقد كانت سفن الإسبان تخوض عباب مياه المتوسط لتبسط سيطرتها على موانئ هذه الدولة واثرائها<sup>(3)</sup>، وأمام واقع هذا الأمر وخطره على موانئ الدولة حاولت الأخيرة تخطي كل المشاكل الداخلية لتسجل على صفحات التاريخ في بلادنا أنشودة فخر ينطق بها فم الدهر<sup>(4)</sup>، عن طريق الجهاد البحري كرد فعل على عملية القرصنة الأوروبية المماثلة لذلك في الطرف الآخر، فقد كانت السفن الجزائرية تغير على جزر يابسة وميورقة ومنورقة وحتى شواطئ إسبانيا وهو ما دعى بالملك الكاثوليكي "فرديناند" إلى إرسال أسطول عظيم لحصار الجزائر وفرض خراج عليهم مقابل هدنة طالبوا بها<sup>(5)</sup>.

كان لقرب المسافة بين الضفتين التي كانت لا تتعدى أربعة وعشرون ساعة خلال القرن (10هـ/16م) أثره في تسهيل مهمة الهجوم وغالبا ما كانت

(1) - مبارك بن محمد المليي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، دار الغرب الإسلامي: لبنان، (د. س. ن.)، ص 439.

(2) - صالح خليل، خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة العقيد الحاج لخضر: باتنة، (2007)، ص 3.

(3) - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج 1، منشورات الحضارة: الجزائر، (2009)، ص ص 62-67.

(4) - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، (2001)، ص 66.

(5) - علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ/16-8م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة: الجزائر، (2017)، ص ص 481-484.

الغارات بين العدوتين تتم في الليل ولم تكن مقتصرة على سفن المسلمين فقط وهو ما أدى إلى وقوع عديد الأسرى في يد الطرفين ودفع بهما إلى إمضاء معاهدات لشراء الأسرى بثمن مدفوع نقدا أو عينا<sup>(1)</sup>، فمثلا في سنة (834هـ/1430م) هاجم المجاهدون السفن الجنوية. ومن هذه السنة تحديدا تراجع الجهاد البحري المغربي لصالح قرصنة الجنويين والبنادقة وكل هذا راجع للتخلف الاقتصادي، وفي سنة (869هـ/1464م) كان قد أحضر إلى مدينة تلمسان أحد عشر نفرا من الفرنج أسروا من سواحل هنين بعدما وردوا إليها بمركب من أجل خطف المسلمين وهو ما يؤكد وجود مناورات عدائية بين الطرفين<sup>(2)</sup>، ولكن هذا لا ينفي وجود علاقات دبلوماسية بينهما جسدها تواجد سفراء عدة شغلوا وظيفة القائد الأعلى<sup>(3)</sup>، ويظهر ذلك جليا أيضا من خلال عملية تسريح الأسرى التي كانت تتم عن طريق التفاوض أو تبادل الأسرى أو بالفدية فغالبا ما كان سلاطين تلمسان يستعوضون عن القناصل بالتجار المسيحيين أو قواد الميليشيات في بعثاتهم نحو ملوك الدول المسيحية فكانت هناك سلسلة من المراسلات والتي تبرز الجزء الخفي من العلاقات بين الطرفين<sup>(4)</sup>، ومع هذا فقد اقتصر الجهاد البحري الزياني في معظم الأحيان على العون المادي فقط للأندلسيين<sup>(5)</sup>.

(1) - مختار حساني، المرجع السابق، ج1، ص 63.

(2) - علي عشي، المرجع السابق، ص ص 483-484.

(3) - حمزة عبد الصمد، أهل الذمة في الدولة الزيانية (633-692هـ/1235-1554م) دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران1، أحمد بن بلة: الجزائر، (2017)، ص 39.

(4) - إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد: تلمسان، (2007)، ص ص 116-117.

(5) - عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين: تاريخها، وسياساتها اتجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1465م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية: فلسطين، (2003)، ص ص 166-167.

### 3. في عهد المرينيين (641-869هـ/1244-1465هـ):

تنسب هذه الدولة لمرين بن ورتاجن بن ماخوخ وهي فخذ من قبيلة زناتة<sup>(1)</sup>، اتخذت من المغرب الأقصى قاعدة ومستقرا لها ودامت 358 سنة<sup>(2)</sup>.

كان الدور الكبير لسلاطينها اللذين حاولوا طيلة عهد دولتهم الاحتفاظ بقيادة الأسطول الإسلامي في غرب المتوسط ضد الممالك النصرانية الإسبانية المعادية بسلسلة من المعارك والحروب والإجراءات العسكرية التي رافقتها العديد من اتفاقيات الصلح والهدنة بوتيرة ارتبطت غالبا بالوضع المريني الداخلي. قاد في بادئ الأمر الجهاد البحري السلطان المريني "يعقوب بن عبد الحق" موجها عديد المعارك ضد الإسبان واستكمالا للعملية الجهادية التي سار عليها الأخير فقد عزم ابنه "السلطان يوسف" على مواصلة مسيرة والده، ففي جمادى الأولى من سنة (690هـ/1291م) نشبت بينه وبين القشتاليين معركة هزم فيها ولكنه لم يفشل بل عاد ليدسط سيطرته على المنطقة بعد انسحاب قوات العدو من المضيق<sup>(3)</sup>، و كانت المعارك التي خاض المرينيون غمارها تهدف أساسا لتأمين العبور أمام هجمات الإسبان المتعددة متخذين من الجزيرة الخضراء مركزا للعمليات الجهادية في الأندلس<sup>(4)</sup>.

كانت الأساطيل المرينية تتمركز في عديد المناطق وكانت الأخيرة غالبا ما تقوم بمناورات حربية قبل القتال أو بعده وكان حشد الجيوش يتم طبق نظام خاص بحيث تتألف الكتائب من قبائل وطوائف تنتقل في عرض البحر حسب انتمائها وكانت راية الجيش هي راية الملك نفسها بيضاء مطرزة بالذهب

(1) - نميش سميرة، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7-10هـ/13-16م)، رسالة ماجستير في تاريخ حضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبو بكر بلقايد: تلمسان، (2014م)، ص 12.

(2) - صالح خليل، المرجع السابق، ص 3.

(3) - عامر أحمد عبد الله حسن، المرجع السابق، صص 166-184.

(4) - عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق: بيروت، ط1، (1983م)، ص 70.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

ومكتوب عليها آيات من الذكر الحكيم، فمن بين القادة البحريين اللذين ذاع صيتهم آنذاك نذكر منهم لا الحصر (سليمان بن داود -محمد بن يوسف- يحي الرنداحي...الخ)<sup>(1)</sup>.

بلغت البحرية المرينية ذروتها في عهد السلطان "أبي الحسن علي المريني" الذي قدر أسطوله ب 600 قطعة، حيث قام بإنشاء المحارس والمناظر وأبراج المراقبة ليحُول دون دخول سفن العدو<sup>(2)</sup>، وقام بتحسين القواعد البحرية على الضفة الأندلسية المقابلة وأهمها جبل طارق الذي حرره من أيدي القشتاليين سنة (733هـ/1333م) بعدما قام بتحصينه، وخاض بأسطوله معارك بحرية عديدة ضدَّ أساطيل أراجون وقشتالة فانتصر في بعضها وانهمز في البعض الآخر<sup>(3)</sup>، ولكن هذا الأسطول تراجع بفعل الفتن الداخلية التي أنهكت كاهل الدولة المرينية على حساب التحديات الخارجية وعلى رأسها القرصنة الأوروبية فاضطرت الدولة للتوقف عن التدخل في سواحل الأندلس إلى أن صارت معظم العناية بالنشاط الحربي مقصورة على حركة الجهاد البحري الشعبي منذ القرن (9هـ/15م) أين كان للمجاهدين المرينيين دور فعال في صد هجمات المسيحيين وكان قائد الأسطول الأعلى تحت إشراف الوزير غالباً<sup>(4)</sup>.

بالرغم من الانتصارات التي حققها الأسطول المريني تحت راية الجهاد البحري، إلا أن سقوط جبل الفتح (جبل طارق) سنة (867هـ/1463م) كان إيذاناً بانقطاع الجهاد المغاربي ضد النصارى الإسبان وتُركت غرناطة بذلك لمصيرها تحت رحمة ضربات الممالك النصرانية الإسبانية<sup>(5)</sup>.

(1) - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة: الدار البيضاء، (2009م)، ص ص 117-118.

(2) - وفيق بركات، المرجع السابق، ص 121.

(3) - عبادي وسالم، المرجع السابق، ص 294.

(4) - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 117.

(5) - عامر أحمد عبد الله حسن، المرجع السابق، ص 196.

نتائج الدراسة:

ومما سبق يمكن القول:

إن تتبع الأدوار التاريخية لأساطيل بلاد المغرب يعتبر أمرا مهما لمعرفة مدى إسهامها في القوة السياسية والاقتصادية، وكذا الضرورة التي دعت لإنشائها، ومشروعية عملها في المجال البحري وتمييزه عن القرصنة، ومن خلال هذا توصلنا لنتائج أهمها:

- كان لزاما على المسلمين المحافظة على ما أنجزوه من فتوحات في بلد مصر والشام ومواصلة نشر الرسالة الإسلامية لكن التفوق البحري للبيزنطيين وقف عائقا أمامهم.
- تولى سيدنا عثمان بن عفان أمر المسلمين فأجاز بناء السفن والجهاد البحري، فكانت معركة ذات الصواري باكورة الجهاد البحري في غرب البحر الأبيض المتوسط وإيدانا بانتهاء السيطرة البيزنطية عليه.
- يعتبر الصراع الإسلامي البيزنطي صراعا حضاريا لذلك حافظ المسلمون على وتيرة الجهاد برا وبحرا.
- اعتبرت بلاد المغرب الإسلامي بالنسبة للبيزنطيين قواعد خلفية لتنظيم صفوفهم، قبل تمكن المسلمين من إنشاء دار لصناعة السفن في تونس.
- كان للأغالبة شرف مواصلة الجهاد البحري ودعم نفوذهم السياسي والاقتصادي في غرب البحر الأبيض المتوسط.
- غدت أغلب الصراعات بين البيزنطيين والفاطحين المسلمين بحرية، بعد السيطرة الإسلامية على معظم اليابسة.
- رفع العبيديون مستوى الأسطول البحري في بلاد المغرب الإسلامي بتأسيسهم لعاصمة بحرية "للمهدية" لمواجهة الأساطيل المسيحية وكذا الأساطيل الأندلسية الأموية.

## المسار التاريخي للجهاد البحري في المغرب الإسلامي

- كان لزاما على الزيريين والحماديين ملأ الفراغ السياسي والعسكري الذي خلفه رحيل العبيديين إلى مصر.
- رغم كون المرابطين أهل صحراء، إلا أن التقاليد البحرية المتوارثة في بلاد المغرب مكنتهم من التعامل مع الأسطول البحري وتوحيد الأندلس تحت رايتهم.
- أسقط عبد المؤمن بن علي دول بلاد المغرب ووحده المنطقة تحت حكمه وسيطر على أساطيلهم وغدت دولته الحامية لبلاد المغرب وشاركت في معارك ضد المسيحيين في المشرق والمغرب.
- رغم تفكك الوحدة السياسية لبلاد المغرب الإسلامي بعد سقوط الموحيدين إلا أن كلا من الدولة الحفصية والزيرية والمرينية كان لها أسطولها الخاص لمداخلة الهجمات المسيحية.

قائمة البيبلوغرافيا:

أولاً. المصادر والمراجع العربية والمعربة:

- (1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة. محمد يوسف الدقاق، ج8، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، (1987م).
- (2) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة: لبنان، ط3، (1993م).
- (3) بن أبي عامر أحمد، الدولة الحفصية، دارالكتب الشرقية، تونس، (1974م).
- (4) ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير، دار صادر: بيروت، ط2، (1988).
- (5) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، تحقيق. خليل شحادة، دار الفكر: بيروت، ط2، (1408هـ/1988م).
- (6) ابن خلدون، المقدمة، دار القلم: لبنان، ط7، (1989م).
- (7) ابن عبد الرزاق بن محمّد محمد ، كُرد علي: خطط الشام، ج1، مكتبة النوري: دمشق، ط3، (1403هـ/1983م).
- (8) ابن عبد الله الخلف سالم ، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، ط1، (1424هـ/2003م)، ج2.
- (9) ابن قتيبة محمد أبو عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، ج2، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع: القاهرة، (د.ت.ن).
- (10) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، الأدلة البينة النورانية من مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم: الطاهر محمد المعموري، الدار العربية للكتاب: تونس، (1984م).

- 11) أبو عُبيَّة طه عبد المقصود عبد الحميد، موجز عن الفتوحات الإسلامية، ج1، دار النشر للجامعات: القاهرة، د.س.ن.
- 12) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تح وتعل. جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء: المغرب، (1955م).
- 13) أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: بوجمعة مكري وخالد زواري، ج1، دار المنهاج: جدة، ط1، (1428هـ/2008م).
- 14) أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، الرحلة، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب: تونس، (2005).
- 15) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، عالم الكتب: بيروت، ط1، (1409هـ).
- 16) إحسان عباس، العرب في صقلية دراسة في التاريخ والأدب، ج1، دار الثقافة: بيروت، ط1، (1975).
- 17) أرشيبالد. د. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، تعريب: أحمد محمد عيسى، مراجعة. وتقديم. محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية: مصر.
- 18) بركات وفيق، فن الحرب البحرية في التاريخ الإسلامي، منشورات جامعة دحلبي، معهد التراث العلمي العربي: حلب، (1995م).
- 19) البكري، المسالك والممالك، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1992م).
- 20) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق. إحسان عباس، ج5، جمعية المستشرقين الألمانية: بيروت، (1400هـ/1979م).
- 21) بلحميسي مولاي، البحر والعرب في التاريخ والأدب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية: الجزائر، 2005م.

- (22) بوروية رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية: الجزائر، ( 1977م).
- (23) التجاني، رحلته، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب: ليبيا، تونس، (1981).
- (24) حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج2، دارالرشاد الحديثة: الدار البيضاء، (2009م).
- (25) حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج 1، منشورات الحضارة: الجزائر، (2009).
- (26) الجميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ج1، مؤسسة ناصر للثقافة: بيروت، ط2، (1980م).
- (27) الحموي محمد ياسين ، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الشرقي: دمشق، (1945م).
- (28) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عوَّاد معروف، ج2، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، (2003م).
- (29) روبر برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تعريب: حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1، (1988م) ، ص455. الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مطبعة الدولة التونسية: تونس، ط1، (1872م).
- (30) الزاوي الطاهر، ولاية طرابلس من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركي، دار الفتح للطباعة والنشر: بيروت، السيد محمد الرماح: ليبيا، ط1، (1970).
- (31) زغلول سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) ، ج1 منشأة المعارف: الإسكندرية، (1993م).
- (32) سالم عبد العزيز والعبادي أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب وأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، (1969م).

- (33) السامرائي خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ج1، دار الكتاب الجديد المتحدة: بيروت، ط1، (2000م).
- (34) سوادى عبد محمد وعمار صالح الحاج، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، مكتب المعري للنشر وتوزيع المطبوعات: مصر، ط1، (2004).
- (35) السيد محمود ، تاريخ إفريقية القديم والحديث، مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية، (2006 م).
- (36) الاصطخري، المسالك والممالك، ج1، دار صادر: بيروت، (2004م).
- (37) عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ج1، دار السلام: القاهرة، ط1، (1428هـ).
- (38) عبد الرحمان الدباغ وأبو القاسم بن ناجي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ج4، ج4، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، (2005م).
- (39) العروسي محمد المطوي، السلطنة الحفصية، تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، (1986).
- (40) عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق: بيروت، ط1، (1983م).
- (41) عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع: القاهرة، (2007م).
- (42) عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط2، (1411هـ/1990م).
- (43) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ج1، دار صادر: بيروت.
- (44) مارسية جورج، بلاد الغرب وعلاقتها بالشرق في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة. مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الأنصار: الإسكندرية، (1999م).

- (45) المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، (2001).
- (46) المراكشي ابن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة. إحسان عباس، ج1، 4ج، دار الثقافة: لبنان، ط3، (1983).
- (47) المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع : القاهرة، (1994م).
- (48) المغربي بن سعيد ، الجغرافيا، تحقيق وتعليق. إسماعيل العربي، المكتب الحجازي للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ط1، (1970م).
- (49) المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق. محمد اليعلاوي، ج2، دار الغرب الاسلامي: بيروت، ط2، ( 1427هـ/2006م).
- (50) مؤنس حسين ، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، (الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية)، الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع: مصر، (1993م).
- (51) الميلي مبارك بن محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، دار الغرب الإسلامي: لبنان، (د.س.ن).

### ثانيا. الأطروحات والرسائل والمذكرات الأكاديمية :

- (1) إدريس بن مصطفى، العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد: تلمسان، (2007).
- (2) عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين: تاريخها، وسياستها اتجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ /1269-1465م)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية: فلسطين، (2003).

- 3) عبد الصمد حمزة ، أهل الذمة في الدولة الزيانية (633-692هـ/1235-1554م) دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 1، أحمد بن بلة: الجزائر، (2017).
- 4) عشي علي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ/8-16م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة: الجزائر، (2017).
- 5) كليل صالح، خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة العقيد الحاج لخضر: باتنة، (2007).
- 6) نيمش سميرة، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (7-10هـ/13-16م)، رسالة ماجستير في تاريخ حضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة أبو بكر بلقايد: تلمسان، (2014م).

### ثالثا. المقالات والمجلات العربية:

- 1) سعد سامي سلطان، دراسة عن رسالة البابا جريجوري السابع إلى العاهل الحمادي الناصر بن علناس في عام (469هـ/1076م)، في مجلة الدراسات التاريخية: ع1، الجزائر.
- 2) سعيود إبراهيم ، القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة، القرصنة الإيطالية نموذجاً، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات: ع 11، جامعة غرداية: الجزائر، (2011م).

### رابعا. المعاجم والقواميس العربية:

- 1) بن عبد القادر السقاف علوي وآخرون، الموسوعة التاريخية موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا الحالي، موقع الدرر السنية، ج3.

(2) عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي، معجم المُعَالِمِ الجُغْرَافِيَّةِ فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ج1، دار مكة للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، ط1، (1402هـ/1982م).

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، دار صادر: بيروت، ط2، (1995م).

(4) مجموعة مؤلفين، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ج 10.

خامسا. المواقع الإلكترونية:

(1) القوة البحرية في المغرب الإسلامي بعد الفتح إلى قيام الدولة الموحدية، مجلة دعوة الحق، ع118.

http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2824 على الساعة  
22:08 يوم 2018/8/25.

سادسا. الندوات :

(1) منيمنه حسين، «الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي مرحلة التأسيس، في كتاب ندوة الجهاد البحري في التاريخ العربي الإسلامي، جمعية أبي رقرق، اللجنة المغربية للتاريخ البحري: سلا، (أيام 30-3ماي و1-2 يونيو 1997م).

1. مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط
2. معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)
3. الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط
4. الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة- أنموذجا

مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي  
في العصر الوسيط

---

مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي  
في العصر الوسيط

Coastal Defensive Fortifications In The Islamic East And West  
In The Middle Ages

أ. د. فاطمة الزهراء مالكي

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

malk.hist16@gmail.com /f.malki@univ-chlef.dz

---

ملخص البحث:

نتناول بالبحث موضوع مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وذلك رغبة منا في إظهار قوة الدولة الإسلامية في حماية أراضيها من ناحية البحر. من التحصينات الدفاعية من المشرق حصن المثقب، وحصن التينات، وإسكندرونة، وقلعة عكا وغيرها، ومن تحصينات المغرب رباط سوسة وحصن أرشقول وبجاية، وحصون صقلية وغيرها كثير، ولكل حصن مميزاته الخاصة، ومن المميزات العامة القوة والحصانة، والموقع، والدفاع، وتنوع التنظيمات وغيرها، ومن نتائج البحث نجد أن المسلمين عرفوا ضرورة الاهتمام بالتحصينات الدفاعية لفائدتها الكبيرة. وهذا تأكيد لمبدأ القوة في الجهاد عموماً والجهاد البحري خاصة.

كلمات مفتاحية: تحصينات، حصن، قلاع، سور، دفاع، العصر الوسيط.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

---

### **Abstract:**

The research is about the advantages of coastal defensive fortifications in the Middle East and the Islamic West , I want from the research to show the strength of the Islamic State in protecting its lands from the sea side. Among the defensive fortifications of the Orient: Al-Muthaqaba Fortress, Al-Tinat Fortress, Alexandretta, Akko Castle and others. Among the fortifications of the west are the Ribat of Sousse, the fortress of Archequ and Bejaia, the fortresses of Sicily and many others.

Each fort has its own characteristics, and the general features include strength and immunity, location, defense, diversity of organizations, and others. At the results we find that Muslims knew the need to pay attention to defensive fortifications for their great benefit. This is an affirmation of the principle of strength in jihad in general and naval jihad in particular.

**Keywords:** Fortifications, fortress, castles, wall, defense, the Middle Ages.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

مقدمة:

تعد التحصينات الدفاعية من المواضيع الهامة في ميدان البحث، خاصة البحث التاريخي والعسكري، وهي أيضا هامة في حياة الفرد منذ القديم، لما لها من فائدة في حماية الأشخاص. وهي تدل على الأمن والأمان. عُرِفَت منذ القديم خاصة في العهد الروماني وربما قبلهم لما نراه من آثار شاهدة تدل على قوة تحصيناتهم. وسواء كانت التحصينات التي نراها اليوم من تشييد الرومان أو غيرهم، والتي استغلها المسلمون، أو بناها المسلمون، أو هناك ذكر لها في المصادر، ثم خربت فكلها هامة ودراستها لازمة لمعرفة أهميتها وأماكنها، وفائدتها الحربية.

وبناء على أهمية الموضوع تم اختيار عنوان البحث كالآتي: مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

فإلى أي مدى وفق المسلمون في اختيار أماكن التحصينات، وفي استعمال ما كان من بناء غيرهم، وماهي مميزاتهما؟ ومن خلال هذا الطرح أحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما المقصود بالتحصين؟

ماهي أهم التحصينات البحرية في المشرق الإسلامي؟ وفي الغرب الإسلامي أيضا؟

ماهي المميزات العامة لهذه التحصينات؟

البحث يتطرق بداية لتعريف بعض المصطلحات، ثم عرض لنماذج من التحصينات البحرية في المشرق، ونماذج أخرى في الغرب الإسلامي ببلاد

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

المغرب والأندلس، وفيه ذكر مختصر لمميزات التحصينات الدفاعية الإسلامية العامة في العصر الوسيط وأهمها ميزة القوة والحصانة، وميزة الموقع، ثم الدفاع، وأيضا ميزة التنظيم والتخطيط.

تكمن أهمية البحث في محاولة عرض نماذج لتحصينات عمرانية بحرية خاصة الحصون والقلاع والأسوار، من المشرق والمغرب، للوصول في الأخير إلى عرض مميزات هذه التحصينات. ومن الأهداف العامة في دراسة التحصينات مايلي:

- محاولة معرفة مدى استفادة المسلمين من الإنجازات العسكرية للأمم السابقة.

- معرفة مدى اهتمام الحكام والسلاطين بالحصون والقلاع والأسوار، وكل ما له علاقة بالتحصينات خاصة ناحية البحر.

- معرفة مدى قوة وحصانة حدود الدولة الإسلامية.

- معرفة أسماء الحصون وتحديد مواقعها، وأسباب سقوط بعضها ما أمكن.

- معرفة مدى الاستفادة من الحصون للمسلمين ولغيرهم أثناء حصارها أو سقوطها أو استرجاعها.

أعتمد في البحث على المنهج الوصفي بالدرجة الأولى خاصة في وصف الحصون والقلاع والأسوار من خلال المصادر التاريخية والجغرافية خاصة.

من صعوبات البحث في موضوع التحصينات الدفاعية الساحلية أو البحرية، حسب من كثير من الباحثين هو قلة الحديث عنها في المصادر، وهذا ما يصادفه أي باحث بحث في الموضوع فعليا، إذ يمكن كتابة صفحة حول بعضها، بينما لا يمكن تجاوز فقرة بخمس أسطر في البعض الآخر، خاصة مواضع الحصون

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

التي تحولت إلى قرى، أو مدن، أو الحصون التي خربت، أو التي ذكرت مرة واحدة في مصدر، أو مصدرين، ولم يعد لها ذكر غير ما تتناقله المصادر عن المصدر الوحيد الذي كتب عنها.

### 1. مصطلحات تتعلق بالتحصين:

من المصطلحات التي تدل على التحصينات الحصن، والرباط، والقلعة، والقصبة، وحتى الأسوار وغيرها مم يحتمى به، ونحاول تعريف أهم ثلاث مصطلحات ضرورية في التقديم للتحصينات البحرية:

**الْحِصْنُ:** وهو كلمة تعني لغة كل موضع لا يوصل إلى ما في جوفه، ويقال **حَصَّنَ** الموضع حصانة وأحصنته، وحصن وحصين<sup>(1)</sup>، وتقال كلمة التحصين في عدة مواضع منها قول العرب درع حصينة أي المحكمة<sup>(2)</sup>. جمع الكلمة حصون، يقال حصن القرية بمعنى بُني حولها<sup>(3)</sup>. ويقال للقصير أيضا حصن وهو **المُحَصَّنُ**، والمهم أن الحصانة والحصن تدل المنعة<sup>(4)</sup>.

وكلمة **الرباط** مأخوذة من الفعل الثلاثي ربط، وهو الربط المعروف، ومنه **رَبِطٌ** بمعنى شدة، و**الرِّبَاط** وهو ما ربط به وجمه **رُيُطٌ**، و**المربط** هو موضع الربط<sup>(5)</sup>.

(1) - الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي البصري، كتاب العين، ج3، تحقيق مهدي

المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دارمكتبة الهلال، دب، دت، ص118.

(2) - محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، ج4، ط1، تحقيق محمد عوض مرعب، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001م، ص 143.

(3) - زين الدين أبو عبد الله محمد الحنفي الرازي، مختار الصحاح، ط5، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة

العصرية والدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420هـ، 1999م، ص 75

(4) - محمد بن مكرم أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، ج3، ط3، حواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار

صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ، ص 119.

(5) - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، ج9، ط1، تحقيق عبد الحميد

هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ، 2000م، ص9، ص161.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

يذكر الفراهيدي أن الرباط تعني ملازمة ثغر العدو، والرجل في الرباط مُرَابِطٌ<sup>(1)</sup>، ومنها الرباطات وهي المبنية، ومنها أيضا رباط الخيل ومرابطتها<sup>(2)</sup>. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(3)</sup>. يرى الماوردي أن القصد من رباط الخيل فيه خمسة أقوال منها قوة السلاح ورباط الخيل إناثا وقوة ذكورها، ثم قوة التصافي واتفاق الكلمة، وأيضا الثقة بالله وأخيرا قوة الرمي<sup>(4)</sup>. وقال الله أيضا عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [ آل عمران: 200].<sup>(5)</sup> وتشير كثير من التفاسير إلى أن الرباط هو ربط الخيل في الثغور استعداد للغزو<sup>(6)</sup>. والقصد من الرباط تخويف العدو وإرهابهم، وإعلامهم بشدة قوة واستعداد المسلمين<sup>(7)</sup>.

وتُعرّف الأربطة اصطلاحا بأنها الحصون والمدن التي يربط فيها المسلمون للجهد في سبيل الله، وللدفاع عن أراضي المسلمين وحدودهم، وهي عبارة عن مراكز عسكرية يقطنها المجاهدون، ويتعبدون فيها أيضا، وتقع أغلب الأربطة على

(1) - الفراهيدي، المصدر السابق، ج7، ص 422.

(2) - الرازي، المصدر السابق، ص116.

(3) - سورة الأنفال، الآية 60.

(4) - علي بن محمد أبو الحسن البغدادي الماوردي، تفسير الماوردي المسى النكت والعيون، ج2، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، ص 329.

(5) - سورة آل عمران، الآية 200.

(6) - مجير الدين بن محمد العلي المقدي الحنبلي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج3، ط1، تحقيق وضبط وتخرجه نور الدين طالب، دار النوادر، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، دب، 1430هـ، 2009م، ص130.

(7) - محمد بن يوسف أبو حيان أثير الدين الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، ج5، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420هـ، ص 344. ينظر أيضا: محمد أبو جعفر ابن جرير الطبري، تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج11، ط1، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، وعبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، دب، 1422هـ، 2001م، ص247.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السواحل، وتكون بعض الحصون والقصبات والثغور في مناطق برية أيضا<sup>(1)</sup>. ويبدو أن مفهوم الرباط والحصن بدأ بإعداد القوة وتطور مع مرور الوقت والزمن إلى أبنية محصنة مهمتها الدفاع، أو التمرکز لانطلاق الفتوح والمغازي وغيرها خاصة أنا هناك اختلاف بين الباحثين في تحديد الفترة الزمنية لظهور الأربطة كمراكز بدقة.

ومن المصطلحات التي لها علاقة أيضا بالتحصينات مصطلح القلعة وهي الحصن الممتنع في جبل، وجمعها قِلاعٌ وقَلَعٌ وقِلَعٌ<sup>(2)</sup>. والمحرس وهو مكان الحرس ولحراسة، أما المنظر فهو بنفس وظيفة الحارس، والمناظر تكون في بلاد السواحل وهي مواضع الرباط<sup>(3)</sup>. وهناك مصطلح الطابية ويبني من السباع، وهو الطين الممزوج بالقش، ويعد حصنا بارزا<sup>(4)</sup>، وتعتبر من أصغر المباني العسكرية، وتستعمل للحماية والدفاع، ويشبهه القيقر، وهو أيضا سد ترابي يستعمل للحماية والدفاع يقبع خلفه الجنود<sup>(5)</sup>.

(1) - محمد نجيب خالف، "الأربطة"، مجلة آثار، العدد6، 2007م، ص90.

(2) - ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص290. ينظر أيضا: ابن سيده، المصدر السابق، ج1، ص218. الرازي، المصدر السابق، ص259.

(3) - محمد بن حمو، "الحصون والمحارس بضواحي تلمسان- دراسة إحصائية لبعض النماذج"، مجلة منبر التراث الأثري، المجلد6، العدد1، 2018م، ص101.

(4) - رينهارت بيترآن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، ج7، ط1، ترجمة محمّد سليم النعيمي، نشر وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 2000م، ص87.

(5) - صلاح عمر الصادق، طوابي المهديّة تراث ثقافي موروث، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد الرابع والعشرون، ديسمبر، 2000م، رمضان 1421هـ، ص218.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

### 2. التحصينات البحرية في المشرق:

يرى الباحث ناجي جلول أن كل السواحل خاصة من سورية إلى مصر مناطق تحصينات دفاعية، وهناك الكثير من التحصينات المشرقية<sup>(1)</sup>، ومن خلال البحث نذكر بعض التحصينات ومنها:

**حصن المثقب:** وهو حصن صغير على ساحل بحر الروم بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله، به منبر ومسجد ومصحف، وذكر البلاذري أن من بناه هو هشام بن عبد الملك على يد حسان بن ماهويه الأنطاكي، ووجد في خندقه حين حفر عظم ساق مفرط الطول فبعث به إلى هشام الخليفة<sup>(2)</sup>. ويبدو أن الحصن يقع بين حصنين أحدهما يسمى التينات، والثاني يسمى الملون فمن حصن التينات يبعد خمسة عشر ميلا، ثم حصن المثقب، ثم جزيرة البصى وهي جزيرة تختلط بالبر عشرة أميال، ومنها إلى حصن الملون خمسة عشر ميلا.<sup>(3)</sup>

**حصن التينات:** وهو حصن منيع بينه وبين حصن يسمى روسوس خمسة عشر ميلا<sup>(4)</sup>، وهو قريب من حصن المثقب على شاطئ البحرين بياس والمصيصة، أقام به أبو الخير التيناتي فنسب له<sup>(5)</sup>، ولكن يذكر الزهراني أن النسبة تعود

(1) - للمزيد ينظر: ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، السلسلة التاريخية، عدد9، الوزارة الأولى، كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999م، ص ص23-36.

(2) - عمر بن أحمد كمال الدين ابن العديم، بُغْيَةُ الطَّلَب في تاريخ حلب، ج1، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دب، دت، ص224.

(3) - محمد بن محمد الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج2، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1409هـ، ص546. ينظر أيضا: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988م، ص167. محمد أبو القاسم ابن حوقل البغدادي الموصل، صورة الأرض، ج1، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، لبنان، 1938م، ص182.

(4) - الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص546.

(5) - ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص223.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

لفاكهة التين، وهو جمع التينة<sup>(1)</sup>، فيه يجمع خشب الصنوبر الذي ينقل إلى الشام، وإلى مصر، وإلى الثغور<sup>(2)</sup>. يذكر ابن حوقل أن رجالا أقوياء جدا، لهم علم بمكائد ومهالك الروم، وبلدهم أقاموا بالحصن<sup>(3)</sup>.

أنطرطوس: حصن على بحر الروم ثغر لأهل حمص وبه كان مصحف عثمان بن عفان<sup>(4)</sup>. كان به برجان عظيمان، خرب في سنة 584هـ، على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي<sup>(5)</sup>.

حيفا: تقع حيفا على ساحر بحر الروم بين عكا وقيسارية، والمعروف أنها مدينة كبيرة، وهناك إشارة في المصادر إلى أنها حصن أيضا على "ساحل بحر الشام قرب يافا"<sup>(6)</sup>، وغير مذكور هل المدينة هي نفسها الحصن. وهذا الحصن من الحصون التي افتتحها صلاح الدين الأيوبي<sup>(7)</sup> سنة 583هـ<sup>(8)</sup>.

حصن أولاس: يقع الحصن من نواحي طرسوس<sup>(9)</sup>، ويسمى أيضا بحصن الزهاد<sup>(1)</sup> لوجود ناس يتعبدون فيه، ويشير ابن العديم أنه يقع على ساحل

(1) - مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، نسبة ومنسوب، ط1، د د، دب، 1435هـ، 2014م، ص229.

(2) - ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص223. الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص546.

(3) - ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص182.

(4) - إبراهيم أبو اسحاق ابن محمد الفارسي الإصطخري، المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، دارصادر، بيروت، لبنان، 2004م، ص61.

(5) - محمد شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج41، ط2، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1993م، ص ص31، 35.

(6) - محمد أبو بكر ابن عبد الله شمس الدين ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكنابهم، ج3، ط1، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1993م، ص351. ينظر أيضا: الزهراني، المصدر السابق، ص329.

(7) - أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، عيسى البابي الحلبي، دب، 1391هـ، 1976م، ص119.

(8) - عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م، ص432.

(9) - عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي صفي الدين، مرآة الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج1، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ، ص133.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

البحر في آخر بحر الروم من العمارة للمسلمين، ومنه أبو الحارث فيض بن الخضر بن أحمد التميمي الأولاسي، أحد الأولياء المشهورين<sup>(2)</sup>.

**الخروبة:** الخروبة واحدة الخروب، وهو نوع من الشجر، والخروبة حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا<sup>(3)</sup>. من العسكر الذين أقاموا بها عسكر صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة مرج عكا، وكان لديهم آلات الحصار في مراكبهم<sup>(4)</sup>، هي اليوم ليست معروفة بمعنى أن آثار الحصن انطمست ربما، أما تسمية خروبة فهي تطلق على قرية شرقي مدينة الرملة، وربما تكون هناك عدة تسميات لمواضع مختلفة<sup>(5)</sup>.

**الأحمر:** هو حصن بسواحل الشام، كان يعرف بعثليث<sup>(6)</sup>. وتنطق بفتح العين وكسر الثاء وكسر اللام<sup>(7)</sup>. والظاهر أن عثليث الحصن يقع بين قاقون وعكا، وقد أصبح الحصن العسكري بعد مدة كورة حسب ما ذكره وتضم قرى متسعة وأطلق على المنطقة عمل عثليث ربما نسبة للحصن إن بقيت آثاره في تلك الفترة<sup>(8)</sup>. وذكر أيضا عند القلقشندي بأنه ولاية.

(1) - ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله ابن عبد الله الرومي الحموي، ج1، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م، ص282.

(2) - ابن العديم، المصدر السابق، ج1، ص218.

(3) - القطيعي، المصدر السابق، ج1، ص462.

(4) - محمد بن سالم أبو عبد الله ابن واصل جمال الدين المازني التميمي الحموي، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، جمال الدين الشيبان، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1377هـ، 1957م، ص303.

(5) - عبد الله الحلو، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استنادا للجغرافيين العرب، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، 1999م، ص243.

(6) - وهناك ثلاث مواضع بنفس تسمية الحصن "الأحمر" ينظر:- محمد بن أحمد تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، دب، 1421هـ، 2000م، ص32.

(7) - القطيعي، المصدر السابق، ج2، ص920.

(8) - أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دب، 157.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

اسكندرونة: وهو حصن على ساحل بحر الروم صغير وبه نخيل<sup>(1)</sup>، يمكن ترجيح أن اسكندرونة بنيت بداية كحصن للمسلمين، مم يعني أن سبب بنائها عسكري، ومع مرور الوقت أصبحت مدينة لما ذكره الحميري من أنها مدينة أو حصن، وقد ذكر أن بينه وبين أنطاكية خمسة وأربعون ميلا، فيه زروع كثيرة وغللات، وبينها وبين المصيصة أربعون ميلا<sup>(2)</sup>. ومن إسكندرونة إلى بياس مرحلة خفيفة<sup>(3)</sup>. يذكر ابن قدامة أن السكك ما بين اسكندرونة وأنطاكية أربع سكك، ومن اسكندرونة إلى المصيصة سبع سكك<sup>(4)</sup>.

كِرْمَلُ: بكسر الكاف والميم وسكون على الواو وضمة على اللام، وحصن بساحل بحر الشام، بفلسطين، في آخر حدود الخليل<sup>(5)</sup>، ويقع الحصن على الجبل المشرف على حيفا، وكرمل اسم أيضا لقرية في آخر حدود الخليل من ناحية فلسطين<sup>(6)</sup>. كان الحصن قديما يعرف بمسجد سعد الدولة<sup>(7)</sup>، ولذلك ربما كان أول ما بني في موضع الحصن مسجد ثم تغير مع مرور الوقت إلى حسن لهدف عسكري، ثم لقرية مع استقرار الأمور.

زبطرة: هي حصن كان أقرب الثغور إلى بلد الروم، خربه الروم<sup>(8)</sup>. من ملطية وهي ثغر إلى زبطرة خمسة فراسخ، ومن زبطرة إلى الحدث، وهو ثغر في

(1) - الإصطخري، المصدر السابق، ص 47.

(2) - محمد أبو عبد الله ابن عبد الله بن عبد المنعم الجميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، 1980م، ص 56.

(3) - الإدريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 546.

(4) - قدامة أبو الفرج ابن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، الخراج وصناعة الكتابة، ط1، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981م، ص 129.

(5) - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، ج 30، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دت، ص 326.

(6) - صفي الدين القطيعي، المصدر السابق، ج 3، ص 161.

(7) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 456.

(8) - الإصطخري، المصدر السابق، ص 63.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

نحر العدو أربع فراسخ<sup>(1)</sup>. وقد ذكر الإصطخري أنه من حصن زبيرة إلى حصن منصور مسافة يوم، ومن زبيرة إلى حصن منصور إلى الحدث أيضا يوم<sup>(2)</sup>. وقد خرب الروم الحصن، وكانت في عهد ابن العديم على ما ذكره عبارة عن مدينة أوقرية للمسلمين، وفيها معدن الحديد بكثرة لأنه كان يجلب إليها<sup>(3)</sup>.

خريبة الغار: هو حصن بساحل بحر الشام<sup>(4)</sup>. وكلمة خريبة تصغير للخربة، ويتكرر غالبا بين تسميات بلاد الشام، ورغم ذلك يندر ذكره في المؤلفات الجغرافية، وبما أن ياقوت الحموي لم يحدد موقعه يصعب التعرف عليه اليوم، ونجد ما سمي بالخريبة كل من خريبة من قرى اللاذقية، والخريبة من قرى بانياس، وهناك أخرى في الداخل<sup>(5)</sup>.

قلعة عكا<sup>(6)</sup>: تقع عكا على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي قلعة حصينة كبيرة، بناها عبد الملك بن مروان، وزاد في تحصينها ابن طولون، قيل أنها فتحت في عهد عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان سنة 15 هـ، ثم خربت<sup>(7)</sup>.

كانت قاعدة للإفرنج بالشام، فتحها السلطان صلاح الدين الأيوبي في الثاني من جمادى الأولى عام 583 هـ الموافق ل 1187 م، وعندما أقام بها أمر

(1) - قدامة ابن جعفر، المصدر السابق، ص 115. ينظر أيضا:- عبید الله أبو القاسم ابن عبد الله المعروف بابن خرداذبة، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، لبنان، 1889 م، ص 216.

(2) - الإصطخري، المصدر السابق، ص 67.

(3) - ابن العديم، المصدر السابق، ج 1، ص 247.

(4) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 364. ينظر أيضا:- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411 هـ، 1991 م، ص 359.

(5) - عبد الله الحلو، المرجع السابق، ص 245.

(6) - تعني كلمة عكا تكرار الحديث، أو المماثلة بالحق، وأحيانا تعني صرف وحبس. ينظر:- الزبيدي، المرجع السابق، ج 27، ص 27.

(7) - مرفت عثمان، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، ط 1، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 1431 هـ، 2010 م، ص 201.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

بإحضار بهاء الدين قراقوش والمهندسين والبنائين، وكل ما يلزم لعمارة سور عكا، لزيادة تحصينها، فبني سور متين، وعمرت القصور والدور<sup>(1)</sup>.

ويعد سور عكا من أهم وأضخم الأسوار التحصينية في العالم، وهو يحيط بالمدينة بطول 2850 مترا، يتم الصعود إلى سطحه من خلال ممرين عريضين مبلطين يعلوهما عند ظهر السور برجان صغيران يطلان على المدينة، وخارج الصور يوجد خندق عريض وعميق جدا، وبعد الخندق يوجد سور آخر، ويمتد هاذين السورين المتوازيان من شرق المدينة إلى غربها، وكانت مياه البحر تفتح ليتم ملاً الخندق لزيادة التحصين ومنع الغزاة والمعتدين<sup>(2)</sup>. ومن ملحقات السور مخازن للمؤن والذخائر، وللسور بوابة واحدة تقع في الجهة الشرقية وتقفل مساء لتفتح في صباح اليوم الموالي؛ أما قلعة عكا فتقع في الجزء الشمالي من السور، وتتألف من برج الخزنة، ومرافق أخرى<sup>(3)</sup>.

صيدا أو صيدون: حصن صغير تقع على الساحل الجنوبي من لبنان في موقع صيدون سابقا، وهي محمية بالصخور الطبيعية، الأمر الذي أمن الحماية من الهجمات الخارجية، ورغم صغر الحصن عرف بالحصانة والقوة، كانت بصيدا المدينة أسوار قوية، تحرسها من جهة البر قلعة تسمى بقلعة المعز، بقي منها برج واحد، ويسمى الحصن بحصن البحر، أصيبت تحصيناتها في الزلازل وتضررت، ومن الحكام المهتمين بتحصينها وترميمها السلطان صلاح الدين الأيوبي، بعد فتحها سنة 583هـ/1187م، غير أن السلطان صلاح الدين

(1) - مرفت عثمان، المرجع السابق، ص 201.

(2) - جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ودار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2000م، ص ص 230، 231.

(3) - متى سمعان بوري ويوسف أحمد شبل، عكا: تراث وذكريات، ط1، دار الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992م، ص ص 30، 31.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

الأيوبي قام بهدم سورها مع أسوار طبرية ويافا وأرسوف، وقيسارية، وجبيل، لعلمه بنية الفرنج بالعودة للتحصن بها واحتلالها واستخدامها، ورغم أن سور صيدا كان مغريا إلا أن الفرنجة استولوا عليها سنة 625هـ/1227م، وأصبحت مناصفة بينهم وبين المسلمين، ثم استعادوا قلعة صيدا وقاموا بتحسينها من جديد، وساعدهم في ذلك تخريب الحصون القريبة منها، وبعد أن استعادها الفرنجة قاموا سنة 647هـ/1249م بإقامة قلعة البحر، وأضيفت دفاعات وتحصينات للمدينة والقلعة سنة 659هـ/1260م على يد الملك لويس التاسع ملك فرنسا، ثم خربت التحصينات مرة أخرى بهجوم صاحب أنطاكية عليها وكان فيها فرسان الداوية<sup>(1)</sup>. ومازالت قلعة البحر تحتفظ ببعض أطلالها الصليبية<sup>(2)</sup>.

حيفا: وهي حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا، بقي في يد المسلمين إلى أن تغلب عليه كندفري الذي ملك بيت المقدس في سنة 494هـ، وبقي إلى غاية فتح السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ، وقد خربه أيضا مثلما فعل مع صيدا خشية عودة النصارى<sup>(3)</sup>.

قلعة جبيل: قلعة بحرية يبدو أنها من بناء الإفرنج، حصينة كان معظم جوانبها داخلها في البحر، ولها اثنا عشر برجاً، حجازتها صلبة، وموصولة ببعضها، وذكر الإدريسي أن لها سور حجارة حصين<sup>(4)</sup>.

حصن بثرון: يقع على البحر بالقرب من جبيل ومنها على البحر إلى حصن بثرون عشرة أميال، قال عنه الإدريسي أنه حصن حسن<sup>(1)</sup>.

(1) - مرفت عثمان، المرجع السابق، ص ص 202، 203.

(2) - نفسه، ص 136.

(3) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 332.

(4) - الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 372.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

**قلعة المرقب:** شيدت في طرطوس بالقرب من مدينة بانياس الساحلية، فوق هضبة تقابل البحر مباشرة، تتكون من قلعة داخلية قوية وقلعة خارجية أكثر اتساعاً، ويحيط بها سور خارجي مزدوج جزئياً مرتبط داخلياً بأبراج عديدة مختلفة الأحجام والأشكال، أما القلعة الداخلية فهي صغيرة مستطيلة الشكل لها سور مزدوج، ويفصلها عن القلعة الخارجية خندق مائي، ودعمت الأسوار الخارجية بأبراج بارزة نصف دائرية لها مزاول<sup>(2)</sup>.

**قلعة عمان:** تعتبر عمان بلاد القلاع، وتشير المصادر إلى وجود أكثر من خمسمائة قلعة وبرج دفاعي، وتنتشر هذه القلاع على مدى اتساع البلاد في الركن الشرقي من شبه الجزيرة العربية المطلية على المحيط الهندي جنوباً وعلى مدخل الخليج العربي شرقاً، وكل هذا الكم من القلاع لحمايتها لأنها منفتحة على البحر من نواحي عدة، ولأن ضفة الفرس تقابلها من الناحية الأخرى، وخاصة في المنطقة التي تقترب عند مضيق هرمز، عموماً تتميز القلاع العمانية بالأسوار العالية، والإشراف على الممرات الجبلية والشطوط، وتوجد بها شرفات وشقوق للمراقبة وإطلاق السهام، ثم النيران، وفتحات لصب السوائل الحارقة في حال نزل عدو بشواطئها، وتعلو أبوابها أقواس وعقود متأثرة بالطرازين الهندي والفارسي خصوصاً الأقواس المخموسة أو نصف الدائرية، ويوجد على جانبي البوابة الضخمة برجان عاليان لتحصين الباب، وتبنى القلاع بالحجر القوي بألوان متناغمة مع لون المحيط، وهي التي تصمد، أما ما بني بالطوب الهش المصبوب فقد أثرت عليه الطبيعة إن بقيت منه أطلال<sup>(3)</sup>.

=

(1) - الإدريسي، نفسه.

(2) - محمد الجني، إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، ط1، الأكاديمية الحديثة

للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2007م، ص 21.

(3) - قاجة، المرجع السابق، ص 230.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

ومن أمثلة القلاع في عمان:

قلعة دَعَمَرُ: تعني كلمة دغمر والدَّغْمرة تخليط اللون والخُلُق<sup>(1)</sup>، وتعني أيضا إلى جانب الخلط، العيب واللؤم، والشراسة، والسوء<sup>(2)</sup>. وتقع قلعة دغمر على ساحل بحر عمان مما يلي قَلْهَاءَ<sup>(3)</sup>.

### 3. التحصينات البحرية في الغرب الإسلامي:

لاشك في أن الأربطة والتحصينات قد انتشرت في جميع أرض المسلمين مشرق ومغربان فمثلما انتشرت الأربطة والتحصينات في سواحل الشام وغيرها نجد سواحل البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلنطي، وقد عرفت انتشارا لها من سواحل الإسكندرية إلى غاية السوس الأقصى<sup>(4)</sup>. وقد عمل القادة المسلمون منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب على استغلال وتوظيف الحصون والمدن المحصنة المبنية في الفترة الرومانية، مع صيانة وترميم ما أتلف وخرب في بعضها، لكونها شيدت في أماكن محصنة، وذات مواقع استراتيجية، وللحاجة إليها في الحراسة إلى جانب الأربطة التي أسست لنفس الأغراض خاصة الدفاعية منها<sup>(5)</sup>. وشيدوا، أو أعادوا تشييد الكثير من الأربطة والتحصينات الأخرى، ومن الذين بنوها أبو إبراهيم أحمد بن أبي عقال الأغلب بن إبراهيم، كان مولعا

(1) - الفراهيدي، المصدر السابق، ج 4، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ص 465.

(2) - الزبيدي، المصدر السابق، ج 11، ص 302.

(3) - الحسن بن محمد بن الحسن الصفاني، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، ج 2، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، مراجعة محمد خلف الله أحمد، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، 1971م، ص 515.

(4) - محمد حقي، "تنظيم الرباطات بالمغرب الأوسط-رباط أسفي نموذجا"، مجلة عصور الجديدة، العدد 24-

25، صيف- خريف (أكتوبر) 1437-1438هـ/2016م، ص 77.

(5) - محمد نجيب خالف، المرجع السابق، ص 91، 92.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

بالعمارة، فبنى بإفريقية أكثر من عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس، وأبواب الحديد<sup>(1)</sup>.

من أهم أربطة وتحصينات بلاد المغرب:

رباط المَسْتِير: بكسر الميم تليها نون مفتوحة، هو رباط مشهور على ساحل البحر بين القيروان وتونس، كان يقطنه الصالحون من المرابطين المجاهدين المستعدين للجهاد<sup>(2)</sup>، بناه هرثمة بن أعين سنة 180هـ، كان محرسا من محارس سوسة بإفريقية، به بيوت، ومواجل الماء، مساجد، وقصاب عالية بطبقات، وهو حصن عالي البناء، متقن العمل، وبه أيضا مساكن كثيرة، وربض واسع، وحمامات، وبقره خمة محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين<sup>(3)</sup>.

رباط سوسة: كان لسوسة دور كبير في فتح جزيرة صقلية<sup>(4)</sup>. بها سور من حجر حصين، وتقابل سوسة جهة البحر جزيرة قورية<sup>(5)</sup>، بنى سورها زيادة الله بن الأغلب، وكان يقول: لا أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة، وذكر أعمالا ومنها بنيان حصن مدينة سوسة، وخارج سوسة محارس وأربطة، وداخلها محرس عظيم يسمى محرس القصب، وكان متصلا بدار الصناعة، وسوسة في مرتفع من الأرض حتى أن دورها ترى من البحر، ووراء سورها هيكل عظيم سماه البحريون الفنتاس، وهو أول ما يرى من البحر، ولهذا الهيكل أربع درج<sup>(6)</sup>.

(1) - محمود مقديش أبو الثناء الصفاقسي، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج1، ط1، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص323. ينظر أيضا- أحمد بن علي القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج1، ط2، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985م، ص235. ينظر أيضا:- علي بن أبي الكرم أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ط1، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1997م، ص71.

(2) - ابن ناصر الدين، المصدر السابق، ج8، ص284.

(3) - الحميري، المصدر السابق، ص551.

(4) - محمد نجيب خالف، المرجع السابق، ص94.

(5) - مقديش، المصدر السابق، ج1، ص137.

(6) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص283.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

شكل الرباط الحالي عبارة عن مستطيل أطواله 37.70 م/38.80م، الرباط مدعم بأبراج دائرية في زواياها الثلاثة، أي الزاوية الشمالية الغربية، والزاوية الشمالية الشرقية، والزاوية الجنوبية الغربية، أما الزاوية المتبقية فدعمت ببرج مراقبة علوه 61.15م، وفي أسوار الرباط أبراج نصف دائرية، مدخله منحني به سقطة للدفاع عليه، فالداخل للرباط بعد الباب يجد سقيفة بها غرف الحراسة، وتوجد قاعات ووحدات أخرى<sup>(1)</sup>.

**حصن أو قلعة إقليبية:** بالكسر ثم السكون وكسر اللام ، وياء ساكنة، وباء مكسورة، وياء خفيفة، وهي حصن قريب من قرطاجنة سمي بإقليبية لأنهم عندما أرادوا بناءه نقبوا في الجبل، وجعلوا يقلبون حجراته في البحر من أعلى الجبل، وقيل يمكن كتابتها بألف ممدودة "إقليبيا"<sup>(2)</sup> منهم من ذكرها باسم الحصن كالبغدادي<sup>(3)</sup> ، وكالإدرسي<sup>(4)</sup> ومنهم من ذكرها بقلعة كابن خلدون<sup>(5)</sup> وهي قلعة حصينة<sup>(6)</sup> على البحر شرق تونس، بينها وبين تونس تسعين ميلا (ابن سعيد الجغرافيا 143)<sup>(7)</sup> ، والمسافة من حصن اقليبية إلى المنستير قطع روسية

(1) - محمد نجيب خالف، المرجع السابق، ص 95.

(2) - صفى الدين القطيعي، المصدر السابق، ج 1، ص 105. ينظر أيضا: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 237.

(3) - البغدادي، نفسه، ج 1، ص 105.

(4) - الإدرسي، المصدر السابق، ج 1، ص 303.

(5) - عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج 8، ط 1، ضبط المتن وحواشي وفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ، 1981م، ص 571.

(6) - ابن خلدون، العبر، ج 5، ص 236.

(7) - على أبو الحسن ابن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط 1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م، ص 143. ينظر أيضا: نجوان أبو بكر محمد، تاريخ إفريقية السياسي والحضاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، دت، ص 126.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

مائة ميل، وهو مجرى وعلى التقویر مائة وعشرون ميل<sup>(1)</sup>. يذكر النويري أن إقليبية هي من أحصن قلاع إفريقية، وكانت لا تفتح إلا بعد الحصار الشديد<sup>(2)</sup>.

**حصن أرشقول -غرب الجزائر-**، وكان مسورا ضمن مدينة كاملة، بها جامع حسن فيه سبع بلاطات، وفي صحنه جب كبير، وصومعته متقنة البناء، وفيها حمامان أحدهما قديم، سعة سورها ثمانية أشبار، وأمنع جهاتها جوفها، وبها آبار عذبة لا تغور، ويقابلها جزيرة صغيرة في البحر تسمى أرشقول<sup>(3)</sup>. وهناك أيضا حصن أسلن ويقع شرقي أرشقول وهو حصين أيضا، عبارة عن مدينة قديمة علمها سور صخري، وبها جامع وسوق، ولها نهر يصب في البحر من شرقها<sup>(4)</sup>، ثم خربت فبعث إليها المنصور بن أبي عامر من بناها وعمرها، وهي قريبة من البحر<sup>(5)</sup>.

ونجد أيضا فكان وهي مدينة وحصن، وهي محصنة قريبة من أسلن إذ تبعد عنه بمرحلتين<sup>(6)</sup>. ونجد حصن الوردانية، وهو على جبل بساحل البحر، ومنه إلى حصن هنين أربعة أميال، وهو في موقع جيد، كما أنه أكثر الحصون به بساتين، وأنواع الثمر<sup>(7)</sup>، ويوجد قريبا منه حصن يسمى الفروس ويبعد عنه ميلان<sup>(8)</sup>، وهنين وتقع شمالها مدينة تلمسان<sup>(9)</sup>، وهي أيضا مدينة محصنة

(1) - الإدريسي، المصدر السابق، ص 303.

(2) - أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 1423هـ، ص 238.

(3) - الحميري، المصدر السابق، ص 27. ينظر أيضا: عبد الله أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي، دب، 1992م، ص 747.

(4) - البكري، المصدر السابق، ج2، ص 748.

(5) - الحميري، المصدر السابق، ص 440.

(6) - الحميري، نفسه، ص 440.

(7) - الحميري، نفسه، ص 509.

(8) - البكري، المصدر السابق، ج2، ص 750.

(9) - الحميري، المصدر السابق، ص 597.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

صغيرة عليها سور متقن<sup>(1)</sup>، ونجد من الحصون أيضا حصن زيان، وهو حصن كثير الأشجار والثمار، وبالقرب منه حصن العروس، وهو على قنة جبل على ضفة البحر، وهما بالقرب من حصن الوردانية وحصن هنين، ومرساه مقصود<sup>(2)</sup>. وقد ذكر مؤلف الاستبصار اسم حصن العروس بالفروس أيضا<sup>(3)</sup>.

تحصينات بجاية، وتقع في الناحية الشمالية الشرقية للجزائر، تعتبر تحصيناتها الدفاعية من التحصينات الهامة في بلاد الغرب الإسلامي، ومازلت المدينة لليوم تحتفظ بالأبواب والأسوار، والقلاع والحصون، منذ تأسيسها على يد الناصر بن علناس الحمادي سنة 460هـ/1067م<sup>(4)</sup>.

ومن حصون المغرب الأقصى: رباط خارج فاس يعرف حاليا بضريح مولاي إدريس<sup>(5)</sup>.

ومن حصون الأندلس: نجد مُرْسِيَّة وتقع على ساحل البحر شرق الأندلس كانت تسمى تدمير<sup>(6)</sup>، بها حصن يسمى بِتْرِيرُ<sup>(7)</sup>، وقريب منها أيضا حصن نُوْلَةُ<sup>(8)</sup> وشمال مرسية أيضا حصن يسمى جنجالة<sup>(9)</sup>.

(1) - الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص 534.

(2) - الحميري، المصدر السابق، ص284.

(3) - مؤلف مجهول مراكشي توفي في القرن 6هـ، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، 1976م، ص135.

(4) - عزوق عبد الكريم، التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد5، العدد12، 2013م، ص75. (الصفحات 75-95)

(5) - ناجي جلول، المرجع السابق، ص39.

(6) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص107.

(7) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص335.

(8) - ياقوت الحموي، نفسه، ج5، ص312.

(9) - الحميري، المصدر السابق، ص174.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

والمرية وقد أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمان سنة 344هـ<sup>(1)</sup>، وحصن لُرْقَةُ وهو حصن في شرقي غربي مرسية، وشرقي المريّة، بينهما ثلاثة أيام<sup>(2)</sup>.

وبالمرية دار صناعة السفن، وكانت مقسمة إلى قسمين أحدهما به المراكب البحرية والعدة والآخر به قيسارية، وهي حصينة جدا، وبها حصون عديدة، مثل قصبتهما، وهي قلعة خيران، وحصن برجة<sup>(3)</sup> ويقع جنوب غرب المرية، وحصن شنش ويقع على مرحلة منها، وحصن القبطة، ويقع في الجنوب الشرقي من خليجها، ونجد أيضا مدينة مألقة الحصينة، وبها دار للأسطول، والمنكب القريب من مدينة غرناطة، وهو مرفأ للسفن، والجزيرة الخضراء وبها أحسن المراسي، ومن مدن الساحل الهامة طرطوشة، وطركونة، ولقنت، وبجانة، وإشبيلية، وغيرهم كثير<sup>(4)</sup>. ونجد أيضا حصن مريبطر، وهو قريب من طرطوشة، يقع على جبل، والبحر بقبليه، ويظهر منه شرقا وغربا، وبه جامع ومساجد، وفيه آثار قديمة، ودار ملعب وأصنام، وهي كثيرة الغلات والثمار<sup>(5)</sup>. ونجد شُبَيْلِش، وهو حصن حصين من أعمال البيرة، وقريب من برجة<sup>(6)</sup>. وحصن غردمار شرق الأندلس ويمتاز بوجود عمران يشبع عمران رباط المنستير في ساحل إفريقية<sup>(7)</sup>.

**حصون صقلية:** تميزت صقلية بوجود عدد كبير من الأربطة التي اشتهرت بها، وقد عرفت وجود عدد كبير بسبب كونها جسرا يربط أرض الإسلام بالأراضي

(1) - الحميري، المصدر السابق، ص 537.

(2) - ياقوت الحموي، نفسه، ج 5، ص 16.

(3) - برجة مدينة ذكرها ياقوت الحموي من أعمال البيرة، ومن أعمال المرية. المصدر السابق، ج 1، ص 374.

(4) - ميلود بن حاج، سياسة التحصينات الدفاعية لدى أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس بين القرنين 4-8هـ/10م-م.

دراسة في مظاهر التنوع وفاعلية الأداء، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 5، العدد 2، 2021م، ص 298-301.

(5) - الحميري، المصدر السابق، ص 540.

(6) - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 324.

(7) - ناجي جلول، المرجع السابق، ص 38.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

المسيحية، إلى جانب أن السيطرة عليها تمكن من السيطرة على المواصلات البحرية<sup>(1)</sup>.

كانت بها عدة حصون يقيم بها العسكر<sup>(2)</sup>، وبالرغم من أن الجزيرة كثيرة الزلازل، وكثيرا ما كانت تتهدم أبنيتها، إلا أن بها أكثر من مائة حصن<sup>(3)</sup>، ومن أسماء حصونها حصن البلوط، وإبلاطنؤ، وقرلؤن، ومزينا<sup>(4)</sup>، ومن الحصون أيضا حصن لنبياذة، ويقع في أعلى صخرة يطل على البحر وعلى النهر أيضا، ولا يدخل إليه إلا من باب واحد، وبه مرسى تسافر المراكب إليه، وبه عمارة وسوق، وله عمل واسع وأرضه زكية المزارع، ونهره يصب في البحر، ويسمى الوادي المالح، وبه سمك طيب كثير الشحم لذيد المأكّل، وبين لنبياذة وكركنت خمسة وعشرون ميلا<sup>(5)</sup>.

### 4. من مميزات التحصينات الدفاعية الإسلامية في العصر الوسيط:

أ. أهمية الموقع: إن كثيرا من الحصون البحرية تقريبا مم تم الاطلاع عليه تقع في مواقع استراتيجية حصينة وهامة، وتعد هذه ميزة عامة في جميع أنواع التحصينات، لكون التحصين، خاصة القلعة منه يبنى على مرتفع جبلي، أو تل، أو على رابية وخاصة الارتفاع، وهي ميزة تشترك فيها جميع الحصون خاصة الساحلية منها، للمنعة، وسهولة المراقبة، وبالتالي الدفاع ضد الاعتداءات الخارجية خاصة ناحية البحر<sup>(6)</sup>.

(1) - محمد نجيب خالف، المرجع السابق، ص 91.

(2) - الذهبي، المصدر السابق، ج 33، ص 17.

(3) - رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مجاني الأدب في حقائق العرب، ج 1، مطبعة الآباء

اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1913م، ص 226.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 49.

(5) - الحميري، المصدر السابق، ص 514.

(6) - مرفت عثمان، المرجع السابق، ص 91.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

ب. ميزة القوة والحصانة: وتدخل وسائل وأدوات القتال في الحصون ضمن معنى القوة.

ج. الدفاع: يعد الخندق وسيلة هامة للدفاع عن المدينة أو الحصن قلعة أو غير ذلك، وكثير من القلاع تحاط بخنادق مائية، خاصة ناحية البر، وهو حفرة عميقة في الأرض التي تلي سور الحصن أو القلعة، أو المدينة، ويزيد حفره من علو الحصن، ليصعب على الأعداء تسلقه<sup>(1)</sup>. ويعد خندق عكا من أكثر أمثلة الخنادق الدفاعية المطللة على البحر، وقد حفره الفرنج بعد حصارهم لعكا برا وبحرا في عهد الأيوبيين<sup>(2)</sup>، وقد جعلوه محيطا بعكا في شكل هلال طرفاه متصلان بالبحر، وأقاموا عليه سورا مما يلهم، وشرفوه بالجنويات<sup>(3)</sup>، والطوارف، والتراس<sup>(4)</sup>.

وقد تأسى المسلمون في حفر الخنادق بالرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان أول العرب في حفره، وذلك في غزوة الأحزاب، بعد رأي من الصحابي سلمان الفارسي، وكان الخندق حول المدينة، وللإشارة فإن الخندق هو من وسائل الدفاع القديمة إذ استعمله الفرس والروم<sup>(5)</sup>.

د. التنظيم والتخطيط والتنوع: من الناحية التخطيطية تعد الاستحكامات الدفاعية جزء حيويا من أهم عناصر تخطيط أي مدينة، فلهذه التحصينات أثر ودور في تخطيطها من حيث الوحدات العمرانية، وتكويناتها المعمارية الرئيسية

(1) - مرفت عثمان، المرجع السابق، ص 92.

(2) - النويري، المصدر السابق، ح 28، ص 420.

(3) - حباك يكون من القصب يشد بعضه بعضا. ينظر: -دوزي، المصدر السابق، ج 2، ص 315.

(4) - ابن العديم، المصدر السابق، ص 420.

(5) - عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، 1961م، ص ص 191، 195.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

منها والثانوية، دون أن ننسى وجود الأسوار الذي يمنع التوسع المعماري<sup>(1)</sup> خاصة في الفترة الأولى لبناء الحصن أو القلعة أو المدينة العسكرية.

ونجد من خلال عرض بعض نماذج الحصون أن الحصن هو مدينة مصغرة بكل وحداتها بداية بالمسجد، والبيوت، وغيرها من الوحدات، ومن الأجزاء المعمارية داخل هاته الحصون، نجد الأبراج والسقاقات، والمراقب، والمزاغل، وغيرها<sup>(2)</sup>.

### خاتمة:

من خلال البحث في موضوع التحصينات البحرية نستنتج مايلي:

- وجود تحصينات على طول الشريط الساحلي للشام يجعلها المنطقة الأكثر تحصينا في فترة العصر الوسيط تلمها سواحل شمال إفريقيا وهي مصر والمغرب مع الأندلس، وهذا يدل على قوة الاستعداد ضد الخطر الصليبي.

- ووجود التحصينات البحرية دليل أيضا على الاهتمام بالجانب الاقتصادي والتجاري إلى جانب العسكري، فتأمين الطرق التجارية البحرية وحراستها أمر هام.

ويدل تخريب الحصون وإعادة البناء إلى تعاقب الفترات التاريخية، ولكل فترة ميزتها، بحسب كفة من رجحت، فإما الغلبة للمسلمين أو لغيرهم على تلك الحصون.

<sup>(1)</sup> - قدور وهراني، التحصينات الدفاعية في بناء المدينة المغربية، مجلة منبر التراث الأثري، العدد1، المجلد1.

2012م، صص186، 187.(190-182)

<sup>(2)</sup> - مرفت عثمان، المرجع السابق، ص91.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المصادر:

1- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم أبو الحسن عز الدين)، الكامل في التاريخ، ج6، ط1، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ، 1997م.

2- ابن العديم (عمر بن أحمد كمال الدين)، بُغْيَةُ الطَّلَب في تاريخ حلب، ج1، ج2، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دب، دب، دب.

3- ابن حوقل (محمد أبو القاسم البغدادي الموصلبي)، صورة الأرض، ج1، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، لبنان، 1938م.

4- ابن خرداذبة (عبيد الله أبو القاسم ابن عبد الله)، المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت، لبنان، 1889م.

5- ابن خلدون (عبد الرحمن)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج5، ج8، ط1، ضبط المتن وحواشي وفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ، 1981م.

6- ابن شمائل القطيعي (عبد المؤمن البغدادي صفي الدين)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج1، ج2، ج3، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ.

7- ابن منظور (محمد بن مكرم أبو الفضل)، لسان العرب، ج3، ج8، ط3، حواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

- 8- ابن ناصر الدين (محمد أبو بكر ابن عبد الله شمس الدين)، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ج3، ج8، ط1، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1993م.
- 9- ابن واصل المازني (محمد بن سالم أبو عبد الله جمال الدين التميمي الحموي)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، 1377هـ، 1957م.
- 10- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي)، المحكم والمحيط الأعظم، ج1، ج9، ط1، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ، 2000م.
- 11- أبو حيان أثير الدين الأندلسي (محمد بن يوسف)، البحر المحيط في التفسير، ج5، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1420هـ.
- 12- أبو منصور الهروي (محمد بن أحمد بن الأزهري)، تهذيب اللغة، ج4، ط1، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001م.
- 13- الإدريسي (محمد بن محمد الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ج2، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1409هـ.
- 14- الإصطخري (إبراهيم أبو اسحاق ابن محمد الفارسي)، المعروف بالكرخي، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، لبنان، 2004م.
- 15- الأصفهاني (عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد)، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1423هـ، 2002م.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

- 16- البكري (عبد الله أبو عبيد)، المسالك والممالك، ج2، دار الغرب الإسلامي، دب، 1992م.
- 17- البَلَّاذُري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988م.
- 18- الجَميري (محمد أبو عبد الله ابن عبد الله بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط2، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، 1980م.
- 19- الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أيك)، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، عيسى البابي الحلبي، دب، 1391هـ، 1976م.
- 20- الذهبي (محمد أبو عبد الله شمس الدين)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج33، ج41، ط2، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1993م.
- 21- الرازي (زين الدين أبو عبد الله محمد الحنفي)، مختار الصحاح، ط5، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420هـ، 1999م.
- 22- الزهراني (مرزوق بن هياس آل مرزوق)، نسبة ومنسوب، ط1، د د ، دب، 1435هـ، 2014م.
- 23- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان)، لب اللباب في تحرير الأنساب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1411هـ، 1991م.
- 24- الصغاني (الحسن بن محمد بن الحسن)، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، تحقيق إبراهيم إسماعيل الأبياري، مراجعة محمد خلف الله أحمد، مطبعة دار الكتب، القاهرة، مصر، 1971م.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

- 25- الطبري (محمد أبو جعفر ابن جرير)، تفسير الطبري- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج11، ط1، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، و عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، دب، 1422هـ، 2001م.
- 26- الفاسي أبو الطيب (محمد بن أحمد تقي الدين المكي الحسني)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، دب، 1421هـ، 2000م.
- 27- الفراهيدي (الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن البصري)، كتاب العين، ج3، ج4، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دب، دت.
- 28- القلقشندي (أحمد بن علي)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج1، ط2، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1985م.
- 29- الماوردي (علي بن محمد أبو الحسن البغدادي)، تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، ج2، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.
- 30- النويري (أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج24، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 1423هـ.
- 31- على أبو الحسن ابن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.
- 32- قدامة ابن قدامة (أبو الفرج ابن جعفر بن زياد البغدادي)، الخراج وصناعة الكتابة، ط1، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981م.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي

### في العصر الوسيط

33- مجير الدين الحنبلي (بن محمد العليبي المقدسي)، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج3، ط1، تحقيق وضبط وتخرّيج نور الدين طالب، دار النوادر، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، دب، 1430هـ، 2009م.

34- مقديش الصفاقسي (محمود أبو الثناء)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ج1، ط1، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

35- مؤلف مجهول مراكشي (توفي في القرن 6هـ)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، 1976م.

36- الزبيدي (محمّد مرتضى الحسيني)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق جماعة من المختصين، ج11، ج27، ج30، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دب.

37- القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دب.

38 - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ابن عبد الله الرومي)، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م.

### المراجع:

39- الجهني (محمد)، إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2007م.

40- الحلو (عبد الله)، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب، ط1، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، لبنان، 1999م.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

- 41- جلول (ناجي)، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، منشور في السلسلة التاريخية، عدد9، الوزارة الأولى، كتابة الدولة للبحث العلمي والتكنولوجيا، مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999م.
- 42- رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مجاني الأدب في حدائق العرب، ج1، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، 1913م.
- 43- رينهارت بيتر أن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، ج7، ط1، ترجمة محمّد سليم النعيمي، نشر وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 2000م.
- 44- عبد الرؤوف عون، الفن الحربي في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، 1961م.
- 45- قاجة (جمعة أحمد)، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ودار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 2000م.
- 46- متى سمعان بوري ويوسف أحمد شبل، عكا: تراث وذكريات، ط1، دار الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992م.
- 47- مرفت عثمان، التحصينات الحربية وأدوات القتال في العصر الأيوبي بمصر والشام زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، مصر، 1431هـ، 2010م.
- 48- نجوان أبو بكر محمد، تاريخ إفريقية السياسي والحضاري، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، دت.

## مميزات التحصينات الدفاعية الساحلية في المشرق والغرب الإسلامي في العصر الوسيط

### المقالات:

- 49- بن حمو (محمد) ، " الحصون والمحارس بضواحي تلمسان- دراسة إحصائية لبعض النماذج"، مجلة منبر التراث الأثري، المجلد 6، العدد1، 2018م.
- 50- حقي (محمد)، "تنظيم الرباطات بالمغرب الأوسط-رباط أسفي نموذجاً"، مجلة عصور الجديدة، العدد 24-25، صيف- خريف (أكتوبر)1437-1438هـ/2016م.
- 51- خالف (محمد نجيب)، "الأربطة"، مجلة آثار، العدد6، 2007م.
- 52- صلاح عمر الصادق، طوابي المهديّة تراث ثقافي موروث، مجلة دراسات إفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد الرابع والعشرون ، ديسمبر، 2000م، رمضان 1421هـ.
- 53- عزوق (عبد الكريم)، التحصينات الدفاعية الإسلامية ببجاية، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد5، العدد12، 2013م. (الصفحات 75-95)
- 54- قدور وهراني، التحصينات الدفاعية في بناء المدينة المغربية، مجلة منبر التراث الأثري، العدد1، المجلد1، 2012م، ص ص186، (182-190)
- 55- مجلة المشرق، العدد1، السنة الخامسة، بيروت، لبنان، 1902م.
- 56- محمد نجيب خالف، "الأربطة"، مجلة آثار، العدد6، 2007م.
- 57- ميلود بن حاج، سياسة التحصينات الدفاعية لدى أمراء وخلفاء بني أمية في الأندلس بين القرنين 2-4هـ/8-10م- دراسة في مظاهر التنوع وفاعلية الأداء، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد5، العدد2، 2021م.

معركة سالونيك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي  
(291هـ-904م)

The Battle of Thessaloniki and its impact on the  
Islamic and Byzantine worlds (AH-904 AD291)

د. هبة عبد الرازق عوض الزوكي  
كلية الآداب قسم التاريخ جامعة درنة  
Srroni2013@gmail.com

---

ملخص:

سالونيك مدينة يونانية ومركز لبلدية تقع في شمال البلاد، وهي عاصمة لمنطقة إقليم مقدونيا الوسطى الإدارية وأيضاً عاصمة إحدى مقاطعات هذا الإقليم والتي تحمل نفس اسم المدينة تقع المدينة على رأس خليج سالونيك أحد تفرعات الخليج الثيرمي، والذي يشكل بدوره الجزء الشمالي الغربي من بحر إيجه ترتفع المدينة من مستوى سطح البحر إلى أقدام جبل خورتياتيس بشكل يشبه مدرجات مسرح روماني. تبعد مسافة 500 كيلومتر عن أثينا عاصمة البلاد. وهي ثاني أكبر مدينة يونانية بعد أثينا وتعتبر سالونيك ثاني أكبر مركز اقتصادي صناعي، تجاري وسياسي في اليونان، ومركز مواصلات مهم في جنوب شرق أوروبا، وهي مركز تعليمي وثقافي هام لمنطقة البلقان. تحتوي المدينة على العديد من الصروح التي تعكس تاريخها البيزنطي ويعود اسم المدينة إلى ثيسالونيكى زوجة كاسندر ملك مقدونيا القديمة الذي أوجد المدينة وأعطاهما هذا الاسم وهي كانت الأخت غير الشقيقة للإسكندر المقدوني، ومعنى هذا الاسم هو «النصر في ثيساليا»

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

أصبحت سالونيك في عهد البيزنطيين وتحديدًا في عهد ثيودوسيوس الكبير (379-395م). عاصمة لإقليم إليريكوم، وجزءاً من الإمبراطورية الرومانية الشرقية، ومركزاً كنسياً وقاعدة للحملات الامبراطورية ضد القوط. حدثت فيها عام 390 م. مجزرة كبيرة راح ضحيتها 7000 نسمة على أيدي جنود الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير إثر ثورة قام بها سكان المدينة، وقد قام الإمبراطور بعد ذلك بطلب التوبة على يد القديس أمبروس أسقف ميلان.

تعرضت لزلزال كبير عام 620 م. وفي عام 904 م. هاجمها العرب الموجودين في كريت بمساعدة الإغريقي ليو الطرابلسي فمكثوا فيها لمدة عشرة أيام ثم أخذوا 20 ألفاً من سكانها كعبيد. واطلق على هذه المعركة معركة سالونيك البحرية وهي عنوان هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية: البيزنطي، أثره، الإسلامي، سالونيك، معركة.

### Abstract:

Thessaloniki is a Greek city and the center of a municipality located in the north of the country, and it is the capital of the administrative region of Central Macedonia and also the capital of one of the provinces of this region, which bears the same name as the city. The city from sea level to the feet of Mount Chortiatis resembles the amphitheatres of a Roman theater. It is 500 km from Athens, the country's capital. It is the second largest Greek city after Athens, and Thessaloniki is considered the second largest economic, industrial, commercial and political center in Greece, and an important transportation center in southeastern Europe, and it is an important

educational and cultural center for the Balkans. The city contains many edifices that reflect its Byzantine history

The name of the city goes back to Thessaloniki, the wife of Cassander, the ancient king of Macedonia, who founded the city and gave it this name. She was the half-sister of Alexander the Great, and the meaning of this name is “victory in Thessaly”.

It became Thessaloniki during the Byzantine era, specifically during the reign of Theodosius the Great (379-395 AD). Capital of the Illyricum region, part of the Eastern Roman Empire, an ecclesiastical center and a base for imperial campaigns against the Goths. It took place in 390 AD. A great massacre, in which 7,000 people were killed, at the hands of the soldiers of Emperor Theodosius the Great, following a revolution by the city's residents. After that, the Emperor asked for repentance at the hands of Saint Ambrose, Bishop of Milan. It suffered a major earthquake in 620 AD.

In the year 904 AD. The Arabs in Crete attacked it with the help of the Greek Leo of Tripoli. They stayed there for ten days, then took 20,000 of its inhabitants as slaves. This battle was called the Thessaloniki naval battle, which is the title of this study.

**Keywords:** Byzantine. Islamic influence. Battle of Thessaloniki.

### مقدمة:

تعتبر معركة سالونيك معركة بحرية حدثت سنة (35هـ- 566 م) بين العباسيين والبيزنطيين وهي من أعظم المعارك البحرية على مر العصور التاريخية وتعد أقوى المعارك على الدولة البيزنطية بعد الهجوم الإسلامي على أنطاليا وتحريرها. وسالونيك من أعظم الثغور البيزنطية بعد القسطنطينية وتقع على هضاب أولبوس وتشرف على رأس خليج ضيق تستطيع أن تمتنع به السفن وهي قاعدة للأسطول البيزنطي وعاصمة إقليم مقدونيا ومن أشهر الحواضر التجارية في الدولة البيزنطية في العصور الوسطى وخسرها البيزنطيون خسائر جسيمة.

يتناول هذا البحث أحداث المعركة وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي.

### الأهمية والهدف:

تكمن أهمية الدراسة كونها تسلط الضوء على معركة من أهم المعارك البحرية بين العباسيين والبيزنطيين ، فقد كانت بزنطة تمتلك أسطول بحري ضخم وتعد سالونيك ثاني أكبر مدينة بعد القسطنطينية. في حين أن المسلمين أرادوا الانتقام من الدولة البيزنطية التي دأبت طوال خمسين سنة سبقت الغزوة على شن غزوات بحرية عنيفة على إمارة كريت الإسلامية وعلى الولايات الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا فضلا عن إغاراتها البحرية على سواحل مصر والشام كذلك ايضاح دور قائد المعركة (ليو الطرابلسي) ومجهوداته الشخصية ودقة خطته الحربية الجريئة فقد كانت تلك المعركة سببا في بروزه وشهرته التاريخية كما ذكر في المصادر البيزنطية . وتهدف الدراسة إلى ايضاح قوة الإيمان والعقيدة والإدارة السليمة لدى المسلمين.

### المنهج المتبع:

ستعتمد هذه الدراسة على المنهج السردى الوصفى التحليلي وفق ما هو متاح من دراسات حول الموضوع .

### إشكالية الدراسة:

أما إشكالية الدراسة فتكون بالإجابة على التساؤلات الآتية:

1. أين وقعت هذه المعركة البحرية الشهيرة ؟
2. ما سبب تسمية هذه المعركة بهذا الاسم ؟
3. لماذا تعد معركة سالونيك من المعارك البحرية الحاسمة ؟
- 4- ما هو دور القائد ليو الطرابلسي في المعركة ؟
- 5- هل كان للعباسيين دور فعال في الخطط الهجومية للمعركة ؟
- 6- كيف كان أثر المعركة على العالم الإسلامي والبيزنطي ؟

### المحاور:

المحور الأول: نبذة عن الأسطول البيزنطي والإسلامي.  
سيتم الحديث فيه عن الأسطول البيزنطي وتأسيسه وأهم الثيمات البحرية البيزنطية وأساطيلها كذلك الحديث عن الاسطول العباسي ؟  
المحور الثاني: أسباب المعركة وأحداثها .

سيتركز إلى أصل تسمية المعركة وأهم أسبابها لدى كل من المسلمين والبيزنطيين ومن ثم الخوض في الحديث بالتفصيل عن أحداثها التاريخية .  
المحور الثالث: نتائج المعركة وأثرها على المسلمين والبيزنطيين.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

سيضم الحديث عن أهم نتائج المعركة وأثرها على المسلمين الأمر الذي مكّتهم من فتح العديد من الجزر البحرية، وأهم نتائجها على البيزنطيين وكيف فقدوا سيطرتهم على ثاني أكبر حاضرة تجارية بعد القسطنطينية.

### نبذة عن الأسطول البيزنطي والإسلامي: الأسطول البيزنطي:

كانت الإمبراطورية البيزنطية لها ثلاثة أنواع من الأساطيل، الأسطول الإمبراطوري ومقره القسطنطينية وهو مخصص فقط للدفاع عن العاصمة، الثاني هو أساطيل الولايات وتنتشر حول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وبمحاذاة الساحل الغربي مثل إيطاليا والساحل الشرقي والجنوب بالقرب من مصر، وهناك نوع ثالث من الأساطيل ظهر بمرور الوقت ولعب دوراً في الدفاع عن الإمبراطورية وهو أساطيل الثيمات، وقد بدأ هذا النظام في عهد حكم أسرة هرقل (610-695م) كرد فعل ضد الفتوحات الإسلامية المستمرة وعين الإمبراطور لها حاكماً عسكرياً يتمتع بصلاحيات تحل محل سلطات الحاكم المدني<sup>(1)</sup>، ومنها أصبحت أساطيل الثيمات في تزايد.

وفي عهد الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري (Leo III the Saurian) (714-741م) قام بتشكيل العديد من الهياكل البحرية المستقلة التابعة للقسطنطينية في المناطق التي يهددها المسلمون وتكونت المناطق العسكرية البحرية المحلية، وأصبحت تعرف بأسطول الثيمات<sup>(2)</sup>، وكان تنظيم الثيمات البحرية بنفس

(1) - العربي، السيد الباز، أجناد الروم، القاهرة، نهضة مصر، 1956 ص81 عثمان ، فتحي، الحدود البحرية البيزنطية الإسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، ج1، 1966 ، ص81-113.

Nike Humphreys, Theme System" in the Oxford Dictionary of Late Antiquity ed Oliver Nicholson (Oxford University Press, 2018, pp.1471. 72.

(2) - H. Ahrmei Les, Byzance et Lamer La Marine de Guerre, La Politique et Les Institutions Maritimes de Byzance Aux VII-XRE Siècles (Presses Universitèes de France, 1966,p31.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

التنظيمات المتبعة في المقاطعات العسكرية الأخرى، فقد كانت توزع العقارات والأراضي على بعض العائلات مقابل الخدمة العسكرية في الأسطول<sup>(1)</sup>.

ويتمثل الدور الرئيسي لأساطيل الثيمات في الدفاع وحراسة المناطق الساحلية والموانئ التابعة لحدود الثيم والتي تدخل في نطاق سلطتها إضافة إلى تأمين الطرق التجارية ضد أي هجمات<sup>(2)</sup>. ومن أهم الثيمات البحرية التي كانت تلعب دوراً هاماً في حماية الإمبراطورية البيزنطية:

أ. ثيم كمبيريوت: ويعتبر من أول الثيمات البحرية البيزنطية واسمه مشتق من مدينة كيبيرا Cibirra القديمة الكبرى وأيضاً كان اسم كمبيريوت يطلق على الجنود الذين يسكنون الثيم، وتم إنشاؤه في عام 732م<sup>(3)</sup>.

ب. ثيم هيلاس: تم إنشاؤه في عهد الإمبراطور جستنيان الثاني في عام 688م في حملته ضد السلاف ويشمل أراضي الساحل الشرقي للبر الرئيسي، إضافة إلى بعض جزر بحر إيجه<sup>(4)</sup>.

ج. ثيم بحر إيجه: كان هذا الثيم جزءاً من ثيم أسطول المقاطعات أو أسطول الثيمات، وأنشئ في السنوات بين (872-899م)، ويعد من الثيمات الضعيفة مقارنة بالثيمات الأخرى<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> - A. Vogt, Basil Ier, Emperor de Byzance (867-886) et La Civilizations Byzantine a La fin Du Ixe siècle, Burt franklin Research and source Works Series Byzantine Series( Picard,1908) pp367-368.

<sup>(2)</sup> - G. Theotokis, Norman Campaigns In the Balkans, 1081-1108 Boy dell Press, 2014, p.94.

<sup>(3)</sup> - J. W. Nesbitt and N. Oikonomides, eds, Catalogue of Byzantine Seals at Dumbarton Oaks and in the Fogg Museum of Art: South of the Balkans the Islands, South of Asia Minor (Washington, DC, Dumbarton Oaks Research Library and Collection, 1994), Vol 2, p.151.

<sup>(4)</sup> - F. Curta, Southeastern Europe in the Middle Europe in the Middle Ages, 500- 1250, (Compridge University Press, 2006), p.107.

<sup>(5)</sup> - Ghrongva Phiaequae Theophanis Contiouati Nomine fertur Liber quo Vita Basilli, pp.24-215.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

د. ثيم ساموس: وتم إنشاؤه قبل عام 893م، وكان في القرن الحادي عشر الميلادي، تم حل ثيم ساموس وتحويله من ثيم عسكري بحري إلى ثيم ذي طابع مدني وإداري وعين له موظفون إداريون<sup>(1)</sup>.

هـ. ثيم كيفا لونيا: حقيقة لا يعرف على وجه التحديد تاريخ إنشاء ثيم كيفا لونيا، إلا أنه في القرن الثامن الميلادي، وكان حدوده تشمل جزيرة زاكينثوس ولوكاس وإيثاكا وألوسيس وامتد إلى الشواطئ الشرقية لجنوب إيطاليا وأصبح يشمل الجزر الأيونية، وقد أنشئ لصد الهجمات المتكررة من اللومبارديين<sup>(2)</sup>.

### الأسطول الإسلامي:

ارتفع نجم أمراء البحر في مصر وبلاد الشام خلال عصر الدولة العباسية نتيجة لازدهار البحرية الإسلامية وقتئذ، فبعد أن أتم المسلمون فتح بلاد الشام (18هـ/639م) اهتم الخلفاء بمنطقة السواحل الشامية والمصرية وقاموا بتنظيمها إدارياً وعسكرياً وتعيين ولاية وأمراء للبحر، وكان أمير البحر<sup>(3)</sup> يتولى الإشراف الكامل على الأسطول<sup>(4)</sup> والحرب والقتال وتسيير أمر المقاتلين في البحر، وكان يجب على أمير البحر أن يكون ملماً بفنون البحر وجميع فنون القتال ويتم اختيار قادة البحر وأمراء الأسطول من الجنود المهرة العارفين بمحاربة العدو<sup>(5)</sup>.

(1) - Nesbitt and Oikonamides, Catalogue of Byzantine Seals at Dumbarton Oaks, Vol 2, p.133.

(2) - N. A. Oikonomides "Constantine VII Porphyrogenete et les Themes de Cephalonia et de Longboard Revue des etudes Byzantines 23, No.1 (1965), pp.118-119.

(3) - أمير البحر: لفظ عربي انتقل إلى اللغات الأوروبية وعرف عندهم Admiral أو Amiral. ماجد عبد المنعم تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، 1997م، ص15.

(4) - الأسطول: كلمة أسطول من أصل يوناني وتطلق على مجموعة السفن الحربية أو على سفينة حربية واحدة وهو مركب مهياً للقتال، الحموي ياسين، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقى، دمشق، 1364هـ/1945، ص47؛ ماجد عبد المنعم، المرجع السابق، ص75.

(5) - المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، ت845هـ/1441م، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار التحرير، مطبعة بولاق، القاهرة، 1270هـ/1853م، ج3، ص7.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

حرص الخلفاء العباسيون على إنشاء قواعد ساحلية ودور لصناعة السفن وتدريب البحارة على فنون القتال في البحر في مصر وبلاد الشام، فكان في مصر يتمثل في جزيرة الروضة<sup>(1)</sup>، وهي من أقدم مراكز صناعة السفن في مصر الإسلامية، وتعد أول دار أنشئت لصناعة السفن في العهد الإسلامي في مصر، ودار صناعة الإسكندرية حيث كانت مدينة الإسكندرية مركزاً بحرياً مهماً للأسطول الإسلامي ومن أعظم الدور البحرية، وأسهمت في نشأة وتقوية الأسطولين المصري والشامي، وأصبحت دار صناعة الإسكندرية من أنشط الدور المنتجة للسفن في العصر العباسي، وكانت قاعدة للهجوم على قواعد العدو<sup>(2)</sup>، فقد قامت بإنتاج العديد من السفن الحربية نظراً لحاجتها إليها في بناء أسطول قوي للخوض في المعارك الحربية.

وكانت هناك دار صناعة القلزم وتكمن أهميتها لكون مدينة القلزم حلقة وصل بين البحر المتوسط حيث كان البيزنطيون والبحار الشرقية<sup>(3)</sup>، لذا فهي مركز بحري مهم، ودار الصناعة بدمياط وتينيس<sup>(4)</sup>، فقد احتلت كلتا المدينتين مركزاً بحرياً مرموقاً وكانت لكل منهما قاعدة بحرية<sup>(5)</sup>، وتعد دمياط الميناء المصري الوحيد في شرق البحر المتوسط وكانت موضع اهتمام من قبل الخلفاء العباسيين.

(1) - جزيرة الروضة: هي محلة من محال الفسطاط، وسميت جزيرة لأن النيل إذا فاض أحاط بها الماء. وعرفت أول الإسلام بالجزيرة وجزيرة مصر وعرفت اليوم بالروضة، الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت1224/هـ621م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، دت، ج2، ص139.

(2) - المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج2، ص611.

(3) - المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج3، ص3.

(4) - تينيس: تقع بين الفرما ودمياط على ساحل البحر، بينها وبين الإسكندرية أربعة أيام من ناحية البحر، وتعتبر من المدن التي اندثرت وهي اليوم موجودة ببحيرة المنزلة، وهي الجزيرة الواقعة في الجنوب الغربي لمدينة بور سعيد، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت284/هـ896م، البلدان، بريل ليدن، سنة 1308/هـ1890م، ص129.

(5) - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت310/هـ928م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو محمد الفضل إبراهيم، دار المعرفة، القاهرة، ط2، ج9، ص194.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

أما عن بلاد الشام فتتمثل دور الصناعة في عكا<sup>(1)</sup>، وقد ازدهرت بها دار الصناعة في عهد الخليفة هارون الرشيد (17-133هـ/706-809م) واهتم بها اهتماماً كبيراً وقام بتحسين السواحل<sup>(2)</sup>.

وقد كانت هناك أيضاً دار لصناعة السفن في صور ولقيت اهتماماً كبيراً من قبل الخلفاء، وقد أنتجت داراً للصناعة بصور العديد من السفن الحربية وأمراء الحرب وقادة السفن<sup>(3)</sup>، وأقيمت بطرابلس<sup>(4)</sup> دار لصناعة السفن وقد أولى الخلفاء العباسيون بها اهتماماً بالغاً واشتهرت بإنتاج السفن ويوجد بها الكثير من البحارة، ومن هؤلاء غلام زرافة (ليون الطرابلسي) الذي ذاع صيته وفاقته شهرته وهو يعتبر من أعظم البحارة المسلمين، كما سنوضح ذلك بالتفصيل لاحقاً<sup>(5)</sup>.

أما في مدينة طرسوس فقد كانت مركزاً بحرياً مهماً وهي تقع بين أنطاكيا<sup>(6)</sup>، وحلب، وبلاد الروم<sup>(7)</sup>، وكانت قاعدة لانطلاق العديد من الحملات البحرية للهجوم على القسطنطينية.

(1) - عكا: مدينة حصينة على ساحل بحر الشام، القزويني، زكريا بن محمد، ت682هـ/12383م، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، دت، ص184.

(2) - البلاذري، أحمد بن يحيى، ت279هـ/892م، فتوح البلدان، القاهرة، ص156.

(3) - أنيس صايغ، الأسطول الحربي الأموي في البحر الأبيض المتوسط، بيروت، لبنان، 1956م، ج1، ص39.

(4) - طرابلس: مدينة على شاطئ بحر الروم لها سور منحوت من الصخر، وبها بستان عامرة ومثمرة. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص148.

(5) - اليعقوبي، البلدان، ص114.

(6) - أنطاكيا: بلدة حسنة الموقع بها مياه كثيرة وأسواق عامرة وتعتبر من أبرز مدن الشام، ويسمى الروم مدينة الله تعظيماً لها لأنها عندهم أول مدينة ظهرت فيها النصرانية. ابن حوقل، أو محمد القاسم محمد، ت367هـ/987م، المسالك والممالك، ليدن، سنة 1813م، ص119.

(7) - لي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1373هـ/1954م، ص169.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

لذا فقد أولى الخلفاء بها اهتماماً كبيراً<sup>(1)</sup>، وقد كانت هذه الدور التي تمت الإشارة إليها يترأسها قائد يدير أمورها، وهو أمير البحر كما سلف الذكر. وخلاصة القول أن دور الصناعة الموجودة على السواحل الشامية والمصرية كانت عبارة عن مدارس تخرج منها أمراء البحر بعد أن خضعوا للتدريب على فنون القتال البحري.

ويجب الإشارة على أن أهم اختصاصات أمير البحر الذي يتولى رئاسة السفن، وهو أيضاً المسئول عن إدارة المعركة، وله الحرية المطلقة في إعداد الحملات البحرية، وقد كان الخلفاء العباسيون يستجيبون لمطالب أمراء البحر التابعين لها بسبب معرفتهم التامة بخطورة حروب البحار، وكان عمل أمير البحر شاقاً ومعرضاً للمخاطر في أي وقت، في أنه ومن معه من الجند لا يستطيعون الهروب إلى مكان آخر لأنه من الممكن حدوث تغيير في اتجاه الرياح وحينها لا ينفع توجيه السفن<sup>(2)</sup>.

ولذا كان الخلفاء في العصر العباسي يلبون رغبات ومطالب أمراء البحار، ويطلقون لهم الحرية في كيفية إعدادهم لحملاتهم.

كما كان أمير البحر يقع على عاتقه مسئولية اختيار رجال الأسطول، ويختار القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه، والتغيرات والحركات البحرية من المد والجزر وغيره<sup>(3)</sup>.

أيضاً يعتبر أمير البحر قدوة لجنوده، فكل رجال الأسطول يتخذونه مرشداً وناصحاً ودليلاً لهم، فعليه أن يعامل رجاله معاملة طيبة ويقوم بتقوية

(1) - الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد، ت560هـ/1164م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص

(2) - العدوي إبراهيم، الأساطيل البحرية في البحر المتوسط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1975م، ص14.

(3) - العباسي الحسن بن عبد الله، ت عام 710هـ/1310م، أثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق هبدي الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م، ص371.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

الروح المعنوية في نفوس جنده ومقاتليه<sup>(1)</sup>، وعليه متابعة بناء السفن والحفاظ على أمنها وسلامتها<sup>(2)</sup>، واستطلاع أخبار العدو ومنع تسرب المعلومات البحرية، وعليه أن يضع عيون وطلائع على الجبال ليعرف اتجاه العدو وأخذ الحيلة والحذر لمنع تسرب المعلومات الخاصة بالشئون البحرية إلى العدو، والقيام بالماناورات البحرية وتمارين رجال الأسطول واختبارهم بفنون حرب الماء<sup>(3)</sup>.

كان لأمير البحر معاونون ومساعدون له، منهم الربان ويطلق عليه (الرئيس)، الديدبان وهو الذي يقف في مقدمة السفينة يستطلع البحر، والمنادي ومهمته تبليغ أوامر الربان إلى الملاحين، والقلاووزة وهو الدليل الذي يرشد السفن عند دخول الموانئ، والنوتي وهو الملاح الذي يلي الشراع ويدير السفينة في البحر، والمقاتلة وهم الجند<sup>(4)</sup>.

أما عن إقامة أمير البحر فكان يقيم في مكان يتوسط الأسطول، أي في القلب، وكانت تتم تعبئة الأساطيل في العصر العباسي من قلب وجناحين ومقدمة ومسافة أشبه بالجيش البري<sup>(5)</sup>، وقد حظي أمراء البحر بمكانة اجتماعية مرموقة داخل المجتمع بما حققوه من انتصارات على البيزنطيين.

(1) - قدامة بن جعفر، أبو الفرح قدامة بن جعفر، ت 328هـ/939م، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسن الزبيدي، دار الرشيد، 1981م، ص 48.

(2) - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، ت 346هـ/957م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه كمال حسن مرعي، المكتبة الأموية، ط 1، 1425هـ/2009م، ج 1، ص 129.

(3) - الحسن بن عبد الله، المصدر السابق، ص 371.

(4) - سرهنك إسماعيل، حقائق عن دول البحار، المطبعة الأميرية، بولاق، ط 1، 1314هـ، ص 16؛ العدوي إبراهيم، المرجع السابق، ص 158 الحموي؛ ياسين، المرجع السابق، ص 48؛ ماهر سعاد، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت، ص 283.

(5) - قمر محمود، الجيش المصري في عهد الدولة الطولونية، 254-292هـ/868-905م، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، 1431هـ/2011م، ص 282؛ فلهم جونيرباخ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية، دار الطباعة المغربية، تطوان، المغرب، 1954م، ص 19.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

أما عن أسلحة الأسطول فكانت تتكون من:

- السفينة الحربية: وتشحن بالزرد والتراس.
- المنجنيق: آلة من الخشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل ورأس وذناب خفيف.
- الدبابات: آلة للحرب وهدم الحصون.
- النار البحرية: وتلقى على سفن الأعداء.
- النفط: وهو مادة سريعة الاشتعال.
- الكلابيب: وهي عبارة عن سلاسل تحتوي في رؤوسها خطاطيف.
- الباسليقات: وهي عبارة عن سلاسل في رؤوسها رمانة حديدية.
- اللجام: حديدة طويلة محددة الرأس جداً وأسفلها مجوف كأسنان الرمح.
- التوايب: صناديق مفتوحة الرأس يصعد الرماة فيها إلى أعلى الصاري.
- البوصلة: إبرة مغناطيسية لتحديد الاتجاهات.
- الاسطرلاب: من خلاله يمكن معرفة كثير من الأمور النجومية<sup>(1)</sup>.

من خلال ما سبق يتضح أن فترة العصر العباسي حظيت بلاد الشام ومصر باهتمام كبير وبلغت البحرية العباسية تطوراً كبيراً، وكان لأمير البحر دور بارز في البحرية الإسلامية، وقد نال أمراء البحر اهتماماً كبيراً من قبل الخلفاء العباسيين، وكان الأهالي يسعون لإلحاق أبناءهم للعمل في البحرية لتعلو مكانتهم الاجتماعية.

(1) - ابن الإخوة: محمد بن محمد القرشي، ت729هـ/1329م، تحقيق محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط6، 1976م، ص324؛ الحسن بن عبد الله، المصدر السابق، ص371؛ ياسين الحموي، المرجع السابق، ص66؛ إبراهيم العدوي، المرجع السابق، ص186؛ سرهنك إسماعيل، المرجع السابق، ص28.

أسباب معركة سانوليك وأهم أحداثها:

أسباب المعركة:

كان أمير البحر غلام زرافة أو ليون الطرابلسي، أحد أهم أبطال المعارك البحرية وواحد من أهم الرجال الذين كان لهم الذكر والفضل في مواجهة الدولة البيزنطية في القرن الثالث الهجري، وهو يمثل الفترة الحرجة من تاريخ الدولة العباسية التي كان انشغالها بالمشكلات الداخلية حائلاً دون أن تشارك بجيوشها في القتال.

كان غلام زرافة (ليون الطرابلسي) فتى مملوكاً ولد في أنطاليا "أتاليا" في ليون شرق الأناضول، ولكنه سي في معركة مع المسلمين فاستقر في طرابلس عند أميرها زرافة الذي اتخذه لنفسه، وبهذا صار غلام زرافة، واعتنق الإسلام بين عام 249-252هـ/863-866م، وقد تربى زرافة على الإسلام وحسن إسلامه وجهاده وتعلم فنون القتال<sup>(1)</sup>.

أصبح غلام زرافة (ليون الطرابلسي) من أفضل أمراء البحر حيث اتخذ من طرسوس محطة انطلاقه ومرفأً سفنه، وكانت لديه قوة تروع الدولة البيزنطية ونفوذها فغزاها بالعديد من الحملات إلا أن أعظمها على الإطلاق كانت غزوة مدينة سالونيك Tesselouic<sup>(2)</sup> التي كانت تعتبر من أعظم نفوذ الدولة البيزنطية وأغناها بعد القسطنطينية.

(1) - عمر عبد السلام تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الإخشيدية (132-358هـ/750-969م)، طرابلس، جروب برسي، 1998م، ص 81-85.

(2) - سالونيك مدينة يونانية ومركز لبلدية تقع شمال البلاد وهي عاصمة لمنطقة إقليم مقدونيا الوسطى الإدارية، وأيضاً عاصمة إحدى مقاطعات هذا الإقليم والتي تحمل نفس اسم المدينة، وتقع على رأس خليج سالونيك والذي شكل بدوره الجزء الشمالي الغربي من بحر إيجه. يبلغ عدد سكان المدينة حوالي 364 ألف نسمة (تقديرات عام 2001م) وبالتالي تكون ثاني أكبر مدينة من حيث عدد السكان بعد أثينا، وتعتبر أكبر مركز

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

كانت سالونيك في عهد ثيودوسيوس الكبير (329-315م) عاصمة لإقليم الليريكوم Illyricum وجزء من الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطة)، وجعلت مركزاً وقاعدة للحملات الإمبراطورية ضد القوط، صمدت المدينة في وجه العديد من الغزوات القادمة من الشمال والتي قام بها السلاف والألبان، ولكنها عانت من زلزال كبير عام 620هـ هدم العديد من أبنيتها العامة والخاصة<sup>(1)</sup>.

من الاسباب التي أدت الى قيام معركة سالونيك البحرية أراد غلام زرافة الانتقام من البيزنطيين بعد الهزائم المتكررة أمام الأسطول البيزنطي في جزيرة كريت وحملاتهم المتكررة عليها من قبل، إضافة إلى أهمية مدينة سالونيك فهي أعظم قاعدة للأسطول الإيجي، ومرفأ لإصلاح سفن الأسطول التي يصيها التلف، كما أنها عاصمة لإقليم مقدونيا، لذلك فهي تحتل أهمية كبيرة لدى البيزنطيين، غير أن تحصينات المدينة كانت في حالة إهمال، مما استغل غلام زرافة تدهور الأوضاع الدفاعية بها<sup>(2)</sup>.

### أحداث معركة سالونيك :

لما علم الإمبراطور البيزنطي بدنو سفن المسلمين من المدينة أمر بإرسال قوات قتالية متتالية من القسطنطينية إلى سالونيك لكن اختلاف قادة هذه القوات في وضع الخطط الدفاعية سبب إحراز غلام زرافة النصر عليهم<sup>(3)</sup>.

قام أمير البحر غلام زرافة بمطاردة الأسطول البيزنطي في مضيق الهيليس ثم عاد إلى مدينة تاسوس لإعداد المجانيق وإصلاح سفنه، ثم قام

اقتصادي، تجاري، وسياسي في اليونان. Courtland Canby an David S. Lemberg Encyclopedia of Historic Places (Facts. on File, 2007),p 1295.

(1) - Courtland Canby an David S. Lemberg, op.cit,p1295.

(2) - Finnlay, History of the Byzantine Empire, London, 1913, p.248.

(3) - Finnlay ,op. cit, p.248.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

بالحجوم بعد استكشاف واستطلاع مداخل المدينة ومخارجها، إلا أنه لم يتسن له ذلك في البداية قام بعدة محاولات استغرقت عدة أيام<sup>(1)</sup>.

والجدير بالذكر أن أمير البحر غلام زرافة شن هجمات متقطعة لجس النبض ومعرفة القوة الدفاعية للمدينة، وقام في اليوم التالي بإحكام قبضته على المدينة من الجهة الشرقية، فنصب المجانيق واقتحم الجند السور إلا أنهم فوجئوا ببوابل من أحجار البيزنطيين، مما اضطر غلام زرافة لاستخدام وسيلة أخرى فأمر جنوده بملء بعض قوارب الصيد الصغيرة بالحطب والكبريت، ونقلها إلى السور الشرقي وإشعال النيران فيها فسقطت بوابتي روما وكساندرا في المدينة ووجدوا بوابتين من الحجارة الشديدة الأحكام إلى أن جاء الليل وساد الهدوء ميدان القتال وقضى المسلمون ليلتهم في الاستعداد للهجوم الكبير الذي عزموا على القيام به.

وضع أمير البحر غلام زرافة خطة نهائية محكمة وبدأ في تنفيذها، وفكر في ربط عدة سفن كل اثنين منها ربطاً محكماً وأقام أبراجاً خشبية مرتفعة تقذف المدينة ببوابل من السهام وقذائف النيران وزجاجات المواد الحارقة فأخذ المدافعون في الانسحاب والتقهقر<sup>(2)</sup>، وعندئذ دخل المسلمون المدينة بعد أن خاضوا معركة كبيرة قادها أعظم أمير بحر وهو غلام زرافة (ليون الطرابلسي).

### نتائج المعركة وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي:

غنم أمير البحر غلام زرافة غنائم كثيرة، يذكر الطبري قائلاً: "وهذه المدينة على ساحل البحر، وأن غلام زرافة فتحها بالسيف عنوة، واستنقذ

(1) - عنان محمد عبد الله، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، القاهرة، ط5، 1997م، ص95.

(2) - عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص96.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

من الأسرى أربعة آلاف إنسان، وأنه أخذ للروم ستين مركباً، فحملها ما غنم من الفضة والذهب والمتاع والرقيق، وأنه قدر نصيب كل رجل حضر هذه الغزاة، فكان ألف دينار، فاستبشر المسلمون بذلك"<sup>(1)</sup>.

بعد ذلك سار أمير البحر غلام زرافة حاملاً كل ما غنمه من غنائم ورسا في زنتاريون من ثغور أكريطش (كريت) Crete - Candia وقام بتوزيع الغنائم والسبي بين المحاربين حيث تم أسر اثنين وعشرين ألف من أهلها حملوا جميعاً إلى مدينة طرسوس قاعدة الانطلاق ليتم مبادلتهم بالأسرى المسلمين لدى البيزنطيين، وكان من الأهداف الرئيسية لحمات غلام زرافة أخذ أكبر عدد من الأسرى البيزنطيين لاسترجاع أسرى المسلمين عندهم"<sup>(2)</sup>.

لم تتوقف جهود أمير البحر غلام زرافة بل كانت له الكثير من المواجهات البيزنطية واستمر في حملاته وغزواته البحرية الجريئة بمنطقة بحر إيجه وإرسال حملة تلو الأخرى للإغارة على جزيرة كريت فضرب الحصار عليها ودمر العديد من الأسطول البيزنطي وأوقع بهم الكثير من الخسائر.

ومن نتائج معركة سالونيك البحرية ونجاح حملة أمير البحر غلام زرافة في حملاته البحرية ضد الدولة البيزنطية هي أنه أصبح مصدر رعب وإزعاج للبيزنطيين، فقد وضعوه في مرتبة الأمراء الذين اتصفوا بشدة البأس ضدهم، ويقول المسعودي: "أخبرني بعض الروم ممن أسلم وحسن إسلامه أن الروم صورت عشرة أنفس في بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكايد في النصرانية والحيلة من المسلمين منهم عبد الله البطال، وعمرو بن عبيد الله، وعلي يحيى الأرميني، والعريل بن بكار وأحمد بن أبي قطيفة، وقرنياس البلقاني صاحب مدينة إبريق (أزنيق)، وحرس خادس، ويازمان الخادم، أبو

(1) - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج10، ص117.

(2) - محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص97.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

القاسم بن عبد الله الباقي، ومن رجال البحر الذين تبرم بهم الروم ليون الطرابلسي<sup>(1)</sup>.

وبذلك استحق وعن جدارة لقب أمير البحار وأعظم بحار مسلم عرفه التاريخ، وخالصة القول أن أمير البحر غلام زرافة أدى دوراً كبيراً في جهاده ضد البيزنطيين وأنزل بهم الكثير من الخسائر.

### نتائج البحث:

- أوضحت الدراسة أن الإمبراطورية كانت تملك ثلاثة أنواع من الأساطيل، وهي الأسطول الإمبراطوري، وأساطيل الولايات، والنوع الثالث أساطيل الثيمات.
- بينت دور أمراء البحر في العصر العباسي والأسطول الإسلامي وأهميته ودوره في مواجهة البيزنطيين في فترة تعد من أهم مراحل التاريخ والعلاقات بين الشرق والغرب.
- حاولت هذه الدراسة إظهار أهمية معركة سالونيك البحرية وأثرها على المسلمين ووقعها على البيزنطيين.
- أثبتت أن معركة سالونيك جاءت رداً قاسياً للهجمات المتكررة والخسائر التي وقعت على المسلمين أمام البيزنطيين.
- بينت الدراسة أيضاً أن الحرب المستمرة بين العباسيين والبيزنطيين أثرت تأثيراً كبيراً في خلق أمراء للبحر على جانب كبير من الشجاعة والإقدام.
- كشفت أن أمير البحر غلام زرافة نال اهتماماً كبيراً من قبل الخلفاء العباسيين.

(1) - المسعودي، المصدر السابق، ص155.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

- أظهرت أن نشاط أمير البحر غلام زرافة لم يكن بمعركة سالونيك فقط بل في فتح العديد من الجزر الشرقية للبحر المتوسط وعلى رأسها جزيرة كريت.
- أوضحت نبوغ أمير البحر غلام زرافة والذي سبب للروم العديد من المكائد والخسائر والهزائم مما حدا بالروم وضع صورته في كنائسهم.
- بينت بشكل واضح أن أمير البحر في العصر العباسي يتولى إمرة البحر ويجتمع إليه الأسطول للخروج لغزو البيزنطيين.

### مصادر ومراجع البحث

#### المصادر العربية:

- ابن الإخوة: محمد بن محمد القرشي، ت729هـ/1329م، تحقيق محمد محمود شعبان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط6، 1976م.
- ابن حوقل، أو محمد القاسم محمد، ت367هـ/987م، المسالك والممالك، ليدن، سنة 1813م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد، ت560هـ/1164م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.
- البلاذري، أحمد بن يحيى، ت279هـ/892م، فتوح البلدان، القاهرة. د.ت.
- الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت621هـ/1224م، معجم البلدان، دارصادر، بيروت، لبنان، د.ت، ج2.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت310هـ/928م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو محمد الفضل إبراهيم، دارالمعرفة، القاهرة، ط2، ج9.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

- العباسي الحسن بن عبد الله، ت عام 710هـ/1310م، آثار الأول في ترتيب الدول، تحقيق هبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1409هـ/1989م.
- قدامة بن جعفر، أبو الفرح قدامة بن جعفر، ت 328هـ/939م، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسن الزبيدي، دار الرشيد، 1981م.
- القزويني، زكريا بن محمد، ت682هـ/1283م، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، ت346هـ/957م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه كمال حسن مرعي، المكتبة الأموية، ط1، 1425هـ/2009م، ج1.
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، ت845هـ/1441م، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار التحرير، مطبعة بولاق، القاهرة، 1270هـ/1853م، ج3.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح سعيد، ت284هـ/896م، البلدان، بريل ليدن، سنة 1308هـ/1890م.

### المراجع العربية:

- أنيس صايغ، الأسطول الحربي الأموي في البحر الأبيض المتوسط، بيروت، لبنان، 1956م، ج
- الحموي ياسين، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقى، دمشق، 1364هـ/1945
- سرهنك إسماعيل، حقائق عن دول البحار، المطبعة الأميرية، بولاق، ط1، 1314هـ

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

- عثمان ، فتحي، الحدود البحرية البيزنطية الإسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، ج1، 1966
- العدوي إبراهيم، الأساطيل البحرية في البحر المتوسط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1975م.
- العريني، السيد الباز، أجناد الروم، القاهرة، نهضة مصر، 1956
- عمر عبد السلام تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الإخشيدية (132-358هـ/750-969م)، طرابلس، جروب برسي، 1998م.
- عنان محمد عبد الله ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، القاهرة، ط5، 1997م.
- فلهلم جونيرباخ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية، دار الطباعة المغربية، تطوان، المغرب، 1954م.
- قمر محمود، الجيش المصري في عهد الدولة الطولونية، 254-292هـ/868-905م، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1431هـ/2011م.
- لي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1373هـ/1954م.
- ماجد عبدالمنعم تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط7، 1997م.
- ماهر سعاد ، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص283.

المراجع الاجنبية:

- A. Vogt, Basil ler, Emperor de Byzance (867-886) et La Civilizations Byzantine a La fin Du lxe siècle, Burt franklin Research and source Works Series Byzantine Series( Picard,1908).
- Courtland Canby an David S. Lemberg Encyclopedia of Historic Places (Facts. on File, 2007).
- F. Curta, Southeastern Europe in the Middle Europe in the Middle Ages, 500- 1250, (Compridge University Press, 2006) .
- Finnlay, History of the Byzantine Empire,London, 1913
- G. Theotokis, Norman Campaigns In the Balkans, 1081-1108 Boy dell Press, 2014.
- Ghrongva Phiaequae Theophanis Contiouati Nomine fertur Liber quo Vita Basilli.
- H. Ahrmei Les, Byzance et Lamer La Marine de Guerre, La Politique et Les Institutions Maritimes de Byzance Aux VII-XRE Siècles (Presses Universities de France, 1966.
- J. W. Nesbitt and N. Oikonomides, eds, Catalogue of Byzantine Seals at Dumbarton Oaks and in the Fogg Museum of Art: South of the Balkans the Islands, South of Asia Minor (Washington, DC, Dumbarton Oaks Research Library and Collection, 1994), Vol 2.

## معركة سانوليك وأثرها على العالم الإسلامي والبيزنطي (291هـ-904م)

---

- N.A.Oikonomides"ConstantineVII Porphyrogencte et les Themes de Cephalonia et de Longboard Revue des etudes Byzantines 23, No.1 (1965).

- Nesbitt and Oikonamides, Catalogue of Byzantine

- Nike Humphreys, Theme System" in the Oxford Dictionary of Late Antiquity ed Oliver Nicholson (Oxford University Press, 2018.

Seale at Dumbarton Oaks, Vol 2.

الحروب البحريّة المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط  
Maghreb maritime wars in the Middle Age: mechanisms and plans

صالح العبيدي<sup>(1)</sup>

جامعتي أكس-مرسيليا وتونس

salah.abidi@hotmail.fr

---

ملخص:

يحاول هذا البحث إبراز العديد من الجوانب المتعلقة بممارسة مقاتلي بلاد المغرب للحروب البحريّة في الفترة الوسيطة، وهي ممارسة تحكّمت فيها العديد من العوامل، منها ما هو متعلّق بالوسائل الحربيّة من قطع الأسطول والمنجنيقات والعرادات والنّار الإغريقيّة والخناجر والسيوف. لكن استعمال هذه الآليات كان يخضع للتنظيم والتّخطيط، الذين يقومون على الاستطلاع والجوسسة والمناورة من ناحية، وتنوع أساليب المواجهة من ناحية أخرى، حيث المراوحة بين الحصار وإطالته، فضلا عن المواجهة المباشرة في أعماق البحر أو القيام بحملات خاطفة. وكان يشرف على توفير هذه الآليات وتنفيذ الخطط أصحاب السّلطة في بلاد المغرب، الذين تعاقبوا على حكم المنطقة من ولّاء وأمراء وخلفاء وسلاطين.

لذلك سنبين أهمّ خصائص الآليات الحربيّة البحريّة التي توفّرت لبلاد المغرب ودور رجال السّلطة في ذلك، فضلا عن إبراز أهمّ أشكال التنظيمات والخطط الحربيّة التي تمّ وضعها مع التعرّض لأهمّ قواد الأساطيل الذين سهروا على إنجازها.

---

<sup>(1)</sup> - Salah ABIDI, Universités d'Aix-Marseille et de Tunis, docteur en histoire médiévale et chercheur associé au LA3M-UMR7298, salah.abidi@hotmail.fr

## الحروب البحريّة المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

كلمات مفتاحية: بلاد المغرب، الحروب البحريّة، العصور الوسطى، الآليات، الاستراتيجيّات.

### Abstract :

This research seeks to highlight many aspects of the maritime warfare exercise of the Maghreb fighters in the Middle Age, a practice in which many factors have been controlled, including those related to the cutting of the fleet, catapults, customs, Greek fire, daggers and swords. However, the use of such mechanisms was regulated and planned, based on reconnaissance, institutionalization and manoeuvre, on the one hand, and, on the other, the diversification of methods of confrontation, in which the embargo prevailed and prolonged, as well as direct confrontation in the deep sea or blitz campaigns. The provision of these mechanisms and the implementation of the plans were carried out under the supervision of Maghreb authorities who succeeded in governing the region's mandate, princes, successors and sultans.

We will therefore highlight the most important characteristics of the maritime warfare mechanisms provided to Maghreb and the role of the Authority's personnel in doing so, as well as the most important forms of warfare regulations and plans that have been developed and the most important fleet commanders who have been able to succeed.

**Keywords:** Maghreb, maritime wars, medieval, mechanics, plans.

### الهدف من الدّراسة:

تهدف هذه الدّراسة إلى محاولة التعرّف على التّاريخ البحري الحربي لبلاد المغرب، وهو تاريخ يحتاج إلى دراسة عميقة خاصّة من حيث الآليات،

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

ولاسيما السفن الحربية التي غالبا ما تحمل نفس أسماء السفن التجارية رغم أنّ العديد من الدارسين يؤكّدون على دورها المزدوج، كما أنّ الأسلحة لم تردنا عليها إلاّ بعض الإشارات في كتب الجغرافيين والإخباريين، ومن ثمة كانت الحاجة إلى معرفة خصائصها من حيث مواد إنشائها وفعاليتها في المعارك البحرية. ومن ناحية أخرى فهم الخطط المتبعة، وأوقات خروج الأسطول، وارتباطها بالذهنية المغربية، حيث يطغى عليها مفهوم البركة، لننتهي بعرض بعض نماذج هذه الحروب البحرية التي تنوّعت أشكال ممارستها، وساهمت في فتح مناطق وجزر في البحر المتوسط، وخلصت عدة مدن من هيمنة التورمان والإسبان قبل أن تأفل قوتها، وتفسح المجال لقوى أوروبية أخرى.

### منهجية الدراسة:

اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي في دراستنا كمحاولة للتعليل التاريخي لبعض الحروب البحرية المغربية من خلال استعراض أمثلة للآليات الحربية، وصنّفناها إلى سفن حربية، اختلفت أحجامها، وتنوّعت أدوارها، فضلا عن الأسلحة، ومنها الخفيفة التي تستعمل في المواجهات المباشرة، والأسلحة الثقيلة التي يتمّ توظيفها في حالات الحصار. وبالتالي تمّ التعرّض إلى أهمّ الخطط الحربية، التي تمكّن من خلالها مقاتلو، وحكام بلاد المغرب من تحقيق العديد من الانتصارات طوال فترة قوّة أسطولهم البحري.

### عناصر الدراسة: اعتمدنا في دراستنا التخطيط التالي:

#### 1- آليات الحروب البحرية:

2- أهمّ الأطراف المتداخلة في ضبط الخطط الحربية وإنجاحها.

3- خطط الحروب البحرية تخضع لتخيّر أوقات معينة وتنوع أساليب المعارك.

### مقدمة:

مثل قدوم العرب المسلمين لبلاد المغرب، فرصة للحدّ من الهيمنة البحرية البيزنطية<sup>(1)</sup>. حيث عمل ولاة إفريقية منذ نهاية القرن الأوّل الهجري على انتهاج سياسة بحرية تقوم على بناء أسطول حربي، وتوفير العدد والعتاد والمقاتلة، وقاموا بتهيئة وبناء الموانئ، وجهّزوها بدور الصّناعة لتوفير الآليات الحربية. وجدت هذه السياسة صدى في كامل المنطقة على فترات متعاقبة من العصر الوسيط، ولتحوّل معها بلاد المغرب من حالة الدّفاع إلى المبادرة بالهجوم، بخوض حروب بحرية، كان لا بدّ لها من تنظيم وتخطيط على مستوى تخيّر أوقات خروج الأسطول، وتعيين قواده، وضبط أهدافه (فتوحات أو حملات خاطفة). وكانت أوامر التنظيم والتعبئة تصدر مباشرة من رأس السّلطة، والذي قد يقود أحيانا بنفسه الحروب البحرية لما تمثله شخصيته من رمزية؛ فيكون مشاركا في رسم الخطط الحربية، والتي تراوحت بين الحصار تارة، واختيار المواجهة المباشرة في أعماق البحار أو القيام بحملات خاطفة لتحصيل الغنيمة تارة أخرى. وتمثّلت آلات التّنفيذ أساسا في السّفن والأسلحة، التي يقتضي جوازها أخذ الاحتياطات الضرورية بالاعتماد على التجسس والمناورة.

فماهي أبرز الآليات التي تمّ اعتمادها لتحقيق الانتصارات والفتوحات؟

وماهي تجليات ارتباط الخطط الحربية بالدّهنية المغربية؟

وما مظاهر تأثير الحكام في رسمها وإنجازها؟

<sup>(1)</sup> - Héléne Ahrweiler, *Byzance et la mer : la marine de guerre, la politique et les institutions maritimes de Byzance aux VII<sup>e</sup> -XV<sup>e</sup> siècles*, Paris, PUF, 1966, p. 7.

### 1. آليات الحروب البحرية

لئن اقتضت ممارسة الحروب البحرية وسائل عديدة لتحقيق الفتوحات وصدّ الهجمات، ومنها الأساطيل التي ستحمل المقاتلة والقواد، فضلا عن الأسلحة بمختلف أنواعها، فإنّ صناعة السفن بمعدّاتها الحربيّة كانت في حاجة إلى إطار مكانيّ لصنعها وصيانتها وإصلاحها، وإلى مكان تنطلق منه وتعود إليه بعد إنجاز المهمّات. ولمّا كانت "قيادة الأساطيل من مراتب الدّولة وخططها في ملك المغرب وإفريقيّة"<sup>(1)</sup>، فقد عمل ممثّلو السّلطة على:

أ. إحداث الموانئ المجهّزة بدور الصّناعة: يمكن اعتبار ميناء تونس ودارصناعتها من أوّل المنشآت البحريّة في بلاد المغرب، والثّابت أنّها أسّسها في عهد الولاّة الأمويين في نهاية القرن الأوّل الهجري بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان<sup>(2)</sup>. وإذا كان الميناء يمثّل نقطة انطلاق الحملات البحريّة، فإنّ دارصناعة تونس هي المكان الذي تحفظ فيه السفن حتى لا تطالها الرّياح والأنواء<sup>(3)</sup>، وفيه تصنع السفن الحربيّة لمحاربة البيزنطيين والإغارة على سواحلهم، ودرء تهديداتهم تحصينا للعاصمة القيروان<sup>(4)</sup>، وقد تكون وقرت حوالي

(1) - عبد الرحمان بن خلدون، المقدّمة، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1989)، ص 310.

(2) - هناك اختلاف في المصادر حول مؤسس دارصناعة تونس فهناك من يرجعها إلى الوالي حسّان بن النعمان، وهناك من ينسبها للوالي موسى بن نصير(85-92هـ/704-711م)، وهناك من ينسبها إلى عبيد الله بن الحبحاب سنة 114هـ/732م، ويقول آخرون أنّ ابن النعمان بناها وابن الحبحاب جدّدها وطوّرها، أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، (تونس: الدار العربيّة للكتاب-المؤسسة الوطنيّة للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، 1992)، ص 695؛ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهادهم ونسآكهم من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج 1، تحقيق بشير البكوش، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994)، ص 49؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (تونس-ليبيا: الدار العربيّة للكتاب 1981)، ص 6-7؛ عبد الله بن مسلم الدينوري، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ج 2، (سوسة-تونس: دار المعارف للطباعة والنّشر، 1997)، ص 295؛ صالح العبيدي، البحر في المغرب الوسيط بين الممارسة والتصور، (تونس: مجمع الأطرش، 2024)، ص 149-150.

(3) - الدينوري، الإمامة والسياسة، ص 296.

(4) - البكري، المسالك والممالك، ص 695؛ التيجاني، رحلة التيجاني، ص 6-7.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

مائة مركب لغزو صقلية والتي عرفت بغزوة الأشراف<sup>(1)</sup>. ويبدو أنّ دورها سيتراجع لصالح دار صناعة سوسة في العهد الأغلبي والتي أحدثها زيادة الله بن الأغلب (201-232هـ/817-838م) في بداية القرن 3هـ/9م<sup>(2)</sup>، وهو ما يعكس بداية استقلالية إفريقية عن مركز الخلافة في المشرق، لأنّها أنشئت بأمر من الأمير الأغلبي وليس الخليفة، وجاءت لتعبّر عن الرغبة التوسعية للأغالبة في البحر المتوسط، والظاهر أنّه تمّ تدعيمها بدار صناعة في مالطة<sup>(3)</sup>.

وشيد الفاطميون أول عاصمة بحرية وهي المهديّة، جهّزت بميناء ودار صناعة في بداية القرن 4هـ/10م مع تباين حول تحديد تاريخ التأسيس، فالبعض يذكر سنة 300هـ/912م<sup>(4)</sup>، في حين يرجّح آخرون سنة 303هـ/915م<sup>(5)</sup>. وتكمن الوظيفة الحربية لهذه الدار في احتوائها على مهن مرتبطة بالحروب البحرية ولاسيما صناعة السفن والسيف<sup>(6)</sup>، فضلا عن دورها في حفظ "آلات المراكب وعددها لثلاثين ألفا شمس ولا مطر"<sup>(7)</sup>، والوحيد الذي أقرّ بوجود

(1) - الدينوري، الإمامة والسياسة، ص 296؛ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيبي المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، (تونس: مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ)، ص 12-13.

(2) - حسن حسني عبد الوهاب، ورفقات عن الحضارة العربية الإسلامية، القسم 2، (تونس: مكتبة المنار، 1966)، ص 28؛

Alexandre Lezine, *Deux villes d'Ifrigiya, Études d'archéologie, d'urbanisme, de démographie : Sousse, Tunis*, Paris, Librairie orientales Paul Geuthner, 1971, p. 94.

(3) - البكري، المسالك والممالك، ص 486، 520؛ محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م، ترجمة المنجي الصيادي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995)، ص 538-538؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، 1984)، ص 520.

(4) - البكري، المسالك والممالك، ص 683.

(5) - عز الدين بن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 6، تحقيق محمد يوسف الدقاق، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987)، ص 489؛ عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 7، (القاهرة: بيروت: دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، 1999)، ص 80؛ تقي الدين بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج 1، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996)، ص 70.

(6) - أبو علي منصور الجوزري، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1954)، ص 47 و 98.

(7) - البكري، المسالك والممالك، ص 683.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

داري صناعة بالمهدية القاضي النعمان، حيث لم تقدر على احتواء المراكب لكثرتها، فاقتضى ذلك استصلاح دارصناعة سوسة<sup>(1)</sup>. وتبرز هذه المعطيات قوة الأسطول الحربي الفاطمي، الذي سيكون له دور في الفتوحات في الجزر المتوسطية وفي الشرق.

واضطلعت بنفس الدور دارصناعة بجاية عاصمة بنو حماد الجديدة في أواسط القرن 5هـ/11م، وكذلك دارصناعة طرابلس لصنع السفن وإصلاحها<sup>(2)</sup>.

وأنشئت هذه المؤسسات في المغربين الأوسط والأقصى بداية من حكم المرابطين، وهو ما يعكس رؤية حكّام المنطقة الجدد، الذين سيواصلون السياسة البحرية التي انتهجها أسلافهم الأغالبة والفاطميون بالمغرب الأدنى. ومن المرجح أن يكون المرابطون قد أسسوا على الواجة المتوسطية دارصناعة قصر مصمودة والمعروف أيضا بقصر الجواز أو المجاز<sup>(3)</sup>، وهو الميناء الذي سيكون له دور كبير في تسهيل عملية الجواز إلى الأندلس بداية من هذا العهد. وقد رجّح كريستوف بيكار أن يكون إنشاء دارصناعة طنجة في هذه الفترة وتحديدًا سنة 474هـ/1081م<sup>(4)</sup>، وهي نفس الفترة التي أسست فيها دار

(1) - القاضي النعمان، المجالس والمسارات، تحقيق جماعي، (بيروت: دار المنتظر، 1996)، ص 530؛ فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م)، ترجمة حمادي الساحلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994)، ص 571.

(2) - البكري، المسالك والممالك، ص 760؛ مارمول كربخال، إفريقيا، ج 3، ترجمة مجموعة من المؤلفين، (الرباط: دارنشر المعرفة، 1988-1989)، ص 124؛

Maurice Lombard، «Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane VII<sup>e</sup>-XI<sup>e</sup> siècles»، *Espaces et réseaux du haut Moyen Âge*, Paris-La Haye (Mouton), 1972, p. 108-151.

(3) - الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2002)، ص 527؛ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1958)، ص 138؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج الصادق، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1998)، ص 113-128؛ ابن خلدون، العبر، مج 11، ص 436.

(4) - Christophe Picard، «Les arsenaux musulmans de la Méditerranée et de l'Atlantique (VII<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècle)»، in *Chemins d'outre-mer. Études sur la Méditerranée médiévale offertes à Michel Balard*, Paris, Publications de la Sorbonne, 2004, p. 691-710.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

صناعة سبتة<sup>(1)</sup>، رغم أنّ البعض يحصر دور المرابطين في إعادة تهيئتها<sup>(2)</sup>، إذ تعتبر من أقدم ورشات بناء السفن<sup>(3)</sup>.

ويبدو أنّ أوج تأسيس دور الصّناعة، وتنامي نشاطها في بلاد المغرب كان في عهد عبد المؤمن بن علي الموحدي، والذي وجّه أنظاره نحو الشمال حيث الأندلس ونحو الشّرق إلى المغربين الأوسط والأدنى، هذه الطّموحات جعلته يأمر بتشيد دار صناعة المعمورة على الواجهة الأطلسية حوالي سنة 545هـ /1150م للتحضير للحملة على بجاية في السّنة الموالية<sup>(4)</sup>، مع التّدكير بوجود دار صناعة في فاس بعيدة عن البحر، كانت شيّدت سنة 552هـ/1157م تحضيراً لتخليص المهديّة من النورمان، وارتبطت بالمعمورة حيث تصنع السفن بهذه الدار، ثم تسير في وادي سبو لتصل إليها<sup>(5)</sup>. وقد وقّرت هذه الدار 120 قطعة من مجموع 400 سفينة التي أمر عبد المؤمن بن علي ببنائها سنة 557هـ/1162م<sup>(6)</sup>، ويبدو أنّ هذه السّنة هي التي تأسّست فيها دار صناعة وهران وهنين اللتان وقّرتا إلى جانب دور صناعة إفريقيّة حوالي 100 قطعة<sup>(7)</sup>.

(1) - Id, *L'Océan Atlantique musulman: de la conquête arabe à l'époque almohade. Navigation et mise en valeur des côtes d'Al-Andalus et le Maghreb occidental (Portugal-Espagne-Maroc)*, Paris, Maisonneuve et Larose, Éditions UNESCO, 1997, p. 273.

(2) - Néji Djelloul, *La voile et l'épée. Les côtes du Maghreb à l'époque médiévale*, Tunis, Publication de la Faculté des Lettres, des Arts et des Humanités-Manouba, 2011, p. 422.

(3) - محمد الشريف، "الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة (القرن 12-14م)", مجلة البحث العلمي، ملف العدد: صفحات من التاريخ البحري المغربي، السنة 31، الرباط، 1998، ص 29-43.

(4) - Christophe Picard, *L'Océan Atlantique musulman...*, op. cit., p. 281.

(5) - أحمد بن القاضي المكناسي، جدوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج 1، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973)، ص 45؛ رشيد السلامي ومحمد فتحة، "دار صناعة فاس"، معلمة المغرب، (سلا: مطابع سلا، 2000)، ص 3927.

(6) - أبو الحسن علي ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور للطباعة والنشر، 1992)، ص 200-201.

(7) - ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص 200-201؛

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

في حين ساهمت دار صناعة بادس مع دار صناعة سبتة وطنجة بمائة قطعة في نفس هذه السنة<sup>(1)</sup>. وفي العهد المريني شيدت دار صناعة سلا على يد المهندس الإشبيلي محمد بن علي الإشبيلي (توفي سنة 714هـ-1314م) في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني<sup>(2)</sup>.

ولئن تجسّد الدور الرئيسي لدور الصّناعة في صناعة السفن الحربيّة، فإنّ ما ميّز السفن هو اختلاف أسمائها، التي تحمل دلالات عدّة، قد تعبّر عن وظائفها الحربيّة، وعن تصوّرات وتمثّلات مجتمع البحر في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط.

ب. قطع الأسطول الحربي: تعدّد الأسماء والدلالات يعكس تخصّصها في الأدوار: يعتبر موضوع السفن بشكل عام، والسفن الحربيّة بشكل خاصّ من المواضيع التي تحتاج اليوم لدراسة أعمق يتداخل فيها الأثري بالإخباري، لمحاولة تحديد خصائصها، من حيث الحجم والسعة والوظيفة. ورغم الصّعوبات التي تواجهنا في تحديد سمات كلّ نوع، فسنحاول تصنيف هذه السفن المكوّنة للأسطول الحربي لدول المغرب الوسيط حسب وظائفها، وما تحمله أسماءها من أبعاد رمزيّة في الدّهنية المغربيّة، وسنبداً بتناول السفن التي ورد ذكرها في معناها العامّ دون تحديد لأسمائها أو أحجامها أو وظائفها الحربيّة ومنها:

---

Christophe Picard, « Les arsenaux musulmans... », art. cit., p. 691-710; Georges Maarçais, « Recherches d'archéologie musulmane : Honain », *Revue Africaine*, 69, 1928, p. 333-350.

(1) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 200-201.

(2) - محمد بن علي الدكالي، الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، تحقيق مصطفى أبو شعراء، (سلا: مطبعة المعارف الجديدة، 1996)، ص 77، 182؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 3، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997)، ص 22.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

القطعة: جمعها قطع وقطائع، وتعني السفن الحربية، وفي جذور اللغة العربية (ق-ط-ع)، تحيل إلى عبور نهر أو محيط<sup>(1)</sup>، وقد قدر حجم الأسطول الفاطمي في عهد المعز لدين الله الفاطمي بـ 600 قطعة<sup>(2)</sup>. واستعمل القائد أبو عبد الله بن ميمون 300 قطعة لفتك الحصار على جزيرة يابسة والذي فرضه عليها الجنوبيين والبيشانيين في العهد المرابطي سنة 508هـ/1115م<sup>(3)</sup>، وضمّ الأسطول الموحدية قطعاً<sup>(4)</sup>. وأنجذت القطع سكان سواحل الأندلس في العهد المريني، ففي سنة 678هـ/20 جويلية 1280م تمّ جمع اثنين وسبعين قطعة، لتقديم العون لسكان الجزيرة الخضراء، وهذه اللفظة وفي إطار استعمالها العام، قد تحمل أيضا اسم الأجناف حسب ما أورده ابن أبي زرع الفاسي<sup>(5)</sup>.

الأجناف: لا بدّ من الإشارة أنّ لفظ الأجناف قد تعني في بلاد المغرب الوسيط مجموع قطع الأسطول، فقد تكوّن الأسطول الموحدية في عهد محمد الناصر بن يعقوب المنصور (حكم بين 595-610هـ/1199-1214م) من ثلاثمائة جفن: سبعون غرابا، وثلاثون طريدة، وخمسون مركبا كبيرا، وقوارب متنوعة<sup>(6)</sup>، وقد تكون القراقر والشلالير من الأجناف<sup>(7)</sup>، وفي العهد المريني كان الشيطي

<sup>(1)</sup>-Donisius A. Aigius, *Classic ships of Islam from Mesopotamia to the Indian Ocean*, Leiden-Boston, 2008, p. 352.

<sup>(2)</sup>- تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج 3، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998)، ص 15.

<sup>(3)</sup>- أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، ج 2، تحقيق صالح بن عبد الله الغامدي، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 2008)، ص 1309؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، 1983)، ص 45.

<sup>(4)</sup>- ابن أبي زرع، الأئیس المطرب، ص 201.

<sup>(5)</sup>- ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص 331.

<sup>(6)</sup>- الحميري، الروض المعطار، ص 567.

<sup>(7)</sup>- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدية، تحقيق مجموعة من الأساتذة، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985)، ص 418.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

والطريدة والغراب من الأجنان الغزوانية<sup>(1)</sup>. ويمكن تصنيف هذه الأجنان إلى كبار وأخرى صغار<sup>(2)</sup>، وتحديد أهم خصائص هذه السفن وأدوارها والدلالات التي تحملها أسماؤها.

\*المراكب الحربية الصغيرة: ما يميّز هذه السفن حسب وظائفها التي أوردتها المصادر هو صغر حجمها، الذي يكسبها خفة وسرعة في إنجاز مهماتها، ولذلك اشتقت أسماؤها من أسماء بعض الحيوانات وخاصة الطيور لأنها تسير "مسرعة كالطير الطائر"<sup>(3)</sup>، ومنها السلورة، وجمعها سلالير، وقد يكون اسمها قد ارتبط بطائر السلار، فهي تشبه هذا الطائر من حيث الشكل<sup>(4)</sup>، والسرعة والخفة، مواصفات جعلتها تؤدي وظيفة التجسس على سفن العدو بميورقة في القرن 7هـ/13م<sup>(5)</sup>.

وقد يكون لاسمها علاقة ببعض الطيور التي تمثل نذير شؤم في الذهنية البشرية، بهدف بثّ الخوف وترهيب سفن "العدو"، لذلك سجلنا شيوع مراكب تعرف بالأغربة، ومفردها غراب، ويسير بالأشعة والمجاديف. ويسير الصغير بعشرة مجاديف، وقد يكون عرف بهذا الاسم لنوعية الطلاء الذي طلي به، وهو الزفت الأسود اللون، أو قد يكون لشكل مقدمته، التي تشبه رأس طير الغراب<sup>(6)</sup>.

(1) - علي الجزائني، جني زهرة الآس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، (الرباط: المطبعة الملكية، 1991)، ص 37؛ ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990)، ص 276-277؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 332.

(2) - ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 425.

(3) - أبو حامد الغرناطي، رحلة الغرناطي تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبا وآسية، تقديم قاسم وهب، (أبو ظبي-بيروت: دار السويدي للنشر والتوزيع-المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003)، ص 114.

(4) - أبو مطرف أحمد بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، (بيروت: دار الكتب العلمية،

2007)، هامش 1، ص 91.

(5) - ابن عميرة، نفس المصدر، ص 91.

(6) - درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، (القاهرة: دار المعارف، 1979)، ص 104؛ عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها، (مصر: مطبعة الهلال، 1913)، ص 7؛

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

وتنوّعت استعمالاته في الحروب البحرية، إذ كان من بين قطع الزيّرين التي شاركت في غزو بلاد الرّوم سنة 503هـ/1109م<sup>(1)</sup>، وكان من آليات القتال البحري الموحّدي<sup>(2)</sup> والمريني<sup>(3)</sup>، ولعلّ خفّته وسرعته جعلته يضطلع بدور إيصال الأخبار السريّة والهامة من الأندلس في العهد المرابطي<sup>(4)</sup>، واعتمده الموحّدون في عمليّات الجوسسة على "العدوّ"<sup>(5)</sup>.

وقد يتّخذ المركب اسم فرس مثل الشّيطي الذي كان شائعاً في بلاد المغرب<sup>(6)</sup>، والشّيط حسب ابن منظور الفرس الأنيق<sup>(7)</sup>، وحمل المراكب لهذا الاسم فيه إيحاء بالقوّة والسّرعته، التي من شأنها إرباك العدوّ في المعارك البحرية<sup>(8)</sup>. واستعملها الموحّدون في حروبهم البحرية في الأندلس نهاية القرن 6هـ/12م<sup>(9)</sup>، ويذكر ابن عميرة أنّها تمثّل جزءاً من الأسطول الحربي المريني في

=

Donisius A. Aigius, *Classic ships of Islam*, op. cit., p. 349-351; Christophe Picard, *L'Océan Atlantique musulman*, op. cit., p. 304.

(1) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 305.

(2) - الحميري، الروض المعطار، ص 568؛ أحمد عزوي، رسائل موحّدية، (القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالقنيطرة، 2001)، ص 236.

(3) - ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 276-277، 354.

(4) - خلال حصار ميورقة سنة 508هـ/1114م من قبل حلف أساطيل جمهوريّة بيشة وجنوة وبرشلونة ومونبيلي، بعث ناصر النّولة رسالة مع قائد غراب، خرج ليلاً من دار الصّناعة، ولم يتفطّن له المحاصرون في البداية بسبب سواد لونه مع ظلمة الليل، ولمّا حاولت سفنهم اللّحاق به، أفلت منهم، وأوصل الرّسالة إلى برعدوة المغرب الأقصى، ابن الكردبوس، الاكتفاء، ج 2، ص 1309-1312.

(5) - ابن عميرة، تاريخ ميورقة، ص 90.

(6) - ابن أبي زرع، الأنيب المطرب، ص 220-221؛ الجزائني، جني زهرة الآس، ص 37؛ ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 354.

(7) - أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مج 8، (بيروت: دار صادر، 2005)، "مادة الشّيط"، ص 176.

(8) - النخيلي، السفن الإسلاميّة على حروف المعجم، ص 82-83.

(9) - ابن أبي زرع، الأنيب المطرب، ص 220-221.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

القرن 8هـ/14م، ويضيف أنها تجذّف بمائة وعشرين مجذافاً<sup>(1)</sup>، وهو ما قد يشير إلى كبر حجمها وسعة حمولتها.

وتؤدّي الحربيّات وظيفّة حربية خلال المواجهات المباشرة، وتشبه الشواني، تتميز بصغر حجمها وسرعتها، تسير بالمجاديف والشرع، وتحتوي على أدوات قذف التّفط<sup>(2)</sup>، واعتمدها بنو زيري بإفريقيّة، وأبرز ابن حمديس أدوارها السّالفة الذكر في مدحه للأمير الصنهاجي علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس (حكم 509-515هـ/1116-1121)، إذ يقول:

والحرب في حربية نيرانها ... تطأ المياه بشدّة الإيعاد  
ترمي بنفط كيف يبقى لحفه .... والشم منه محرق الأكباد<sup>(3)</sup>

وكان هذا النّوع من السّفن يصنع في هذا العهد بدار صناعة تونس في القرن 6هـ/12م<sup>(4)</sup>، كما اعتمد المرينيّون على نوع آخر من المراكب يسمّى الشلّير الذي يجربستين مجذافاً<sup>(5)</sup>.

**\*السّفن الحربيّة الكبرى:** تمكنا أسماء السّفن الحربية الكبرى وأحجامها من تبيّن مختلف أدوارها، ومنها:

الحراقة: وجمعها حراقات، تحمل الأسلحة النارية الثقيلة مثل المنجنيقات والعرادات الأقل حجماً، وهي الآلات الحربيّة التي يرمى منها التّفط المشتعل أو ما

(1) - الجزناني، جني زهرة الآس، ص 37؛ ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 354.

(2) - حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، (بيروت: العصر الحديث للنشر، 1992)، ص 552.

(3) - عبد الجبار بن حمديس الصقلي، ديوان بن حمديس، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1970)، ص 146.

(4) - الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (ليدن: بريل، 1836)، ص 112.

(5) - الجزناني، جني زهرة الآس، ص 37.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

يعرف بالنار الإغريقية لحرقت سفن "العدو"، وتجذف بمائة مجداف<sup>(1)</sup>. استعملها الأغالبة في حروبهم البحرية بصقلية ضد البيزنطيين ومنها معركة في سنة 220هـ/835م<sup>(2)</sup>، ويؤكد المقرئ أن هذا النوع من السفن كان يصنع بدور الصنعة بمصر الفاطمية في بداية القرن 6هـ/12م<sup>(3)</sup>، وأنشئت دار صنعة قصر مصمودة في العهد الموحد الحراقات<sup>(4)</sup>. وخاضت بها البحرية المرينية حروبا، ومنها قذف النفط المشتعل في القرن 8هـ/14م<sup>(5)</sup>.

ونذكر من هذا الصنف الشيني، وهو مركب حربي كبير، يحمل بين مائة ومائة وخمسون رجلا من المقاتلة والجنود، يجذف بمائة مجداف، له دور دفاعي وهجومي<sup>(6)</sup>. وعد من أهم قطع الأسطول الفاطمي بإفريقية<sup>(7)</sup>، ويحمل النفاطات التي ترمي سفن "الأعداء" بالنار الإغريقية، وهو ما عبّر عنه شعر ابن حمديس في مدحه للحسن بن علي الزيري<sup>(8)</sup>.

(1) - النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص 32؛ عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص 5؛ عبد العزيز بن عبد الله، "دور الملاحة المغربية في البحار طوال ألف عام"، مجلة المناهل، العدد 32، السنة 12، مارس 1985، ص 64-121.

(2) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 105-106؛ ميخائيل أماري، المكتبة العربية الصقلية، (بيروت: دار صادر، مصورة عن ليبسك، 1857)، ص 356.

(3) - المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج 3، ص 58؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص 552.

(4) - الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 529؛ عبد السلام الجعماطي، دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالمغرب الإسلامي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2012)، ص 68.

(5) - ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 354.

(6) - محمد الشاذلي النيفر، الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، تحقيق الطاهر بن محمد بن الشاذلي النيفر وأمال حمزة، (تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2008)، ص 201؛ عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي، ص 4-5؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ص 552.

(7) - البكري، المسالك والممالك، ص 863؛ المقرئ، اتعاظ الحنفا، ج 1، ص 70.

(8) - ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، ص 513.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

ويمكن القول أنّ الدّول اللاحقة التي حكمت بلاد المغرب اعتمدت هذا النوع من السفن، فالموحدون استعملوها في حروبهم ضدّ الاسبان بالأندلس وضدّ النورمان بإفريقيّة<sup>(1)</sup>، كما الحال في العهد المريني<sup>(2)</sup>.

وتعدّدت وظائف سفن أخرى، ومنها الشلندي، استغلّ في نقل المقاتلين والأسلحة والغذاء والماء<sup>(3)</sup>، وهذه السفينة مسطّحة، وواسعة، ويتم القتال على سطحها ويجذّف الجذّافون من تحت<sup>(4)</sup>، وقاد محمد بن عبد العزيز بن ميمون الشلنديّات في حصاره لمدينة تونس سنة 555هـ/1160م لتخليصها من النورمان<sup>(5)</sup>.

وذكرت المسطّحات، وهي من السفن الحربية الكبيرة، قد تحمل خمسمائة راكبا، يعرف المسطّح لدى الإسبان بـ *mestech*، وعند البرتغاليين بـ *mistico*<sup>(6)</sup>، واعتمد عليها الموحدون في القرن 6هـ/12م<sup>(7)</sup>.

ج. الأسلحة: يمكن أن نميّز بين أسلحة خفيفة وأخرى ثقيلة، تختلف استعمالاتها في المعارك، وحسب الخطط المعتمدة في الحروب البحرية، منها ما يكون للمواجهات المباشرة على ظهور السفن، ومنها ما يستعمل على مسافات أو في حالات الحصار.

(1) - ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص 220-221؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 9، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1987)، ص 259.

(2) - ابن الحاج النميري، فيض العباب، ص 354.

(3) - Donisius A. Aigius, *Classic ships of Islam*, op. cit., p. 337.

(4) - محمد الشاذلي النيفر، الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، ص 201؛

Donisius A. Aigius, *Classic ships of Islam*, op. cit., p. 337.

(5) - أماري، المكتبة العربية الصقلية، ص 304؛ التيجاني، رحلة التيجاني، ص 347؛ أحمد عزاوي، "الأسطول، التّجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8هـ(12-14م)، ورد ضمن *التاريخ المغربي*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالمحمدية، سلسلة ندوات، رقم 7، ص 71-85.

(6) - النخيلي، السفن الإسلاميّة على حروف المعجم، ص 141-142.

(7) - ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص 220-221.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

\*الأسلحة الخفيفة: يعتبر السيف من أهمّ الأسلحة الخفيفة التي اعتمدها المغاربة في حروبهم البحرية، ويصنع من الحديد، وهو مشتقّ من "ساف ماله إذا هلك"<sup>(1)</sup>، وهو من الأسلحة التي خاض بها مقاتلة الدّول التي نشأت بإفريقيّة حروبها البحريّة في جزر البحر المتوسّط وساحل البحر الأحمر بداية من الأغالبة، ثمّ الفاطميين وصولاً إلى الزييين<sup>(2)</sup>، كما اعتمدت الدّول التي قامت بالمغرب الأقصى من المرابطين والموحّدين والمرينيين على هذا السّلاح، فقد تغنّى صاحب الحلل الموشية بقوّة ضربات سيف يوسف بن تاشفين في معركة الزلّاقة (12 رجب 479هـ/22 أكتوبر 1086م) وإن كانت معركة بعيدة عن البحر إلّا أن الجواز إليها كان عبر هذا الفضاء المائي، فيقول:

سيفك إنّهُ ... سخط على دين الصّليب<sup>(3)</sup>

وكانت السيوف حاضرة في المواجهة بين أجفان المرينيين وأجفان ألفونسو العاشر Alphonse X سنة 678هـ/1279م لفقّ الحصار على الجزيرة الخضراء<sup>(4)</sup>.

وتعتبر القسيّ (مفردها قوس)، من أسلحة المغاربة في العصر الوسيط<sup>(5)</sup>، وهي أعود لينة مشدودة بخيط من الطّرفين، تقوّسها على شكل الهلال<sup>(1)</sup>، وبها

(1) - مرضى بن علي الطرطوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفة النّجاة في الحروب من الأسواء، تحقيق كلود كاهين، عرض واصف باقي، مجلة التراث العربي، العددان 83-84، السنة 21، سبتمبر 2001، ص 283.

(2) - أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، مج 3، تحقيق محمد حجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999)، ص 446؛ عبد الله محمد جمال الزين؛ الدولة الفاطميّة وقيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، (القاهرة: دار الثقافة والنّشر والتوزيع، 1991)، ص 262.

(3) - مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (الدار البيضاء: دار الرشد الحديثة، 1979)، ص 58؛ يشير النّاصري إلى استعمال المرابطين للسيوف، الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 47.

(4) - ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص 333؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5، ص 203.

(5) - ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، مج 3، ص 428؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحّدين، ص 160؛ مجهول، الحلل الموشية، ص 76؛ الحميري، الروض المعطار، ص 567.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

ترمى السّهام أو النّشاب، وهي المصنوعة أساسا من خشب الزّان وفي رأسها تركّب قطعة حديد مدبّبة، ويقال نشب بمعنى رشق أو رمى، والنّاشب هو رامي السّهام ويقال له قواس<sup>(2)</sup>. والظّاهر أنّ القسي كانت من الأسلحة الفعّالة في خوض المعارك على مسافات قريبة بين السّفن<sup>(3)</sup>.

ويعدّ الرّمح من أسلحة الطّعن في الاشتباكات القريبة، يتكوّن من ثلاث أجزاء، القناة وتمثّل الجزء الخشبي، أمّا الزج فهو الحديدية التي تكون في أسفل الرمح، والسنان تكوّن الجزء العلوي، وهو رأس حديد مدبّب<sup>(4)</sup>، وإن كان للفاطميين رماحهم<sup>(5)</sup>، فإنّ المرابطين استعملوا نوعا سيّ بمزاريق الزّان، وسمّيت بهذا الاسم لأنّ القناة مصنوعة من خشب الزّان، وهي من الرماح القصيرة<sup>(6)</sup>، وقد لا حق جيش المرينيين جيوش ألفونسو العاشر Alphonse X في ماء البحر وقتلوهم بالرماح في معركة الجزيرة الخضراء<sup>(7)</sup>.

ويبدو أنّ الموحدّين استعملوا الفؤوس في حروبهم البحريّة<sup>(8)</sup>، فضلا عن الخناجر التي كانت تسمّى في بلاد المغرب بالأفطس<sup>(9)</sup>، وهي على شكل مقوّس، حتّى اعتقد

(1) - عبد الله محمد جمال الزّين، الدولة الفاطميّة. قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، ص 226؛ عادل عواد

الطائي، "تسليح جيش المرابطين"، AAM، العدد 21، السنة 2014، ص 172-137.

(2) - رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، ج 10، ترجمة جمال الخياط، (بغداد، دار الشؤون الثقافيّة العامّة،

2000)، ص 219.

(3) - محمد الشريف، "الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة (القرن 12-14م)"، ص 29-43.

(4) - الطرطوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 283-284.

(5) - القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 483.

(6) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 117؛ الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 47؛ الطرطوسي، تبصرة أرباب

الألباب، ص 284؛ عادل عواد الطائي، "تسليح جيش المرابطين"، ص 172-137.

(7) - ابن أبي زرع، الأنيب المطرب، ص 333.

(8) - الحميري، الروض المعطار، ص 567.

(9) - مجهول، الحلل الموشية، ص 61.

ملك قشتالة ألفونسو السادس Alphonse VI أنه طعن بمنجل في فخذة والحال أنه غرز بخنجر في معركة الزلاقة<sup>(1)</sup>.

\*الأسلحة الثقيلة ومعداتها: المنجنيقات والعرادات ومقذوفاتها: تتكوّن الأسلحة الثقيلة من المنجنيقات والعرادات. والمنجنيقات لها قاعدة من الخشب، في وسطها عمود خشبيّ صلب، في أعلاه ذراع تتحرك إلى الأعلى والأسفل، وفي أحد طرفيها وعاء اسطوانيّ توضع فيه المقذوفات<sup>(2)</sup>، وهذه المقذوفات تكون من الكتّان الذي ينقع نسيجه في خليط الرّفت والقطران ثمّ يشعل بالنّار؛ فينتشر اللهب ليشكّل سلاحا نفطيّا لحرق سفن الأعداء أو ضرب الحصون عند حالات الحصار<sup>(3)</sup>. وقد تكون المقذوفات من حصى الحديد وفق ما ذكره ابن خلدون<sup>(4)</sup>، أو من النّحاس إذ يذكر مارمول في بداية القرن 10هـ/16م أنّ نحاس جزولة ينقل إلى مراکش وتارودنت لصنع سلاح المدفعية<sup>(5)</sup>. والظاهر أنّ الدول التي مرّت ببلاد المغرب انطلاقا من الفاطميين، مروراً بالمرابطين والموحدين والمرينيين وصولاً إلى الحفصيين قد جهّزت سفنها بهذا النوع من الأسلحة<sup>(6)</sup>. أمّا العرادات فهي أصغر حجماً من المنجنيقات، وترمى منها أيضاً السهام والحجارة، وقد أكثر من صنعها يوسف

(1) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 117؛ مجهول، الحلل الموشية، ص 61.

(2) - محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين: تركيبه، أسلحته، بحريته وأبرز المعارك التي خاضها، (أربيل كردستان: دارناراس للطباعة والنشر، 2003)، ص 187.

(3) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 198؛ وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، (جامعة حلب: معهد الآثار العلمي العربي، 1995)، ص 143.

(4) - ابن خلدون، العبر، مج 13، ص 388.

(5) - مارمول كريخال، إفريقية، ج 2، ص 69.

(6) - ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، ج 3، ص 445؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 523؛ عبد الله بن بلقين بن زيري، كتاب التبيان، نشر وتحقيق إ. ليفي بروفنسال، مجلة ذخائر العرب، العدد 18، (بيروت: دار المعارف، 1955)، ص 108-109؛ الحميري، الروض المعطار، ص 567؛ ابن خلدون، العبر، مج 13، ص 388؛ روبرا برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988)، ص 85.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

بن تاشفين المرابطي في إطار التّحضير للجواز الثاني للأندلس سنة 481هـ/1088م<sup>(1)</sup>، وكانت أيضا من سلاح المرينيين<sup>(2)</sup>.

ولمّا كان المقاتلة يمثلون أدوات التّنفيذ لهذه الأسلحة في المعارك البحريّة كان لا بدّ لهم من تجهيزات تقيمهم من طعنات العدوّ وضرباتته:

د. أسلحة ووقاية أجسام المقاتلة البحريون: من بين أدوات الحماية التي اعتمدها الجنود البحريون هي الدّروع، التي تمثّل لباس من الحديد، وقد تصنع من الجلود<sup>(3)</sup>، وتلبس للحماية من الطّعنات من مقاتلة البحر الفاطميين والزييريين بإفريقيّة<sup>(4)</sup>، فضلا عن طواقم وجنود البحرية المرابطية والموحّدية في معاركهم ببحر الزقاق<sup>(5)</sup>. وتمثّل التروس المصنوعة من الخشب أو الجلد كالدرق اللمطيّة<sup>(6)</sup> أو تلك المصنوعة من الحديد في شكل صحيفة وسيلة حماية، يحملها المقاتل ليحتمي بها من ضربات السيوف أو الرّماح أو السّهام أو مقذوفات المنجنيقات مثل الحجارة<sup>(7)</sup>، فكانت من تجهيزات المقاتلين الفاطميين والزييريين<sup>(8)</sup>، فضلا عن جنود المرابطين والموحدين والمرينيين إبان نجاتهم الأندلس<sup>(9)</sup>.

(1) - مجهول، الحلل الموشية، ص 68؛ ابن زيري، مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة، ص 108-109.

(2) - ابن خلدون، العبر، مج 13، ص 388.

(3) - الطرطوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 284.

(4) - ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، ج 3، ص 38؛ عبد الله محمد جمال الزين، الدولة الفاطميّة. قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، ص 263.

(5) - مجهول، الحلل الموشية، ص 56.

(6) - الدرر اللمطية من الأسلحة الوقائيّة للمرابطين والموحدين، تصنع من جلد أنثى حيوان اللمط الذي يعيش في الصّحراء، البكري، المسالك والممالك، ص 866؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 160.

(7) - الطّائي، "تسليح جيش المرابطين"، ص 137-172.

(8) - ابن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات، ج 3، ص 38.

(9) - لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، تحقيق محمد عبد الله عنان، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973)، ص 136.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

وللرأس نصيب من الحماية من خلال البيضات ومفردها بيضة، وهي الخوذة، توضع على الرأس لحمايته من السيوف أو السهام أو الحجارة<sup>(1)</sup>، وقد تجهّز بها جنود البحرية المرابطية والموحّدية<sup>(2)</sup>، واختصّت دار صناعة وشقة بالأندلس بصناعة البيضات والدروع<sup>(3)</sup>.

### 2. أهمّ الأطراف المتداخلة في ضبط الخطط الحربيّة وإنجاحها:

أ. الأمير والخليفة والسّلطان وإعلان التّفير للحرب واختيار القواد: يعتبر ابن خلدون أنّ "قيادة الأساطيل من مراتب الدّولة وخططها في ملك بلاد المغرب وإفريقيّة"<sup>(4)</sup>، والدّولة ممثّلة في من يحكمها بقطع النّظر عن اللّقب الذي كان يحمله، أميرا أو خليفة أو سلطانا هو المسؤول عن الإعداد للحرب البحريّة، فهو الذي يأمر بتجهيز الأسطول واختيار قائده، فقد عيّن زيادة الله بن الأغلب الشّخصيّة الدينيّة أسد بن الفرات على رأس الحملة المتّجهة نحو صقليّة سنة 212هـ/828م، ورغم أنّ أسد بن الفرات هو من عرض نفسه على الأمير الأغلبي<sup>(5)</sup>، إلّا أنّ ذلك يعكس ذهنيّة الحكّام التي تريد أن تبين التّزعة الدينيّة لهذه الحروب، فيكون الهدف من اختيار هذه الشّخصيّة التي يرونها اعتباريّة بهدف التّأثير على المقاتلين بتحفيّزهم على ممارسة الحروب البحريّة، بداعي الحصول على أجر الجهاد وثوابه، هذه الاعتبارات الدينيّة سنجدها أيضا لدى جميع حكّام بلاد المغرب الذين تعاقبوا على إدارة شؤون المنطقة.

(1) - ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 136؛ الحميري، الروض المعطار، ص 567؛ محمد الشريف، "الأسطول السبتي..."، ص 29-43.

(2) - الطائي، "تسليح جيش المرابطين"، ص 137-142.

(3) - الزهري، كتاب الجغرافية، ص 82.

(4) - ابن خلدون، المقدّمة، ص 310.

(5) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 102.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

وكان الخليفة الفاطمي يأمر بإخراج الأسطول للغزو<sup>(1)</sup>، أمّا مع وراث الفاطميين بإفريقيّة الصّنهاجيين ولا سيما في فترة حكم يحي بن تميم (501-509هـ/1108-1116م)، اهتمّ هذا الأخير بغزو بلاد المسيحيين فأكثر من صناعة السفن وشراؤها حتّى خافته "أمم النصرانيّة"<sup>(2)</sup>، وسار على نفس النهج يوسف بن تاشفين المرابطي، فكلّمأ أراد الجواز إلى الأندلس، يأمر بإنشاء الشواني والمراكب<sup>(3)</sup>، وفي العهد الموحدّي يصدر الأمر بالاستعداد للحملات البحريّة من الخليفة بإنشاء الأساطيل وضرب السهام وأنواع السّلاح<sup>(4)</sup>، وهو نفس الأمر الذي نسجّله في عهد سلاطين بني مرين وخاصّة يعقوب بن عبد الحق المريني ومن بعده ابنه يوسف الذي يأمر بعمارة الأجناف بسبّعة وطنجة ورباط الفتح وبلاد الريف والجزيرة وطريف والمنكب<sup>(5)</sup>.

ولا ينحصر دور السّلطان في التّعبئة، بل يشمل اختيار قائد الأسطول وهو ما يُلخّصه قول ابن خلدون: "إذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتفل... عسكرت بمرفئها المعلوم، وشحنها السّلطان برجاله وأنجاد عساكره ومواليه، وجعلهم لنظر أمير واحد من أعلى طبقات أهل مملكته يرجعون كلّهم إليه ثمّ يسرّحهم وينتظر إياهم بالفتح والغنيمة"<sup>(6)</sup>، لذلك كان تعيين قائد الأسطول يتمّ مباشرة من الخليفة الموحدّي، ويخضع لتراتب، وتنظيمات في إطار ما عرف بموكب التّقاديم، حيث يقدّم فيه قائد الأسطول وأشغال البحر، وتستعرض فيه

(1) - أمر المعز لدين الله الفاطمي بإخراج المراكب الحربيّة لغزو ميناء ألمرية ردًا على الاعتداء، الذي تعرّض له مركب فاطمي قادم من صقلية من قبل مركب لبني أمية، القاضي النعمان، المجالس والمساربات، ص 152-153.

(2) - ابن خلدون، العبر، مج 11، ص 328.

(3) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 112.

(4) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 201.

(5) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 313، 331، و357.

(6) - ابن خلدون، المقدّمة، ص 312.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

صلاحياته، ويؤدّي فيه القسم والولاء<sup>(1)</sup>. فأيّ دور اضطلع به قواد الأساطيل؟ ومن هم أشهرهم؟ وماهي أهمّ الخطط الحربيّة التي رسموها لتحقيق إنجازاتهم؟

ب. قائد الأسطول: المهام وأبرز أعلام هذه الوظيفة: أطلق لقب الملند على قائد الأسطول في بلاد المغرب<sup>(2)</sup>، ويعرف أيضا بمقدّم الأسطول<sup>(3)</sup>، وقد يشرف على تدبير أمور الأسطول أو السفينة قائد ورئيس. أمّا القائد فهو لتنظيم الأمور الحربيّة من سلاح ومقاتلة وإعطاء الأوامر بمباشرة الحرب، في حين الرّئيس هو الذي يدبّر أمر سير الأسطول بالريّح أو المجاذيف<sup>(4)</sup>. وقد يحظى قائد الأسطول بمؤهّلات وحنكة تجعله يقود السفارات للتّفاوض حول إبرام المعاهدات، فقد اختار الخليفة المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين قائد أسطوله ابن ميمون لقيادة سفارة إلى بيشة قصد التّفاوض حول إبرام

(1) - هناك نموذج من نماذج التقاديم لتعيين قائد الأسطول الموحدّي في عهد الخليفة الرّشيد (629-639هـ / 1232-1242م) أنظر:

Pascal Buresi et Hisham El Allaoui, *Gouverner l'Empire. La nomination des fonctionnaires provinciaux dans l'empire almohade (Maghreb, 1224-1269)*, Madrid, Casa de Velázquez, 2013, p. 234-239.

(2) - ابن خلدون، المقدّمة، ص 110؛ يعرف دوزي الملند بأمر البحر (في الإسبانيّة). المشير البحري أو قائد الأسطول، ويذكر أنّ الكلمة جاءت من كلمة أمير إلّا أنّها تغيّرت مع الزّمن إلى اللّغة العربيّة. وقد يكون استنبط ذلك من قول ابن أبي زرع في وصفه لمعركة الجزيرة الخضراء التي خاضها المرينيّون ضدّ ألفونسو العاشر وصعود الملند قائد بحرية ألفونسو العاشر على ظهر قرقورة ليعدّ أجفان المرينيين. ربهارت دوزي، تكلمة المعاجم العربيّة، ج 10، ترجمة جمال الخياط، بغداد: دار الشؤون الثقافيّة العامّة. آفاق عربيّة، 2000، ص 113؛ ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص 332.

(3) - تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج 2، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرفاوي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998)، ص 193؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجيّة. تاريخ إفريقيّة في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 145-146.

(4) - ابن خلدون، المقدّمة، ص 312؛ عبد العزيز بن عبد الله، "دور الملاحة البحرية المغربية طوال ألف عام"، ص 64-121؛ العبيدي، البحر في المغرب الوسيط، ص 425.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

معاهدة سلم سنة 527هـ/1133م<sup>(1)</sup>، وقد رجّح البعض أن يكون أبو عبد الله محمد بن ميمون من تولى هذه المهمة، وأمضى على المعاهدة مع البيشانيين<sup>(2)</sup>، وهذا ما يحيلنا إلى استعراض أهمّ قواد الحملات البحرية في بلاد المغرب الوسيط.

يعتبر طارق بن زياد أول قائد ذاع صيته في فتح الأندلس سنة 92هـ/711م والتي بدأها بفتح الجزيرة الخضراء<sup>(3)</sup>. وبداية من العهد الأغلبي، وبقطع النّظر عن الشخصية الدينية أسد بن الفرات، الذي قاد الحملة على صقلية كما رأينا سالفا. فإنّ ولّاة صقلية أو أبناءهم هم الذين باشرُوا القيام بهذه المهمة، وذلك لأهمية موقع الجزيرة، التي تمثل خط الدفاع الأول لإفريقية، ومنها كانت تنطلق الحملات نحو أوروبا والمشرق وحتى الأندلس، لذلك كان من الضّروري أن يوجد على رأسها قائد بحرية يباشر مهمة الدفاع وينظّم الحملات درءاً للأخطار<sup>(4)</sup>.

من بين من تولى قيادة الأسطول بصقلية الفضل بن يعقوب في فترة حكم الوالي أبي الأغلب بن عبد الله ابن أخ زيادة الله بن الأغلب، وتمكّن من فتح عدّة

<sup>(1)</sup>-Louis de Mas Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Âge*, Paris, 1872, p. 36.

<sup>(2)</sup>- Pierre Guichard, « Recherche onomastique à propos des Banû Maymûn de Denia », *Cahiers d'onomastique Arabe*, Paris, 1989, p. 9-21 ; Mohamed Ouerfelli, « Les enjeux commerciaux dans les traités de paix et de commerce entre Pise et les États du Maghreb au Moyen Âge (XII<sup>e</sup>-XIV<sup>e</sup> siècle) », in *Les territoires de la Méditerranée (XI<sup>e</sup>-XVI<sup>e</sup> siècle)*, dir. Annliese Nef, Rennes, Presses Universitaire de Rennes, 2013, p.205-215; Id., « Personnel diplomatique et modalités des négociations entre la commune de Pise et les États du Maghreb (1133-1397) », in *Les relations diplomatiques au Moyen Âge. Formes et enjeux. XI<sup>e</sup> Congrès de la SHMESp*, Lyon, 3-6 juin 2010, Paris, Publications de la Sorbonne, 2011, p.119-132.

<sup>(3)</sup>-ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 43؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 4، ص 264.

<sup>(4)</sup>- العبيدي، البحري في المغرب الوسيط، ص 428.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

مناطق حوالي سنة 222هـ/837م<sup>(1)</sup>، وما يمكن ملاحظته هو تولّي أبناء السلالات الحاكمة من ولاة وأمراء لهذه المهمة، إذ نسجل حملة عبد الله ابن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد الأغلبي (حكم بين 261-289هـ/875-902م) على طرابنش بصقلية بتعيين من أبيه، وسجل انتصارات<sup>(2)</sup>. وقد يكون لهذا الاختيار دلالات ترتبط بتحقيق الأمجاد والشهرة أو لضمان ولاء المقاتلة، الذين يرون في حضور ابن الوالي أو الأمير كقائد تحفيز لهم على القتال.

وتولّى قيادة أسطول الفاطميين في بداية نشأة الدولة أبو القاسم بن عبيد الله المهدي، وقاد حملة على الإسكندرية سنة 302هـ/915م<sup>(3)</sup>، ومن القواد الفاطميين الذين أنجزوا فتوحات نذكر سالم بن راشد الذي فتح غيران وأبرجة ومدينة طارنت سنة 313هـ/925م)، كذلك يعقوب بن إسحاق الذي غزا سواحل أوروبا سنة 324هـ/936م، ففتح جنوة ووصل إلى قرقيسيا في سواحل الشام<sup>(4)</sup>.

ويبقى من أشهر قواد البحرية في بلاد المغرب ممّن تولّوا قيادة الأساطيل في العصر الوسيط عائلة بني ميمون الأندلسية، والتي تولّت في البداية هذه الخدمة في العهد المرابطي، ثمّ لما اندثرت دولة المرابطين دخلت في طاعة الموحدّين ومارست هذه الوظيفة، وقد رجّح بيار قيشارGuichard Pierre أن تكون هذه العائلة من أصل بربري<sup>(5)</sup>، ويعتبر أبو محمد عبد الله بن ميمون أوّل من تولّى قيادة الأسطول المرابطي منذ عهد يوسف بن تاشفين (453-500هـ/1061-1107م)، وافتتح عدّة مدن مثل قطرون، ومدينة نقوطرة

(1) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 106؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص 106.

(2) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 6، ص 404-405؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج 1، (بولاق: المطبعة الأميرية، 1896)، ص 398.

(3) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 171-172؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار، ج 1، ص 401.

(4) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج 7، ص 115؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار، ج 1، ص 402.

(5) - Pierre Guichard, « Recherche onomastique à propos des Banû Maymûn de Denia », art. cit., p. 9-21.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

التابعة للملك النورماني روجار الثاني<sup>(1)</sup>، وعمل مستشارا لعلي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1107-1143م)، كما منحه الإشراف على دار صناعة المرمية، وعينه قائدا لجميع الأسطول، ولعلّ الخبرة التي اكتسبها في إدارة شؤون البحر منحته شهرة واسعة حتى قيل فيه أنّ "الفتوحات تأتي على يديه مع الأيام والأعوام حتى أوسعهم (التصاري) ذلّا وأبادهم قتلا"<sup>(2)</sup>.

ومن بين أفراد هذه العائلة الذين تقلّبوا في هذه الخطة في العهد المرابطي ثمّ انتقلوا بعد ذلك للقيام بنفس الدور مع الموحّدين، نذكر علي بن عيسى بن ميمون، تولى قيادة الأسطول المرابطي بقادس، ثمّ دخل في طاعة عبد المؤمن بن علي الموحّدي<sup>3</sup>. أمّا لبّ بن ميمون فتولّى رئاسة الأسطول المرابطي في عهد تاشفين بن علي (537-540هـ/1143-1152م)، لينتقل إلى خدمة بني غانية حلفاء المرابطين بميورقة إلى سنة 546هـ/1152م قبل أن يتولّى أمور البحر في الدولة الموحدية في عهد يوسف بن عبد المؤمن بن علي (558-580هـ/1163-1185م)<sup>(4)</sup>.

وقاد الأسطول الموحّدي آخرون وساهموا في تنفيذ طموحات السّلطة التي تمكّنت من توحيد كامل بلاد المغرب، ومن بين هؤلاء أحمد الصقلّي، الذي حرّر بجاية من بني غانية المتمركزين بميورقة سنة 581هـ/1186م<sup>(5)</sup>. ودخل الغانم بن محمد بن مردنيش من عائلة ابن مردنيش المسيطرة على شرق الأندلس والمناوئة للموحّدين، في خدمة الموحّدين هو وأخوه هلال، ومنح قيادة

(1) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 4، ص 62 و 65-66؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، ج 1، ص 393؛ ابن خلدون، العبر، مج 11، ص 331.

(2) - أبو عبد الله بن علي اللخمي الرشاطي، اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999)، ص 40.

(3) - ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 34-39؛ ابن خلدون، العبر، مج 11، ص 475، 477؛ محمد الشاذلي النيفر، الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، ص 103-105.

(4) - ابن خلدون، العبر، مج 12، ص 506؛ إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار، ج 1، ص 410.

(5) - ابن خلدون، العبر، مج 11، ص 292-293، ومج 12، ص 508، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 128-129.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

أسطول يوسف بن عبد المؤمن بن علي سنة 575هـ/1180م، وغزا مدينة الأشبونة<sup>(1)</sup>.

وفي العهد المريني عائلة أخرى سيطرت على وظيفة قيادة الأساطيل وهي عائلة آل العزفي، ومن بينهم يحي بن أبي طالب العزفي، الذي كان يجوب بأسطوله بحر الزقاق في سنة 714هـ<sup>(2)</sup>. وكان محمد بن علي بن العزفي قائدا لأسطول أبي الحسن المريني في معركة الزقاق في شوال 740هـ/1340م بأسطول يقارب المائة شاركت فيه إفريقيّة بسفن حربية من تونس وطرابلس وجربة وبونة وبجاية<sup>(3)</sup>. وإلى جانب عائلة آل العزفي نذكر يحي الرنداحي قائد أسطول سبتة قبل سنة 720هـ/1320م، فضلا عن محمد بن يوسف بن الأبيكم الذي ينحدر من أمراء بني الأحمر، وكان على رأس أسطول أبي عنان المريني الذي فتح إفريقيّة سنة 757هـ/1350م<sup>(4)</sup>.

ما يمكن ملاحظته هو استعانة الدول الناشئة بالمغرب الأقصى من المرابطين إلى المرينيين بقواد بحريين أندلسيين، وهذا مفهوم باعتبار خبرة هؤلاء، وتمرسهم في شؤون البحر، بالمقابل محدوديّة معرفة هذه الدول البربرية الخارجة من رحم الصحراء بالأُمور المتعلّقة بفنون القتال البحري، ووضع الخطط الكفيلة بإنجاح الحملات وتحقيق الفتوحات؛ فعمل هؤلاء القادة على وضع الخطط والسهر على تنفيذها. فما هي أبرز خطط الحروب البحرية التي ساهمت في إنجاح طموحات حكام بلاد المغرب في العصر الوسيط؟

(1) - ابن خلدون، العبر، مج 12، ص 502؛ الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 152.

(2) - ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص 400.

(3) - ابن خلدون، العبر، مج 13، ص 544؛ الناصري، الاستقصا، ج 3، ص 135.

(4) - ابن خلدون، نفس المصدر، مج 13، ص 618؛ الناصري، المصدر السابق، ج 3، ص 202.

3. خطط الحروب البحرية تخضع لتخيّر أوقات معيّنة وتنوع أساليب المعارك:  
أ. مواسم خروج الأسطول يخضع لأوقات معيّنة وأيام محدّدة مرتبطة بأحوال البحر وذهنيّة الحكّام الباحثة عن البركة: لا حظنا من خلال ما تذكره المصادر الوسيطة أنّ خروج الأسطول الحربي المغربي، كان مرتبطا بالمواسم التي يصلح فيها الإبحار كما هو الشأن بالنسبة للسفن التجاريّة، وهذه المواسم كانت تمتدّ من فصل الرّبيع إلى نهاية الخريف، فمنذ نهاية القرن الأول الهجري/ بداية القرن 7م، وعندما حاول عطا بن نافع الهذلي الخروج من ميناء سوسة نحو سردانية، كتب له والي إفريقيّة موسى بن نصير يحذّره من المغامرة في البحر في فصل الشّتاء قائلا "أنّ ركوب البحر قد فات في هذا الوقت وفي هذا العام، فأقم لا تغرّر بنفسك؛ فإنك في تشرين الآخر (نوفمبر)، فأقم بمكانك حتّى يطيب ركوب البحر"<sup>(1)</sup>. فيكون فصل الشّتاء غير ملائم لخوض المعارك البحريّة، لأنّ من شروط نجاحها حسب ابن أبي زرع الفاسي "سكون الرياح ليطيب... الحرب والكفاح"، فإذا "سكتت البحار الزواجر، قدمت على حربها القراقر"<sup>(2)</sup>؛ فكان جواز طريف إلى الأندلس وفتحه للجزيرة التي ستعرف باسمه صيفا في رمضان 91هـ/الموافق لشهر جويلية 710م، ولعلّ خروجه في شهر رمضان يحمل دلالات رمزيّة في ذهنيّة قواد الأساطيل سيأتي الحديث عنها لا حقا، وتحرك طارق ابن زياد بسفنه من سواحل المغرب الأقصى نحو الأندلس كان في الربيع وتحديدًا في شهر رجب 92هـ/أفريل 711م<sup>(3)</sup>.

(1)- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج 2، ص 296.

(2)- ابن أبي زرع، الأنبس المطرب، ص 332؛ والقراقرهي نوع من السفن، وهي السفينة العظيمة أو الطويلة، ابن منظور، لسان العرب، مج 12، "مادة قرقورة"، (بيروت: دار صادر، 2005)، ص 66.

(3)- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بويابة، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2007)، ص 153؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدّولة الأمويّة 711-756م، (بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2002)، ص 129-130.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

وخاض الأسطول الأغلب معارك في صقلية وسواحل شبه الجزيرة الإيطالية في الربيع والصيف والخريف<sup>(1)</sup>، وتجاوز في هذه الفصول الأساطيل المرابطية<sup>2</sup> والموحدية<sup>(3)</sup> والمرينية<sup>(4)</sup> في كل مناسبة لنجدة الأندلس، وعندما يحلّ الشتاء تعود السفن الحربية بمقاتلها وآلاتها إلى الموانئ التي انطلقت منها، فقد رحل يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الميري عن شنترين التي كان يحاصرها من البر والبحر سنة 684هـ/1286م، وعاد إلى سواحل المغرب الأقصى بسبب حلول الشتاء<sup>(5)</sup>، حيث يصعب القتال في البحر عند اكفهرار الجوّ زمن الأهوال والأنواء<sup>(6)</sup>.

وكان الحكّام وقواد الأسطول يفضلون أياما محدّدة من الأسبوع لخروج الأسطول أو خوض المعارك، وهي أيام مرتبطة بمفهوم البركة، وتعدّ مقدّسة في ذهنيّة المغاربة والمسلمين عامّة، وهي الاثنين والخميس والجمعة، فيوسف بن تاشفين في جوازه من المغرب الأقصى إلى الأندلس في ربيع الأوّل

(1) - خروج الأسطول الذي يقوده أسد بن الفرات من سوسة في ربيع الأوّل 212هـ/9 جوان 827م، وفي صيف 232هـ/16 أوت 847م قاد الفضل بن جعفر حملة من مسينا على لنتيني، وفي ربيع الأوّل 254هـ/جوان 868م خرج محمد بن خفاجة بأسطول من الحراقات إلى سرقوسة، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج 1، تحقيق بشير البكوش، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994)، ص 271؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 144؛ الطالبي، الدولة الأغلبية، ص 509، 536.

(2) - كان جواز يوسف بن تاشفين في 15 ربيع الأوّل 479هـ/30 جوان 1086م وفي مرّة أخرى في شهر ربيع الأوّل 481هـ/جوان 1088م، أمّا ابنه علي فقد جاز في إحدى المرات في 15 محرم 503هـ/14 أوت 1109م؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 145، 152، 161.

(3) - كان جواز أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس في 15 صفر 580هـ/17 ماي 1184م، وجواز آخر من قصر المجاز إلى الجزيرة الخضراء في 3 ربيع الأوّل 585هـ/21 أبريل 1189م، وفي جوازه لخوض معركة الأرك كان قد وصل الجزيرة الخضراء قادما من قصر المجاز في 20 جمادى 591هـ/1 جوان 1195م، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 214-222؛ مجهول، الحلل المشوية، ص 158-159.

(4) - جواز يعقوب بن عبد الحق الميري الأوّل كان من قصر المجاز إلى طريف في 21 صفر 674م/15 أوت 1275م، وجوازه الثّاني في 28 محرم 676هـ/1 جويلية 1277م؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 315، 323.

(5) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 358.

(6) - العبيدي، البحر في المغرب الوسيط، ص 439.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

479هـ/جوان 1086م، كان يوم خميس، ومعركة الزلاقة التي خاضها بعيدا عن البحر كانت يوم الجمعة 12 رجب 479هـ/23 أكتوبر 1086م، وهي عادة دأب عليها أيضا الموحدون<sup>(1)</sup> والمرينيون<sup>(2)</sup>.

وتأتي بركة هذه الأيام من فضائلها في ذهنيّة المغاربة، ففي المعتقد الديني يومي الإثنين والخميس تفتح فيهما أبواب الجنة، ويغفر فيهما للمؤمنين. واختيار السّفر بحرا للغزو يوم الخميس هو اقتداء بما كان يفعله الرسول محمد، فأغلب أسفاره كانت يوم الخميس وهو يفضّل هذا اليوم إذ روى كعب بن مالك "أن النبي صلّى الله عليه وسلّم خرج يوم الخميس في غزوة تبوك، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس"<sup>(3)</sup>، ويمثّل يوم الإثنين اليوم الذي ولد فيه الرسول محمّد، لذلك ظلّ المسلمون يحرصون على صيام هذين اليومين لما يحملانه من أبعاد رمزيّة مرتبطة بالقدسيّة بحثا عن البركة. أمّا يوم الجمعة فهو يوم عيد بالنسبة للمسلمين فقد ذكر أنّ الرسول محمد قال: "أضلّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة"<sup>(4)</sup>، ويوم الجمعة مرتبط في المعتقد الديني الإسلامي بطلوع الشمس وخلق آدم ودخوله الجنة وقيام الساعة، وهو اليوم الذي يستجاب فيه الدّعاء وفق ما نقل عن الرسول محمد<sup>(5)</sup>. كما سجّلنا جواز

(1) - جواز أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس يوم خميس من سنة 580هـ/1184م، وفي سنة 585هـ/1190م كان عبور يعقوب المنصور بن يوسف من قصر المجاز إلى الجزيرة الخضراء يوم خميس، وفي غزوته الثانية التي عرفت بغزوة الأرك وصل إلى الجزيرة الخضراء قادما من قصر المجاز بعد صلاة الجمعة في موفّ عشرين من سنة 591هـ/1 جوان 1195م، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 214، 218، 222.

(2) - جواز السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق إلى الأندلس كانت أيام خميس، في 11 صفر 674هـ/15 أوت 1275م، وفي 28 محرّم 676هـ/1 جويلية 1277م، وفي 5 صفر سنة 684هـ/13 أفريل 1285م، ابن أبي زرع، الذّخيرة السنيّة في محاسن الدولة المرينية، ص 145؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 315، 323، 341.

(3) - العبيدي، البحر في المغرب الوسيط، ص 523؛ ناصر بن عبد الرحمان بن محمد الجديع، التبرك أنواعه وأحكامه، (الرياض: مكتبة الرشد، 2000)، ص 170.

(4) - الجديع، التبرك أنواعه وأحكامه، ص 165.

(5) - الجديع، نفس المرجع، ص 165-166.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

يوسف بن عبد الحق المريني في العشر الأواخر من شهر رمضان من سنة 690هـ/1291م<sup>(1)</sup>، وهي الأيام التي تكون في إحدى لياليها ليلة القدر التي تعدّ من الليالي المباركة في الذهنية الإسلامية<sup>(2)</sup>.

يمكن القول أنّ خروج الأسطول كان يخضع لمواسم ملائمة للإبحار ولأيام مرتبطة بمعتقدات توارثها سكّان بلاد المغرب وحكّامهم من المسلمين الذين عاشوا في هذه المنطقة، والتي رسّخت لمفهوم البركة، الذي بفضلها يكون الجواز بأمان من أخطار وأهوال البحر، ومن خلاله تتحقّق الانتصارات والفتوحات.

ب. عمليّات الاستطلاع والجوسسة والمناورة من الأساليب الضامنة لإنجاح خطط الحروب البحرية وضمنان سلامة عبور الأساطيل والقواد: لم تكن المسالك البحرية نحو صقلية والجزر المتوسطية بالنسبة للمغرب الأدنى أو تلك المتّجهة من سواحل المغرب الأقصى نحو الأندلس آمنة لعبور الأسطول الحربي، فالخطر البيزنطي والنورماني والإسباني يترّص به، لذلك كان العبور يقتضي الاحتراس واليقظة. ولتجنّب أخطار الهلاك أو الوقوع في الأسر، كانت عمليّات الاستطلاع والجوسسة والمناورات إحدى آليات إنجاح الجواز في مرحلة أولى ثمّ الفتوحات في مرحلة ثانية.

وحسب الروايات فإنّ أولى الرحلات الاستطلاعية بغرض التجسس على أخبار الأندلس التي كانت تحت إمرة ملك القوط لذريق هي تلك التي قام بها طريف البربري المكّي بأبي زرعة سنة 91هـ/710م، بأربع سفن تحمل أربعمائة مقاتل ومائة فرس، وتمكّن من خلالها من فتح جزيرة طريف<sup>(3)</sup>. ومن المرجّح

(1) - ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، ص 380.

(2) - العبيدي، البحري المغرب الوسيط، ص 524.

(3) - مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، (القاهرة-بيروت: دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، 1989)، ص 16؛ مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوبايا، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007)، ص 153.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

أن تكون هذه الحملة استكشافية، ومهدت الطّريق لعبور طارق بن زياد وجيشه، كما تذكر الرواية أنّ يليان صاحب سبتة كان عين موسى بن نصير وطارق بن زياد على ملك القوط لذريق لعداوة بينهما، وقد ساعدت خبرته بالمنطقة ليكون دليلا لطارق بن زياد وجيشه يدلّهم على العورات، ويتجسّس لهم أخبار القوط<sup>(1)</sup>.

ومن المؤكّد أن يكون لكلّ طرف جواسيسه ومخبروه الذين يطلعونه على الأخبار ويسهرون على إيصالها بأسرع وقت، حتّى تؤخذ الاحتياطات وتعُدّ الخطط الحربيّة وفق التطوّرات الطّائرة، ففي العهد الأغلبي، ولمّا كان القائد الفضل بن جعفر يحاصر لنتيني أو مسينا سنة 232هـ/847م، وصله خبر بأنّ بطريق صقليّة سينجد أهل لنتيني، وأنّه سيرسل إشارة قدومه إليهم بإيقاد النّار لثلاث ليال على أحد الجبال، وأنّ وصوله سيكون في اليوم الرابع ليجتمع الاثنان ويباغتتا جيش المسلمين. ولمّا كشف الجواسيس الخطّة للفضل، أرسل هذا الأخير من يوقد النّار، وقام بمباغتتهم وهاجمهم، ولمّا هزموا سلّمت له المدينة<sup>(2)</sup>. وبثّ الفاطميون أعينهم لمراقبة التّحرّكات في البحر، وهو ما مكّن الوالي الحسن بن علي بن أبي علي الكلبى من التّفطن إلى زحف البيزنطيين أثناء حصاره لمدينة جراحة سنة 340هـ/952م، فبدّل الخطّة وصالح أهل جراحة ليستعدّ لمواجهة البيزنطيين<sup>(3)</sup>.

ومثّلت جزيرة قوصرة مركزا لاستقرار المخبرين في العهد الزييري باعتبارها نقطة استراحة في الطريق الرابطة بين إفريقيّة وصقليّة أو شبه الجزيرة الإيطاليّة، وكان الحمام الزّاجل وسيلة للمخابرة السّريّة يحمل الرّسائل التي

(1) - مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص 17.

(2) - أماري، المكتبة العربيّة الصقلية، ص 329-330؛ ولنتيني تقع في الجزء الشرقي من جزيرة صقلية، محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ص 509.

(3) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، ص 239؛ أماري، المكتبة العربيّة الصقلية، ص 259-260.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

تهمّ تحرّك الأساطيل في هذا الفضاء المائي<sup>(1)</sup>، فلمّا قدمت سفن البيزنطيين والبشانيين والجنوبيين ونزلت بالجزيرة المذكورة سنة 480هـ/1088م، كتب أهلها كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وسيطرتهم على المدينة<sup>(2)</sup>.

وكان مضيق جبل طارق فضاء للقيام بالدوريات البحرية لاستطلاع الأخبار<sup>(3)</sup>، وهو ما كانت تقوم به سفن صاحب سبتة أبي القاسم العزفي، ففي سنة 658هـ/1260م ولمّا بلغه تعمير ملك قشتالة لأجفانه بوادي إشبيلية لدعم يعقوب بن عبد الله الذي حاول الاستقلال بسلا ضدّ عمّه أبي يوسف يعقوب، أرسل إلى مختلف الموانئ يحذّره من عزم صاحب قشتالة، فكان أن جاءه الثناء والشكر من صاحب مراكش عن تحذيره لأهل الساحل<sup>(4)</sup>.

واعتمد السلاطين المرينيون جواسيس من ديانات أخرى تمّ تجنيدهم لهذه المهمة من اليهود والمسيحيين، يطلعونهم على أخبار ملوك إسبانيا، ففي سنة 684هـ/1286م أبلغوا السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بأنّ "العدوّ" أمر أساطيله باحتلال الرقاق، فوجّه السلطان المريني تحذيراته إلى جميع سواحله من سبتة وطنجة وبلاد الريف ورباط الفتح من جهة عدوة المغرب، والمنكب والجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس، فأمدته بست وثلاثين سفينة بآلاتها ومقاتلها؛ فكانت سببا في مغادرة السفن الإسبانية<sup>(5)</sup>.

وانتهج المغاربة أسلوب المناورة في تجويز المقاتلة بحرا من المغرب إلى الأندلس، وغالبا ما يكون الخليفة أو السلطان على رأسه، فكانت تتخذ العديد من الاحتياطات لضمان سلامة الأسطول والمقاتلة ولا سيما الحاكم، والذي يكون آخر من يجوز من باب الاحتراس والسرية خوفا على حياته للأبعاد الرّمزية

(1) - حسن حسني عبد الوهاب، "قصة جزيرة قوصرة العربية"، مجلة المجمع العلمي العربي، مج 27، (1952)، ص 382-393.

(2) - أماري، المكتبة العربية الصقلية، ص 272.

(3) - وفيق بركات، فن الحروب البحرية، ص 107.

(4) - ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحّدين، ص 417-420.

(5) - ابن خلدون، العبر، مج 13، ص 431-432.

لشخصيته، ولما له من تأثيرات معنوية على المقاتلين، وهو ما سجّلناه في جواز يوسف بن تاشفين المرابطي سنة 479هـ/1084م، لنجدة الأندلس التي تغلب عليها ألفونسو السادس Alphonse VI<sup>(1)</sup>، وكان الخلفاء الموحدون آخر من يجوزون بعد المتطوعة من العرب والبربر والجيوش والرماة<sup>(2)</sup>. وهذا ما ينطبق على المرينيين إذ نجد يعقوب بن عبد الحق المريني يجوّز الجيوش والخيال والسلاح والعدد والمجاهدين في الأجناف من قصر المجاز إلى طريف ومنها إلى الجزيرة الخضراء، ثمّ يلتحق هو "على حين غفلة من الناس في يوم الخميس 11 صفر 674هـ/1275م"<sup>(3)</sup>. ولعلّ لفضة على غفلة من الناس تظهر طابع السرية الذي يحيط بجواز الخليفة. وكلّما ظهر خطر يهدّد عبور الحاكم يتمّ إلغاء الجواز لدواعي أمنية، فقد ألغى السلطان المريني يوسف بن يعقوب جوازه إلى الأندلس سنة 690هـ/1291م، بعد أن وصلت أخبار عزم ملك قشتالة وليون سانشو الرابع Sanshe IV قطع الطريق عليه<sup>(4)</sup>.

ج. الخطط الحربية وتنوع أساليب المواجهات البحرية: تجدر الإشارة إلى أنّ ما وصلنا عن الحروب البحرية لا يعدو أن يكون إلّا نزرا قليلا من تلك الانتصارات التي أشارت إليها المصادر المغربية، في حين لم يصلنا شيء تقريبا عن الهزائم، والمصادر تغيب أسباب الهزائم التي منيت بها الأساطيل البحرية للغرب الإسلامي<sup>(5)</sup>.

من بين الخطط الحربية التي وصلتنا من المصادر الوسيطة هو شيوع أسلوب الحصار، وإطالة أمده، واللجوء إلى عمليّات حرق سفن الطّرف المقابل، لإنهاكه وإضعافه عن طريق قطع المدد ومنع خروج أسطوله. وهي من الطّرق التي اعتمدها الأغالبة منذ بداية القرن 3هـ/9م في حملة أسد بن

(1) - ابن أبي زرع، الأنيب المطرب، ص 144-145: مجهول، الحلل المشوية، ص 49-50.

(2) - ابن عذاري، الأنيب المطرب، ص ص 213-214، 220-222، 234.

(3) - ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص 314-315.

(4) - ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص 380.

(5) - العبيدي، البحري المغرب الوسيط، ص 437.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

الفرات على صقلية، فقد تمّ حصار العاصمة سرقوسة برًا وبحرا، وأحرقت مراكبها، و طال حصارها حتى أنّ أسد بن الفرات مات وهو محاصر لها سنة 213هـ/829م<sup>(1)</sup>. وقام والي صقلية الأغلبي الأعلي جعفر بن محمّد بحصارها من جديد في 15 رمضان 264هـ/21 ماي 878م برًا وبحرا، لمّدة تسعة أشهر، ولم يجد النّاس ما يأكلونه فتغذّوا من الجلود وجثث البشر<sup>(2)</sup>، فهذا الحصار كانت له فاعليّة في نفاذ مؤن سكّان المدينة ممّا سهّل دخولها فيما بعد، ليتّم في مرحلة موالية هدمها<sup>(3)</sup>. وتعدّ المنجنقات من الآلات التي اعتمدها الأغالبة لحصار المدن وهدمها<sup>(4)</sup>.

ونسجّل فاعليّة الحصار أيضا في العهد الفاطمي، فعندما أحكم والي صقلية الحسن بن علي الكلي حصاره لمدينة جراجة سنة 340هـ/952م، كاد أهلها يهلكون من شدّة العطش؛ فمالوا إلى الصّح، وبعد سنة أعاد حصارها، ممّا جعل إمبراطور البيزنطيين يرسل له طالبا الهدنة<sup>(5)</sup>.

والحصار البحري كان لمنع الخروج والدخول الذي من شأنه تقديم الدّعم العسكري والمؤن "للعدوّ"، ففي حصار عبد المؤمن بن علي للمهدية التي كانت تحت نفوذ النّورمان سنة 555هـ/1160م، وضع أسطوله على باب دار صناعة المدينة لترصد الحركة في البحر. وعندما قدمت سفن من صقلية محمّلة بالطعام والسلاح، وبمجرّد اقتراب إحدى قطعها من باب دار الصّناعة خرجت له قطعة من أسطول أبي عبد الله بن ميمون، ثمّ باغتت سفن الموحدين بقية أسطول النّورمان، واستولت على ثمانية قطع منه، ممّا دفع

(1) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 102-103.

(2) - الطالبي، الدولة الأغلبية، ص 552-553.

(3) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 280.

(4) - الطالبي، الدولة الأغلبية، ص 552-553.

(4) - أماري، المكتبة العربية الصقلية، ص 247.

(5) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، ص 239، 280؛ أماري، المكتبة العربية الصقلية، ص 243، 259-260.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

بقية السفن إلى الهروب والعودة إلى صقلية<sup>(1)</sup>. وفي هذا الحصار نصب عبد المؤمن بن علي المنجنيقات والعدادات في البر والبحر<sup>(2)</sup>.

وقد يكون القتال مباشرا، حيث تلتحم السفن ببعضها البعض، وهو ما وقع في المعركة التي خاضها الأسطول المريني بقيادة محمد بن علي العزفي بالزقاق، سنة 740هـ/1340م، ضدّ "التصاري" حيث تقاربت الأساطيل؛ فاشتبك الفريقان، وكان القتال على ظهور السفن، واستعملت فيه السيوف والرماح، وقيل رميت جثث الإسبان في البحر، وقتل قائدهم، وحملت مراكبهم إلى سبتة<sup>(3)</sup>.

ومن الأساليب الأخرى في المعارك البحرية هي القيام بحملات خاطفة وسريعة، قد تكون في طريق الذهاب أو الإياب، فتعتمد أساسا الهدم والحرق بهدف إضعاف الخصم وتجريده من آليات قوّته، وهي من العادات التي دأب عليها الأسطول الفاطمي، لاسيما عندما مرّ بسردانيا بعد فتح جنوة سنة 324هـ/936م، وأحرقوا مراكبها<sup>(4)</sup>، وقد تكون هذه الحملات بدافع الانتقام مثل الأسطول الفاطمي الذي خرج من صقلية سنة 344هـ/956م، لتأديب بني أمية التي اعترضت سفنهم سبيل سفينة قادمة من صقلية، تحمل رسالة للخليفة الفاطمي، فلمّا وصلت سفن الفاطميين إلى أمية قاعدة الأسطول الأموي بالأندلس، تمّ إحراق السفن، ودار صناعة المدينة، وخزائنها من الخشب والعود<sup>(5)</sup>.

(1) - مجهول، الحلل الموشية، ص 154؛ التيجاني، رحلة التيجاني، ص 348-349؛

René Millet, *Les Almohades: histoire d'une dynastie berbère, société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales*, Paris, 1923, p. 82.

(2) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 198؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص 111.

(3) - ابن خلدون، العبر، مج 13، ص 544؛ الناصري، الاستقصا، ج 3، ص 135-136.

(4) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 7، ص 115.

(5) - القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، ص 165؛ نفسه، افتتاح الدعوة، ص 336.

خاتمة:

خلاصة القول أنّ توفير الآليات الحربيّة بمختلف أنواعها من سيوف وخناجر ومنجنقات وعرادات ومقدوفات وسفن، كان يخضع مباشرة لتدخّل السّلطة القادرة لوحدها على توفير الإمكانيّات الماديّة والبشريّة حتى تتحقّق لها طموحاتها السياسيّة التوسعيّة، وأهدافها الاقتصاديّة في امتلاك أراضي جديدة وتوفير الغنيمة، فضلا عن النوايا الدنيّة في نشر الإسلام والحصول على الأجر والثواب. وهذه النّجاحات التي حقّقتها بلاد المغرب كان بفضل حسن التّخطيط والتّدبير في إدارة المعارك البحريّة، وحسن اختيار أدوات التّنفيذ من القواد والمقاتلة، وأوقات خروج الأسطول إلى حدود المرينيين. ولئن مرّت بلاد المغرب بالعديد من التحوّلات في مجال القوّة البحريّة، فإنّ ما ميّزها هو أنّه كلّما أفلت قوّة تحلّ محلّها أخرى، فبانتهاء الأغالبة ظهر الفاطميّون الذين بانتقالهم إلى مصر، ظهرت بعدهم بقرن قوّة بحريّة مرابطية في المغرب الأقصى، ليأخذ عنهم الموحدون المشعل، ثمّ انتقلت زمام الأمور إلى المرينيين فيما بعد. لكنّ هؤلاء لم ينجحوا كثيرا في الحصول على أمجاد الموحّدين البحريّة، ومنذ هذا التاريخ أصاب الوهن هذه القوّة البحريّة، فتحوّلت بلاد المغرب إلى مجال تستبيحه السفن المسيحيّة الإيطاليّة والاسبانيّة، وصولا إلى الأتراك العثمانيين، الذين استقروا بالمنطقة مع نهاية العصر الوسيط، انتهى معها فصل من فصول هيمنة بلاد المغرب على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

### بيبليوغرافيا

#### 1. المصادر

##### أ. المصادر باللغة العربيّة

- ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني)، المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس، (تونس: مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ).
- ابن أبي زرع الفاسي (أبو الحسن علي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (الرباط: دار المنصور للطباعة والنشر، 1992).
- ابن أبي زيد القيرواني (أبو محمد عبد الله)، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، مج 3، تحقيق محمد حجي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999).
- ابن الأثير (عز الدين)، الكامل في التاريخ، ج 9، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1987).
- ابن الأثير (عز الدين)، الكامل في التاريخ، مج 6، تحقيق محمد يوسف الدقاق، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1987).
- ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990).
- ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، تحقيق محمد عبد الله عنان، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973).
- ابن حمديس الصقلي (عبد الجبار)، ديوان بن حمديس، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، 1970).
- ابن خلدون (عبد الرحمان)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج 7، (القاهرة-بيروت: دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، 1999).
- ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدّمة، (تونس: الدار التونسية للنشر، 1989).

## الحروب البحريّة المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 4، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، 1983).
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق مجموعة من الأساتذة، (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985).
- ابن عميرة المخزومي (أبو مطرف أحمد)، تاريخ ميورقة، تحقيق محمد بن معمر، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007).
- الإدريسي (الشريف)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينيّة، 2002).
- البكري (أبو عبيد)، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، (تونس: الدار العربية للكتاب-المؤسسة الوطنيّة للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة، 1992).
- التيجاني(أبو محمد عبد الله بن محمد)، رحلة التيجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، (تونس-ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1981).
- الجوزري (أبو علي منصور)، سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1954).
- الحميري (محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، 1984).
- الدينوري (عبد الله بن مسلم)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ج 2، (سوسة-تونس: دار المعارف للطباعة والنّشر، 1997).
- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج الصادق، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينيّة، 1998).
- الطرطوسي (مرضی بن علي)، تبصرة أرباب الألباب في كيفة النّجاة في الحروب من الأسواء، تحقيق كلود كاهين، عرض واصف باقي، مجلة التراث العربي، العددان 83-84.

## الحروب البحريّة المغربيّة في العصر الوسيط: الآليات والخطط

- الغرناطي (أبو حامد)، رحلة الغرناطي تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ورحلة إلى أوروبا وآسية، تقديم قاسم وهب، (أبو ظبي-بيروت: دار السويدى للنشر والتوزيع-المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، 2003).
- المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهادهم ونسآكهم من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج 1، تحقيق بشير البكوش، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994).
- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيّة، ج 3، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998).
- المقريزي (تقي الدين بن علي)، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج 1، تحقيق جمال الدين الشيال، (القاهرة: وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1996).
- المكناسي (أحمد بن القاضي)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج1، (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973).
- الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 3، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997).
- أماري (ميخائيل)، المكتبة العربيّة الصقلية، (بيروت: دار صادر، مصورة عن ليبسك، 1857).
- رسائل موحدية، نشر أحمد عزاوي، (القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالقنيطرة، 2001).
- كريخال (مارمول)، إفريقيّا، ترجمة مجموعة من المؤلفين، (الرباط: دار نشر المعرفة، 1988-1989).

## الحروب البحريّة المغربيّة في العصر الوسيط: الآليات والخطط

- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1958).
- مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007).
- القاضي النعمان، المجالس والمسائرات، تحقيق جماعي، (بيروت: دار المنتظر، 1996).
- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، (القاهرة-بيروت: دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، 1989).

### ب. المصادر باللغات الأجنبيّة

- Louis de Mas Latrie, *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Âge*, Paris, 1872.

## 2. المراجع:

### أ. المراجع باللغة العربيّة:

- إدريس (الهادي روجي)، الدولة الصنهاجيّة. تاريخ إفريقيّة في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة حمادي الساحلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992).
- الجعماطي (عبد السلام)، دراسات في تاريخ الملاحة البحريّة وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2012).
- الدشراوي (فرحات)، الخلافة الفاطميّة بالمغرب (296-365هـ/909-975م)، ترجمة حمادي الساحلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994).
- الزين (عبد الله محمد جمال)، الدولة الفاطميّة وقيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر، (القاهرة: دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1991).

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

- الطالبي (محمد)، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296 هـ / 800-909م، ترجمة المنجي الصيادي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995).
- العبيدي (صالح)، البحر في المغرب الوسيط بين الممارسة والتصوير، (تونس: مجمع الأطرش، 2024).
- النخيلي (درويش)، السفن الإسلامية على حروف المعجم، (القاهرة: دار المعارف، 1979).
- النيفر (محمد الشاذلي)، الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، تحقيق الطاهر بن محمد بن الشاذلي النيفر وآمال حمزة، (تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، 2008).
- بركات (وفيق)، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، (جامعة حلب: معهد الآثار العلمي العربي، 1995).
- برونشفيك (روبار)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988).
- عبادة (عبد الفتاح)، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها، (مصر: مطبعة الهلال، 1913).
- مؤنس (حسين)، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلادي، (بيروت: العصر الحديث للنشر، 1992).
- مؤنس (حسين)، فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية 711-756م، (بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 2002).

### ب. المراجع باللغات الأجنبية

- A. Aigius (Donisius), *Classic ships of Islam from Mesopotamia to the Indian Ocean*, Leiden-Boston, 2008.

## الحروب البحريّة المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

- Ahrweiler (Hélène), *Byzance et la mer : la marine de guerre, la politique et les institutions maritimes de Byzance aux VI<sup>e</sup> -XV<sup>e</sup> siècles*, Paris, PUF, 1966.
- Buresi (Pascal) et El Allaoui (Hisham), *Gouverner l'Empire. La nomination des fonctionnaires provinciaux dans l'empire almohade (Maghreb, 1224-1269)*, Madrid, Casa de Velázquez, 2013.
- Djelloul (Néji), *La voile et l'épée. Les côtes du Maghreb à l'époque médiévale*, Tunis, Publication de la Faculté des Lettres, des Arts et des Humanités-Manouba, 2011.
- Lezine (Alexandre), *Deux villes d'Ifriqiya, Études d'archéologie, d'urbanisme, de démographie : Sousse, Tunis*, Paris, Librairie orientalistes Paul Geuthner, 1971.
- Millet (René), *Les Almohades : histoire d'une dynastie berbère, société d'éditions géographiques, maritimes et coloniales*, Paris, 1923.
- Picard (Christophe), *L'Océan Atlantique musulman: de la conquête arabe à l'époque almohade. Navigation et mise en valeur des côtes d'al-Andalus et le Maghreb occidental (Portugal-Espagne-Maroc)*, Paris, Maisonneuve et Larose, Éditions UNESCO, 1997.

### 3. المقالات

#### أ. المقالات باللغة العربية

- ابن عبد الله (عبد العزيز)، "دور الملاحة المغربيّة في البحار طوال ألف عام"، مجلة المناهل، العدد 32، السنة 12، مارس 1985، ص 64-121.
- السلامي (رشيد) وفتحة (محمد)، "دار صناعة فاس"، معلمة المغرب، (سلا: مطابع سلا، 2000)، ص 3927.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

- الشريف (محمد)، "الأسطول السبتي بين الجهاد والتجارة (القرن 12-14م)", مجلة البحث العلمي، ملف العدد: صفحات من التاريخ البحري المغربي، السنة 31، الرباط، 1998، ص 29-43.

- الطائي (عادل عواد)، "تسليح جيش المرابطين"، AAM، العدد 21، السنة 2014، ص 137-172.

- عبد الوهاب (حسن حسني)، "قصة جزيرة قوصرة العربية"، مجلة المجمع العلمي العربي، مج 27، (1952)، ص 382-393.

- عزاوي (أحمد)، "الأسطول، التجارة، القرصنة فيما بين القرنين 6 و8هـ (12-14م)، ورد ضمن البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة ندوات، رقم 7، ص 71-85.

### ب. المقالات باللغات الأجنبية

- Guichard (Pierre), « Recherche onomastique à propos des Banû Maymûn de Denia », *Cahiers d'onomastique Arabe*, Paris, 1989, p. 9-21.

- Lombard (Maurice), « Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane VII<sup>e</sup>-XI<sup>e</sup> siècles », *Espaces et réseaux du haut Moyen Âge*, Paris-La Haye (Mouton), 1972, p.108-151.

- Maarçais (Georges), « Recherches d'archéologie musulmane : Honain », *Revue Africaine*, 69, 1928, p. 333-350.

- Ouerfelli (Mohamed), « Les enjeux commerciaux dans les traités de paix et de commerce entre Pise et les Etats du Maghreb au Moyen Âge (XII<sup>e</sup>-XIV<sup>e</sup> siècle) », in *Les territoires de la Méditerranée (XI<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècle)*, dir. Annliese Nef, Rennes, Presses Universitaire de Rennes, 2013, p.205-215.

- . Ouerfelli (Mohamed), « Personnel diplomatique et modalités des négociations entre la commune de Pise et les États du Maghreb (1133-1397) », in *Les relations*

## الحروب البحريّة المغربيّة في العصر الوسيط: الآليات والخطط

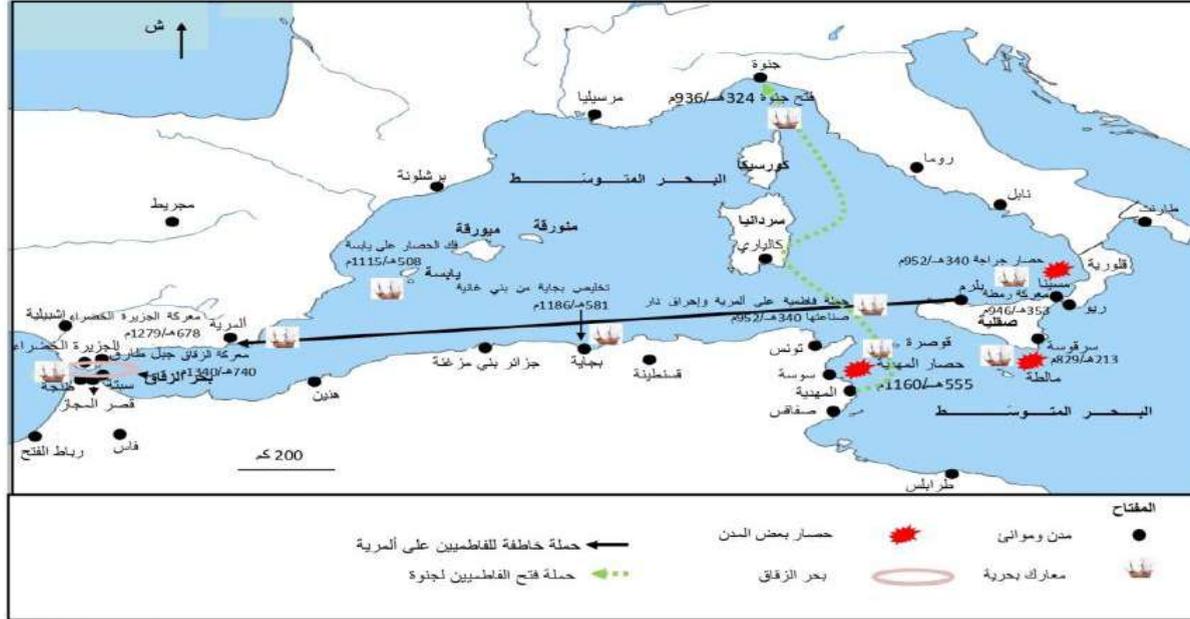
---

*diplomatiques au Moyen Âge. Formes et enjeux. XL<sup>e</sup> Congrès de la SHMESP*, Lyon, 3-6 juin 2010, Paris, Publications de la Sorbonne, 2011, p.119-132.

- Picard (Christophe), « Les arsenaux musulmans de la Méditerranée et de l'Atlantique (VII<sup>e</sup>-XV<sup>e</sup> siècle) », in *Chemins d'outre-mer. Études sur la Méditerranée médiévale offertes à Michel Balard*, Paris, Publications de la Sorbonne, 2004, p. 691-710.

## الحروب البحرية المغربية في العصر الوسيط: الآليات والخطط

خريطة لبعض المعارك البحرية التي خاضتها الدول المتعاقبة على حكم بلاد المغرب من العهد الأغلبي إلى فترة حكم المرينيين في البحر المتوسط



المصدر: صالح العبيدي ©

الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي  
دولة الأغالبة - أنموذجا

---

الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي  
دولة الأغالبة - أنموذجا

The naval military strategy of the leaders of the Islamic  
Maghreb countries -the Aghlabid state as a model

د هاجر بن منصور

جامعة بسكرة، الجزائر

hadjer.benmansour@univ-biskra.dz

---

ملخص:

بعد ظهور دول المغرب الإسلامي برز الوجود الإسلامي في الميدان البحري، ومثل الأسطول البحري إحدى الركائز الرئيسية للمؤسسة العسكرية فيها، أين اندفع قادة هذه الدول إلى بذل مجهودات كبيرة لوضع سياسة عسكرية بحرية تهدف إلى تحصين السواحل، تأمين الحدود، وتوسيع نفوذهم على البحر، وكانت البداية من قادة دولة الأغالبة الذين وضعوا استراتيجية حيال البحر بهدف بلوغ العديد من المقاصد السياسية والاقتصادية، خاصة وأنه في تلك الفترة شكل البحر المتوسط منطقة نزاع في توجيه موازين القوى، إضافة إلى التسابق التجاري واكتشاف فوائد الطرق البحرية.

كلمات مفتاحية: دولة الأغالبة، الاستراتيجية العسكرية، البحر، القادة، الصراع.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

### Abstract:

Following the development of the Islamic Maghreb nations, an Islamic presence in the maritime sphere developed, with the naval fleet serving as one of the key pillars of the military establishment there. One of the Aghlabid state's leaders who devised a maritime strategy with the aim of achieving a variety of political and economic objectives, particularly given that the Mediterranean at the time served as a flashpoint for conflict in the direction of the balance of power, in addition to commercial competition and the discovery of the advantages of sea routes.

**Keywords:** Aghlabid state, military strategy, maritime field, leaders, conflict.

### مقدمة:

بدأ الوجود الإسلامي في المجال الملاحي منذ هيمنة المسلمين على الساحل الشمالي والشمالي الإفريقي خلال القرن 1هـ، مما جعل الدولة الإسلامية معنية باستخدام المجال المتوسطي، ومضطرة إلى زعزعة الاحتكار المسيحي فيه كبعد استراتيجي واقتصادي، وكانت البداية بالدولة الأغلبية التي أدرك قادتها أن المقومات الضرورية لبقاء دولتهم هو مد نفوذهم نحو البحر المتوسط وما له من مراكز إستراتيجية، أين أخذوا منذ عهد القائد إبراهيم بن الأغلب يعملون على بسط نفوذهم اتجاه البحر بوضع إستراتيجية تعتمد على سياسة عسكرية أساسها الجهاد البحري، تدعيم الحصون، حماية الحدود، وأهدافها السيطرة على المراكز الإستراتيجية في البحر المتوسط، والمتمثلة في جزيرة

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

صقلية، مالطا، وحتى الوصول إلى حدود إيطاليا، وهو ما كان لهم في عهد القائد زيادة الله الأغلبي.

الهدف من الدراسة: هو الوقوف على تطور الأسطول البحري الإسلامي في بلاد المغرب، وأهم إنجازاته في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأغالبة.

منهجية البحث: اتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي في تتبع السياسة البحرية لقادة دولة الأغالبة، والمنهج الاستقرائي في دراسة النتائج السياسية الإستراتيجية الموضوعة على معاركهم البحرية.

الإشكالية: ما هي الاستراتيجية العسكرية التي اعتمدها قادة دولة الأغالبة في البحر؟ وإلى أي مدى كانت ناجعة في معاركهم الحربية؟

خطة البحث: اشتملت هذه الدراسة على توضيح الإستراتيجية العسكرية لقادة دولة الأغالبة من خلال:

- 1- التعريف بدولة الأغالبة
- 2- الأسس التي اعتمدها قادة دولة الأغالبة في استراتيجيتهم العسكرية البحرية
- 3- نتائج الإستراتيجية العسكرية على المعارك البحرية

### 1. دولة الأغالبة:

ارتبط قيام الدولة الأغلبية ارتباطا وطيدا بما كان شائعا في المغرب الإسلامي من قلاقل ونزاعات مذهبية<sup>(1)</sup>، أين عرفت المنطقة استقلال الأدارسة في المغرب الأقصى، واستقلال بني رستم بالمغرب الأوسط وهو ما جعل العباسيون يحسون بالقلق على نفوذهم بالمغرب الأدنى، خاصة وأن سلطتهم

(1) - سعد زغلول عبد الحمي، تاريخ المغرب العربي، ج2، (الإسكندرية: دار المعارف الإسكندرية، 1993م)، 33.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

على إفريقية دب إليها الضعف، حيث كانت السلطة غير مستقرة بإفريقية، فعين هارون الرشيد على رأسها إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ لضبط أمورها<sup>(1)</sup>، ويرجع نسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي الذي ساهم إلى جانب أبي مسلم الخرساني في الدعوة إلى العباسيين، وكان من الحرس الخاص للخليفة أبي جعفر المنصور وقد بعث إلى مصر صحبة ابن الأشعث الذي جلب جيش لاستعادة الأمن إلى المغرب<sup>(2)</sup>.

وكان الصراع الذي خاضه العرب ضد البربر والانتفاضة التي قامت بها الدول المستقلة في الشمال الإفريقي دافعا وجهيا وحتميا لانفصال إفريقية عن الدولة العباسية وتحقيق استقلال جزئي والاكتفاء بالتبعية الاسمية للخلافة<sup>(3)</sup>، ويعد قيام الدولة الأغلبية في طرابلس وإفريقية وقسم من المغرب الأوسط تجربة مستجدة في نظم الحكم في الدولة، وهي تجربة التنازل عن سلطة جزء من الدولة لأسرة معينة من أهل الوفاء مقابل دفع مقدار سنوي من المال<sup>(4)</sup>، وقد تمكنت هذه الأسرة من إقامة إمارة ذات سلطة متكاملة الأجزاء، ظلت قائمة إلى أن استولى عليها الفاطميون عام 296هـ<sup>(5)</sup>، وكان عدد من ملك هذه الدولة أحد عشر أميرا، آخرهم زيادة الله وكانت مدة ولايته خمس سنين وعشرة أشهر، وانقرضت دولتهم كأن لم تكن<sup>(6)</sup>.

(1) - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب الإسلامي، ط2، (القاهرة: دار الرشاد، 1997م)، 106.

(2) - محمد طالي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ط1، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1995م)، 86.

(3) - حسين مؤنس، نفس المرجع، 106.

(4) - محمد سهيل طقوش، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، ط2، (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر، 2007م)، 32.

(5) - محمد طالي، نفس المرجع، 5؛ سهيل طقوش، نفس المرجع، 6.

(6) - شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تج. عبد المجيد الترجيفي، ج24، (بيروت: دار الكتب العلمية)،

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

### 2. الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دولة الأغالبة:

كان قيام دولة بني الأغلب في إفريقية بداية تحول في السياسة البحرية الإسلامية في المغرب الأدنى، أين اهتم أمراء دولة الأغالبة اهتماما كبيرا بالمسائل البحرية، وتجاوزت مساعيهم في العناية بالأسطول البحري مساعي من كان قبلهم من قادة المغرب الإسلامي، وطمحووا منذ حكم إبراهيم بن الأغلب لفرض سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط، حيث وضعوا استراتيجية عسكرية ضمن أسس واضحة وذلك لتحقيق أهداف ولو على المدى الطويل، وتمثلت هذه الإستراتيجية في:

أ. تحصين المدن الساحلية: نظر قادة الدولة الأغلبية إلى الشواطئ على أنها حدود ونهايات يجب حمايتها، لا مداخل وثغور يمكن الاعتماد عليها في السيطرة على مياه البحر والوثوب منها إلى ما وراء البحر، حيث عملوا على تحصين الشواطئ وإعمار محارسها وشحنها بالرجال<sup>(1)</sup>، فقد فهم إبراهيم بن الأغلب مؤسس هذه الدولة منذ أن أقره الخليفة العباسي الرشيد أميرا على إفريقية، أن نطاق إمارته الذي كان من طرابلس شرقا حتى بجاية غربا يتطلب أسطولا بحريا يتمكن من خلاله من تأمين هذه السواحل من هجمات الروم، وفي نفس الوقت يساعده على العودة بالسياسة الإسلامية الإفريقية إلى توجيه الغارات على بلاد الروم<sup>(2)</sup>.

وكانت البداية بالسيطرة على المدن الساحلية والقضاء على القلاقل والثورات القائمة فيها، وهو ما ذهب إليه إبراهيم بن الأغلب الذي عمل على

(1) - حسين مؤنس، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، (مصر: دار المصرية اللبنانية للطبع والنشر والتوزيع، 1993م)، 86-87.

(2) - السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار عبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، (بيروت: دار النهضة العربية، 1969م)، 98-99.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

القضاء على الثورات وتثبيت حكمه في بلاد المغرب الأدنى، وهو ما أكده النويري بقوله: " ولما ولى إبراهيم قمع أهل الشر بإفريقية، وضبط البلاد، وأحسن إلى من بها، وبعث بأهل الشر الذي جرت عاداتهم بمخالفة الأمراء والوثوب عليهم إلى بغداد"<sup>(1)</sup>، ثم من بعده ولداه عبد الله الأول وزيادة الله الأول اللذان تميزا بالشدة والصرامة في القضاء على الفتن والثورات خاصة في المدن الساحلية<sup>(2)</sup>. وتعتبر مدينة طرابلس من أشهر المدن الساحلية التي عرفت على مر حكم الدولة الأغلبية العديد من الثورات ولكن أمراء الدولة الأغلبية عملوا على إخماد تلك الثورات والسيطرة عليها وعدم التفريط فيها، وكان اهتمام أمراء الأغالبة بالمدن الساحلية واضحة لدرجة أنهم نقلوا عاصمتهم إلى تونس المدينة الساحلية في سنة 281هـ، في عهد إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب<sup>(3)</sup>.

ومن مظاهر السياسة العسكرية لقادة الدولة الأغلبية في المدن الساحلية المنشآت العسكرية، فقد أنشؤوا الكثير من الأسوار والأبراج في مدن الساحل<sup>(4)</sup> منها: سور مدينة سوسة الذي بناه زيادة الله الأغلب والذي كان يتفاخر بذلك بقوله: " ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صفحتي أربع حسنات: بنياني المسجد الجامع بالقيروان وبنياني قنطرة الربيع وبنياني حصن مدينة سوسة"<sup>(5)</sup>، إضافة إلى سلسلة المحارس التي أقاموها على الشواطئ والتي اكتملت في عهد إبراهيم بن أحمد، وكانوا يقيمون في كل محرسا برجاً للناس لبعث الإشارات، فكان الخبر يصل إلى آخر البلاد، من بجاية إلى طرابلس في أقل من ليلة، أما في

(1) - النويري، المصدر السابق، 55.

(2) - إبراهيم أحمد العدوي، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، (مصر: مكتبة نهضة مصر)، 77؛ أنظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرا. محمد يوسف دقاق، ط1، مج5، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، 339، 369، 391، 392؛ النويري، المصدر السابق، 58-62، 55.

(3) - النويري، نفس المصدر، 72.

(4) - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط4، (القاهرة: دار الرشاد، 2000م)، 109.

(5) - البكري، المسالك والممالك، تج. أدريان فان ليوفان، أندري فير، (دار الغرب الإسلامي، 1992م)، 690، 691.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

النهار فكانت الإشارات تبعث بالدخان فكانوا يوقدون النواطير أخشابا رطبة تبعث دخانا شديدا يرى عن بعد<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى ذلك اعتمد قادة الدولة الأغلبية في سياستهم العسكرية البحرية على بناء القصور والأربطة، فقد عرفت دولة الأغالبة بكثرتها، وهو ما أكده ابن الأثير عندما ذكر أن الأمير أبا إبراهيم أحمد (242-249هـ) أقام بإفريقية عشرة آلاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد<sup>(2)</sup>، وقد ذكر الباحث ناجي جلول العديد من رباطات المدن الساحلية التي أنشئت أو حصنت في عهد الدولة الأغلبية نذكر منها:

- رباط المنار وهو حصن يعود تأسيسه إلى الفترة الأغلبية يعلوه برج مراقبة (منار).

- قصر رباط رادس الذي تدعم أيام محمد بن الأغلب بمجموعة من المراقب التي استخدمت لمراقبة الخليج وكمراكز للبريد الرسمي.

- رباطات صطفورة (منطقة بنزرت) ذكر أن في هذه المنطقة توجد أغلب الرباطات الأغلبية على الشريط الساحلي من بنزرت إلى قمرت، منها حصن أبي المهزول، رباط أبي الصقر.

- رباطات جزيرة شريك<sup>(3)</sup>: ذكر أن هذه الجزيرة كانت مليئة بالقصور المحصنة والرباطات التي يعود إنشائها إلى العهد الأغلبي، وقد اعتبر المنطقة من أهم مراكز المراقبة في العصر الوسيط.

- قصر الطوب الذي يوجد على بعد 5 كلم من جنوب سوسة، قرب قرية سيدي عبد الحميد، ويعود الفضل في إنجازها إلى الأمير أبا العباس محمد بن

(1) - حسن مؤنس، نفس المرجع، معالم تاريخ المغرب والأندلس، 107: انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، مج6، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م)، 66.

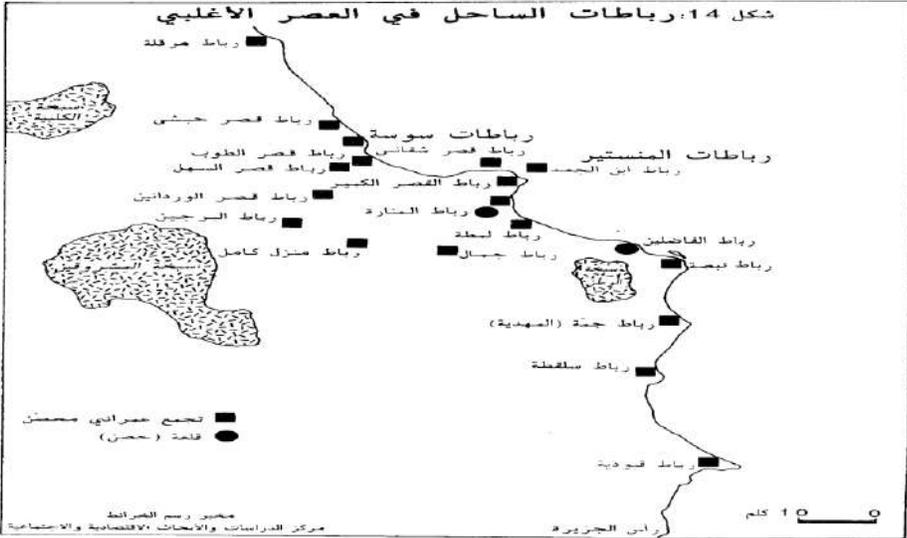
(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، 66.

(3) - تنسب إلى شريك العبسي كان عاملا عليها، وهي مدينة كبيرة أهلة بها حمامات وجامع وأسواق عامرة، بها قصر أحمد بن عيسى القائم على ابن الأغلب. البكري، المصدر السابق، 704.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

الأغلب، على يد خادمه الفتى المنسوب إليه منار القصبة، وكان قصر الطوب مثل باقي الرباطات، كان دوره العسكري يتمثل في المراقبة وحراسة قرية الساحليين وملاحتها.<sup>(1)</sup>

وهكذا استطاع قادة الأغالبة من خلال سياستهم البحرية من جعل الساحل فحصا" كثير السواد من الزيتون والشجر والكروم ... فيه قرى كثيرة متصلة ببعضها ببعض... وفي جميع المراحل حصون متقاربة يسكنها العباد والمرابطون"<sup>(2)</sup>، وهو ما يبدو واضحا وجليا من خلال الشكل التالي:



الشكل رقم 1: خريطة توضح الرباطات التي أقامها قادة الدولة الأغلبية<sup>(3)</sup>

(1) - ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، (تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 1999م)، 50، 88، 47-48، 43-45.

(2) - ناجي جلول، المرجع السابق، 69.

(3) - المرجع نفسه، 287.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

ب. الاهتمام بالعتاد البحري: عرف قادة الدولة الأغلبية في سياستهم العسكرية البحرية بإنشاء دور للصناعة البحرية، فهذا الأمر مهم جدا لما لها من دور فعال في تمويل حاجيات الأسطول البحري من معدات وعتاد، وقد ذكرت المصادر العديد من دور الصناعة الموجودة في المدن الأغلبية، من بينها دار الصناعة في سوسة التي تعد إحدى أهم دور الصناعة في الغرب الإسلامي<sup>(1)</sup>، ويبدو أن الأغالبة في سياستهم العسكرية البحرية، قاموا ببناء دار الصناعة في المناطق الساحلية ذات الأريطة والحصون المنيعة لكي تكون سندا لها في توفير ما يحتاجه الأسطول البحري سواء في الدفاع أو الهجوم، وهو ما أكده البكري بقوله: "وخارج مدينة سوسة محارس وروابط ومجامع للصالحين، وداخلها محرس عظيم كالمدينة، مسور بسور متقن يعرف بسور الرباط، وهو مأوى للأخيار والصالحين داخله حصن ثاني يسمى بالقصبة، وهو بجوفي المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل"<sup>(2)</sup>، كما ذكر المالكي أن دار الصناعة في سوسة هي من مولت الحملة العسكرية البحرية المتجهة إلى صقلية<sup>(3)</sup>.

كما امتلكت دولة الأغالبة العديد من دور الصناعة منها: دار صناعة في تونس<sup>(4)</sup>، دار الصناعة في بونة<sup>(5)</sup>، دار الصناعة في مسينا بصقلية " وهي دار إنشاء وبها حط وإقلاع"<sup>(1)</sup>، دار صناعة بجزيرة مالطا "وبها منشأة للسفن"<sup>(2)</sup>.

(1) - ناجي جلول، المرجع السابق، 74.

(2) - البكري، المصدر السابق، 691.

(3) - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي تاريخ دولة الأغالبة والرستمين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، ج2، (الإسكندرية، منشأة المعارف)، 216؛ أنظر المالكي، رياض النفوس، تج. بشير البكوش، ج1، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994م)، 271.

(4) - البكري، المصدر السابق، 695.

(5) - نفس المصدر، 718.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

ومما يكثر في منطقة المغرب من توفر مواد الخام الضرورية لصناعة السفن ومعدات الأساطيل البحرية، استطاعت دولة الأغالبة من خلال سياسته الحكيمة من استغلال الأمر لصالحهم وتوفير المواد الأولية اللازمة للصناعة البحرية، والتي كانت تتوافر بكثرة في المناطق التابعة للدولة في تلك الفترة، كالخشب الصنوبري الذي تصنع منه ألواح السفن والصواري والمجاديف، وخشب الطخش لصناعة السلايم وبعض أنواع الرماح، إضافة إلى معدن الحديد اللازم لعمل المسامير والمراسي والروابط والخطاطيف وغير ذلك من الآلات والأسلحة، والقطران والكتان لصناعة النار الحارقة<sup>(3)</sup>، وغير ذلك من المواد للصناعة العسكرية البحرية.

دور الصناعة التابعة للدولة لم يعد أهل إفريقية يتربعون مجيء الأسطول الرومي من صقلية أو غيرها من سواحل القسطنطينية، بل أصبحت مراكزهم تجول البحر المتوسط وهي تعترض مراكز الروم وتغير على سواحلهم<sup>(4)</sup>.

ج. سياستهم اتجاه الجند: عرفت الدولة الأغلبية منذ قيامها بالصراعات بين الجند، فقد ذكر المؤرخون العديد من المواقف التي تبين الصراع الذي كان بين قادة الدولة الأغلبية والجند من جهة، وحتى الصراع الداخلي بين الجند من جهة أخرى، فهذا إبراهيم الأغلب كان يعاني من جفاء جنده ونقص طاعتهم له... "وهو مع ذلك يراعي أمور أجناده ويصلح طاعتهم ويصبر على جفائهم"<sup>(5)</sup>، وهذا زيادة الله بن إبراهيم الأغلب أغلظ في الجند، وسفك دماءهم،

(1) - عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، ط2، (بيروت: مكتبة لبنان،

1984م). 559.

(2) - نفس المصدر، 520.

(3) - السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار عبادي، المرجع السابق، 57.

(4) - سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، 189.

(5) - النويري، المصدر السابق، 55.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

وحمله على ذلك هو ما حدث بينهم وبين من سبقوه من قادة في الحكم، وهو ما جعلهم ينتفضون عليه<sup>(1)</sup>، أما الأغلب إبراهيم بن الأغلب فأمن الجنود وأحسن إليهم<sup>(2)</sup>، وفي عهد محمد بن الأغلب بن إبراهيم حدثت فتنة داخل الجيش وانقسموا بين طاعة الأمير وطاعة أخيه أحمد<sup>(3)</sup>...

إن اضطراب الجند الأغلبي وعدم الاستقرار الذي عرفته معظم ولايات إفريقية، جعلها سببا من الأسباب التي جعلت قادة الدولة الأغلبية توجه نشاط جندهم وحتى رعاياهم نحو الجهاد البحري، بدل من صرفه في الفتن والقتال الداخلي<sup>(4)</sup>، وفي مقدمتهم الأمير زيادة الله الذي كان قد اضطهد الجند "العرب" لكثرة شغبيهم وحاول القضاء عليهم، وكون لنفسه جيش من السودان قوامه ألف ليستغني بهم عن الجند العرب والبربر، لكن الأمر زاد التأزم بين الجند من السودان، العرب، البربر، مما جعله يفكر بتوجيه الاضطرابات داخل الجنود والصراعات الداخلية بينهم، ونقمتهم عليه إلى شيء أهم يجعلهم ينسون كل تلك الضغائن والصراعات وهو الجهاد البحري، أين قام زيادة الله بتجهيز حملة إلى صقلية مستغلا الصراع الداخلي في الجزيرة لفتحها<sup>(5)</sup>، وهو ما كان له أين فتحت الجزيرة وأضيف إلى بلاد المسلمين فتحا تاريخيا مجيدا زاده رفعة، وهكذا استطاع زيادة الله من خلال خطته الحصول على نتيجتين الأولى هو السيطرة على البحر من خلال السيطرة على جزيرة صقلية، والثانية بالسيطرة على القلاقل الداخلية بين الجند وهنا جمع زيادة الله في استراتيجيته بين السياسة العسكرية في البحر والبر.

(1)- النويري، المصدر السابق، 58-62.

(2)- نفس المصدر، 63.

(3)- نفس المصدر، 63-66.

(4)- سعد زغلول عبد الحميد، نفس المرجع، 210.

(5)- حسين مؤنس، المرجع السابق، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، 101.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

د. الاستمرارية: عقب فتح المسلمين بلاد المغرب، وقبل نهاية القرن الثاني الهجري نجد مسلمي بلاد المغرب يغيرون على شواطئ إيطاليا الجنوبية والغربية، كما وجه المسلمون مساعهم نحو جزيرة صقلية، وقاموا من إفريقية بغارات متوالية ابتداء من سنة 32هـ، ثم انقطع النشاط البحري حينما ليتجدد من أوائل القرن الثامن الميلادي، فنجد المسلمين يهاجمون صقلية في سنوات 102هـ، 109هـ، 110هـ، 112هـ، 114هـ، 135هـ، 136هـ، لكنها كانت كلها مجرد محاولات سريعة<sup>(1)</sup>، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه السرايا كان لها فائدة كبيرة على الأغالبة لأن تلك السرايا أكسبت الأسطول الإسلامي على مر السنوات الخبرة في خبايا تلك الجزيرة، وهدفا في تطوير الأسطول من أجل تحقيق حلم فتحها يوما ما، وهو ما شجع القادة على الاستمرار فيما ابتدأه ممن كان قبلهم من القادة، أين اتبعوا إستراتيجية عسكرية بحرية محكمة لتطوير الأسطول البحري الأغلبي وتمكينه من حماية الحدود الإسلامية من جهة والسيطرة على تلك المناطق وفتوحات جديدة من جهة أخرى، وكان ذلك قائم على السياسة البحرية لمن سبقوهم من القادة.

هـ. تأصيل الفكرة الجهادية: يعتبر الجهاد هو الجزء المهم للسياسة العسكرية البحرية لدولة الأغالبة، وذلك باعتباره الركن الأساسي الذي تقوم عليه العقيدة، وهو ما استغله قادة الدولة الأغلبية لصالحهم، أين استغلوا الرغبة الجهادية في أنفس الفقهاء، الصلاح، الزهاد، وابتنوا لهم الأريطة للمرابطة فيها على الحدود الساحلية، وذلك وفق ما يساعدهم على العبادة من جهة وحراسة الشواطئ من الغارات الرومية من جهة أخرى.

(1) - حسين مؤنس، المرجع السابق، 100.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

فقد ظهرت في البلاد في تلك الفترة طبقة من العلماء المتفقهون المتعبدون الزاهدون أمثال بهلول بن راشد، عبد الله بن عمر بن غانم الرعييني، وصقلاب بن زياد الهمداني، أسد بن فرات، سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي ... وكان لعلماء المالكية أعظم الأثر في غلبة الروح الدينية والاتجاه إلى الزهد والرغبة في المراقبة بالثغور قصد الجهاد في سبيل الله، بسبب تعرض السواحل الإفريقية لغارات الروم<sup>(1)</sup>، فكان الفقهاء والعباد دعاة وجنود يحمون الحدود، وكما عرف عن أمراء الأغالبة بناء الأربطة لهؤلاء المرابطين عرف عنهم التقارب في أوساط المالكية، فهذا إبراهيم بن الأغلب لما اعتلى العرش عمل على تطوير مؤسسة الرباط<sup>(2)</sup>، كما نجد المصادر تذكر أن إبراهيم بن أحمد سافر خصيصا إلى المرابط عمرون الأسود الحامي ت378هـ بعد أن سمع عن كراماته، ليسأله عن حاجته<sup>(3)</sup>، وكان أيضا يزور المرابط بمدينة سوسة المتعبد أبا الأحوص أحمد بن عبد الله في منزله<sup>(4)</sup>، وكان أحمد بن محمد ابن الأغلب يقصد دور الصالحين والعلماء ويأمر بقرع أبوابهم فإن خرجوا أمر بإعطائهم الأموال<sup>(5)</sup> ...

### 2. نتائج السياسة العسكرية البحرية لقادة دولة الأغالبة على معركة فتح صقلية وجنوب إيطاليا:

أ. معركة فتح صقلية وجنوب إيطاليا: يقول ابن خلدون: " فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم

(1) - السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار عبادي، المرجع السابق، 100.

(2) - ناجي جلول، المرجع السابق، 74.

(3) - عبد الله المالكي، رياض النفوس، تج. بشير بكوش، ط2، ج2، (لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994م)، 377-378.

(4) - المالكي، المصدر السابق، ج1: 482، 483.

(5) - النويري، نفس المصدر، 66، 67.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

البحرية أمما وتكررت ممارساتهم للبحر وثقافته واستحدثوا بصراء بها فشرهوا إلى الجهاد فيه وأنشأوا السفن فيه والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته من الشام وأفريقية والمغرب والأندلس وأوعز الخليفة عبد الملك إلى حسان بن النعمان عامل إفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الأول ابن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا وفتح قوصرة أيضا في أيامه<sup>(1)</sup>.

كانت إفريقية مطمح أنظار كل من استقرت له قدم في جزيرة صقلية، وكانت هذه الجزيرة كذلك مطمح أنظار كل من توطد له حكم إفريقية<sup>(2)</sup>، منهم قادة الدولة الأغلبية الذين كانت لهم تطلع منذ قيام دولتهم بالسيطرة على هذه الجزيرة، والذي تجسد فعليا في عهد الأمير الأغلبي زيادة الله الأول بحملة انطلقت من سوسة بقيادة أسد الله بن فرات الذي اجتمع له في هذه الحملة منصب القضاء والإمارة معا، ولم تجتمع الإمارة والقضاء لأحد بإفريقية إلا هو، وكان خروجه سنة 212هـ، يرافقه جيش عدّ بنحو عشرة آلاف فارس<sup>(3)</sup>.

ويرجع دافع الغزوة إلى أن دولة الأغالبة كانت في هدنة مع صقلية، وكان شرطها أنّ من دخل إليهم من المسلمين وأراد أن يرد فعلهم رده، فرفع إلى زيادة الله أن عندهم أسرى، هنا جمع العلماء واستفتاهم في الأمر، فانقسم العلماء بين من رفض نقض المعاهدة مع البيزنطيين وتزعم هذا الرأي أبو محرز،

(1) - عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مرا. سهيل زكار، (لبنان: دار الفكر، 2001م)، 313-314.

(2) - أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، (الجزائر: المطبعة العربية)، 56.

(3) - المالكي، المصدر السابق، ج: 1، 271.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

وبين من رأى أنه لا بد من غزو صقلية وتزعم الرأي أسد بن فرات، وفي الأخير أمر زيادة الله بغزو صقلية<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى ذلك السبب هناك سبب آخر كان حافزا لزيادة الله الأغلبي في غزو صقلية، تمثل في لجوء القائد الأسطول البيزنطي فيمي إلى الأمير الأغلبي بعد صراعه مع حاكم صقلية قسطنطين، أين ثار عليه بمساندة القوات البحرية له واحتل سرقوسة وأوقع بقسطنطين وأعدمه بعد أسره، ثم نصب نفسه إمبراطورا على الجزيرة، غير أن أحدهم سماه المؤرخين العرب ببلاطة قام ضده وأعلن ولاءه لإمبراطور القسطنطينية ميخائيل الثاني واستطاع هزيمة فيمي الذي لجأ إلى زيادة الله الأغلبي وعرض عليه سيادة صقلية مقابل أن يبقى واليا عليها مع دفع الجزية<sup>(2)</sup>.

وبدأ الفتح بقيادة أسد بن فرات أين وصل أسطول المسلمين إلى مدينة مازرة ولم يجدوا من يدافع عنها، فنزلوا فيها وأفرغوا الأسطول بما أتوا به من معدات دون مشاكل، وكان الموقع موزعا إستراتيجيا مهما للحملة من جانبيين، الجانب الأول هو أن ساحلها هو أقرب السواحل الصقلية لإفريقية، والثاني هو أنها بعيدة عن مركز النقل البيزنطي في الجزيرة. وهكذا أنزل الجيش الإسلامي عتاده العسكري وعسكر في المنطقة<sup>(3)</sup>، ثم زحف إليه بلاطة ملك صقلية في خلق عظيم يقال إنه كان في مائة ألفا وخمسين ألفا، ووقعت معركة بلاطة أين أظهر أسد بن فرات شجاعة وحكمة لا نظير لها، فلم تؤثر عليه كثافة الجند

(1) - القاضي أبو الفضل عياض. تراجم أغلبية، تج. محمد الطالبي، (تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1968م)، 66.

(2) - عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، تر. أمين توفيق الطيبي، (الدار العربية للكتاب، 1980م)، 13؛ البكري، المصدر السابق، 54.

(3) - المالكي، المصدر السابق، ج 1: 272؛ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، 218.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

البيزنطي، وعمل على تشجيع جيشه وتقوية عزمته بذكر آيات الله، ثم تذكيرهم أن هؤلاء الجند هم أنفسهم من طردوا من المناطق الساحلية من المغرب فرارا من سيوف المسلمين، وهو ما زادهم عزيمة واستطاعوا هزيمة بلاطة وأصحابه<sup>(1)</sup>، وقد وصف سليمان بن سالم شجاعة أسد بن فرات قائلا: "فرأيت أسدا وفي يده اللواء وهو يزمزم، وأقبل على قراءة "يس"، ثم حرّض الناس وحمل وحملوا معه، فهزم الله جموع النصارى، ورأيت أسدا وقد سالت الدماء مع قناة اللواء حتى صارت تحت إبطه"<sup>(2)</sup>.

وبعد انتهاء المعركة فر الروم واستغل أسد بن فرات الأمر وفتح كامل الجنوب الصقلي في فترة قصيرة حتى وصل تحت أسوار سرقوسة، وفي هذه المرحلة من الفتح أظهر أسد بن فرات بالإضافة إلى شجاعته، حكمة وعقلية قيادية فذة برزت عندما طلب من جنوده أن يجعلوا على رؤوسهم سيماء لثلا يتوهم أحدا من العرب أنهم من الأعداء، فجعلوا على رؤوسهم الحشيش، فكانت تلك سيماهم، كما طلب من أصحاب فيمي أن يعتزلوا رجاله لأنه لا يريد أن ينتصر بمساندة الكفار، وكان محقا لأنهم لاحظوا الخيانة منهم<sup>(3)</sup>.

وظهرت حكمته كذلك عندما تغلغل الشك والقلق إلى جنوده، أين تمكن أسد بن الفرات من بث الصبر والصمود بينهم، وقد بدأ عدم الاستقرار يظهر في جنده عندما أصابهم الجوع حتى أكل لحوم الخيول، فاشتكى الناس الأمر لابن قادم وهو أحد أصحاب أسد بن فرات، فذهب الأخير لأسد بن فرات وطلب منه الرجوع إلى إفريقية مؤكدا له أن حياة المسلم أهم من أهل الشرك كلهم، فرفض أسد بن فرات ذلك وأراد حرق المراكب، وأسرع على الناس بعزيمة

(1) - المالكي، المصدر السابق، 272.

(2) - القاضي عياض، نفس المصدر، 67.

(3) - سعد زغلول عبد الحميد، نفس المرجع، 219؛ المالكي، ج: 1، 273.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

على البقاء من أجل الفتح، وبقي يجاهد حتى توفي سنة 213هـ، ودفن بمدينة قصر يانة<sup>(1)</sup>.

وبعد أسد بن فرات قدم ابن الجواري ذكر عند ابن خلدون ابن الحواري لقيادة الجند، وتحت قيادته استطاع الجيش الأغلبي السيطرة على ميناو، جرجنت، ووصلوا أمام قرصانة وحاصروها، وفي هذه الفترة شعر المسلمون بالاطمئنان في المناطق التي افتتحوها، حتى أنهم ضربوا العملة باسمي زيادة الله ومحمد بن أبي الحواري<sup>(2)</sup>، وبعد وفاته ولي زهير بن عوف وهنا عرف المسلمون العديد من الهزائم من قبل الروم، وحاصروهم في معسكرهم<sup>(3)</sup>.

أين ذكر ابن خلدون أنه بعد الحصار الذي أصاب المسلمين، وصل المدد من إفريقية والأندلس، أين وصلت مراكب إفريقية وأسطول أندلسي، خرجوا للجهاد واجتمع منهم ثلاثمائة مركب نزلوا الجزيرة وفكوا الحصار على المسلمين، واستطاع المسلمون بعدها من فتح مدينة بليرم سنة 217هـ، ثم مدينة قصر يانة سنة 220هـ<sup>(4)</sup>.

(1) - المالكي، المصدر السابق، ج: 273؛ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرا. سهيل زكار، ج4، (بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000م)، 254؛ البكري، المصدر السابق، 54.

(2) - عزيز أحمد، المرجع السابق، 16.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4: 254.

(4) - نفس المصدر، 254-255.

وهنا ذكر ابن عذارى أن أسطولا مكون من ثلاث مائة مركب وصل من الأندلس إلى صقلية بقيادة أصبغ بن وكيل المعروف بفرغلو، فلما سمع به المسلمون المحاصرين استنجدوا به، فوافق على أن يكون أمر الناس إليه، واستطاع فك الحصار على ميناو، ثم انتقلوا إلى غلوالية وتغلبوا عليها، ثم أصابهم وباء مات على إثره فرغلو، وهجم عليهم العدو وقتل منهم خلق كثير، بعد ذلك أصلح من بقي منهم مراكبهم وعادوا للأندلس. ابن عذارى، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تج. بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، ط1، ج1، (تونس: دار الغرب الإسلامي، 2013م)، 144، 145.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

وبعدها بدأ زيادة الله يبعث القادة ومعهم السرايا إلى صقلية لمناصرة المسلمين، أين أرسل أولا أبا فهر محمد بن عبد الله، ثم أرسل بعد وفاته سرية بقيادة الفضل بن يعقوب إلى سرقوسة أين غنم غنائم كثيرة، ثم ولى إبراهيم بن عبد الله بن الأغلب على صقلية، فأرسل السرايا وغنم غنائم كثيرة<sup>(1)</sup> ... وبعد وفاة زيادة الله بن الأغلب كان للمسلمين معارك عديدة وغنائم كثيرة، ودامت الحرب خمسين سنة استولى المسلمون من خلالها على ثغور الجزيرة ومدنها الواحدة تلو الأخرى وكانت مدينة سرقوسة وتقع على الساحل الشرقي لهذه الجزيرة آخر معقل أسقط في أيديهم سنة 264هـ وبذلك استطاع المسلمون من السيطرة على صقلية وأنشأوا بها دولة إسلامية<sup>(2)</sup>، وهكذا تمكن المسلمون من التحكم في المضائق، والتي تتمثل في المضيق بين تونس وجنوب صقلية، ومضيق مسينا شمال شرق صقلية<sup>(3)</sup>.

ب. دور السياسة العسكرية في تحقيق الانتصار: يتبين لنا مما سبق أن فتح صقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط لم يكن مصادفة، بل هو نتاج لسياسة عسكرية بحرية ناجعة قام بها قادة دولة الأغالبة واستطاعوا من خلالها تمكين المسلمين من السيطرة على الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط، ويمكن إبراز ذلك في النقاط التالية:

يقول ابن خلدون: "أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه"<sup>(4)</sup>، وهو ما طبقة زيادة الله بتعيينه الفقيه أسد بن الفرات

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4: 255؛ عزيز أحمد، المرجع السابق، 17-18.

(2) - حسن دوغان، "العرب في صقلية"، مجلة الأديب، 2، (فبراير 1943م): 14.

(3) - شوقي أبو خليل، فتح صقلية، (دمشق: دار الفكر، 1998م)، 52.

(4) - ابن خلدون، المصدر السابق، مقدمة ابن خلدون، 198.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

قائدا على الحملة، وقد لاحظنا مسبقا الدور البارز الذي لعبه في تثبيت أقدام المسلمين في صقلية وحثهم على الصبر والثبات، حتى أنه لم يذكر أي صراع داخلي بين الجند، بالرغم مما ذكرناه مسبقا حول الانقسام في الجند الأغلبي بين عرب وبربر وسودانيين.

لاحظنا العديد من الإمدادات التي وصلت إلى الجند في صقلية من إفريقية، أين أرسل زيادة الله العديد من السرايا المحملة بالجنود والعتاد لمساندة المسلمين على الفتح والتقدم إلى مناطق أخرى<sup>(1)</sup>، وهذا العتاد كان حصيلة الإنتاج الصناعي في دور الصناعة المنتشرة في بلاد إفريقية.

السياسة المتبعة من قادة الدولة الأغلبية عبر سنوات في تقوية الأسطول البحري ساهمت بشكل كبير في معركة صقلية، فقد كان لتطور صناعة السفن في دور الصناعة في العهد الأغلبي الأثر البالغ في فتح صقلية، وذلك باعتباره جزءا مهما من مشروع تهيئة ساحة العمليات العسكرية، ولهذا أصبح لديهم أسطولا بحريا قويا مؤهلا لمواجهة الأسطول البيزنطي<sup>(2)</sup>، أين نجد أن المسلمين استطاعوا في العديد من المعارك البحرية التغلب على الأسطول الرومي وتدميره، منها المعركة التي كانت بقيادة ابن الأغلب، حيث لاحظ هذا الأخير أن الروم يعتمدون على البحر أكبر اعتماد، خاصة في المدد والنجادات، وهنا قرر نقل المعركة من البر إلى البحر، فدارت بين المسلمين والروم معركة بحرية أظهر فيها المسلمون كفاءة عالية في القتال البحري، واستطاع الأسطول الأغلبي تحطيم أسرابا من سفن الروم، وبعد هذه المعركة صار للأسطول الإسلامي مكانته في البحر الأبيض المتوسط<sup>(3)</sup>.

(1) - انظر ابن خلدون، نفس المصدر، ج:4: 255.

(2) - عماد هادي علو، "الأهمية الإستراتيجية لدور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، 76، (1 ديسمبر 2001): 142.

(3) - أحمد توفيق، المرجع السابق، 74.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

كانت السواحل الإسلامية محصنة بالأرْبطة والمحارس، وهو ما جعل قلوب المسلمين مطمئنة على مناطقهم، متخذين منها مركزا للهجوم، فقد تقوم هذه الأربطة برد أي هجوم أو اعتداء على إفريقية، كما اعتبرت بمثابة قاعدة بحرية حامية عملت على الحماية وتمويل الحملة العسكرية في آن واحد، فقد خرجت من تلك السواحل العديد من الحملات لنجدة الفاتحين وتمويل العمليات مع فتح مناطق أخرى.

اتبعت سياسة الاستمرارية في الفتح فبعد وفاة زيادة الله لم يتوقف خلفاؤه عن الفتح بل واصلوا في حملاتهم نذكر منها:

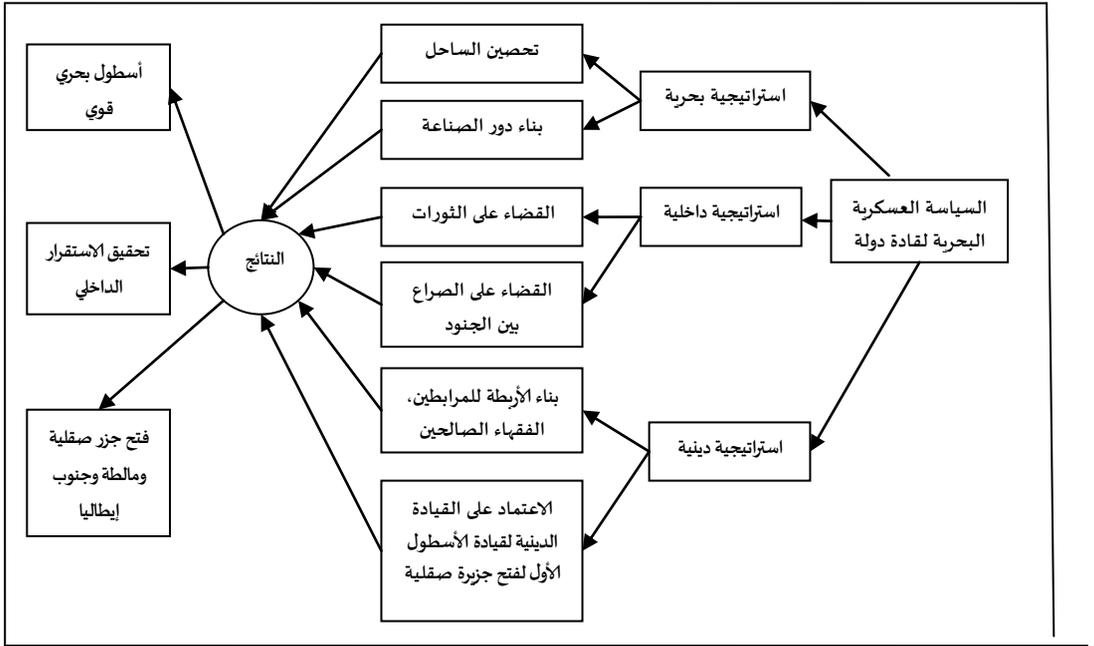
منها حملة أبي الأغلب عباس سنة 229هـ، أين خرج بسرية فبلغ شرة فقاتله أهلها قتالا شديدا، لكن استطاع هزيمة الروم وقتل منهم ما يزيد عن عشرة آلاف رجل واستشهد من المسلمين ثلاثة أنفار<sup>(1)</sup>، وفي عهد أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد فتحت سرقوسة من صقلية سنة 264هـ، على يد أحمد بن الأغلب وقتل فيها أكثر من أربعة آلاف علعج، وأصاب من الغنائم ما لم يوجد في مدينة من مدن الشرك، وأقاموا فيها شهرين ثم هدموها<sup>(2)</sup>.

وفي الأخير نستطيع توضيح الإستراتيجية العسكرية لدولة الأغالبة من خلال المخطط التالي:

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج:6، 227.

(2) - النويري، المصدر السابق، 69.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا



المخطط رقم 1: يوضح الإستراتيجية العسكرية البحرية لدولة الأغالبة

والنتائج المتحصل عليها

خاتمة:

يتبين لنا مما سبق أن فتح صقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط لم يكن مصادفة، بل هو نتاج مجهودات كبيرة قام بها قادة دولة الأغالبة لاصطناع سياسة عسكرية بحرية تهدف إلى تحصين السواحل، والسيطرة على جزر البحر الأبيض المتوسط، وقد تجسدت هذه المجهودات في تمكين المسلمين من السيطرة على الجزء الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وجعل الأسطول الإسلامي في تلك الفترة قوة ضاربة في البحر الأبيض المتوسط.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

### قائمة المصادر والمراجع:

#### المصادر:

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط1، مج 6، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مرا. محمد يوسف دقاق، ط1، مج5، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
3. البكري، المسالك والممالك، تح. أدريان فان ليوفان، أندري فير، دار الغرب الإسلامي، 1992م.
4. الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح. إحسان عباس، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984م.
5. ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، مرا. سهيل زكار، لبنان: دار الفكر، 2001م.
6. ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مرا. سهيل زكار، ج4، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 2000م.
7. ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح. بشار عواد معروف، محمد بشار عواد، ط1، ج1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2013م.
8. القاضي عياض، تراجم أغلبية، تح. محمد الطالبي. تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1968م.
9. المالكي عبد الله، رياض النفوس، تح. بشير البكوش، ج1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994م.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

10. المالكي عبد الله، رياض النفوس، تح. بشير بكوش، ط2، ج2، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1994م.

11. النويري شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح. عبد المجيد الترجيني، ج24، بيروت: دار الكتب العلمية.

المراجع:

-الكتب:

1. أحمد عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، تر. أمين توفيق الطيبي. الدار العربية للكتاب، 1980م.

2. جلول ناجي، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط. تونس: مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.

3. زغلول سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج2، الإسكندرية: دار المعارف الإسكندرية، 1993م.

4. سالم السيد عبد العزيز، عبادي أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب وأندلس. بيروت: دار النهضة العربية، 1969م.

5. شوقي أبو خليل شوقي، فتح صقلية، دمشق: دار الفكر، 1998م.

6. طالب محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1995م.

7. طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام، ط2، بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر، 2007م.

8. عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين، ج2، الإسكندرية، منشأة المعارف.

## الاستراتيجية العسكرية البحرية لقادة دول المغرب الإسلامي دولة الأغالبة أنموذجا

9. العدوى إبراهيم أحمد، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مصر: مكتبة نهضة مصر.
10. المدني أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، الجزائر: المطبعة العربية.
11. مؤنس حسين، تاريخ المسلمين في البحر المتوسط: الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مصر: الدار المصرية اللبنانية للطبع والنشر والتوزيع، 1993م.
12. مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب الإسلامي، ط2، القاهرة: دار الرشاد، 1997م.
13. مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط4، القاهرة: دار الرشاد، 2000م.

### المقالات:

1. دوغان حسن، "العرب في صقلية"، مجلة الأديب 2، فبراير 1943م.
2. علو عماد هادي، "الأهمية الإستراتيجية لدور صناعة السفن في فتح الأندلس وجزر البحر المتوسط"، مجلة آفاق الثقافة والتراث 76، 1 ديسمبر 2001.

1. غزوات المسلمين البحرية في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-
2. معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"
3. الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج
4. الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الاسلامية

الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة  
عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

---

الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط  
في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

Muslim maritime conquest of the Mediterranean Sea during  
the reign of Caliph Uthman ibn Affan

أ. د/ ديب صفية

المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة الجزائر

dib.safiaaya@gmail.com/ dib.safia@ensb.dz

---

ملخص:

كان للأسطول البحري الإسلامي في عهد الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه- دور فعال ومؤثر في تاريخ الخلافة الراشدة، وقد جاء هذا البحث بهدف دراسة بعض النماذج من المعارك البحرية التي خاضها المسلمون أثناء خلافة عثمان –رضي الله عنه -.

ولا يخفى على أحد أن نشأة الأسطول الإسلامي كان على يد معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه-الذي قام بإنشاء الموانئ، وبناء دور الصناعة، وإليه يرجع الفضل في تطوره وتقدمه، وهذا بأمر من الخليفة نفسه.

ثم انطلق معاوية بن أبي سفيان بعد تحضير الأسطول إلى جزيرة قبرص، فاستطاع إخضاع أهلها، ومن هنا بدأ الأسطول الإسلامي يقوم بدور كبير في منافسة البيزنطيين على نفوذهم البحري، ومن أشهر المعارك التي أظهر المسلمون فيها انتصارا باهرا معركة ذات الصواري. مما يشير إلى تطور قدرات المسلمين البحرية وإتقانهم لأساليب القتال البحري في مدة زمنية

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

---

وجيزة. وليصبح هذا الأسطول أول أسطول بحري حربي اتخذته المسلمون في الاستراتيجية العسكرية البحرية فدخلوا به التاريخ.

الكلمات المفتاحية: عثمان بن عفان، معاوية بن أبي سفيان، الغزو، فتح قبرص، معركة ذات الصواري، البحر الأبيض المتوسط

### Abstract

The Islamic naval warfare during the reign of Caliph Uthman bin Affan was one of newest and efficient navy in the history of the rise of Islam, and this is the subject of this research, which examines some examples of naval battles fought by Muslims during the caliphate of Uthman

The Islamic navy was established by Muawiya ibn Abi Sufyan, who has made great efforts to build the arsenal Dar-essina'a. the Maritim industry, was development in the Mediterranean Sea under the order of the Caliph Uthman himself. After preparing the fleet, Muawiya ibn Abi Sufyan reach the island of Cyprus and built a first naval base in the Sea. The Islamic fleet began many military campaigns against Byzantine Empire. One of the most famous battles in which the Muslims showed a brilliant victory was the Battle of The Masts, which proved that the development of the Muslims' naval capabilities and their efficiencies of naval combat techniques in a short period of time was a matter of certainty. This warfare became the first component of the military navy that the Muslims adopted in

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

their naval military strategy and entered the history of naval conflict until contemporary history.

**Keywords:** Uthman ibn Affan, Muawiya ibn Abi Sufyan, Muslim Conquest, Islamic Cyprus, Battle of The Masts, Mediterranean Sea

### مقدمة:

أسس المسلمون أسطولاً بحرياً في القرن الأول الهجري، وفي خلال ثلاثة قرون دانت لهم الغلبة في البحر الأبيض المتوسط، حتى قيل أن القرن 3هـ / 9م هو عصر السيادة الإسلامية البحرية في البحر المتوسط .

يبدو أن العرب لم يكن لهم معرفة كبيرة، قبل الإسلام وفي صدره بشئون البحر، وذلك لبدأوتهم واقتصارهم في تجارتهم على الطرق البرية الصحراوية، ويعد العلاء بن الحضرمي<sup>(1)</sup> والي البحرين أول من ركب البحر في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فقد أحب أن يؤثر في الفرس أثراً يعز الله به الإسلام، فندب أهل البحرين في سنة 17هـ 638م لفتح بلاد فارس، فبادروا، فحملهم في السفن بغير إذن عمر رضي الله عنه وعبر بهم الخليج العربي<sup>(2)</sup> ثم عادوا إلى البصرة بعد أن فقدوا سفنهم التي عبروا عليها، وقد شق ذلك على عمر

(1)- هو العلاء بن عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مقنن بن حضرموت، ولاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- البحرين سنة السابعة للهجرة، ثم وليها لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وكتب رسول الله إلى المنذر بن ساوى التميمي معه كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، وخلقى بين العلاء وبين الصدقة يجتنبها، وكتب رسول الله للعلاء كتاباً فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال، يصدقهم على ذلك وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم فيردها على فقرائهم . الذهبي ( أبو عبد الله )، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرفسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت،، 1413 ج 1، ص263، ابن الأثير، (أبو الحسن علي بن أبي الكرم)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2012، ص 864.

(2)- راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، الطبعة الثانية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2009، ص529.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

الذي كان يكره ركوب البحر، فعزل العلاء بعد اخفاق حملته على أرض فارس ومخالفته لأمره في عدم ركوب البحر. وبعد وفاة عتبة بن غزوان أمير البصرة ولاء عمر بن الخطاب امارتها.<sup>(1)</sup>

وبعد التوسع في حركة الفتوحات الإسلامية، وفتح الشام ومصر، أراد المسلمون مجارة الروم في ركوب البحر، وحماية السواحل والبلاد التي فتحوها، ودفع أخطار الروم عنها، وكان من ذلك أن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- أدرك أثناء فترة ولايته الطويلة على الشام، والتي احتك فيها عن قربه بالروم البيزنطيين -أن قوتهم البحرية هي العامل ذو الأثر القوي في بقائهم كدولة، ثم إنه أدرك أثناء اشتراكه في فتح مدن الشام الساحلية - مدى خطر المحاولات الهجومية البحرية التي تقوم بها الأساطيل البيزنطية لاسترداد تلك المدن المفتوحة، والتي كانت تنطلق من قواعد الروم البحرية.<sup>(2)</sup> من هنا رأى معاوية أنه من الضروري أن يمتلك المسلمون قوة بحرية تمكنهم من الدفاع عن الشواطئ التي امتلكوها، بل وعدم الاكتفاء بالسياسة الدفاعية المتمثلة في وضع حاميات على الشواطئ لصد الهجمات البحرية البيزنطية واستبدالها بسياسة هجومية تعتمد على أسطول إسلامي قوي يقف من الأسطول البيزنطي موقف الند، وتكون مهمته ليس انتظار هجمات البيزنطيين لصدّها - وإنما المبادرة بالاستلاء على جزر البحر المتوسط التابعة للبيزنطيين.<sup>(3)</sup>

(1) - ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء)، البداية والنهاية، اعتنى به وخرج أحاديثه أبو صهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، 2010، ج7، ص 96-97.

(2) - عمر محمد إبراهيم زايد، السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد الرسول والخلافة الراشدة، الطبعة الثالثة، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ص 2013، 667.

(3) - طه عبد المقصود عبد الحميد عبيد، دراسات في تاريخ عصر الخلفاء الراشدين، دار الهاني للطباعة والنشر، فرع جامعة القاهرة، 2013، ص 235.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

فقد كتب وهو بحمص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في غزو الروم بحرا، فأبى عمر، فألح عليه معاوية، وأرسل إليه يقول: "إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم.<sup>(1)</sup> يريد بذلك أنهم قرييون منهم، وهو ما أثر في عمر، الذي كتب إلى عمر بن العاص أن يصف له البحر وراكبه، فكتب إليه عمرو: "إني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركذ خرق القلوب، وإن تحرك أراع العقول، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة، وهم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا فرق<sup>(2)</sup> ".

فلما قرأ عمر الكتاب كتب إلى معاوية: "والذي بعث محمدا بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا. وتالله لمسلم أحب إلي مما حوت الروم، فإياك أن تعرض لي وقد تقدمت إليك، وقد علمت مالقي العلاء مني، ولم أتقدم إليه في مثل ذلك<sup>(3)</sup> .

يبدو من خلال هذا الرد على معاوية أن عمر رفض الفكرة خوفا على المسلمين من أهوال البحر، إذ لم يكن لهم خبرة بالحروب البحرية، ورأى أيضا أن الوقت لا يزال مبكرا للدخول في ذلك الميدان الخطر.

والظاهر أن المسلمين لم تكن لهم قوة بحرية حتى عهد عمر بن الخطاب، والذي انتهج سياسة دفاعية لمواجهة الخطر البيزنطي، تتمثل في إقامة الحصون والأربطة على السواحل والثغور-كما مر بنا سابق -.

(1)- ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون، اعتنى بتصحيحه وتنقيحه، تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1997، ج2، ص 496.

(2)- السيوطي (جلال الدين)، تاريخ الخلفاء، تنقيح وتعليق، محمود رياض الحلبي، الطبعة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000، ص 140، ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص 496.

(3)- الطبري (محمد بن جرير) تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، بيروت، 1407هـ، ج3، ص 317.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

ولما ولي عثمان بن عفان الخلافة 23هـ -35هـ رفع إليه معاوية طلبه القديم بإنشاء أسطول بحري، فوافق على شرط ألا يحمل الناس على ركوب البحر، وأن يكون الأمر طوعاً لمن شاء الجهاد بحراً. (1)

لقوله "... لا تنتخب الناس، ولا تفرع بينهم، خيرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه ففعل". (2)

ومما لا شك فيه أن معاوية كان متحمساً للغزو البحري، فبعد موافقة الخليفة عثمان -رضي الله عنه -على طلبه بدأ في تحقيق سياسته ومشروعه، فشرع في بناء الأسطول، مستغلاً كل الإمكانيات الموجودة في مصر والشام لصناعة السفن (3).

ومن الأسباب الأخرى التي شجعت معاوية على الغزو بحراً وإنشاء الأسطول الإسلامي تعرض مصر لغزو بحري خارجي في محاولة لاستعادتها من قبل الروم سنة ( 25هـ / 645م)، والذي ترتب عليه خسائر مادية كبيرة، الأمر الذي أدى بضرورة العمل على انتزاع السيادة البحرية من يد الدولة الرومانية (4). وكانت جزيرة قبرص أول غزو للمسلمين لها.

### فتح قبرص:

اهتم معاوية -رضي الله عنه- في بناء أسطول بحري والمتكون من مواد محلية، واستفاد من خبرة أهل الشام البحرية وتكون الجيش البحري الإسلامي،

(1) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2 ص 469. سيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، دار الأصفهاني للطباعة جدة، 1339هـ، ص 361.

(2) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2 ص 468.

(3) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 884، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، كتاب موسوعة سفير للتاريخ، 1428، 125.

(4) - عمر محمد إبراهيم زايد، السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، 14.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

كما أنشأ داراً لصناعة السفن<sup>(1)</sup>، وبعد بناء الأسطول البحري بدأ بغزو جزر البحر المتوسط المواجهة لساحل الشام ليتخذها مراكز أمامية يوجه منها الغزوات البحرية إلى بلاد البيزنطيين نفسها، فاستولى على أرواد وروُدس، ثم قاد أول حملة بحرية إسلامية على جزيرة قبرص<sup>(2)</sup>. فتوجه إليها من عكة سنة 28هـ / 645م وكان ذلك أول غزو بحري للمسلمين ضد البيزنطيين ودخل جيش الخلفاء الراشدين الجزيرة، وما كادت السفن الإسلامية التي قدرها ابن أعثم بمائتين وعشرين سفينة<sup>(3)</sup> ترسو إلى ساحلها حتى أذعن أهلها بالطاعة للمسلمين،<sup>(4)</sup> وصالحهم معاوية على جزية سنوية قدرها سبعة آلاف دينار في كل سنة.<sup>(5)</sup> واشترط عليهم أن يلتزموا الحياد في الصراع العربي البيزنطي، وأن يبلغوا المسلمين بسير عدوهم من البيزنطيين. وقد اشترك في هذه الحملة عدد من الصحابة كان من بينهم أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي صرح، وأبو ذر الغفاري، وشداد ابن أوس، وأبو الدرداء، وعبادة بن الصامت.<sup>(6)</sup> وبعد أن تم تحرير

(1) - عمر محمد إبراهيم زايد، السياسة الخارجية للدولة الإسلامية، ص 667.

(2) - ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء)، البداية والنهاية، اعتنى به وخرج أحاديثه أبو صهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، 2010، ج 3، ص 284. تبعد جزيرة قبرص عن الساحل السوري (90 كلم) وعن الساحل التركي (65 كلم) وعن الساحل المصري (400 كلم) طه عبد المقصود عبد الحميد عبية، (هامش 2) دراسات في تاريخ عصر الخلفاء الراشدين، ص 236.

(3) - ابن أعثم (أبو محمد أحمد الكوفي)، كتاب الفتوح، مطبعة مجلس دار المعارف حيد آباد، 1972، ص، ج 1 ص 130.

(4) - نفسه، طه عبد المقصود عبد الحميد، دراسات، ص 236.

(5) - السيوطي (جلال الدين). تاريخ الخلفاء، اعتنى به ونقحه وعلق عليه، محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دار المعرفة 200، ص 140، محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الخلافة الراشدة، خلاصة تاريخ ابن كثير، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ص 267.

(6) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 2، ص 469. محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2002، ص 112.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

جزيرة قبرص عاد الجيش العربي إلى الشام ومصر مظفرا، بعد أن حقق أول نصر في القتال البحري، واستطاع بعمله هذا أن يبعد الخطر البيزنطي المباشر عن ساحل الشام.<sup>(1)</sup>

والظاهر أن أهل قبرص قد خرجوا على بنود الاتفاقية مع المسلمين، حيث أمدوا البيزنطيين في سنة 32هـ / 652م بعدد من السفن في أثناء قتالهم مع المسلمين، فلما علم معاوية بذلك قرر استعادتها إلى طاعة الدولة العربية، وذلك ليحول دون تكرار تمرد أهلها على السيادة العربية من جهة، وعدم استغلال الجزيرة من قبل الأسطول البيزنطي للاعتداء على الشام من جهة أخرى، فغزاهم معاوية سنة 33هـ / 653م، في خمسمائة سفينة وافتتح الجزيرة -عنوة، ثم أقرهم على صلحهم الأول- وأرسل إليهم اثني عشر ألفا من المسلمين ليقيموا في الجزيرة، ونقل إليها جماعة أخرى من مسلمي بعلبك، فبنوا المساجد والبيوت.<sup>(2)</sup>

وكان فتح قبرص من بشارة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لخالته من الرضاعة أم حرام بنت ملحان بأن أمته سيغزون في البحر، فطلبت من النبي أن تكون منهم، وقد ركبت البحر مع زوجها عبادة بن الصامت- رضي الله عنهما - من الغزاة، فعند خروجها من البحر قربت لها بغلة لتركيها فدقت عنقها فصرعتها.<sup>(3)</sup> فدفنت في البقعة التي بني عليها مسجد لارنكا في جزيرة قبرص.<sup>(1)</sup>

(1) - المعاضيدي (عبد القادر محمد)، عثمان بن عفان دو النورين، بغداد، 1989، ص 135.

(2) - حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، دار الزهراء للإعلام العربي، ص 285. أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981، ص 132.

(3) - البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، رقم الحديث (2788-2789). القدس للنشر والتوزيع، 2014، ص 570. ابن الأثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 284، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تاريخ، ج 2، 469، محمد بن أحمد كنعان، تاريخ

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

والعجيب أن قبرها يتبرك به أهل قبرص، قال الإمام الذهبي: " وبلغني أن قبرها تزوره الفرنج<sup>(2)</sup>

### معركة ذات الصواري:

على إثر الانتصارات العظيمة التي حققها الجيش العربي على البيزنطيين في البر والبحر، قرر ملك الروم قسطنطين الثاني أن يهاجم الأسطول العربي في البحر المتوسط، ويسترد السيادة البيزنطية على البحر، فلما بلغت هذه الأنباء الخليفة عثمان بن عفان، كتب إلى أمير الشام معاوية يأمره أن يخرج بأسطوله على رأس أهل الشام لملاقاته، وكتب إلى أمير مصر عبد الله بن سعد ابن أبي سرح يأمره بأن يساعد الأسطول العربي في مصر، الأسطول العربي في الشام<sup>(3)</sup>. وقد تم لهم ذلك سنة، 34هـ/654م وأحرزوا نصرا مؤزرا ضد البيزنطيين، فحسنت السيادة البحرية في حوض البحر المتوسط، وقلبت التفوق البيزنطي لصالح المسلمين، ونعني بها موقعة " ذات الصواري. وتذكر المصادر

=

الخلافة الراشدة، ص 267، محمد علي قطب، موسوعة رجال ونساء، حول الرسول -صلى الله عليه وسلم -، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2010، ص 484. محمود المصري، صحابييات حول الرسول -صلى الله عليه وسلم -تقديم محمد حسان، الطبعة الثانية، دار التقوى للنشر والتوزيع، 2003، ص 372-373.

<sup>(1)</sup> - علوي بن طاهر الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، عالم المعرفة جدة، 1985، ص 15.

<sup>(2)</sup> -الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1970، ج 3، ص 317. ويضيف محمد بن أحمد كنعان، الذي زار قبر الصحابية أم حرام - رضي الله عنها، في سنة 1416هـجري، "بأن قبرها مازال موجودا، خلف الجدار القبلي لمسجد هناك قبل، بالقرب من مدينة لارنكا، الواقعة الآن تحت سيطرة القبارصة اليونان، بعد طردهم المسلمين الأتراك من هذه المدينة، والمسجد المذكور مهجور منذ إخراج المسلمين الأتراك من تلك البلاد، وقد حولته السلطة اليونانية القبرصية إلى مرفق سياحي، واتخذوا إلى جوار المسجد ملهى كبيرا". انظر محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الخلافة الراشدة، 267.

<sup>(3)</sup> - ابن أعثم، كتاب الفتوح، ص 2، ج 2، ص 128..

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

العربية أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح<sup>(1)</sup> أمير مصر خرج بأسطوله البحري من رشيد قاصدا أسطول الروم، وفي الوقت نفسه خرج بسر بن أبي أرطاة<sup>(2)</sup> - وهو أحد قادة معاوية بأسطوله من (صور)، وتلاقى الاثنان في البحر بالقرب من ساحل ليكيا عند فوتيكة - في جنوب أنطاكية- حيث دارت المعركة هناك بقيادة الامبراطور قسطنطين الثاني، وكان الأسطول البيزنطي مكونا من خمسمائة مركب، أو سبعمائة وقيل ألف في حين كان المسلمون في نحو مائتي مركب، وقد وصف أحد المسلمين المشاركين في المعركة شعوره حين تقابلت الأساطيل الإسلامية مع السفن البيزنطية قائلا: فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط<sup>(3)</sup>.

ويبدو أن المسلمين أدركوا أن خوض قتال بحري ضد هذه الأعداد الضخمة من السفن المدربة مخاطرة غير مأمونة، فاختاروا أن يجعلوها حربا برية في البحر، فربطوا سفنهم المتقاربة في سفن الأعداء، وجعلوا من ظهورها ميدانا برياً للقتال، واشتدت المعركة، وقتل من الجانبين أعداد هائلة، واختلطت دماء القتلى بمياه البحر، فصبغته بلونها الأحمر القاني، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما.<sup>(4)</sup>

فقد روى المؤرخون نتائج المعركة فقال الذهبي عن أبي السرح قائد المسلمين: "وغزا ذات الصواري فالتقى الروم وكانوا في ألف مركب فقتلهم مقتلة عظيمة

(1) - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 28، طه عبد المقصود عبد الحميد، دراسات في تاريخ عصر الخلفاء الراشدين، ص 237.

(2) - عبد المقصود عبد الحميد، دراسات في تاريخ عصر الخلفاء الراشدين، ص 237.

(3) - الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الطبري، تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم، المكتبة التوفيقية، مصر (د، ت) ج 2، ص 710، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 28، طه عبد المقصود عبد الحميد، دراسات في تاريخ عصر الخلفاء الراشدين، ص 237.

(4) - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 710.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

لم يقتلوا مثلها في تاريخ الاسلام" (1). ويضيف ابن الجوزي قائلا " واقتتلوا أشد القتال ووثب الرجال على الرجال يضربون بالسيوف على السفن ويتواجثون بالخناجر حتى رجعت الدماء إلى الساحل تضربها الأمواج، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما ركاما حتى صارت كالخبال العظيم وقتل من الفريقين خلق كثير ثم نصر الله المسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم ينج منهم إلا الشريد وانهمز قسطنطين" (2).

وانتهى القتال بانتصار حاسم للمسلمين، وأسفر عن بداية تطور بحري جديد سيطر المسلمون فيه على حوض البحر المتوسط الشرقي على حساب البحرية البيزنطية، وأكسبهم خبرة طيبة في المجال البحري العسكري، مما فتح لهم آفاقا جديدة لميادين الامتياز والتفوق في مجابهة دولة الروم المتربصين به.

### أسباب معركة الصواري

هناك أسبابا مختلفة ذكرتها لنا المصادر والمراجع لمعركة ذات الصواري البحرية من أهمها:

انتقام البيزنطيين لما أصابهم من الضربات القوية التي وجهها المسلمون لهم في إفريقية، وذلك ما يراه الطبري حيث يقول " وخرج عا مئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بإفريقية (3) - ويتفق معه في ذلك ابن خلدون فيقول: " وأما سبب هذه الغزوة فإن المسلمين لما أصابوا من أهل إفريقية وقتلهم وسبوهم، خرج قسطنطين بن هرقل في جمع له لم تجمع الروم مثله النامية (4).

(1) - الذهبي، سير أعلام، ج1، 286، الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص 711.

(2) - ابن الجوزي (جمال الدين)، كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)، ج5، ص 211.

(3) - الطبري، تاريخ الطبري، ج2، ص 710.

(4) - ابن خلدون، تاريخ، ج2 ص 468.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

ويضيف عبد المنعم ماجد في قوله " ...ويظهر أن النشاط المتزايد من قبل العرب أخاف بيزنطة بحيث إن الإمبراطور قنسطانز الثاني 642-668م جمع عددا من المراكب لم يجمعها من قبل تزيد على ألف مركب، وسار بها بقصد ملاقات أسطول العرب، أو بقصد احتلال الإسكندرية العظمى كبرى موانئ البحر الأبيض .<sup>(1)</sup> فخرجت إليه أساطيل العرب في أعداد كبيرة بقيادة عامل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح "

والواقع أن الأسباب التي ذكرناها كما وردت، أسباب مقبولة لأنها جميعا تعبر عن الدوافع المنطقية، التي لا بد وأن تنشأ في عقول البيزنطيين، الذين رأوا أعلى ممتلكاتهم تسقط في أيدي المسلمين في الشام ومصر وأفريقية، وأدركوا خطر الأسطول الإسلامي الناشئ الذي يهدد سيادتهم البحرية في البحر المتوسط الذي أطلق على بحر الروم دليلا على تلك السيادة.

والملاحظ أن النتائج التي حققها معركة الصواري تتلخص في النقاط التالية:

- انتصار المسلمين على عدو متفوق في العدد والعتاد، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها قوة الإيمان والعقيدة والإدارة السليمة والاستثمار الأمثل للقدرات.

- انتهاء عصر السيادة البيزنطية في البحر المتوسط.

- كانت ذات الصواري حدا فاصلا في سياسة الروم إزاء المسلمين، فأدركوا فشل خططهم في استرداد هيبتهم، أو استرجاع مصر، أو الشام، وانطلق المسلمون في عرض هذا البحر، الذي كان بحيرة رومية، وانتهى اسم بحر الروم إلى الأبد،

<sup>(1)</sup> - عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الطبعة السابعة، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، 1996، ص 218.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

واستطاع المسلمون فتح قبرص وكريت وكورسيكا وسردينيا وصقلية وجزر البليار ووصلوا إلى جنوة ومرسيليا.

كما نستخلص أيضا أن التاريخ يذكر ويسجل بكل فخر وإكبار معارك المسلمين البحرية الأولى، مثل غزو قبرص، وموقعة ذات الصواري البحرية، والتي غيرت مسار التاريخ البحري، وحسنت السيادة البحرية في حوض البحر المتوسط لصالح المسلمين، وبرز المسلمون بعدها كقوة عسكرية جديدة ومؤثرة في، عالم البحر وتحول لقب هذا البحر من (بحر الروم) أو (البحيرة الرومية) إلى بحيرة إسلامية، وقد استحكم نفوذ الأسطول الإسلامي عندما فتح المسلمون الأندلس، وأصبحت سفنهم تعبر في أمان بين سواحل الشام ومصر شرقا، وإلى الأندلس غربا .

- كما أصبح بمرور العصور الإسلامية، داران لصناعة السفن في بلاد الشام في عكا وصور، ثم في إفريقيا والأندلس، وقد " انتهى أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى مائتي مركب أو نحوها، وأسطول إفريقيا كذلك مثله.

- أضحى البحر المتوسط بحيرة إسلامية، وصار الأسطول الإسلامي سيد مياه البحر المتوسط، وهذا الأسطول ليس للتسلط، والقرصنة، بل للدعوة إلى الله وكسر شوكة المشركين، ونشر الحضارة المنبثقة عن كتاب الله وسنة) ورسوله -صلى الله عليه وسلم -

وليس أدل على العبقرية البحرية من وجود مؤلفات إسلامية عن فنون الملاحة، ومن أشهرها: ( الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) لابن ماجد (ت بعد 904هـ / 1498م ) الملقب بأسد البحر، وأرجوزته التي بعنوان: ( حاوية الاختصار

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

في أصول علم البحار<sup>(1)</sup>. وكذا (المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر) والعمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية) لسليمان المهري (ت نحو 961هـ / 1554م) الملقب بمعلم البحر<sup>(2)</sup>.

وكذلك فإن القاموس البحري حافل بالاصطلاحات البحرية الإسلامية التي وجدت طريقها الى اللغات الأوروبية، فمن ذلك: (Recif) أصلها رصيف، و(Cable) أصلها حبل<sup>(3)</sup>. وAdmiral أمير البحر<sup>(4)</sup>.

وخلاصة ماتقدم أن المسلمين استطاعوا -قبل نهاية العصر الراشدي أن ينتزعوا السيادة البحرية على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وأن تكون لهم السيطرة الكاملة على سواحل ذلك البحر، من طرابلس الشام، إلى قرطاجنة في منتصف افريقية، واستولوا على جزر "أرواند" وقبرص "ورودس، تمهيدا لغزو القسطنطينية" عاصمة الدولة البيزنطية.

(1) - الزركلي خير الدين، تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، د.ت، ج1، ص 201.

(2) - راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، الطبعة الثانية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة 2009، ج2، ص 532.

(3) - راغب السرجاني، ماذا قدم المسلمون للعالم، الطبعة الثانية، ج2، ص 532.

(4) - نفسه.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

### قائمة المصادر والمراجع:

- السرجاني راغب، ماذا قدم المسلمون للعالم، الطبعة الثانية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر 2009 ج2.
- طه عبد المقصود عبد الحميد عبية، دراسات في تاريخ عصر الخلفاء الراشدين، دار الهاني للطباعة والنشر، فرع جامعة القاهرة، 2013.
- ابن خلدون ( عبد الرحمن )، تاريخ ابن خلدون، اعتنى بتصحيحه وتنقيحه، تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1997، ج 2.
- السيوطي ( جلال الدين )، تاريخ الخلفاء، تنقيح وتعليق، محمود رياض الحلبي، الطبعة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000.
- السيد عبد المجيد بكر، الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا، دار الأصفهاني للطباعة جدة، (د.ت).
- عبد الشافي محمد عبد اللطيف كتاب موسوعة سفير للتاريخ- عصر النبوة والخلافة الراشدة -، الطبعة الأولى، دار السلام، القاهرة (د.ت).
- عمر محمد إبراهيم زايد، السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد الرسول والخلفاء الراشدين، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، 2010.
- محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2002.
- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء)، البداية والنهاية، اعتنى به وخرج أحاديثه أبو صهيب محمد بن سامح، دار ابن الجوزي، 2010، ج3.
- ابن أعثم ( أبو محمد أحمد الكوفي )، كتاب الفتوح، مطبعة مجلس دار المعارف حيد آباد، 1972، ج1.
- محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الخلافة الراشدة، خلاصة تاريخ ابن كثير، الطبعة الثانية، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 2004.
- المعاضيدي (عبد القادر محمد)، عثمان بن عفان ذو النورين، بغداد، 1989.

## الغزو البحري للمسلمين في حوض البحر المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-

- حسين مؤنس، أطلس التاريخ الاسلامي، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 2006.
- أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981.
- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، رقم الحديث (2788-2789). القدس للنشر والتوزيع، 2014.
- محمد علي قطب، موسوعة رجال ونساء، حول الرسول -صلى الله عليه وسلم-، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2010.
- محمود المصري، صحابييات حول الرسول -صلى الله عليه وسلم- تقديم محمد حسان، الطبعة الثانية، دار التقوى للنشر والتوزيع، 2003.
- علوي بن طاهر الحداد، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، عالم المعرفة جدة، 1985.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1970، ج3.
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الطبري، تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم، المكتبة التوفيقية، مصر (د، ت) ج2
- ابن الجوزي (جمال الدين)، كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت) ج5، 468.
- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الطبعة السابعة، مكتبة الانجلو مصرية، مصر، 1996.
- محمود شاكر، موسوعة الفتوحات الإسلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان، 2005.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

معاوية بن أبي سفيان<sup>(1)</sup> مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي  
"ذات الصواري أنموذجا"

أ.د. أسامة سيد علي (كلية الآداب والعلوم الانسانية  
بجامعة قناة السويس مصر)  
osama-sayed@hotmail.com

### مقدمة:

مما لا شك فيه يعتبر القرن السابع الميلادي نقطة تحول خطيرة في التاريخ الحربي والعسكري لدى العرب المسلمين؛ اذ خرجوا في ذلك القرن من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة العرب حاملين راية الاسلام لفتح البلدان؛ وقد بهر العرب أنظار العالم اذ ذاك بفنهم العسكري في معاركهم الحربية في البر؛ وسرعتهم في الاستيلاء على أهم بقاع العالم القديم؛ الممتدة من نهر الفرات الى المغرب مرورا بوادي النيل.

على أن الدهشة التي أثارتها براعة العرب في الاستراتيجية العسكرية لم تلبث أن زادت واتسعت أمام ما أظهره العرب من وعى ناضج في حروب البحر ايضا خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخهم السياسي؛ اذ أظهر العرب قدرة

(1) - هو معاوية بن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبو عبد الرحمن بن أبي سفيان الأموي القرشي، صحابي وأحد كتاب الوحي، وهو سادس الخلفاء في الاسلام إذا أخذنا بخلافة الحسن بن علي، ومؤسس الدولة الأموية وأول خلفائها، ولد بمكة سنة 306 م وتوفي سنة 680م، مكث في الحكم أربعين عاما، عشرون منها واليا وعشرون منها أمير المؤمنين، عرف عنه الدهاء والحلم والحنكة السياسية، ومن أهم أقواله " لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت كانوا إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها ".  
لمزيد من المعلومات عن معاوية راجع، أنساب الأشراف، ج 4، ص 148، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 453، / ج 3، ص 132، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 8، ص 136، 145.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

فائقة على ركوب سفن البحار بنفس المهارة التي قادوا بها سفن الصحراء عبر الكثبان والرمال ، ولم ينل العرب تلك المكانة في عالم البحار عن طريق الصدفة أو تقدير المقادير؛ وإنما وصلوا الى مصاف الأمم البحرية الكبرى التي عرفها البحر الأبيض المتوسط عن طريق الجهد والعمل الشاق في البناء والتأسيس وهم يخوضون التجارب المضنية ويعملون على تجنب الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم من أصحاب السلطان على شواطئ البحر الأبيض المتوسط . ومن هؤلاء ظهر معاوية بن أبي سفيان والى الشام ومؤسس دولة الفتوحات الاسلامية – الدولة الأموية - إذا كان لمعاوية الفضل الأول في بناء وتأسيس البحرية الاسلامية ووضع نواة السياسة الحربية البحرية التي غرست البطولات في الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط.

وقد أثبت معاوية في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ العرب البحري فهما جيدا لطبيعة الجزر التابعة للروم في شرق البحر الأبيض المتوسط وأهميتها؛ إذ رأى ضرورة الاستيلاء عليها لما تتمتع به من مراكز استراتيجية هامة؛ ولشغل حركات الروم البحرية ما استطاع الى ذلك سبيلا.

ولم يكن يتأتى ذلك الا من خلال بناء أسطول بحري عربي إسلامي يقوم بنشاطه البحري المبكر في البحر؛ ومن هنا سار العرب بفضل معاوية في أعمالهم البحرية وفق سياسة واضحة المعالم تهدف أولا الى حماية ممتلكاتهم؛ ثم اقضاء الروم عن أي مكان تتجمع فيه أساطيلهم لمهاجمة أرض العروبة. وهذا هو موضوع دراستنا في هذا البحث المتواضع لإلقاء مزيد من الضوء على دور معاوية بن أبي سفيان في بناء وتأسيس الأسطول البحري الإسلامي مع بيان أهم المعارك البحرية الحربية التي خاضها.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

### محور الدراسة :

في بداية القرن السابع الميلادي حدثت نقطة تحول خطيرة في التاريخ الحربي والعسكري لدى العرب المسلمين؛ إذ خرجوا في ذلك القرن من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة العرب حاملين راية الاسلام لفتح البلدان؛ وقد لفت العرب أنظار العالم إذ ذاك بفنهم العسكري في معاركهم الحربية في البر؛ وسرعتهم في الاستيلاء على أهم بقاع العالم القديم؛ الممتدة من الفرات إلى المغرب مرورا بوادي النيل.

على أن الدهشة التي أثارها براعة العرب في الاستراتيجية العسكرية لم تلبث أن زادت واتسعت أمام ما أظهره العرب من وعى ناضج في حروب البحر أيضا خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخهم السياسي.

إذ أظهر العرب قدرة فائقة على ركوب سفن البحار عبر البحار والمحيطات بنفس المهارة التي قادوا بها سفن الصحراء عبر الكثبان والرمال.

ولم ينل العرب تلك المكانة في عالم البحار عن طريق الصدفة أو تقدير المقادير؛ وإنما وصلوا إلى مصاف الأمم البحرية الكبرى التي عرفها البحر الأبيض المتوسط عن طريق الجهد والعمل الشاق في البناء والتأسيس وهم يخوضون التجارب المضيئة ويعملون على تجنب الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم من أصحاب السلطان على شواطئ البحر الأبيض المتوسط.

وقبل إنشاء البحرية الاسلامية ظل العرب بدون أسطول يحارب في البحر وظلت شواطئ الشام ومصر وبرقة وطرابلس مكشوفة للروم، ومن هنا استغل الروم هذا القصور في الاستراتيجية العسكرية الإسلامية وقاموا بأشد غارة لهم على هذين الاقليمين الشام ومصر سنة 645هـ/م.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

كان الرأس الـإمدبر لتلك الغارة هو امبراطور الروم "قنسطانز الثاني". إذ انتمز افتقار العرب الى أسطول بحري؛ وعمد إلى مفاجأتهم في الاسكندرية والاستيلاء عليها؛ واتخاذها قاعدة بحرية متقدمة لطرد العرب من مصر؛ وما لبث قنسطانز أن توسع في مشروعه البحري العدواني ضد العرب بإرسال حملة أخرى أغارت على شواطئ الشام في نفس الوقت الذي هاجم فيه أسطوله الإسكندرية وكان الهدف من وراء هذا التكتيك البحري منع التعاون بين مصر والشام.

وقد جهز قنسطانز أسطوله من خيرة السفن الحربية في إقليم آسيا الصغرى كله؛ وقد بالغ في الانفاق عليه في العدة والعتاد ليحقق أهدافه عن طريق احداث المفاجأة التكتيكية، واتباع اسلوب المباغتة من أجل احراز النصر في سهولة وسرعة.

ولم يجد قنسطانز عقبات في اعداد السفن اللازمة لهذه الحرب البحرية فلديه دور الصناعة المجهزة والسريعة؛ ولا سيما التي تقع في الجزر القريبة من شواطئ الشام، وبذلك وجدت سلطات الروم كافة الوسائل التي أتاحت لها إرسال أسطول قوى للإغارة على مصر والشام في آن واحد.

في ذلك الوقت تولى قيادة الحملة البحرية على الاسكندرية القائد البحري "مانويل" وهو من أعظم قادة الروم؛ وقد سبق له الدفاع عن الاسكندرية إبان هجوم العرب عليها برا سنة 641 م.

في هذه الحملة البحرية استطاع قائد الروم أن يفاجئ الحامية العربية بالإسكندرية وأن يحرز نصرا سريعا عليها برغم مقاومتها العنيفة؛ وربما كان السبب في ذلك افتقار العرب للأسطول البحري من ناحية ودراية القائد مانويل بمسالك هذا الميناء الهام من ناحية أخرى.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وقعت هذه الأنباء على الخليفة عثمان بن عفان وقوع الصاعقة، فعلى الرغم من شدة المقاومة العربية سقطت المدينة، ولعل هذا ما دفع الخليفة عثمان بن عفان في الحجاز الى أن يبعث بالإمدادات لمصر؛ وعلى رأسها كان القائد عمرو بن العاص الذي سبق له بدوره فتح مصر<sup>(1)</sup>

وقد استطاع عمرو بن العاص بمهارته احراز النصر على الروم ومطاردتهم ولكن الروم لا زالو للإسكندرية محتلين وبأسطولهم متحصنين؛ فقد استماتوا من أجل الاحتفاظ بها، وقد نصب الروم المجانيق على أسوارها؛ وهم يمطرون العرب بوابل من القذائف.

عانت القوات العربية الأمرين فقد واجهوا الكثير من المتاعب من أجل رفع حصار الإسكندرية واستعادتها؛ واستبد الحنق والضيق بعمرو بن العاص حتى أنه أقسم لئن استولى على المدينة ليهدم أسوارها ويجعلها كبيت الزانية يؤتى من كل مكان.

وهنا أخذ عمرو بن العاص يفكر ويسأل نفسه، ما هو السر في قوة الروم بالإسكندرية؟ وما هو السبب في إحراز النصر؟ ولماذا كل هذه المعاناة في استعادتها؟ وقد هداه تفكيره إلى ضرورة وأهمية الأسطول البحري، فما كان هذا النصر ليتحقق للروم إلا بوجود مثل هذا الأسطول البحري في مياه الاسكندرية وهو يزود المقاتلين بالعدة والعتاد؛ ويقف حارسا حاميا لظهورهم سدا منيعا.

ومما سبق يفضي إلى الاعتقاد للوهلة الأولى أن حصار الاسكندرية بواسطة الروم لم يكن لينجح إلا بواسطة الأسطول البحري، وما كانت هذه

(1)- كان عمرو بن العاص قد ترك مصر مع بداية خلافة عثمان بن عفان ولكن عندما عاد الروم الى الهجوم على الاسكندرية واتخذوها قاعدة لاسترداد مصر اضطر الخليفة الى اعادة عمرو بن العاص لقيادة الجيش لخبرته بشئونها.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجاً"

المعاناة من أجل استرجاعها إلا نتيجة لعدم وجود أسطول بحري إسلامي؛ الأسطول البحري هو الورقة الرابحة التي يلوح بها الروم في وجه المسلمين، فعلى الرغم من قوة حصار عمرو، إلا أن استرجاعها كان أشق وأضنى من حصاره الأول من أجل فتحها، لأنه لا يملك أسطول بحري يساند قواته في البر.

وهكذا لم يتمكن عمرو بن العاص من اقتحام المدينة إلا بعد أن أرشده أحد المصريين الموالين للعرب إلى أحد الأبواب الضعيفة للحراسة؛ وأعمل السيف في قوة الروم المقيمة بالإسكندرية؛ والتي خرقائدها مانويل نفسه قتيلاً.

وبعدها استطاع الجند العرب كذلك مفاجأة سفن الروم في ميناء الإسكندرية وتدمير عدد كبير منها. وفي نفس الوقت الذي هزم فيه عمرو بن العاص الروم بالإسكندرية كانت حاميات الشام العربية بقيادة معاوية بن أبي سفيان تقاوم اغارات سفن الروم على المدن الساحلية؛ واستطاعت تلك الحاميات برغم قلة عددها أن تصد هجمات الروم وتنزل بها خسائر فادحة.

وعندما جاءت الأنباء بهزيمة الروم في الإسكندرية أقلعت السفن الرومية عائداً؛ بعد أن فشلت بدورها في مساعدة مانويل للاستيلاء على مصر.

وبذلك استطاع العرب القضاء على حملة الروم البحرية؛ ولكن بعد عناء وتضحيات جسيمة؛ جعلتهم يضعون سياسة جديدة لمواجهة أساطيل الروم.

بعد انتصار العرب على الروم في الإسكندرية والشام قام معاوية بن أبي سفيان بدراسة السياسة الحربية الدفاعية للشواطئ الإسلامية؛ وتوصل لنفس ما توصل إليه عمرو بن العاص من نتيجة في أنها لم تعد كفيلاً بالمحافظة على سلامة ممتلكاتهم في البحر؛ وأن مقتضيات الظروف تتطلب بناء أسطول

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

بحري إسلامي في مياه البحر الأبيض المتوسط يجوب الشواطئ العربية في عرض المياه الاقليمية؛ ويرد الأسطول المعادي قبل مفاجئته للسواحل الاسلامية<sup>(1)</sup>.

فلم يكن معاوية بن أبي سفيان بغافل عن حقائق سياسة الروم البحرية ولا استراتيجيتهم العليا في استعادة البلدان عن طريق البحر، لم تغب تلك الحقيقة عن فطنة معاوية، وأمامه تساؤل ملح وهو لماذا لا يتم بناء أسطول بحري إسلامي؟

ولماذا لا يبني العرب استراتيجيتهم الجديدة على أساس أن تظل مدن المسلمين محمية بواسطة هذا الأسطول؟ وجاءت تلك الفكرة من معاوية عنوانا وايدانا بميلاد قوة بحرية جديدة حان ميعاد ميلادها في الشرق والغرب معا.

وبهذه الاستراتيجية العليا في الفكر العسكري سيتغير ميزان القوة في البحر الأبيض المتوسط وسيشهد مظاهرا جديدا مختلف تمام الاختلاف عما كان سائدا من سيطرة الروم البحرية على مياه المتوسط

ومن هنا أخذت تجول بذهن معاوية الذكريات وهو والي الشام، كيف كان كم المعاناة التي لاقاها وهو يفتح تلك البلدان، ولعل هذه الذكريات وما شابهها هي التي دفعت معاوية للدعوة إلى بناء الأسطول البحري العربي في البحر الأبيض المتوسط؛ زمن الخليفة عمر بن الخطاب.

وهكذا ومن خلال فهم معاوية لطبائع الأمور يتبين لنا لماذا أصر معاوية على بناء الأسطول البحري الاسلامي، فليس من المنطقي أن يترك معاوية الدعوة إلى ركوب البحر الأبيض المتوسط والتجارب القاسية التي مر بها أثناء فتح اقليم الشام ماثلة أمام عينيه.

(1) - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 3، 169 وما بعدها، ابن حجر العسقلاني، الاصابة في تميز الصحابة، ج 9، 330 وما بعدها .

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وبنظرة واحدة إلى خريطة الفتوحات الاسلامية يتبين لنا أن الأرض المفتوحة تمتاز باتساع رقعتها وطول خطوط مواصلاتها البحرية شرقا وغربا وسط محيط عدائي هائل يمتلك أسطول بحري قوى يمكن عن طريقه عزل الشام عن مصر، وعزل مصر عن برقة وطرابلس وبذلك تبقى ممتلكات المسلمين مفتوحة للهجمات المضادة الواسعة في حالة عدم امتلاك أسطول بحري تجعل سياسة العرب الدفاعية والهجومية تستند إلى أسس عسكرية سليمة وليدة الدرس والتمحيص<sup>1</sup>.

على هذا النحو نجد معاوية تلقن الدرس في أهمية البحر الأبيض المتوسط، وضرورة وجود أسطول عربي في مياهه، فنحن أمام رجل قد سبق زمانه بكثير، ونحن نجد أنفسنا أمام شخص يعي جيدا ما هو مقدم عليه، مقتنعا تماما بما يريد فعله، مدركا يقينا أن في ذلك الصالح العام للمسلمين، ولما لا وهو الذي اضطلع بعبء فتح مدن الشام الساحلية، ذلك لأن أخاه يزيد؛ وهو أحد قادة العرب في الشام؛ ترك لمعاوية ميدان البحر عندما استعصت عليه هذه المدن الساحلية، وذلك لأنها فضلا عن متانة حصونها ومنعتها كانت متصلة بالبحر اتصالا مباشرا؛ كما أنها كانت تتلقى عن طريقه الأمداد من دولة الروم؛ ويضاف إلى ذلك المؤن التي تضمن لها البقاء والمقاومة، ومن ثم ترك يزيد لأخيه معاوية مهمة اخضاع تلك المدن الساحلية وعاد الى دمشق.

وعلى هذا النحو لم يكن أمام معاوية طريقة للاستيلاء على مدن الشام الساحلية إلا بتشديد حلقة الحصار البري عليها، وانتهاز الفرصة المواتية لاقتحام أسوارها؛ وذلك لأن أسطول الروم يقف من خلف تلك المدن ويشد من أزرها، وتجلت سياسة معاوية إزاء المدن الساحلية الشامية حين إتجه إلى

(1) - راجع، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 2، ص 146، وراجع ايضا، البلاذري، فتوح البلدان، ج 1، ص 116، وراجع الواقدي، فتوح الشام، ج 1، ص 14 وما بعدها.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

فتح قيسارية وطرابلس الشام، وقد ظل معاوية مثابرا في حصاره لتك المدن أمام مقاومة المدينة وعنادها؛ إذ كانت مثل سائر المدن الشامية الأخرى على الساحل تتلقى الأمداد وآلات الدفاع من الروم عن طريق البحر.

وعلى الرغم من شدة حصار قيسارية عدة سنوات إلا أنها لم تسقط إلا سنة 19 هـ / 640 م وذلك بفضل خيانة يهودي بها يدعى يوسف، إذ أتى ذلك الرجل إلى العرب ليلا ودلهم على طريق يمكن مهاجمه المدينة منه؛ بعد أن أخذ منهم أمانا لنفسه وأهله.

ونجح معاوية بذلك في اقتحام قيسارية؛ التي كان لسقوطها فرحة كبرى عند خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، ونحن نسأل أليس هذا بكاف على أن يقام دليل على صدق معاوية الذي أخذ على عاتقه مهمة الجهاد في الميدان البحري، هذه المواقف تكشف لنا بجلاء أن المصلحة العامة للمسلمين كانت في المقام الأول، وهذا المعنى أيضا نجده متجسدا لدى معاوية عندما أظهر مهارة فائقة في فتح بقية مدن الشام الساحلية حين استولى على طرابلس الشام؛ إذ كانت تلك المدينة تعد قاعدة بحرية هامة وهي قاعدة دمشق ومفتاح حياتها الاقتصادية؛ وفي نفس الوقت تمتعت بميناء عظيم اتسع لعدد كبير من السفن .

وامتازت طرابلس كذلك بأن البحر يحيط بها من ثلاث جهات؛ تصل أمواجه إلى أسوارها؛ على حين يحيط بسورها خندق عظيم، وزاد في منعها سهولة حصولها على الأمداد، مع وجود أربع جزر صغيرة تقع إحداها وراء الأخرى في مياه البحر القريبة منها، وقد وجه معاوية إلى طرابلس سفيان بن مجيب الأزدي؛ ووضع خطة محكمة للاستيلاء عليها تتفق وافتقار العرب إلى أسطول بحري في ذلك الوقت.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وكانت تلك الخطة تهدف إلى تضيق الحصار على طرابلس برا ومحاولة منع وصول الأمداد اليها من سفن الروم، فبنى القائد الأموي حصنا في مرج يقع على أميال من طرابلس وضيق على أهلها الخناق. ولما اشتد الحصار كتب سكان المدينة إلى امبراطور الروم يطلبون منه ارسال المدد أو ايفاد سفن يهربون عليها، ولما لم يكن ثمة مناص من التسليم بعث امبراطور الروم بسفن حملت الجند في جناح الليل؛ وخلت حصون المدينة من المدافعين عنها؛ وتم لمعاوية بذلك الاستيلاء على هذا الميناء الهام.

وإذا كان معاوية بن أبي سفيان قد بذل في فتح المنطقة الساحلية من اقليم الشام جهودا ذات "بلاء حسن وأثر جميل" كما شهد له بذلك قادة العرب في الشام؛ فانه خرج من تلك العمليات الحربية بنتيجة هامة ألا وهي ضرورة بناء الأسطول الاسلامي في البحر الأبيض المتوسط.

فقد أدرك معاوية أن بقاء العرب واحتفاظهم بممتلكاتهم في الشام ومصر مرهون ببناء أسطول بحري إسلامي يتم من خلاله الإستيلاء على جزر البحر الأبيض المتوسط التابعة للروم؛ والتي كانت تمثل قواعد بحرية متقدمة تخرج منها الإمدادات لنجدة مدن الشام أثناء حصار العرب لها.

واستكمالا لهذا الجانب ولما انفرد معاوية بولاية الشام سعى إلى تحقيق أهدافه البحرية على عهد الخليفة عمر بن الخطاب؛ والحق يقال أن فترة ولاية معاوية على الشام تعد حجر الأساس في بناء صرح الأسطول البحري الإسلامي فيما بعد؛ وفتاحة المجد البحري العربي الذي انطلق بعد ذلك زمن خليفة المسلمين عثمان بن عفان.

وقد تجلت فكرة معاوية في البرنامج البحري الذي رسمه للمسلمين مبكرا وتمثل ذلك في طلب أرسله إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في بناء أسطول يقاتل في البحر ليغزو به قبرص مبينا له شدة وخطورة هذا المعقل التابع للروم

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

على سلامة مدن الشام؛ اذ جاء في خطابه: "يا أمير المؤمنين؛ إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم؛ وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص" ثم ختم خطابه بعد هذا الوصف الدقيق بضرورة بناء أسطول بحري والسماح له بغزو تلك الجزيرة<sup>(1)</sup>.

وأمام حجة معاوية وضغطه، ونظرا لأن هذا المشروع كبير، كان لابد على الخليفة عمر بن الخطاب التأمي من أجل اخضاع الأمر لمزيد من الدراسة وأن يستطلع الرأي ويعرف آراء قادة المسلمين في طلب معاوية ببناء أسطول يقاتل في البحر وغزو قبرص؛ قبل إصدار الحكم النهائي في هذا المشروع الكبير خاصة وأنه هو المسئول عن المسلمين وكيف يحمل العرب على اقتحام ميدان البحر؛ وفيه مخاطر تستوجب الدرس والروية؛ فضلا عن أن هذا المشروع الذي أثاره معاوية موضوع جديد ويخص الدولة العربية الاسلامية كلها ولا بد من عرضه على كبار رجالات العرب.

ووقع اختيار الخليفة عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص وإلى مصر إذ ذاك لما لهذه الولاية من شواطئ على نفس البحر الأبيض المتوسط مثل الشام؛ ولأنها كذلك تعرضت للإغارات البحرية التي شنها الروم على السواحل، وجاء رد عمرو بن العاص وصفا دقيقا لطبيعة البحر وركوب مياهه؛ وما يلاقه المرء في ذلك من صعاب وأهوال؛ فكتب إلى الخليفة قائلا: "إني رأيت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير؛ أن ركن خرق القلوب؛ وأن تحرك أزاع العقول... هم فيه كدود على عود؛ أن مال غرق؛ وأن نجا برق".

إنزعج خليفة المسلمين عمر بن الخطاب من هذا الوصف الدقيق من عمرو بن العاص ومن هنا لم يكن عجيبا أن يؤثر الخليفة عمر بن الخطاب التريث في إجابة معاوية في ركوب البحر الا بعد إخضاع الأمر لمزيد من الدراسة.

(1) - المسعودي، مروج الذهب، ج 2، ص 350.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وأمام هذه الحجج والأسانيد ظهرت عدة آراء ازاء ركوب البحر الأبيض المتوسط؛ أحدها ينادى به معاوية؛ وهو ضرورة بناء أسطول عربي يدافع عن أرض العرب في الشام ومصر؛ والثاني هو عمر بن الخطاب نفسه؛ وهو يحاول أن يتجنب مسؤوليته أمام المسلمين مخاطرات ركوب البحر؛ ومن هنا أثر الخليفة عمر بن الخطاب السلامة حرصا على سلامة المسلمين؛ حيث قال في الرد على طلب معاوية بضرورة بناء اسطول بحري وغزو قبرص: " تالله لمسلم أحب إلى مما حوت الروم" والله لا أجبرن أحداً من المسلمين على ركوب البحر.

ومن هنا صرف معاوية نظره عن هذا المشروع الضخم ولكن إلى حين، والحقيقة لم يكن معاوية بأقل من الخليفة حرصا على سلامة المسلمين؛ وانما كان أشد الولاة إحساسا بالخطر الذي يلوح في الأفق مهددا ولايته بالشام؛ وكذلك مصر بسبب وجود أسطول الروم قريبا من شواطئهما وافتقارهما إلى وسائل الدفاع. ونتيجة لذلك أثر معاوية أن ينفذ سياسته البحرية تدريجيا؛ جريا على ما إتصف به من دهاء وحيلة؛ ولا سيما إزاء موقف المعارضة والحياد الذي ظهرا بصدد رغبته في بناء اسطول بحري والهجوم على جزيرة قبرص؛ فكتب معاوية مرة أخرى إلى الخليفة عمر بن الخطاب يعرض عليه سوء حال سواحل الشام وما هي عليه من خراب وافتقارها الى وسائل الدفاع القوية.

ولم يتردد الخليفة عمر في أن يطلق يد معاوية لإصلاح السواحل مما يراه كفيلا بسلامتها من "ترميم حصونها؛ وترتيب المقاتلة فيها؛ وإقامة الحرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها"؛ واستغل معاوية هذا التصريح واتخذة خطوة أساسية يبني عليها مشاريعه البحرية. فآثر أن يحصن المدن الساحلية ويزودها بالقوات المحاربة؛ بما يجعلها قواعد في المستقبل تنقل منها الجنود بحرا إلى أي مكان يشاء.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجاً"

ووضع معاوية للمدن الساحلية نظاماً عرف بالرباط؛ وهو ما يقصد به الأماكن التي تتجمع بها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة أرض العدو. واعتنى معاوية بهذا النظام حتى أصبح جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط بالجهاد أو الحرب المقدسة؛ ذلك أن الرباط اجتذب إليه كل الأتقياء المتحمسين العاملين دائماً على أعزاز الإسلام ونصرتة؛ وكان لهذه الظاهرة السالفة أثر كبير في تكوين الجند الأول الذين عملوا في الأسطول العربي في عهده المبكر.

وجاء اعداد الرباط عملاً يتفق مع خطة معاوية البحرية؛ والتي تستهدف تأمين السواحل أولاً؛ وإعداد قواعد بحرية للمستقبل ثانياً؛ فكان الرباط حصوناً يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المعرضة لإغارات أساطيل الروم؛ ومن ناحية أخرى تكون ملجأً يحتوى به الأهالي في المناطق التي يهدمها العدو، ومن ناحية ثالثة لكي تقوم حاميات الرباط بإنذار الأهالي في المناطق الساحلية بأن يأخذوا حذرهم إذا ما لاح خطر سفن الروم في المياه الإقليمية، وكان الحصن في الرباط يضم حجرات للجند ومساكن لهم ومخازن للأسلحة والمؤن؛ وبرجا للمراقبة، غير أن الرباط لم تلبث أن اتسعت وازدادت أهميتها حتى صارت قواعد تشبه القلاع للدفاع والهجوم البحري وشن الغارات.

وخلال تلك الفترة إكتفى معاوية بسياسة تقوية السواحل حتى ولى الخلافة عثمان بن عفان؛ وعلى عهده خطا معاوية عندئذ خطوة ثانية في متابعة سياسته البحرية؛ حيث بدأ التحرك من جديد في إعادة عرض هذا المشروع الكبير على خليفة المسلمين عثمان، وفي نفس الوقت قام بتشجيع الناس على النزوح إلى المناطق الساحلية؛ لينبني عندهم ملكة ركوب البحر، وساعد معاوية على تحقيق خطته أن الخليفة أمر بمنح كل راغب في الإقامة بالمدن الساحلية إقطاعات من الأرض يستغلها ويتمتع بخيراتها، فترتب على ذلك إزدياد العمران بالسواحل؛ وانسياب الناس عليها للتمتع بامتيازات الإقامة بها؛ دون أن يأبهوا

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

بمخاوف التعرض لاعتداءات سفن الروم ومما ساعد على طمأنينة سكان السواحل أن معاوية أعد جيشا ثانيا في المدن الساحلية للدفاع عنها إلى جانب قوات الرباط؛ كما دأب على مصادرة أرض من يتخلف عن الغزو؛ وإعطائها للجند المقيم على حراسة السواحل أثناء الخروج للإغارة.

وتعتبر سياسة منح الاقطاعات بالسواحل الخطوة الأخيرة في طريق السياسة البحرية الدفاعية التي رسمها معاوية قبل أن يستطیع ركوب البحر الأبيض المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان، إذ أتم بفضل هذه الامتيازات إعداد القواعد البحرية التي أنشأ فيها أساطيله فيما بعد.

وكان من نتيجة ازدهار المدن الساحلية الاسلامية أن تم نقل جماعات اضافية من أهالي بعلبك وحمص وصور وعكا وأنطاكية إليها بداية من سنة 42هـ / 662م؛ ويكفي أن نذكر هنا أن عكا كانت المدينة الأولى التي خرجت منها أولى الحملات البحرية الاسلامية ضد قبرص.

واستكمالا لهذه السياسة البحرية التي بدأها معاوية تجاه المدن الساحلية؛ نجده يمنح الجند أراضي إضافية في أنطرسوس ومرقية وبلنياس؛ وكذلك اهتم معاوية اهتماما خاصا برباط عسقلان والجند الموكلين بحمايتها، وأخيرا جدد معاوية بعض الحصون في المدن التي خربت معاقلها القديمة كما فعل في مدينة جبلة ومن هنا أتت سياسة معاوية ثمارها؛ فعمرت الثغور البحرية كلها نتيجة انتقال الناس الى السواحل من كل مكان.<sup>(1)</sup> والأسطول البحري هنا كان هو المحرك الأساسي والباعث الحقيقي لكل ما قام به معاوية من مشاريع، فقد كان هناك إيمان يقيني راسخ من معاوية يتركز على آمال عراض في ضرورة تأسيس أسطول بحري إسلامي تتبدد من خلاله المخاوف من واقع أليم يمكن

(1) - الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 5 ، ص 260.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

أن تؤول إليه الدولة العربية الاسلامية مع اندفاع الحركات الإستردادية التي قام بها البيزنطيين الروم عن طريق البحر.

وقد جنى معاوية ثمار هذه السياسة البحرية حين استطاع أن يظفر من الخليفة عثمان بن عفان بتصريح يبيح له بناء وتأسيس أسطول بحري إسلامي يستطيع به غزو قبرص؛ اذ سمح الخليفة بالقيام بالغزو البحري لقبرص على شرط ألا يكره أحدًا على ركوب البحر؛ وأن يعبئ أساطيله من المتطوعة فقط.

ومنذ ذلك الحين وحمل لنا التاريخ عبر أجنحة الزمان تجربة معاوية بن أبي سفيان التي اكتسبت بعدا استراتيجيا هاما قائم على عدة أهداف واضحة نصب أعينها الحفاظ على الدولة وأخذة في الاعتبار أهمية القوة البحرية في التأثير على العدو.

ولم يلق معاوية عناء في اجتذاب الجند الذي أخذه معه في حملاته البحرية؛ إذ كانت المدن الساحلية عامرة بالمغامرين وغيرهم ممن ذاقوا ثمار الاقطاعات وامتيازاتها؛ وتطلعوا إلى خوض غمار الميدان البحري تحت راية معاوية؛ مخلدين اسمهم في طليعة الحملات الاسلامية البحرية.

وإذا كان لمعاوية الفضل في بناء السياسة البحرية التي غرست نواة الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط؛ فان وإلى مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان؛ عبد الله بن سعد بن أبي السرح كان المساعد الأيمن لمعاوية في مجهوداته لبناء الأسطول البحري الإسلامي والذي تولى بعد عمرو بن العاص أمر مصر، فقد كان عبد الله بن أبي سرح هو الآخر من المتحمسين لبناء أسطول بحري يقاتل في البحر الأبيض المتوسط؛ ومن ثم وضع موارد مصر المالية ورجالها في خدمة معاوية؛ والمساهمة معه في سائر الحملات البحرية التي أعدها لصد الروم. وبلغ من ايمان عبد الله بن أبي سرح بضرورة انشاء أسطول بحري اسلامي

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

أنه خرج بنفسه في الحملات البحرية ليضرب المثل الأعلى لسكان ولايته على تفانيه في نصره البحرية الاسلامية.

وتعتبر مجهودات عبد الله بن أبي سرح الخطوة الايجابية الثانية بعد معاوية في بناء الأسطول البحري الإسلامي في البحر الأبيض المتوسط.

فاذا كان معاوية قد نفذ الخطوات التمهيدية لبناء السفن وشحنها بالمقاتلة من العرب وغيرهم؛ فان عبد الله بن أبي السرح هو الذي ساعد في بناء السفن التي تكونت منها نواة الأسطول البحري.

ذلك لأن مصر كانت أيام تبعيتها للروم؛ وقبل فتح العرب لها مشهورة بمهارة صناعة السفن؛ ومن دور الصناعة في مصر خرجت الأعداد الوفيرة من سفن الروم.

ومن هنا تابع عبد الله بن أبي السرح سياسة بناء السفن في مصر؛ وبعث بها إلى الشام التي كانت خالية إذ ذاك من دور الصناعة.

وقد ساعدت العوامل الطبيعية على تعضيد التعاون البحري بين كل من معاوية وإلى الشام، وعبد الله بن أبي السرح وإلى مصر، ذلك أن مصر فقيرة في أخشابها التي تصلح لبناء السفن على حين تكثر بالشام النباتات التي تزود مصر ودور صناعتها بما تحتاجه من أجود الأخشاب، ومن ثم كانت مصر تستورد من الشام الأخشاب وتردها سفنا شامخة تعلق من راية العرب في قواعد الشام البحرية.

وظلت مصر وحدها مصدر بناء السفن العربية حتى سنة 49هـ/669 م؛ اذ شن الروم في تلك السنة غارة شديدة على سواحل الشام؛ وكانت تلك الاغارة من العنف بحيث جعلت معاوية بن أبي سفيان يفكر في انشاء دور لصناعة

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

السنن بالشام نفسها الى جانب دور الصناعة بمصر؛ حتى يجد لديه أساطيل على أهبة الاستعداد إذا دمر العدو السفن المرابطة في قواعد الشام.

ونتيجة لذلك أمر معاوية في نفس السنة التي حدثت فيها اغارة الروم على الشام بجمع الصناع والتجارين وارسالهم إلى عكا؛ التي وقع اختياره عليها لينشئ بها أول دار لصناعة السفن بالشام؛ وكانت عكا تستطيع الحصول على ما يلزمها من أخشاب عن طريق لبنان التي اشتهرت بصفة خاصة بصلاحية أشجارها الصلبة، ومن هنا كان الفضل لمعاوية أيضا في انشاء أول دار لصناعة السفن بالشام.

وبذلك استطاع معاوية بن أبي سفيان بعد مثابرة وجهد وعناء بناء الأسطول البحري الإسلامي، عندما علم أن الكفاءة العسكرية في البر وحدها غير كافية ولا تمثل المطلب الوحيد للدولة ولا بد من استخدام سلاح آخر مكمل لها وهو سلاح البحر، خاصة مع طول السواحل الإسلامية التي يمكن أن تتآكل مع مجاورة شعوب لها جذورها العسكرية في فن الحرب والقتال البحري.

والآن لم يبقى أمام معاوية سوى تحقيق أهدافه في غزو قبرص وفتحها والتي ظلت شوكة في ظهر المسلمين حين من الدهر؛ ومن هنا خرجت طلائع الأسطول البحري الإسلامي إلى البحر الأبيض المتوسط تعلق من شأن العرب وتعلن ميلاد مجدهم البحري بفتح قبرص.

أ. فتح قبرص<sup>(1)</sup>: يرجع الفضل في فتح قبرص إلى مظاهر هذا التعاون البحري بين مصر والشام وتجلي حين صمم معاوية على بناء الأسطول البحري

(1) - قبرص جزيرة تقع في منطقة شرق البحر المتوسط بغرب آسيا وهي ثالث أكبر جزيرة من حيث المساحة بعد صقلية وسردينيا، وتقع جنوب تركيا وغرب سوريا وشمال غرب لبنان وفلسطين وشمال مصر، وهذا الموقع الفريد شكلت خطر جاسم على ممتلكات المسلمين.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وركز نشاطه واستخدامه الناشئ في الاستيلاء على جزيرة قبرص؛ التي كانت محور مكاتباته مع الخليفين عمر وعثمان؛ وهو يلتبس منهما السماح له بغزوها.

كانت استعدادات معاوية البحرية لغزو قبرص تتناسب مع أهمية الجزيرة إذ كانت هذه الجزيرة من أقدم المعاقل في شرق البحر الأبيض المتوسط؛ وحرصت القوى المتنافسة فيه على ابقائها في دائرة نفوذها.

ومنذ بزغت شمس الحضارات في البحر الأبيض المتوسط الشرقي والصراع مستمر على سيادة جزيرة قبرص؛ التي تعتبر حجر الزاوية في قوة أي دولة تصل الى مركز الزعامة في بلاد الشرق الأدنى

وأدرك معاوية أهمية هذه الجزيرة في الدفاع والهجوم، وضرورة الإسراع بالاستيلاء عليها نظرا لخطورتها في المساعدة على نجاح إغارات الروم على الشام؛ وفي نفس الوقت اتخاذ الروم من جزيرة قبرص محطة تموين متقدمة لهم في الطريق؛ هذا في حالة الهجوم، وفي حالة الدفاع فهي ملجأ يعتصمون به حين تدفعهم الأحداث الى الانسحاب والتقهقر.

ودلت أحداث الحملة التي أعدها معاوية لغزو قبرص سنة 28هـ/649 م على الأغراض التي حملت المسلمين على البدء بالإغارة على هذه الجزيرة؛ كما أن معاوية حرص على اختيار كبار الشخصيات الاسلامية لمصاحبته في هذه الحملة ليكسب أولى المعارك البحرية للأسطول البحري الذي جاهد من أجل تأسيسه وليكون مظهرا جديدا من مظاهر الجهاد الرائع.

حشد معاوية أساطيله وقواته في ميناء عكا؛ وكانت السفن جميعها من مصر على حين اشترك مع الجند العرب كبار رجال الشام وغيرهم من مشاهير قادة العرب مثل "عبادة بن الصامت"، واتسمت الحملة بخروج النساء معها؛ حيث سجلت المرأة العربية اسمها بمداد الفخر في أولى حملات الأسطول

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجاً"

العربي على جزر البحر الأبيض المتوسط؛ إذ اصطحب معاوية معه زوجته واخته، كما أخذ عبادة بن الصامت كذلك امرأته " أم حرام بنت ملحان الأنصارية ".

وكان الخليفة عثمان بن عفان هو الذي أمر معاوية بأن يأخذ زوجته معه ليضمن صدق عزمته في الإغارة على جزيرة قبرص؛ وليتأكد من قربها من الشام على نحو ما ذكره معاوية في مكاتباته؛ فجاء في خطاب الخليفة إلى معاوية: " فان ركبت البحر ومعك امرأتك؛ فاركبه مأذونا لك؛ إلا فلا ".

ولم يكن معاوية في حاجة إلى أن يقدم دليل على صدق مشاريعه الحربية؛ فأبحر من ميناء عكا على رأس أسطوله بعد انتهاء شتاء سنة 28 هـ /649 م؛ ونزل على ساحل قبرص مسجلاً بذلك أول عبور حققه العرب لمياه البحر الأبيض المتوسط؛ وشاءت الأحداث أن تجعل هذه الغزوة رمزا على شدة الوعي البحري عند العرب رجالا ونساء؛ فقد استشهدت أم حرام زوجة عبادة بن الصامت على أرض قبرص؛ إذ حين رست السفن العربية على الشاطئ وأخذ الجند ينزلون منها؛ تقدمت أم حرام لتركب دابتها؛ التي نفرت وأوقعت أم حرام حيث لقيت حتفها؛ مسجلة بذلك اسمها في أول صفحة دونها الأسطول البحري في مياه البحر الأبيض المتوسط. ودفنت أم حرام في أرض جزيرة قبرص؛ وعرف قبرها عندئذ باسم " قبر المرأة الصالحة ".

وبعد أن أنزل العرب عدتهم وعتادهم إلى الشاطئ أرسلوا إلى أهالي قبرص يخبرونهم بأهدافهم؛ وهي أنهم لم يأتوا طمعا في جزيرتهم؛ وإنما ليتفقوا معهم على ما فيه سلامة الشواطئ العربية على المياه الشرقية من البحر الأبيض المتوسط؛ غير أن سكان قبرص أبوا تحت ضغط الروم الدخول في مفاوضات مع العرب واعتصموا بأسوار مدنهم. فتقدمت القوات العربية نحو العاصمة

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

قنسطنطينا constanti التي كانت مأهولة بالسكان؛ وبها جميع ثروات الجزيرة وذخائرها وبعد حصار قصير اقتحم العرب هذه المدينة واستولوا على كنوزها؛ وأخذوا كثير من الأسرى.

ومن هنا اضطر حاكم العاصمة؛ أو أركانها الى عقد صلح مع العرب؛ دلت شروطه على أهمية الجزيرة التي دفعت العرب إلى بناء أسطولهم في البحر الأبيض المتوسط؛ وجعل قبرص الهدف الأول لقوتهم البحرية الناشئة.

صالح أهالي قبرص العرب على أن يدفعوا لمعاوية جزية سنوية قدرها 7200 دينار؛ على نحو ما يؤدونه كل عام كذلك لدولة الروم؛ وتعهّدوا أيضا بألا يساعدوا الروم في اغاراتهم على أراضي الشام؛ وألا يطلعوهم على أسرار تحركات الأسطول العربي؛ كما قبل أهل قبرص أن يزودوا العرب بأنباء أية حملة يعدها الروم ضد شواطئ الشام ومصر.

وبذلك التزم أهالي قبرص بمقتضى أول اغارة بحرية للأسطول العربي؛ بالوقوف على الحياد التام في النزاع بين العرب والروم على سيادة البحر الأبيض المتوسط. ذلك أن العرب لم يلزموا أهل قبرص بتقديم أية مساعدة للأسطول العربي أثناء اغارته على أرض الروم؛ " فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يتعرضوا لهم؛ ولم ينصرهم أهل قبرص؛ ولم ينتصروا عليهم".

وعاد بذلك الأسطول العربي مدونا أول سطر بمداد من نور في سجل النشاط البحري الطويل الذي خاضه معاوية بن أبي سفيان في سبيل اعزاز العروبة والاسلام.

كان هذا النصر يمثل الدرجة الأولى على سلم البحرية الإسلامية، وتم بفضل معاوية بن أبي سفيان، وهو النصر الذي أعلى من روح العرب المعنوية،

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وأزال ما اتصفت به أحاسيسهم من تهيب لركوب المياه، وفي الوقت نفسه قضى على أسطورة الروم البحرية التي لا تقهر.

واضطلع الأسطول العربي بعد اغارته الأولى بمراقبة جزيرة قبرص؛ ليتأكد من صدق أهلها في الوفاء بالتزاماتهم؛ وليحول دون اتخاذ الروم منها قاعدة لهم.

وفي سنة 32 هـ / 653 م أخل أهل قبرص بشروط الصلح؛ وأمدوا الروم بسفن ساعدتهم على مهاجمة الشواطئ العربية بالشام. فصمم معاوية على استخدام أسطوله مرة أخرى ليحرم الروم من استخدام الجزيرة ضده

أعد معاوية حملة بحرية جديدة تتكون من خمسمائة سفينة وعدد كبير من الجند. واستطاع الأسطول البحري الاسلامي في هذه المرة الاستيلاء على الجزيرة عنوة. برغم المقاومة التي لاقاها؛ ولقن العرب قبرص أول درس قاس جزاء اخلاصهم بالشروط والمعاهدات.

وصارت قبرص منذ ذلك الحين قاعدة اسلامية متقدمة ودائمة للأسطول البحري الاسلامي في البحر الأبيض المتوسط، اذ حرص معاوية على وضع قوات نظامية بها تدافع عن الجزيرة، وتحى ظهر الأسطول البحري الاسلامي، فكان يقيم في قبرص جيش يتكون من اثني عشر ألف رجل من الجند النظامي وأجرى لهم معاوية الرواتب، ثم أعقب معاوية هذه الخطوة بنقل جماعة من أهل بعلبك الى قبرص؛ وأغراهم على البقاء بها بمنحهم الاقطاعات؛ حتى يقلل من أخطار الروم في مهاجمة الأسطول البحري الإسلامي.

والحقيقة يحسب لهذه الحملة البحرية أنها أعطت العرب خبرة ركوب البحر وقد اكسبتهم حملة قبرص الثقة بالنفس؛ وجعلتهم يتطلعون إلى سائر الجزر الأخرى القريبة من شواطئهم؛ وبذلك صار العرب قوة يخشى الروم بأسها؛

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

ومنذ ذلك الوقت ظل الروم يرهبون الأسطول البحري الإسلامي؛ الذي أخذ ينطلق نحو السيادة والمجد بفضل معاوية بن أبي سفيان.

ب. الاستيلاء على جزر الروم في شرق البحر الأبيض المتوسط: كانت الاغارة التي شنها الأسطول البحري الإسلامي على قبرص بداية لنشاط بحري واسع النطاق اتسم بطابع الاغارات صيفا وشتاء على جزر الروم؛ التي يخشى العرب خطرها أو قد ينبعث منها ما يصيب شواطئ المسلمين بسوء.

وقد أثبت معاوية في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ العرب البحري فهما جيدا لطبيعة الجزر التابعة للروم في شرق البحر الأبيض المتوسط وأهميتها؛ إذ رأى ضرورة الاستيلاء عليها لما تتمتع به من مراكز استراتيجية هامة؛ ولشل حركات الروم البحرية ما استطاع الى ذلك سبيلا.

وأتاحت هذه السياسة البحرية لمعاوية والأسطول البحري التحرك في ميدان واسع وسط هذه الجزر؛ وترجع أهمية هذه الجزر الاستراتيجية في أنها تنتشر في الشطر الشرقي من البحر الأبيض المتوسط بحيث تقسمه إلى بحار داخلية صغيرة؛ يتصل بعضها ببعض عن طريق مضائق وفتحات صغيرة تتحكم في مداخلها أطراف تلك الجزر، وغدت هذه المضائق أشبه بعنق الزجاجة؛ تكفل للمسيطر عليها تمام السيادة على ما يليها من بحار داخلية وما يطل على هذه البحار من أرض وبلاد.

ومن هنا سارت حركة الأسطول العربي إزاء تلك الجزر وفق خطوات منظمة مرسومة؛ تهدف أولا إلى تأمين سلامة الفتوحات العربية القريبة من الجزر والمواجهة مباشرة لأراضيهم؛ وثانيا عدم التردد في الإستيلاء على هذه الجزر التي تتحكم في أكبر عدد من المضائق البحرية لسد الطريق في وجه أساطيل الروم التي تهدد الشواطئ الإسلامية، وقد أظهر معاوية بن أبي سفيان

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

في سبيل تنفيذ تلك الأهداف من المهارة والجلد ما رفعه الى مصاف كبار رجال القادة البحريين الذين عرفهم التاريخ.

جزيرة أرواد<sup>(1)</sup>: وقد استرعى نظر معاوية أثناء اغارته على قبرص وقوع جزيرة تدعى أرواد وهذه الجزيرة تتمتع بشهرة عالية منذ أقدم العصور وتقع بالقرب من ساحل الشام بين مدينتي جبلة وطرابلس، ولم يكن معاوية وهو أول مؤسس للأسطول البحري الإسلامي العربي؛ بالشخص الذي يتهاون في ترك أي معقل للروم يهدد سلامة بلاد المسلمين؛ أو يدعه شوكة في جانب ولايته بالشام، كما أن هناك سمة عامل سياسي آخر تأثيرا مباشرا في الاتجاه نحو أرواد تمثل في أعمال القرصنة التي كانت تقوم بها؛ وقدما لاحظ استرابون الجغرافي القديم ذلك عندما قال أن أهل أرواد يحترفون القرصنة على النقيض من سائر البلاد القريبة منهم؛ والتي اتخذت لنفسها الطريق القويم في الاشتغال بالتجارة لتدعيم رخائها الاقتصادي، فكان أهالي جزيرة أرواد يستغلون ما حبتهم به الطبيعة من مركز جغرافي ممتاز في ميدان التجارة؛ وأبدوا جشعا في تنمية مواردهم الاقتصادية عن طريق ميدان القرصنة المخيف وقد جعلتهم هذه الأمور أهلا يتسمون بالعدو؛ وبالبعد عن مواضع الثقة والتقدير.

ومن هنا عقد معاوية العزم على التخلص من مخاوفه من تلك الجزيرة بالاستيلاء عليها؛ فأعد الأسطول البحري لمهاجمتها سنة 28 هـ، أي في العام التالي لعودته من الاغارة على جزيرة قبرص.

واستطاع الأسطول البحري الإسلامي السيطرة على شواطئ تلك الجزيرة؛ وإنزال الجند العرب بها بعد مهادنتها. ولكن أهل أرواد عادوا وتمردوا ورفضوا الإذغان والمهادنة؛ واعتصموا بقلعة الجزيرة على الرغم من وساطة أحد الأساقفة

(1) - جزيرة سورية تقع على بعد حوالي 3 كم من شاطئ طرطوس وهي جزيرة قديمة ورد اسمها في رسائل تل العمارنة وحوليات ملوك آشور وبها دار لصناعة السفن.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

ويدعى " ثمور ماريخوس " الذي رأى أن يندرس سكان هذه الجزيرة بمغبة الاصرار والعناد ونقض الصلح.

وقد أبدى معاوية بعد نظر فائق الحد في التعامل مع الجزر وكانت خطة معاوية البحرية تسير على أساس مسالمة أهالي جزر البحر الأبيض المتوسط أولا، فان أبوا فالقتال حتى النصر.

ولذا عاد الأسطول البحري لمهاجمة أرواد مرة ثانية في العام التالي، وفي سنة 29 هـ نزل الأسطول البحري الاسلامي على جزيرة أرواد للسيطرة عليها وعلى متنه قوة عظيمة من الجند.

وفي هذه الحملة استطاع العرب الاستيلاء على هذا المعقل الخطر؛ وألزموا جميع أهالي أرواد بإخلاء جزيرتهم تماما جزاء لهم على عنادهم؛ ولم يكن هذا التصرف العربي قاسيا؛ وانما جاء وليد بعد نظرهم وفهمهم لطبيعة أهالي تلك الجزيرة؛ التي اتسمت بالعدو وأعمال القرصنة.

جزيرة صقلية<sup>(1)</sup>: وهكذا لم يقيم الأسطول الذي أسسه معاوية بن أبي سفيان بنشاطه البحري المبكر عفوا؛ أو نتيجة خطط مرتجلة؛ وانما سار العرب في أعمالهم البحرية وفق سياسة واضحة المعالم تهدف أولا إلى حماية ممتلكاتهم؛ ثم اقضاء الروم عن أي مكان تتجمع فيه أساطيلهم لمهاجمة أرض العروبة.

وكانت غاية هذا التفكير العربي السديد هي اتجاه الأسطول البحري الاسلامي العربي للمهجوم على جزيرة صقلية.

(1) - جزيرة صقلية هي أكبر جزيرة في البحر المتوسط وهي ذات موقع استراتيجي وتجارى هام ، وكانت الجزيرة دولة في حد ذاتها في إحدى مراحل تاريخها امتد نفوذها من باليرمو جنوب ايطاليا حتى مالطا ، استعمرها الاغريق ثم الرومان ثم الامبراطورية البيزنطية حيث أعلن جستنيان الأول صقلية مقاطعة بيزنطية عام 535 م حتى تم فتحها في عهد الخليفة عثمان بن عفان عام 652 م ، وكانت الجزيرة في إحدى مراحل تاريخها منفذ لعبور الحضارة الاسلامية الى أوروبا كلها.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجاً"

وقد يبدو أن هذه الجزيرة بعيدة كل البعد عن أن تكون موضع خطر مباشر على إقليم الشام ومصر ولكن مجريات الأحداث دلت على أن صقلية غدت قاعدة لأساطيل الروم التي انسحبت من قواعدها بالشام ومصر بعد الفتح العربي لهما؛ حيث أصبحت مركزاً تهجم منه على العرب بحيث تشل التعاون البحري بين أساطيلهم في مصر والشام.

وكانت صقلية بموقعها الجغرافي تتحكم في المداخل الرئيسية الكبرى للبحر الأبيض المتوسط الشرقي إذ هي تقسم البحر الأبيض المتوسط عامة إلى قسمين رئيسيين؛ وتشرف على الاتصال بينهما عن طريق مضيق ميسينا؛ ومضيق صقلية الواقع بين طرفي جزيرة صقلية ويمتد حتى يكاد يصل إلى شمال إفريقيا.

كما أن جزيرة صقلية استمدت من كل بلاد الروم البعيدة عن تناول الأسطول البحري الإسلامي مساعدات جعلتها أعظم قاعدة لأسطول الروم في شرق البحر الأبيض المتوسط.

ومصر هي أول من أدركت خطورة اتخاذ أساطيل الروم قاعدة لها في صقلية. ومن ثم تكاتف الأسطول العربي المصري والشامي في الهجوم على تلك الجزيرة لتقليل أظافر الروم وبث الرعب في نفوسهم؛ وقد خرج الأسطول البحري الإسلامي من موانئ الشام تؤازره القوات البحرية المصرية سنة 32هـ /652م؛ وذلك لمهاجمة صقلية.

نزلت هذه الحملة البحرية على الشواطئ القريبة من صقلية ومعها أدوات الحصار من المجانيق والعرادات؛ وأعملت التدمير في حصون الجزيرة الساحلية.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وكان الهدف من وراء هذه الحملة بقوتها وما تحويه من سفن تلقين الروم درسا قوامه أن يد البحرية الإسلامية الناشئة قادرة على أن تبطش بهم في أي مكان؛ وأنها تقف لهم بالمرصاد.

هجمت الأساطيل البحرية العربية على معاقل الروم في صقلية هجمة شرسة حتى أجبرت حامياتها على الانسحاب داخل الجزيرة، ثم أتبع العرب انتصارهم بالأغارة ليلا على القرى والمدن القريبة من الساحل وعادوا أخيرا مظفرين الى الشام. وكان قائد هذه الحملة البحرية معاوية بن حديج الكندي؛ الذي اشتهر بجراته وشجاعته.

وهكذا توالى اغارات الأسطول البحري الإسلامي بعد ذلك على جزيرة صقلية؛ حيث خرجت وحداته تارة من الشام وتارة من مصر؛ حتى صار أسطول الروم ضعيفا، ولا تقوى سفنه على صد هجمات الأسطول البحري الإسلامي.

واشتهر من أمراء البحار العرب الذين أغاروا على صقلية في تلك الفترة المبكرة من نشاط العرب البحري عبد الله بن قيس الدرقي؛ الذي أخذ من تلك الجزيرة ذخائر عديدة منها أصنام ذهبية وفضية.

جزيرة رودس<sup>(1)</sup>: وبفضل معاوية بن أبي سفيان انتقل الأسطول البحري الإسلامي من نصر الى نصر؛ اذ انقلب من سياسة الدفاع إلى الهجوم؛ لرفع لواء العروبة خفاقا على مياه البحر الأبيض المتوسط.

ومن هنا ونتيجة لذلك اتجه الأسطول البحري الإسلامي وجهته شطر رودس، وهي أهم جزر بحر ايجة وأعلاها مكانة في بحرية الروم؛ وذلك لأن بها دار لصناعة السفن؛ وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي على بعد

(1) - رودس جزيرة يونانية في البحر المتوسط سميت بذلك الاسم نسبة الى تمثال أبولو رودس بها وهو أحد عجائب الدنيا السبع ، وتقع بالقرب من الساحل الجنوبي لتركيا في منتصف المسافة بين جزر اليونان وقبرص.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

اثني عشر ميلا تقريبا من ساحل آسيا الصغرى؛ وقد أتاح لها موقعها الاستراتيجي هذا لأن تكون خطرا جاثما على أطراف الشام الشمالية المتاخمة لحدود الروم بآسيا الصغرى .

وفي سنة 32هـ/654 م توجه الأسطول البحري الإسلامي من موانئ الشام تحت قيادة جنادة بن أمية الأزدي لفتح رودس. واستطاع أمير البحر الأموي أن يستولي على تلك الجزيرة عنوة؛ والتي وصفها المراجع العربية بأنها: غيطة في البحر... من أخصب الجزائر؛ وهي نحو ستين ميلا؛ فيها الزيتون والكروم والثمار والمياه العذبة. واهتم العرب بتدعيم تلك القاعدة البحرية الجديدة في رودس؛ فبنوا بها حصنا منيعا؛ وجددوا أفراد الحامية العربية بها من حين إلى آخر؛ حتى تبقى قوتهم وروحهم المعنوية عاليتين.

جزيرة كريت<sup>(1)</sup>: ووصل نشاط الأسطول البحري الإسلامي كذلك إلى جزيرة كريت أو اقريطش كما سماها العرب وكان قائد الأسطول العربي الذي هاجم تلك الجزيرة هو جنادة بن أمية الأزدي؛ الذي سبق له فتح رودس، على أن جزيرة كريت كانت من الضخامة بحيث يصعب على البحرية العربية الاستيلاء عليها في تلك الفترة المبكرة من تاريخها الحربي. ولذا اكتفى جنادة بن أمية بما أصابه من غنائم في اغارته وعاد بأسطوله إلى الشام.

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا إلى أي مدى كان الفضل لمعاوية في تأسيس أسطول بحري أظهر مقدرة حربية جعلت جزر البحر الأبيض المتوسط الشرقي جميعها تحت رحمة أسطوله الفتى.

(1) - كريت أو اقريطش أو اقريطية هي خامس أكبر جزيرة في البحر المتوسط وتطل جنوبا على بحاريجة وهي من أهم جزر اليونان ، وتقترب جزيرة كريت من السواحل العربية في شمال افريقيا.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجاً"

ومن ناحية أخرى اتاحت تلك الاغارات البحرية للعرب ميدانا تدريبوا فيه تدريباً حياً ساعدهم على الفوز في أعظم معركة بحرية عرفها تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى ألا وهي معركة ذات الصواري التي سنتحدث عنها الآن.

ج. معركة ذات الصواري: (34هـ - 655 م) تحسم مصير البحر الأبيض المتوسط

وبعد أن حقق المسلمون سلسلة من الانتصارات البحرية الأولى التي أحرزها الأسطول البحري الإسلامي كان عليهم مواصلة نشاطهم البحري وكان ذلك سبباً في قيام معركة فاصلة بين العرب والروم تقرر فيها مصير البحر الأبيض المتوسط.

### الأسباب والأحداث:

في هذه المعركة كانت دولة الروم هي البادئة بالعدوان؛ بسبب رغبة الإمبراطور قنسطانز الثاني في القضاء على قوة العرب البحرية في صدر نشأتها بعد سقوط معظم جزر البحر المتوسط.

وقد اعتقد الإمبراطور قنسطانز الثاني بأن المقادير قد إدخرته لإنقاذ دولته من ضعفها؛ ودفع خطر الأسطول البحري الإسلامي عنها.

ذلك أنه جاء إلى العرش عقب فترة قاسية؛ فقدت فيها دولة الروم أغنى أقاليمها في الشام ومصر؛ وأعظم جزرها في قبرص وروُدس؛ كما وقع أفراد البيت المالِك في القسطنطينية نهبا للأحقاد والمؤامرات

وقد علم قنسطانز بأنه لا سبيل إلى محاربة الأسطول البحري الإسلامي قبل تدعيم قوة الروم البحرية وبعث شريان الحياة في قواعد بلاده البحرية.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

ومن المعروف أن دولة الروم تعتمد على اقليم آسيا الصغرى في الحصول على السفن والجنود. ومن ثم اتجه قنسطانز الثاني إلى هذا الاقليم للقضاء على الفتن والقلاقل التي سادتها.

والحقيقة أن اقليم آسيا الصغرى كان محط أنظار الثائرين على سلطات الروم وملاذ الطامحين إلى السلطان؛ واستطاع قنسطانز الثاني أن يعيد الطمأنينة إلى تلك البلاد بعد أن أطاح فيها بالمشاغبيين من محبي الفتن؛ وضمن لأسطوله مورده التقليدي من السفن والرجال.

ومن ناحية أخرى عمد قنسطانز الى تدعيم قوته البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط بالمحافظة على البقية الباقية من قواعد أسطوله البحري هناك.

وبعد ذلك ومن أهم أسباب المعركة القضاء على تنامي قوة البحرية الإسلامية الناشئة، ومن هنا بدأت أساطيل الروم في التحرك ناحية الشام لتدمير البحرية الإسلامية في البحر المتوسط لكسر شوكتها.

وأمام هذا تحرك الأسطول البحري الإسلامي من مصر بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي السرح ليكون في عون أسطول الشام الذي تحرك بالفعل ناحية آسيا الصغرى حيث دارت المعركة<sup>(1)</sup>.

(1) - عن معركة ذات الصواري في المصادر والمراجع اللاتينية راجع:

- Salvatore, Cosentino, "Constans II and the Byzantine navy"

1. O'Sullivan, Shaun, " Sebeos account of an Arab attack on Constantinople in 654"  
2. "A history of the later Roman empire from Arcadius to Irene"

وعن المعركة في المصادر الإسلامية راجع:

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة البابلي الحلبي، ج 3، ص 58.

=- ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، 163

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

### التكتيك البيزنطي في المعركة<sup>(1)</sup>:

اعتمد التكتيك البيزنطي في معركة ذات الصواري على قوة البحرية البيزنطية تلك القوة الضاربة بما تملكه من سفن عملاقة تسمى الصواري لها سطح كبير يستطيع الفارس أن يحارب على ظهرها، وكانت الصواري تمثل عصب البحرية البيزنطية ومهمتها أحداث قوة الصدمة لإلحاق الضرر بسفن العدو.

وعلى كل سفينة من سفن الصواري كانت هناك السرايا وكل سرية مكونة من ثلاثمائة أو أربعمائة فارس وجندي يقودهم رائد أو تربيون، ومن عدة سرية تتكون الكتيبة التي يتزعمها دوق، وكل واحد من هؤلاء كان يحمل قوسا مهمته أمطار العدو وبوابل من السهام للقضاء على تماسك القوى المعادية مع إيقاع الخسارة بين جنوده، ومع النشاب كان لابد ان يزود الفارس بالسيف والرمح وأحيانا البلطة على ظهر السفينة.

ومع هذه السفن العملاقة استخدم البيزنطيون سفن صغيرة خفيفة الحركة كانت مهمتها القيام بالعمليات الاستكشافية في البحر وخاصة في مناطق

=

- تاريخ الأمم الاسلامية

- ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج 1 ، ص 80

- ابن خلدون ، العبر ، ط الرياض ، دار النفائس ، ج 2 ، ص 468 ، 575 ، سنة 1999 م

- الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مرحلة وعهد الخلفاء الراشدين ، ص 359

- وراجع من المراجع ، شوق أبو خليل ، ذات الصواري ، بداية من ص 60 وما بعدها.

<sup>(1)</sup>- عن التكتيك البيزنطي في القتال راجع ، مونتجمري ، الحرب عبر التاريخ ، تعريب وتعليق العميد فتحى عبد

الله النمر ، ط مكتبة الأنجلو المصرية ، ج 1 ، ص 14 وما بعدها ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور

الوسطى ، ط مكتبة الأنجلو المصرية 1975م ، ج 1 ، ص 113 وما بعدها .

ستيفن رنسمان ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وزكى على ، مجموعة الألف كتاب ، مكتبة النهضة

المصرية 1961م ، ص 158 وما بعدها ، عبد الرحمن زكى ، علم النفس العسكى ، رسائل الثقافة الحربية ، العدد 25 ،

تصدرها ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة ، ص 17.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

التنوءات وبالقرب من الموانئ الضيقة التي يصعب اجتيازها بواسطة الصواري، وهي التي تقوم بالمنورة معتمدة على خفة حركتها.

وعلى الرغم من أن التكتيك البيزنطي في الميدان رائده الحذر من أجل تجنب هجمات العدو المباغتة إلا أنه لم يحدث شيئا من ذلك في معركة ذات الصواري فقد اندفعت السفن البيزنطية معتمدة على قوتها من ناحية وكثرتها العددية من ناحية أخرى حتى أصبحت صيدا ثمينا لسفن المسلمين التي كانت أقل منهم في العدة والعدد والعتاد.

في هذه المعركة حاولت سفن البيزنطيين القيام بمعركة فاصلة سريعة بدون مناقشات مسبقة عن طريق الالتفاف والتطويق لسفن المسلمين معتمدين على كثرة سفنهم التي زادت عن 800 سفينة في مواجهة 200 سفينة فقط يملكها المسلمون، وقد حاولت سفن البيزنطيين مباغتة السفن الاسلامية من أجل اجهاض قوة البحرية الاسلامية مبكرا، وكما قال أرشيبالد لويس وكذلك أرنست ديبوي في أسباب المعركة " قامت هذه المعركة بعد أن تحدى العرب سيادة بيزنطة البحرية، وهزموا أساطيل الامبراطور قنسطانز الثاني واستولوا على جزر البحر المتوسط "

وفي موضع آخر يقول أرشيبالد لويس عن سبب المعركة هو حرمان المسلمين من الحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة السفن، ويستدل بكلامه هذا على المكان الذي دارت عليه المعركة حيث قال " ومما يلفت النظر أن المكان الذي دارت فيه المعركة وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة وهو الشجر المستخدم في صناعة صواري السفن، ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك وبين وقوعه في قبضة العرب، وإذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلا على أهمية الخشب في الصراع البحري بين العرب وبيزنطة " .

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الإسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وهذا السبب في تقديرنا ثانوي وإن كان منطقي لأن الدافع الواضح والصریح هو السيادة على مياه البحر المتوسط والتي تم تهديدها بواسطة الأسطول الإسلامي الذي هدد سيادة الروم البحرية، فلم يكن البيزنطيون ليقفون مكتوفي الأيدي وهم يرون أعلى ممتلكاتهم البحرية المتمثلة في الجزر تسقط في أيدي المسلمين واحدة تلو الأخرى.

وقد اعتمد البيزنطيون في هذه المعركة على خبراتهم الحربية في معرفة ظروف المكان وطبيعته البحرية، لأن البحر الذي قامت عليه المعركة معظمه يقع على أرضهم وهو يسمى حتى هذا الوقت ببحر الروم.

ومن هنا اعتمدت البحرية البيزنطية في تكتيك المعركة على عنصر المبادأة في الهجوم مع توفير الحشد في الزمان والمكان المناسب، ويظهر هذا التكتيك واضحا جليا عندما فرض البيزنطيون على المسلمين مكان المعركة أو بحر المعركة وهي منطقة آسيا الصغرى وأمام سواحل ليقيا في فينيقيه، وهي المنطقة التي امتد فيها سلطان الروم بالسيادة البحرية بلا منازع.

### التكتيك الإسلامي في المعركة<sup>(1)</sup>:

أما عن التكتيك الإسلامي في هذه المعركة فقد كان نابع من عقيدة عسكرية إلى جانب تكتيكات حربية، والعقيدة العسكرية الإسلامية تنبثق من أهداف وغايات دينية وعلى أساسها يتم تحديد الأسس العامة للاستراتيجية العسكرية، ومن أهم مصادر العقيدة العسكرية الإسلامية كان القرآن الكريم دستور المسلمين، وقد تم استخدام هذه العقيدة استخدما جيدا في المعركة

<sup>(1)</sup> - عن التكتيك الإسلامي في القتال راجع ، العقيد محمد صفا ، الحرب ، ط دار النفائس 1981م ، ص 22 وما بعدها ، اللواء محمد جمال الدين محفوظ ، المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1976م ، ص 36 وما بعدها ، على بن أبي بكر الهروى ، التذكرة الهروية في الحيل الحربية ، ميكروفيلم بمعهد احياء التراث ، القاهرة رقم 17 فنون حربية ، محمد بن منكلى ، الأدلة الرسمية في التعابى الحربية ، ص 190 ، 191 وما بعدها ، عبد الرحمن زكى ، الجيش المصري في العصر الإسلامي ، ط ز القاهرة ، 1965م ، ص 92 وما بعدها

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

عندما وقف القائد عبد الله بن سعد بن أبي السرح يستطلع رأى المسلمين في القتال ويعرض عليهم كثرة عدد سفن البيزنطيين التي تزيد عن سفنهم ثلاث أضعاف قائلا: " قد بلغني أن هرقل قد أقبل اليكم في ألف مركب فأشيروا علي " وهنا وقف رجل في جيش عبد الله فقال : " أيها الأمير أن الله جل ثناؤه يقول: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وهنا إطمئن عبد الله وقال : " أركبوا بسم الله "

وقد اعتمد التكتيك الاسلامي في معركة ذات الصواري على خفة حركة الفرسان على ظهر المركب الذين يندفعون نحو العدو بقوة مع ضربه بقسوة بالسيوف والرماح معتمدين على المرونة والرشاقة وخفة اسلحتهم التي حملوها معهم والتي اتاحت لهم القدرة على العوم والسباحة وتسلق سفن العدو للاشتباك معه.

وكانت من أهم مميزات خفة الحركة في التكتيك الإسلامي القدرة على القتال في البحر وأثناء السباحة وإرغام العدو عليها، ولا يمكن أن تتم هذه النقطة إلا إذا كان باستطاعة الفارس المسلم المهاجم أن يعوم بشكل أسرع وأبعد مما يتحرك به عدوه، وكان هذا الأسلوب جديدا لم يتعود عليه الروم طوال حروبهم البحرية

كما اعتمد التكتيك الاسلامي في هذه المعركة على القتال المتلاحم فهو الذي يمنح المسلمين النصر وهو وحده الذي قرر مصير المعركة لصالح المسلمين.

لذلك نجد المسلمين قاموا بتقسيم قواتهم على محورين محور يقاتل في البر بقيادة بسر بن أبي أرطأة للقيام بواجبات الاستطلاع، وقاتل البيزنطيين المرابطين على البر، والهجوم على المراسي والموانئ المحيطة بأرض المعركة من أجل منع استخدام العدو للسفن الراسية بها.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

وقسم آخر يقاتل في البحر بقيادة عبد الله بن أبي السرح الذي أمر بالترشق بالسهم عندما أصبحت المسافة بين أسطوله واسطول العدو في مرمى السهم، وبعد أن نفذت السهام قام المسلمون بالترشق بالحجارة من أعلى الصواري حيث يوجد برج وفي نهايته صندوق صعد عليه المسلمون للرمي، وهذا البرج معد أيضا للاستكشاف والمراقبة.

في هذه المعركة اتبع الأسطول الإسلامي تكتيك جديد في القتال وهذا التكتيك لم يكن معروفا في المعارك البحرية في العصور الوسطى ولم تستخدمه أي دولة من دول البحر المتوسط التي توالى في السيادة عليه، وكان الدافع من وراء هذا التكتيك الجديد كثرة سفن الروم من ناحية، ومنع تطويق سفن المسلمين من جانب الروم من ناحية أخرى.

وتمثل هذا التكتيك في تحويل المعركة البحرية إلى معركة برية وهي في عمق البحر وذلك عندما ربط العرب سفنهم بعضها الي بعض وألقوا سفن الروم بخطاطيف ثم جذبوها إليهم للقيام بمهمة القتال المتلاحم الذي يتفوق فيه العرب، ثم اتخذوا من ظهور السفن المتلاحمة ساحة للقتال البري في عمق البحر، وبذلك حولوا المعركة من معركة بحرية الي معركة برية.

ومن أهم التكتيكات الاسلامية في معركة ذات الصواري كانت تجنب التطويق في البحر من سفن العدو، إذ كان لابد على السفن الإسلامية من إتخاذ إجراءات تكتيكية مضادة لمواجهة عدم تطويق سفنهم من قبل البحرية البيزنطية التي كانت أعدادها تزيد على البحرية الاسلامية أضعاف مضاعفة.

وبهذا التكتيك أدرك قنسطانزانه مهزوم لا محالة فترك المعركة وهرب وكتب الله النصر للأسطول الاسلامي.

## معاوية بن أبي سفيان مؤسس البحرية الاسلامية ونواة الأسطول العربي "ذات الصواري أنموذجا"

### نتائج معركة ذات الصواري:

- وكان من نتائج هذه المعركة أنها قضت على أسطورة الروم البحرية التي لا تقهر، فلم يعد البحر المتوسط هو بحر الروم كما كان يطلق عليه، بل أصبح بحر العرب.

- أصبحت ممتلكات الروم مفتوحة أمام العرب برا وبحرا في مواجهة الأساطيل الاسلامية.

- أتاحت هذه المعركة المزيد من الانتصارات حتى أصبحت القسطنطينية نفسها مهددة حيث قام معاوية بن أبي سفيان بمحاولات عديدة وشديدة من أجل اسقاطها، وان كانت هذه المحاولات قد باءت بالفشل لحصانة القسطنطينية، ولكنها نجحت في أن جعلت البيزنطيون دائما في موقف الدفاع لا يعلمون من أين ستأتي الضربة القادمة.

- أتاحت هذه المعركة استخدام تكتيك الحصار الدائم بقيام نظام الصوائف والشواتي الذي ابتدعه معاوية وفيه أجبر العدو على أن يكون تحت الحصار الشامل فشل حركته وحد من نشاطه.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن معركة ذات الصواري تعد من المعارك الفاصلة الحاسمة التي غيرت وجه التاريخ في البحر المتوسط، اذ تشبه هذه المعركة معركة اکتيوم البحرية سنة 31 ق م في نتائجها.

فكما أن معركة اکتيوم حولت البحر المتوسط إلى بحيرة رومانية، نجد موقعة ذات الصواري حولت البحر المتوسط إلى بحيرة عربية اسلامية.

ولكن للأسف الشديد توقف نشاط الاسطول البحري الإسلامي في البحر المتوسط كما توقفت حركة الفتوحات جميعها بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان وقيام الفتنة الكبرى علي عهد علي بن طالب.

الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب  
ضد حركة الزنج

The Abbasid military fleet and its contribution to the  
decisive war against the Zanj movement

أ.د. قاسم حسن آل شامان السامرائي  
(كلية التربية قسم التاريخ، جامعة سامراء العراق)  
alshamankasim@gmail.com

---

ملخص:

في فترة مضطربة من حياة الدولة العباسية وبالتحديد في عام 254 هـ / 867 هـ قامت حركة الزنج ، فاحتلت اجزاءً واسعة من جنوب العراق مستغلة ضعف الدولة، ففرضت سيطرتها على البصرة والبطيحة حتى وصلوا جرجايا على مشارف بغداد الجنوبية .

في هذه الرقعة الواسعة قامت حركة الزنج متخذة من مدينة المختارة على نهر ابي الخصيب عاصمة لهم، وبالمقابل حشدت الدولة العباسية كل ما لديها، وتولى قيادة الحرب الأمير الموفق اخو الخليفة العباسي المعتمد، يشد من عضده ولده ابو العباس الذي اصبح فيما بعد خليفة للمسلمين .

ولما كانت مناطق جنوب العراق وبخاصة البطيحة ( الأهوار) والبصرة ومحيطها مناطق تغمرها المياه فضلا عن كثرة الأنهار والقنوات والشطآن فقد تطلب الأمر ان يكون لدى الجيش العباسي اسطولاً حربياً متنوعاً بحسب حجم النهر، فهناك السفن الصغيرة وهناك السفن الوسطى والكبيرة فضلاً عن سفن المعابر والجسور وغيرها ، فكان لهذا الاسطول الذي كان يسمى (جيش الماء )

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

قائداً هو ( نصير ابو حمزة )، كما ساهم هذا الاسطول في فرض الحصار الإقتصادي على الحركة التي لفظت انفاسها الأخيرة عام 270 هـ / 883 م .  
كلمات مفتاحية: الموفق، البطيحة، الزنج ، المختارة، الاسطول .

### Abstract:

During a turbulent period in the life of the Abbasid state, specifically in the year 254 AH / 867 AD. the Zinj movement occupied large parts of southern Iraq, taking advantage of the weakness of the state. so it asserted its control over Basra and Al-Bateha until they reached Jarjaraya on the southern outskirts of Baghdad.

In this wide area, the Zinj movement arose and chose the city of Al-Mukhtara on the Abi Al-Khasib River as their capital. In return. the Abbasid state gathered everything it had, and the prince Muwafaq, the brother of the Abbasid caliph Al-Mutamid, assumed the leadership of the war, strengthening his son Abu Al-Abbas. who later became the caliph of the Muslims.

And since the areas of southern Iraq, especially Al-Batiha (the marshes) and Basra and their surroundings, are areas flooded with water. in addition to the large number of rivers, canals and beaches, it required that the Abbasid army have a military fleet that varied according to the size of the river. Which was called (Water 5Army) as a leader is (Naseer Abu Hamza), and this fleet also contributed to imposing the economic blockade on the movement that breathed its last in 270 AH / 383 AD.

**KeyWord:** al-Muwaffaq, al-Bateha, al-Zinj, al-Mukhtara, al-Astool.

### مقدمة:

في الفترة الممتدة بين عامي 247 - 256 هـ كانت الدولة العباسية قد مرت بمنعطف خطير بعد أن تجرأ القادة الترك وبالاتفاق مع أحد أبناء المتوكل فأقدموا على قتل الخليفة المتوكل، فكان هذا الحدث ايذاناً بدخول الخلافة العباسية مرحلة خطيرة في تاريخها تمكن فيها القادة الترك من مقدرات الدولة واصبح لهم شأنهم حتى في اختيار الخليفة او عزله .

استمرت هذه الحالة تسع سنوات، سماها مؤرخينا بفترة الفوضى العسكرية، حكم فيها خمسة خلفاء هم: المنتصر والمستعين والمعز والمهتدي ومن ثم المعتمد .

في ظل هذه الأوضاع ومع زعزعة السلطة المركزية كثر الطامعون والمنتطمعون والحامون بالسلطة والانفصال عن الدولة العباسية كأحمد بن طولون في مصر ويعقوب بن الليث الصفاري في سجستان ، في الوقت الذي كان فيه رجل مجهول النسب، قيل أنه فارسي يراقب الوضع العام فزار سامراء وبغداد وتطلع عن كثب على حال الدولة فوجد أن الفرصة مواتية له لينال مراده في السلطة والزعامة .

وجد هذا الرجل أن وضع البصرة ملائماً لإعلان التمرد على الدولة العباسية يساعده في ذلك امران فضلا عما ذكرنا هما:

- وجود اعداد كبيرة جدا من الزنوج بجنوب العراق الذين يشتغلون بأعمال السخرة وكسح السباح، وفي ظروف صعبة، فوجد أن استغلال وضعهم وتدميرهم مما هم فيه المجال الحيوي لتنفيذ طموحاته من خلالهم .
- الطبيعة الجغرافية لمنطقة البصرة ومحيطها حيث الأنهار والجداول والقنوات الكثيرة، خير عامل مشجع لإعلان تمرد إذ أن هذا الوضع الطبوغرافي يعتبر خير مانع ومعيق لأي تحرك عسكري من الدولة تجاههم .

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

في رمضان عام 255 هـ أعلن علي بن محمد حركته في فرات البصرة معلنا تحرير العبيد وجعلهم الأسياد ومنحهم الحق في استعباد اسيادهم، إذ سرعان ما توسعت حركته وامتدت لتكتسح جنوب العراق ووصلوا إلى جرجرايا جنوب بغداد.

وعلى إثر ذلك وبناء على مشورة قُدِّمت إلى الخليفة المعتمد تم استدعاء أخيه الموفق من منفاه بمكة ليوليه قيادة الجيش والتوجه إلى قمع هذه الحركة العارمة .

كان على الجيش العباسي أن يبني أسطولا حربيا ليتولى نقل الجند والميرة والقتال، فامتلك الجيش العباسي سفناً ومراكب كثيرة ومتنوعة تصلح للقتال في الأهوار والمستنقعات والأمنهار الصغيرة والكبيرة .

وسيجد القارئ ان الأسطول العباسي بكل انواع سفنه، كان له فعله وإسهامه في كل صفحات هذه الحرب وحسم نتيجتها والتي دامت لأكثر من أربعة عشر عاماً .

على أننا لا بد من أن نشير إلى أن المصدر الرئيس لبحثنا هذا هو الطبري الذي يعتبر المصدر المتميز في اخبار وتفاصيل هذه الحرب بكل تفاصيلها كون الطبري معاصراً للأحداث وقريبا من مركز القرار ومطلعاً على التفاصيل ولربما المراسلات ، وكل من جاء من بعده من المؤرخين فهم عيال عليه .

وقد قسمنا بحثنا الى مبحثين تناول الأول مختلف أنواع المراكب التي ساندت ودعمت السفن الرئيسية، فيما تناول المبحث الثاني مراكب الحسم وهي الشذا والسميريات التي كان لها دورها الفاعل في حسم الصراع ، فلم نقرأ عن معركة إلا والشذوات والسميريات في مقدمتها ولها بصمتها في الحسم.

ذلك ما سيجده القارئ في بحثنا هذا ... والله الموفق

المبحث الأول:

المراكب المتنوعة الساندة والداعمة:

في حرب ضروس استمرت لسنوات في منطقة تشقها الأنهار والجداول الصغيرة والجانبان يدركان أنها حرب حاسمة إما الحياة وإما الموت، إما النصر وإما الهزيمة، فأن هكذا جغرافيا ستتطلب أن يكون للجيش العباسي أسطولاً ضخماً من المراكب والسفن المتنوعة.

كانت مهمة قيادة الاسطول منوطة بالقائد نصير أبو حمزة ، وكانت السفن في غالها يتم بناؤها في منطقتي سيراف وجنابة على ساحل الخليج العربي، وتبعاً لذلك فقد كان للجيش العباسي معمل لصيانة وتصليح وترميم بل وصناعة السفن والآلات الخادمة لذلك.

لقد كان لحركة الزنج اعداداً ضخمة من السفن والمراكب الأخرى، ففي معركة من المعارك مع الجيش العباسي، اغرقوا للزنج عدداً كبيراً من سفنهم، كما سيطروا على سفن كثيرة قدر عددها بحسب الطبري (400) اربعمائة سفينة.

أقول اذا كانت لحركة الزنج هكذا اعداد من السفن والمراكب.. فكم يمتلك الجيش العباسي منها.. وبخاصة اذا ما علمنا انه في معركة واحدة تم إحصاء الملاحين الذين يستلمون رواتبهم من بيت المال والمرتبين في الشذا والسميريات والرقيّات المخصصة لعبور الخيل فكانوا بحدود (10) عشرة الاف ملاح ، هذا فضلاً عن السفن الأخرى المخصصة لحمل الميرة والتي يمكن استخدامها للرجال عند الحاجة. فضلاً عما لكل قائد واصحابه من سميريات وجريبيات وزواريق تقل الملاحين الراتبة، ويضيف لنا الصابي في ( الوزراء ) ان ارزاق الملاحين في الطيارات والشذوات والسميريات والحراقات والزلاّلات وزواريق المعابر من جملة خمسمائة دينار في كل شهر...

ذلك ما سنتناوله بالتفصيل في الصفحات القادمة.

### 1. الزواريق:

لعبت الزواريق ومفردها زورق دوراً هاماً في ضبط الأنهار والمسالك، ومن ثم قطع الميرة عن معسكر المتمردين في المختارة ونواحيها، اذ شكلت الزواريق قوة مهمة في الحصار الاقتصادي شأنها شأن المراكب الحربية الأخرى، وقد كانت تبني في مدن الخليج العربي (سيراف وجنابا)<sup>(1)</sup>.

اقترن ذكر الزواريق مع الشذا والسميريات وهي من المراكب المهمة التي أسهمت في تقوية اسطول الجيش العباسي بل وشكلت عموده الفقري كما سنرى.

فبعد غارة شنّها الزنج على العاصمة الميدانية التي أقامها الأمير الموفق على مقربة من عاصمة الزنج المختارة، استدعى الأمير الموفق قائد الاسطول نصير أبو حمزة اذ بلغه بضرورة اتخاذ تدابير احترازية تتمثل بفرض الحراسة على اطراف المعسكر بدوريات مستمرة من قوة الزواريق ومراكب أخرى والتي تقلّ الرجال، اذ حدد له حدود هذه الدوريات الى آخر نهر ميان وروذان والقنديل وابرسان وذلك من اجل الإيقاع بالعدو<sup>(2)</sup>.

وقد حملت الزواريق غلام الأمير الموفق ( ثابت) في جمع من اتباعه السودان يتولى قيادتهم ليلحق بقوة انتدبها الأمير الموفق بقيادة ابنه أبو العباس يرافق القائد زيرك وقد وجهها الى فوّهة جويث بارويه على ان تكون مهمتهم

(1)- الطبري، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تصحيح مجموعة من العلماء ( القاهرة 1939 ) ج8، ص79، ابن أبي الحديد، عزالدین ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ( القاهرة 1966 ) ، ج8، ص185.

(2)- الطبري، تاريخ، ج8، ص79، ابن الأثير، علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ( بيروت 1965 ) ، ج7، ص353 وميان رودان جزيرة تحت البصرة فيما عبادان، يحيط بها دجلة من جانبها فيما يقع الجانب الثالث على البحر الأعظم (الخليج العربي)، الحموي، معجم البلدان مجلد 5/ ص 239، و القنديل نهر عند موضع بالبصرة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ( بيروت 1955 ) مجلد4/ ص 402، مجلد/ 5، ص323 ولم نجد لابرسان ترجمة ولعله موضع بسيط في البصرة على مثال القنديل.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

منع الزنج من الدخول منه. وقد التحمت قوة ثابت بزواريقها حتى وصلتهم قوة ابي العباس وزيرك<sup>(1)</sup>.

تناهت الى الجيش العباسي بأن الزنج وضعوا خطة تتضمن الخروج الى الجيش العباسي من ثلاث محاور هي:

أ- نهر ابي الأسد.

ب- نهر الدير.

ت- نهر المرأة ومن ثم الولوج الى البطيحة من هذه الأنهار من اجل الاغارة على البطيحة وقراها ونهب ما فيها من طعام وميرة هادفين الى قطع الميرة عن الجيش العباسي<sup>(2)</sup>.

وعلى اثر هذا الخبر انتدب الأمير الموفق مولاه ( زيرك ) وامره بالخروج بقوة نهريّة. فاسحاً المجال له في اختيار الرجال الذين تم حملهم في الزواريق والسفن الخفاف<sup>(3)</sup>.

وضمن خطة الهجوم الأول على الضفة الشرقية للمختارة عاصمة الزنج. كان مخصصاً لكل قائد زواريق لحمل الملاحين الراتبة<sup>(4)</sup>.

### 2. سفن المعابر (المعبرانيات):

وهي المراكب او الزوارق او السفن التي تنقل الناس عبر الأنهار في السلم والمقاتلين وقت الحرب<sup>(5)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص82، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج8، ص188.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص85، ابن الأثير، الكامل، ج8، ص355.

(3) - الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص85.

(4) - ابن الأثير، الكامل، ج7، ص391.

(5) - زيات، حبيب، معجم المراكب والسفن في الاسلام، (بيروت، 1950) ص342 ؛ انظر كذلك: النخيلي، درويش،

السفن الإسلامية على حروف المعجم، ( القاهرة 1974 )، ص 143

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وقد ورد ذكر سفن المعابر في توديع الأمير الموفق للجيش العباسي الذي استعرضه في معسكره ببستان الهادي في بغداد. وقد كان تعداده عشرة آلاف بين فرسان ورجاله وهم في احسن زي واجمل هيئة واكمل عدة. وقد كانت ترافقهم انواعاً اخرى من السفن فضلاً عن معابر الرجالة والتي أُحكمت صنعتهما احكاماً<sup>(1)</sup>. فنهض الجيش من البستان في شهر ربيع الاخر سنة 266هـ/ تشرين الثاني 879 م ومعهما الأمير الموفق بالله مودعاً حتى وصولهم الفرك<sup>(2)</sup>.

ومن الفرك انطلق الأمير الموفق يوم الثلاثاء 3 ربيع الأول/ 12 تشرين الأول من نفس السنة يحيط به رجاله وفرسانه وغلماناه ومواليه. اذ كان قد هياً لرحلته هذه كل أسباب القوة . فأعد السفن المتنوعة ومنها سفن المعابر<sup>(3)</sup> التي سيستخدمها في عبور العوائق المائية.

ولما توجه الجيش العباسي لتحرير مدينة المنبعا يوم الثلاثاء 9 ربيع الثاني 267هـ/ 17 تشرين الثاني 880 م . استخدم في هجومه هذا سفن المعابر لعبور الخيل وفرسانها ليتم نشرهم على جنوبي نهر براطق. ما اربك الزنج وقائدهم<sup>(4)</sup>.

وبعد معركة تحرير المنبعا اصدر الأمير الموفق أوامره بنصب المعابر لتسهيل عملية عبور الخيل الى غرب دجلة<sup>(5)</sup>.

وقبيل الالتحام مع الزنج في معركة تحرير طهيتا (المنصورة). أقام الأمير الموفق وجيشه في (بردودا) لتنظيم شؤون عساكره. اذ امر بتوزيع العطاء على جنده. وإصلاح سفن الجسور والمعابر ليصبحها معه. مستكثراً من العمال

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 54: ابن أبي الحديد، شرح، ج 8، ص 165.

(2) - ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 338، ابن أبي الحديد، شرح، ج 8، ص 165 والفرك قرية قرب كلواذا ، وكلواذا بينها

وبين بغداد فرسخ واحد من الجنوب، الحموي، معجم البلدان، مجلد 4/ ص 255، 477

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 62، السامر، فيصل ، ثورة الزنج ، ( بيروت 1971 ) ، ص 136.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 63، الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة . (بغداد 1945)، ص 94.

(5) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 64-65

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

والفنيين والآتهم التي بها تسد الأنهار وتصلح طرق الخيل، كما أمر بضرورة اصلاح الطرق ومد الجسور تأميناً لخطوط مواصلاته الخلفية وتأمين سلامة مؤخرته<sup>(1)</sup>.

ولما توجه الزنج الى فوهة نهر جويث بارويه، أمر الموفق ابنه أبو العباس وزيراً للتوجه الى فوهة ذلك النهر لمنع الزنج من النفاذ منه<sup>(2)</sup> على أن يلحق بهم غلام الأمير الموفق ( ثابت ) في جمع من اتباعه<sup>(3)</sup> تحملهم على وجه السرعة الزواريق وسفن المعابر<sup>(4)</sup>.

واستجابة لطلب بعض الزنج الذين رغبوا بالإستئمان للجيش العباسي فقد انتدب الأمير الموفق ولده أبو العباس على رأس قوة الى نهر الغربي الذي يحيي مواضعه هناك احد قادة الزنج وهو علي بن ابان المهلبي، فسار أبو العباس ومعه انجال رجاله تحملهم الشذا والسميريات والمعابر<sup>(5)</sup>.

ويوم ادرك الأمير الموفق بالله ان الفرصة مواتية له تماماً ليقوم بالعمليات العسكرية ضد عاصمة الزنج (المختارة). استقر رأيه على العبور بالجيش كله إلى تلك المدينة الحصينة وطفق يعد العدة لذلك، إذ أصدر أوامره إلى أبي العباس والقادة والغلمان بالتأهب والاستعداد للعبور، موجهاً بجمع السفن والمعابر وتوزيعها بعد التأكد من سلامتها ((ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه..))<sup>(6)</sup>

(1) الطبري، تاريخ، ج8، ص65.63: أين الأثير الكامل ج7، ص345، عمر، فاروق، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الأولى، ط2 ( بغداد 1985 )، ص172.

(2) الطبري، تاريخ، ج8، ص82.

(3) ابن ابي الحديد، شرح، ج8، ص188.

(4) الطبري، تاريخ، ج8، ص82-83.

(5) الطبري، تاريخ، ج8، ص86.

(6) الطبري، تاريخ، ج8، ص87، ابن الاثير، الكامل، ج7، ص357

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

ويقود زيرك صاحب مقدمة أبي العباس بن الموفق قوة من المعابر فضلاً عن الشذا والسميريات للتوجه الى جماعة من الزنج رغبت بالإستئمان يقودهم أحد قادة الزنج المدعوريجان بن صالح المغربي صاحب حجابة انكلياي بن صاحب الزنج . وقد كانوا ينتظرون الجيش العباسي ليصحبهم عند نهر المطوعة<sup>(1)</sup> .

وفي يوم السبت 18 شعبان 269هـ/ 2 اذار 883 م باكر الأمير الموفق الى نيته في احراق قصر صاحب الزنج ، وكان هو وجنده في أكمل استعداد وأحسن زي ترافقه الشذوات التي تم طلاؤها بالعقاقير فضلاً عن الشذوات والسميريات الأخرى التي رتب فيها عامة مواليه وغلمانه. مضافاً سفن المعابر التي كانت تحمل المشاة<sup>(2)</sup> .

وفي تلك السنة أيضاً تمكن الجند العباسي من تحرير أعداد كبيرة من النساء اللواتي أسرهن وسباهن صاحب الزنج. إذ أمر الموفق بحملهن حالاً إلى الموقية بالشذا والمعابر والسميريات والاحسان اليهن<sup>(3)</sup> .

ويوم وضع الجيش العباسي بقيادة الأمير الموفق خطته للهجوم على الضفة الشرقية للمختارة لعاصمة الزنج ، أصدر أمره بأن يتم توزيع السفن والمعابر على عساكره ليتم حمل الرجالة والخيول<sup>(4)</sup> .

وبعد أن ادرك الموفق أن ساعة الحسم فد حانت ، أصدر توجيهاته بتهيئة وادامة السفن ومنها المعابر وتصليح المراكب الحربية الأخرى فضلاً عن الآت الحرب البرية والنهرية<sup>(5)</sup> .

(1) الطبري، تاريخ، ج8، ص91، ابن الاثير الكامل، ج7، ص359

(2) الطبري، تاريخ، ج8، ص111.

(3) الطبري، تاريخ، ج8، ص118.

(4) الطبري، تاريخ، ج8، ص130.

(5) - الطبري، تاريخ، ج8، ص137.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وبعد حسم الصراع والقاء القبض على صاحب الزنج أمر الأمير الموفق بإعادة السفن والمعابر التي سبق له وأعادها الى ضفة دجلة الشرقية بعد عبور الجند بها في أول النهار بداية تلك المعركة ليتم عبور المقاتلة بها<sup>(1)</sup>.

3. سفن أخرى:

- الجريبيّات: ورد ذكر هذا النوع من السفن في تفاصيل الأعداد للهجوم الأول على الضفة الشرقية لعاصمة الزنج. إذ كان لكل قائد سميريات وجريبيّات وزواريق تقلّ الملاحين الراتبة<sup>(2)</sup>.

كما ورد ذكر السفن المخصصة لحمل الميرة في هذه المعركة والتي يمكن استخدامها لنقل المقاتلين عند الحاجة<sup>(3)</sup>.

- سفن الجسور: ورد ذكرها يوم أقام الأمير الموفق بمنطقة (بردودا) والتي وصلها يوم الجمعة 17 ربيع الثاني سنة 267هـ/ 25 تشرين الثاني 880م. إذ أمر الموفق بإصلاح سفن الجسور والمعابر ليصحبها معه في عملياته المقبلة<sup>(4)</sup>.

- الرقيّات: ورد ذكر هذا النوع من السفن أثناء الاستعدادات والحشد للهجوم الأول على الضفة الشرقية للمختارة، إذ ورد أن الأمير الموفق حشد أعداداً هائلة جداً من المراكب على اختلافها. ومنها الرقيّات المخصصة لعبور الخيل<sup>(5)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص141-142.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص129-130؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص391. والجريبيات يصفها النخيلي بأنها من

سفن القتال النهري، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص23

(3) - المصدر والصفحة نفسهما.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص65؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص345.

(5) - الطبري، تاريخ، ج8، ص129-130؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص391.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

كما ورد ذكر سفن مخصصة لحمل الأسلحة الثقيلة كالمنجنيق والعرّادة، ففي صفحة الحرب النفسية التي شنّها الجيش العباسي، وبعد النصر الذي تحقّق لهم على الزنج عند فوّهة نهر ( جويث بارويه )، أصدر الأمير الموفق الأوامر إلى ولده أبو العباس بالتوجه برؤوس القتلى من الزنج إلى الجهة المقابلة لقصر صاحب الزنج في سفينة مُنصّب عليها منجنيقاً يتم به قذف الرؤوس إلى معسكر الزنج لبت الرعب والفضوى ولتكذيب أَدعاء صاحب الزنج بالنصر على الدولة إذ "عرف أولياء القتلى رؤوس أصحابهم، فظهر بكاؤهم" وتبين لهم كذب قائدهم وتمويهه عليهم<sup>(1)</sup>.

وفي شوال 269هـ/ مايس 883 م كان الأمير الموفق يقود جيشه إلى فوّهة نهر أبي الخصيب إذ كان الزنج قد ضيّقوا مداخنها بإقامة برج حجارة يساعدان على حدة جريان الماء ما يعيق عودة الشذوات التي ستدخل في النهر، إذ كان القائد قد أستعد لكل احتمال فجلب معه عرّادتين كانتا محمولتين في سفينتين لينصبها (( حيال نهر أبي الخصيب وطرحت لهما الاناجر حتى استقرتا )) ليقدمتا للجيش العباسي الإسناد الكافي من محاولات الإعاقة والمشاغلة ولكي يتمكن الموكلون بالقلع والهدم من انجاز واجباتهم المنوطة بهم<sup>(2)</sup>.

- السفن الخفاف: ورد ذكرها ضمن استعدادات الجيش العباسي ضد خطة الزنج، ففي خطة لصاحب الزنج في الهجوم على الجيش العباسي من ثلاث محاور هي نهر أبي الأسد ونهر الدير ونهر المرأة ومن ثم الخروج منها إلى البطيحة، وصلت أخبارها إلى الأمير الموفق، أنتدب القائد العباسي مولاه (زيرك) الذي كان قد عيّنه صاحب المقدمة أبي العباس وأمره بالخروج في قوة نهريّة وفسح له في المجال لكي يختار الرجال الذين تم حملهم في السفن

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص83؛ المجهول، العيون والحداثق في اخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود،

(النجف 1972)، ج4، ق1، ص99.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص116.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

الخفاف، وبالفعل تحقق لهم النصر فأغرقوا عدداً من سفن العدو واستولوا على سفن كثيرة قُدِّر عددها بـ (400) سفينة فضلاً عن أسرا عداداً كبير من الزنج<sup>(1)</sup>.

- الزواريق الخفاف : ورد ذكرها أبان إحكام الحصار الاقتصادي على حركة الزنج، فلقد كان الأمير الموفق يتابع أوضاع العدو الاقتصادية، إذ وصلته أخبار عن شحة المواد وما أصابهم من ضر وبؤس كما اضطرتهم الى الهيام والخروج الى القرى طلباً للسمك والتمر والأقوات الأخرى، وعلى أثر ذلك أنتدب الأمير الموفق أبي العباس بقوة من خيرة رجاله تحملهم الزواريق الخفاف فضلاً عن سفن أخرى، ليحول دون رجوعهم الى المختارة<sup>(2)</sup>.

وبالزواريق الخفاف والسفن الأخرى، عبر الأمير الموفق في مجموعة من مواليه وغلمانه وتوجهها الى فوهة نهر أبي الخصيب التي كان الزنج قد ضيّقوا مداخلها، وكان هدف الجيش العباسي هو ازالة أبراج الحجارة التي تضيق النهر وتساهم في حدة جريان الماء<sup>(3)</sup>.

- سفن التلغيم والحرق : في معارك الجسرين وتطهير الجانب الغربي للمختارة كان أمام الأمير الموفق أن يتوجه بجيشه الى الجسر الأول المقام على نهر أبي الخصيب من أجل قطعه وقلعه لما له من إسهام في الدعم والإسناد الذي يقدمه الأعداء لبعضهم البعض في كلا الجانبين عن اشتداد المعارك، فأصدر الأمير الموفق توجيهاته بتهيئة سفينة كبيرة مملوءة بالقصب والنفط منصوب في وسطها عمود طويل يمنعها من تجاوز الجسر والوقوف عند أسفله، وقد تم تسييرها أواخر النهر إذ تقدمت السفينة تجرها إحدى الشذوات التي

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص85-86؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص355. وعلى الرغم مما يظهر على الرقم من مبالغة

الا انه يعكس حجم اساطيل الطرفين.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص99-100.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص116.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

أوصلتها الى فوّهة النهر في وقت المد، وعند فوّهة النهر تم اضرام النار فيها وإرسالها من هناك إلى حيث الجسر لتفعل فعلها<sup>(1)</sup>.

واتماماً لعملية تدمير الجسر بعد حرقه والتي لم تفلح تماماً نتيجة المقاومة العنيفة من الزنج، التقى رتلي الجيش العباسي على طرفي الجسر المقام على نهر أبي الخصيب، رتل راشد في الجهة الشرقية ورتل أبي العباس في الجهة الغربية. في ما تولى رتل الوسط (عملية التلغيم) فجهز السفينة المملوءة بالقصب والنفط وسيّروها إلى الجسر والنار تلتهمها وتلتهم الجسر. فقدمت هذه السفينة المساعدة للمهندسين (الفَعْلَه) وسائر الجند الذين تولوا عملية قطع الجسر وازالته<sup>(2)</sup>.

- السفن الصغيرة : بعد مقتل صاحب الزنج وانهييار الحركة .. كانت لاتزال بقيّة من الزنج الذين لا يعلمون بمقتل قائدهم وانهييار حركتهم يغيرون على القرى ، فبعد أن انتشر الأمن في تلك المناطق ونشطت التجارة وسُلكت الطرق، حمل نهر دجلة نصيباً منها فأوقع بها ( درمويه) وهو أحد قادة الزنج وقتل وسلب فأستوحش الناس هذا الأمر حتى إذا ما علم الموفق بالأمر انتدب مجاميع من غلمانه السودان ومن له الخبرة بحرب الأدغال والمضايق وجهزهم بالسفن الصغيرة والأسلحة المختلفة للتصدي لهم<sup>(3)</sup>.

### المبحث الثاني:

المراكب الحاسمة .. الشذا والسميريات:

- الشذوات والسميريات: الشذا نوع من المراكب الصغيرة التي يُقاتل فيها والتي تصلح لقتال الأنهار والأهوار<sup>(4)</sup>.

(1) الطبري، تاريخ، ج8، ص121-122؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص386.

(2) الطبري، تاريخ، ج8، ص125-126.

(3) الطبري، تاريخ، ج8، ص143.

(4) - زيات ، معجم المراكب والسفن في الإسلام، ص344؛ ينظر كذلك : النخيلي ، السفن الإسلامية ، ص 76

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وقد لعبت الشذوات دوراً بارزاً في الصراع مع حركة الزنج لملائمتها لطبيعة المنطقة التي تمزق أوصالها الأنهار الصغيرة.

أما السُميريات فهي نوع من المراكب النهرية تستخدم في النقل في أوقات السلم وفي القتال وقت الحرب<sup>(1)</sup>، إذ شهدت ساحات النزال الميرير لهذه المراكب الدور الفعال الذي لعبته في حسم الصراع لصالح الدولة العباسية، إذ سيظهر لنا ان السُميريات منها الصغير ومنها الكبير، فمنها ما يحمل اربعين مجذافاً ومنها ما يحمل اربعة مجاذيف .

والشذوات والسُميريات من المراكب التي شاركت في هذه الحرب بكثافة. حتى لا يكاد يُذكر أسم الشذوات الاً ومقرون بالسُميريات ، ما أسهم في حسم الصراع الميرير الذي دام أكثر من 14 عام.

ففي جمادى الأولى 258هـ/ اذار 872 م رأى القادة العسكريين في حديثهم مع الأمير الموفق أنه بمقدور الجيش العباسي الخروج من نهر العباس إلى دجلة ثم الى نهر أبي الأسد والتعسكر به. وذلك ما سيمنع الميرة عن المتمردين الزنج ثم إن هذا التحرك سيحول بينه وبين من يأتيه أو يرسله صاحب الزنج الذي ما ان تقرب من نهر العباس لينصب سلمان بن جامع على مقدمته ، إذ أدرك الجميع أن نهر العباس قد فوّضت القيادة العباسية مسؤولية حماية فوّهتها الى ( اصفجون ) ومعه جماعة من الفرسان والرجالة والنهر تحميه الشذوات والسُميريات العباسية التابعة لهذه القوة<sup>(2)</sup>.

وفي رجب سنة 258هـ/ 872م. كانت قد انتشرت الأوبئة والأمراض بين الجند العباسي وكثرت عليهم لعدم ملائمة المنطقة التي فيها نهر ابي الأسد التي اتخذها الموفق موقعاً لإعادة تنظيم جنده ورفع معنوياتهم . فالمنطقة حارة ، تغطي معظمها الأهوار .. فانتظر حتى تحسنت صحتهم ليعود بهم الى

(1) - للتفاصيل ينظر: النخيلي ، السفن الإسلامية ، ص 67 وما بعدها ؛ زيات ، معجم ، ص342.

(2) الطبري، تاريخ، ج8، ص7.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

منطقة (بازاورد) ليعسكر هنا ويعيد تنظيم جيشه. أمراً بتجديد آلات القتال وإصلاح مراكبه من شذوات وسميريات وكذلك المعابر<sup>(1)</sup>.

وعندما تلقى الجيش العباسي خبر توسع الزنج وسيطرتهم على واسط والنعمانية وَاغارتهم على جرجرايا ودخولها، انتفض الموفق لهذه الأخبار بما فيها بناء الزنج للحصون في تلك المدن وتنظيم أعمالها وجباية أموالها وارتفاعها وخراجها وترتيب العمال والقادة فيها<sup>(2)</sup>.. فانتدب ابنه أبو العباس (احمد) للتوجه على رأس قوة تتجه إلى هناك. فكان الأمير الموفق على رأس المودعين، إذ استعرض الجيش الذي كان معسكراً ببستان الهادي في بغداد وقد بلغ تعداده عشرة آلاف بين فارس ورجاله وهم (( في أحسن زيٍّ وأجمل هيئة وأكمل عدة)) ترافقهم السميريات والشذوات ومعابر الرجالة التي أُحكمت صنعتها إحكاماً<sup>(3)</sup>. أذ تحركوا بعد ان وقف الموفق على كامل عدتهم من منطقة بستان الهادي في شهر ربيع الآخر سنة 266هـ/ تشرين ثاني 879م<sup>(4)</sup>.

وفي صفر 267هـ/ 22 أيلول 880 م رأى الأمير الموفق ان يتولى قيادة الحرب بنفسه فخرج بجيشه من مدينة السلام (بغداد) معسكراً بالفرك<sup>(5)</sup> مقيماً فيها أياماً ليتكامل عدد جيشه ويلحق به من يريد التطوع<sup>(6)</sup>. إذ كان قد هياً لرحلته هذه كل أسباب القوة فأعدّ السفن والسُميريات والشذا والمعابر التي رافقته إلى ساحة المعركة<sup>(7)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص9، المجهول، العيون والحداثق، ج4، ص1، ج67: ابن ابي الحديد، شرح، ج8، ص159.

(2) - ابن ابي الحديد، شرح، ج8، ص165.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص54: ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية في التاريخ، ( القاهرة 1932 )، ج11، ص40.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص54: ابن الاثير، الكامل، ج7، ص338.

(5) - الفرك: قرية قرب كلواذا، وكلواذا بينها وبين بغداد فرسخ واحد من الجنوب، الحموي، معجم البلدان، مجلد4، ص255-477.

(6) - الطبري، تاريخ، ج8، ص62.

(7) - الطبري، تاريخ، ج8، ص62: ابن الاثير، الكامل، ج7، ص343.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

ويوم بدأ الموفق يضع الخطط ويعدّ العدة لتحرير مدينة (المنيعة) التي يتمركزها الزنج عند سوق الخميس. اتخذ عدة قرارات منها أنه جعل ابنه أبو العباس على مقدمته ومعه المختارين من قواده ورجاله ومنهم زيرك التركي قائد مقدمته ، ونصير (أبو حمزة) قائد اسطول الشذا والسميريات وذلك في ربيع الأول سنة 267هـ/ تشرين الأول 880م<sup>(1)</sup>.

ففي يوم الثلاثاء 9 ربيع الثاني 267هـ/ 17 تشرين الثاني 880م تحرك الأمير الموفق بالله بعساكره البرية والنهرية قاصداً المنيعة. وتتلخص خطة الأمير الموفق في ان يسير بنهر (برمساور) راكباً النهر فيما يحاذيه الفرسان على الشاطيء الشرقي للنهر حتى الوصول إلى نهر (براطق) الذي يوصل إلى مدينة المنيعة إذ تقع عليه. وعند نهر (براطق) تبدأ المرحلة الأخرى من الخطة وهو أن ينتشر الفرسان والمشاة على جانبي براطق فيما يتقدم أبو العباس نهراً بالشذا والسميريات ثم يتبعه الأمير الموفق في الشذا بعامة الجيش<sup>(2)</sup>.

ولما انتصر الجيش العباسي وحرر المنيعة. كان عليه أن يتتبع أخبار قادة الزنج سليمان الشعراني وسليمان بن جامع وتحديد أماكن تواجدهما، إذ ورد إليه خبر تعسكر ابن جامع بمدينة الحوانيت<sup>(3)</sup>.

أصدر الأمير الموفق أوامره بمدد المعابر لكي تعبر الخيل إلى أرض كسكر غرب دجلة. فيما سلك الأمير الموفق طريق البر وسارت تحاذيه الشذا والسفن التي تقل المشاة، وعند الصينية التي وصلها الأمير وجيشه أمر ابنه أبو العباس بالإنحدار صوب مدينة الحوانيت في الشذا والسميريات مسرعاً للتأكد من حقيقة تواجد سليمان بن جامع فيها من عدمه، والايقاع به ان وجده<sup>(4)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص62-63 : ابن الاثير، الكامل، ج7، ص343-344.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص63 : ابن الاثير، الكامل، ج7، ص344 : الدوري، دراسات، ص94.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص64 : ابن الاثير، الكامل، ج7، ص345 : الحوانيت: قرية من قرى واسط تقع على جانب دجلة الشرقي، وبها أصحاب السيارة والمأصر من قبل الخلافة. ابن رسته، احمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة، (ليدن 1891 ) ، ص 184-185، والمأصري طريقة لمنع السفن من المرور بالليل. ابن رسته، المصدر والصفحة نفسهما.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص64-65 : ابن الاثير، الكامل، ج7، ص345.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

أبلغ أبو العباس والده الأمير الموفق بمكان تواجد بن جامع فتقدم في شذواته وسُميرياته وحسب توجيهات والده إلى بردودا التي هي المسلك إلى المنصورة (طهثيا)<sup>(1)</sup>.

وحينما توجه الأمير الموفق بجيشه الى المنصورة في يوم الاحد 19 ربيع الثاني 267هـ/ 27 تشرين الثاني 880 م، والمنصورة هي المعقل الثاني للزنج ، سار الموفق وجيشه براً، فيما انحدرت السفن في النهر وعلى ظهرها المشاة والسلاح وآلات الحرب تتبعها الشذوات والسُميريات والمعابر حتى وصل بها نهر (مهروذ)<sup>(2)</sup>.

ومن ضمن التوجيهات لصنوف الجيش وهي تتقدم في نهر ( المنذر) الذي يشق مدينة المنصورة ( طهثيا) أن أمر الموفق أصحاب الشذا والسُميريات أن يُسار بها خطوة بخطوة مع الرجالة والفرسان في نهر المنذروعلى كتفيه<sup>(3)</sup>.

ويوم أرسل الأمير الموفق رسالة إلى صاحب الزنج يدعوه فيها للتوبة والإجابة وتجنب سفك المزيد من الدماء.. كان صاحب الزنج بالمقابل يزداد غروراً وتمسكاً بأهدافه.. فبعد خمسة أيام من الانتظار من يوم 15 رجب/ 18 شباط وحتى الأربعاء 19 رجب 267هـ/ 22 شباط 881 م، ولما لم تلمس القيادة العباسية أي امل للركون للسلم وسفك الدم ، فقد كان الأمير الموفق متشاعلاً بتفتيش عساكره واستعراض الشذا والسُميريات والتأكد من سلامتها واستعدادها للعمليات اللاحقة . فضلاً عن استعراضه لجنده<sup>(4)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص65.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص66؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص345؛ ونهر مهروذ من طساسيج سواد بغداد في جانبها الشرقي وهو نهر تقع عليه قرى في طريق خراسان. الحموي، معجم البلدان، مجلد5، ص233.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص67.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص75؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ( حيدرآباد الدكن 1938-1939 ) ، ج5، ق2، ص59؛ ابن ابي الحديد، شرح، ج8، ص182.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وحين تسلل احد قادة الزنج المدعو ( بهبوذ ) الى شرقي دجلة مع قوته.. اصدر الأمير الموفق وأمره إلى ابنه أبو العباس بالتقدم على أن تكون بأمرته القوات التالية<sup>(1)</sup>:

أ- الشذوات التي بأمره أبو العباس .

ب- 12 اثنتا عشر شذاة من شذوات الأمير الموفق بمن فيها من قادته وغلمانه على ان تكون تحت امره زيرك ضمن قيادة أبو العباس. علماً ان شذوات المتمردين الزنج كانت تفوق عدداً شذوات قوة أبي العباس. لكن قوة أبي العباس صدقت نفسها والحقت الهزيمة بالزنج حتى اوصلوهم الى فناء قصر صاحب الزنج<sup>(2)</sup>.

انسحب أبو العباس بعد ذلك بقوته بأمر من الأمير الموفق الذي أصدر أوامره إليهم بتوجيه الشذاة إلى شرقي دجلة. وصرف الجيش الى قواعده. الأمر الذي استغله صاحب الزنج إذ أمر اتباعه المنهزمين بالظهور بشذواتهم أمام قوة من الجيش العباسي. فأمر الأمير الموفق غلمانه بالثبات بصدور شذواتهم أمام العدو ثم مواجهتهم بقوة وصدق. وحتى إذا ما رأى الأعداء ذلك انفل جمعهم وولوا منهزمين خائفين<sup>(3)</sup>.

ويوم اتخذ الأمير الموفق من أحد المواضع المنتخبة بفرات البصرة مقابل عاصمة الزنج ( المختارة ) وبعد أن أمر بإصلاحه وعقد القناطر على الأنهار. إذ يبدو لنا أن هذا الموضع كان معسكراً قديماً فيه بعض المنشآت<sup>(4)</sup>. إذ يذكر الطبري أن الأمير الموفق رحل (( إلى معسكر قد كان تقدم في إصلاحه ))<sup>(5)</sup>. انتقل إليها وسماها أو سُميت ( الموقية )<sup>(6)</sup> وبدأ بتنظيم مدينته عسكرياً

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص76.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص76 : ابن الاثير، الكامل، ج7، ص351.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص76-77.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص78.

(5) - الطبري، المصدر والصفحة نفسيهما : انظر كذلك ابن الجوزي، اذ يذكر في المنتظم ج5، ق2، ص59 (( وقد كانت هذه المدينة انقطعت سبلها بأولئك الأعداء )).

(6) - الطبري، تاريخ، ج8، ص79 : ابن الجوزي، المنتظم، ج5، ق2، ص59

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

فوزع القادة وجنودهم على مواضع مختلفة من المدينة والمناطق والأنهار القريبة منها تحسباً لكل طارئ فأصدر مجموعة أوامر من بينها<sup>(1)</sup>:

أن يكون موضع نصير (أبو حمزة) قائد الشذا والسُميريات مع جنوده من أول المعسكر حتى الموضع الذي يوازي نهر جوي كور.

ومن جملة القرارات التي إتخذها لتحسين مدينته الجديدة إستعداداً لصفحات الحرب القادمة هو الإكثار من الشذا والسُميريات وسائر الآلات الأخرى التي يحتاجها الاسطول النهري، وعليه فقد أرسل رُسُلُه وكتبه إلى مدينتي سيراف وجنابه<sup>(2)</sup> وهما من مدن الخليج العربي وإلى مدن أخرى لبناء المزيد من الشذوات والسُميريات والزواريق<sup>(3)</sup>، والاكثار منها لدورها الكبير والمشهود في العمليات الحربية بتلك المناطق وفرض الحصار الاقتصادي عن طريق ضبط الأنهار والمسالك وبالتالي قطع الميرة عن معسكر المتمردين في المختارة ونواحيها<sup>(4)</sup>.

وعلى إثر غارة ليلية من الزنج باتجاه أطراف الموقفية وما الحقوه من اذى بالقوة المرابطة بعد يومين بالاستقرار بالموقفية، إذ لا زال الجميع ينظمون أماكن استقرارهم وتجمعاتهم، استدعى الموفق نصير (أبو حمزة) مُبلغاً إياه بضرورة اتخاذ تدابير احترازية تتمثل في جمع اتباعه وعدم السماح لأي واحد منهم بترك عسكره وأن يفرض الحراسة على أطراف المعسكر بدوريات مستمرة من الشذا والسُميريات والزواريق التي تحمل الرجالة (المشاة) إذ حدد لهم حدود دورياتهم إلى آخر (ميان رودان) و(القندل) و(ابرسان) وذلك من اجل الإيقاع بالزنج<sup>(5)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 78-79.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 79.

(3) - ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 352.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 79؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 352؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج 8، ص 185.

(5) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 80. وميان رودان جزيرة تحت البصرة فيها عبادان يحيط بها دجلة من جانبها فيما يقع الجانب الثالث على البحر الأعظم (الخليج العربي)، الحموي، معجم البلدان، مجلد 5/ ص 239، والقندل نهر

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وقبيل حلول شهر رمضان 267هـ/ 881 م اغار الزنج على القوافل التجارية وسيطروا على قسم منها، ما اضطر الأمير الموفق بتعويض التجار الذين تضرروا نتيجة ذلك إذ انتدب ابنه أبو العباس لقيادة قوة من الشذا تقوم بواجب حماية فوهة نهر بيان والانهار الأخرى التي لا يستطيع سلاح الفرسان من ولوجها، فأنتخب الرّجاله (المشاة) لهذه القوة وامر قائدها أبو العباس أن يوزع اتباعه على كل موضع يحتمل ان تسلكه ميرة متجهة الى الزنج<sup>(1)</sup>، وبذلك يكون الجيش العباسي قد بدأ فعلاً بفرض الحصار الاقتصادي الجدي على الزنج ((فأنحدر أبو العباس الى فوهة البحر في الشذا ورتّب في جميع تلك المسالك القواد واحكم الأمر فيه غاية الاحكام))<sup>(2)</sup>.

ومن جانبه فقد استكمل صاحب الزنج استعداداته النهريّة فأصدر أوامره الى اتباعه بالاتجاه صوب نهر دجلة من اجل التعرّض على الجيش العباسي، إذ لم تكن للجيش العباسي شذوات كافية في ذلك الموضع للصمود بوجه القوة الجديدة للمتمردين من الزنج ولسببين<sup>(3)</sup>:

أ- توزيعه لأغلب الاسطول النهري على فوّهات الأنهار وفوّهة الخليج العربي من اجل احكام الحصار الاقتصادي.

ب- وما تبقى له منها عند معسكره والمواضع القريبة كان قليلاً، إذ لم يصل الجيش العباسي بعد ما كان قد طلب بناؤه من سفن في سيراف وجنابة.

لقد شعر الزنج برجحان كفتهم وغلظ أمرهم وبدا لهم أن الأمر يسهل عليهم فتهيأ لهم الاستيلاء على شذاة إثر شذاة من عسكر الدولة، فيما ظهر على

=  
عند موضع بالبصرة ، الحموي ، معجم البلدان مجلد 4 ص 402 مجلد 5 ص 323 ، ولم نجد لابرسان ترجمة ولعله موضع بسيط في البصرة على مثال القندل.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص80-81 ؛ ابن ، الاثير الكامل، ج7، ص353.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص81.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص83؛ ابن الاثير ، الكامل، ج7، ص354.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

أصحاب الموفق الخوف من تحركات الأعداء، كما ان نصير(أبو حمزة) قائد الأسطول لم يكن على سابق عهده من الاقدام على قتالهم وذلك لتقديره قوة العدو مقابل قوته التي كانت قليلة قياساً لقوة العدو للأسباب المذكورة آنفاً<sup>(1)</sup>.

وبينما الحال على هذه الصورة من الحذر والترقب والخوف من أن يغير الزنج على معسكرهم بكفتهم الراجحة من حيث الشدوات ، وصلت شدوات جديدة قادمة من منطقة (جنابا) كان قد تقدم الأمير الموفق ببنائها، فاصدر أمره إلى أبي العباس قائد قوة حماية الفوّهات باستقبالها وحمايتها حتى ايصالها إلى الموفقية خوفاً من اعتراض الزنج لها عند دجله. فوصل بها إلى حيث يعسكر نصير صاحب الاسطول<sup>(2)</sup>.

تقدم صاحب الزنج إلى اتباعه بضرورة التعرض للشدوات الجديدة ومحاولة اقتطاع جزءٍ منها لتدميرها وقد تصدى لهم غلام لأبي العباس موصوف بالشجاعة يدعى (وصيف) ، ولما أيقن الزنج أن وصيف قد انقطع عن أصحابه كزوا عليه وانتهوا به إلى مضيق ضيق جداً تشابكت فيه مجاذيف بعض شداوته مجاذيف شدوات الزنج فجنحت تلك الشدوات وانتهى دورها بعد أن تقصفت بالشط، فانحدر عليهم الزنج من السور ومن شدواتهم وأحاطوا بوصيف من كل جانب فحاربهم واتباعه حرباً حامية غير متكافئة قُتل فيها الجند العباس وسيطر الزنج على تلك الشدوات إذ ادخلوها نهراي الخصيب منتصرين<sup>(3)</sup>.

واصل أبو العباس مسيره فيما انفصل عنه وصيف، حتى وصل أبو العباس بالشدوات الجنابية بسلام بما تحمل من رجال وسلاح إلى الموفقية، وعندها

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8 ، ص 83-84.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 84؛ ابن الاثير الكامل، ج 7، ص 354.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 84.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

اصدر الأمير الموفق أمراً بأن يتولى ابو العباس قيادة اسطول الشذوات بأجمعه من أجل الإستمرار بالحصار الإقتصادي وقطع كل منفذ تأتي منه الميرة إليهم<sup>(1)</sup>.

أول ما بدأ به أبو العباس هو إصلاحه للشذوات التي تحتاج الإصلاح فيما رتب مقاتلتها الرامحة من الناشبة الذين تم اختيارهم من قبله<sup>(2)</sup>.

بعد أن تأكد أبو العباس من استكمال مستلزمات أسطوله ونجاح مهمته بدأ بتوزيع اسطوله على المواضع التي تسلكها شذوات المتمردين من أجل الإيقاع بها عند ورودها من خلال تلك المواضع والفوهات، وبالفعل وصلت شذوات الزنج فبرز إليهم جند أبي العباس في شذواتهم، كما أمر أصحاب الشذوات المؤتمرين بأمرته بالبروز لهم في نفس الوقت وتم رميهم بالسهم ثم تخالطوا فأخذت منهم الرماح طعناً فيما كانت الحجارة تُقذف إليهم فحلّت بهم الهزيمة والجيش العباسي يلاحقهم حتى أدخلوهم نهر أبي الخصيب<sup>(3)</sup>.

في هذه المعركة أغرق الجيش العباسي ثلاث شذوات للزنج واستولى على شذاتين بما فيها من ملاحين ومقاتلة. ما اضطر صاحب الزنج الى منع شذواته من الخروج عن الدائرة المحيطة بفناء قصره ومجازرة الشط الأبعد التأكيد من خلوّ دجلة من شذوات الموفق وابي العباس<sup>(4)</sup>.

كانت للجيش العباسي عيون واستخبارات تم بثّها في كل مكان على ما يبدو. إذ وصلت إليه الأخبار بنوايا الزنج للخروج إلى تلك الجهات. ما اضطر الموفق إلى انتداب مولاه (زيرك) الذي كان قد عينه صاحباً لمقدمة أبي العباس وأمره بالخروج في قوة نهريه من الشذا والسُميريات وفسح له في اختيار الرجال

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 84.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 84.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 84.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 84-85 : ابن الاثير الكامل، ج 7، ص 355.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

الذين تم حملهم في الزواريق والسفن الخفاف<sup>(1)</sup>، فيما سارت جماعة أخرى على البر<sup>(2)</sup>.

وحملت الشذا والسُميريات والمعابر انجال رجال الجيش العباسي لتأمين السلامة لمجموعة من الزنج أبدوا رغبتهم في الاستسلام للجيش العباسي، فقاد القوة أبو العباس متجهاً إلى نهر الغربي وتم تخليص المستأمنة بعد معركة سريعة استمرت من الصباح وحتى العصر. فكان معهم عدد كبير من الفرسان والرجالة، فركب الجميع شذواتهم وسفنه منصرفين إلى الموفقية<sup>(3)</sup>.

ويوم مال قسم من قوة أبي العباس إلى موضع نهر الأتراك لقلعة الموكلين عليه، ونزولهم وتوغلهم في مسالك المنطقة وظفرهم بمجموعة من اعدائهم تحاشد الزنج نتيجة نذر وامداد صاحب الزنج<sup>(4)</sup>، ما دفع بابي العباس أن يطلب المدد من الأمير الموفق الذي وصل إليه فيمن خفّ من الرجال تحملهم الشذا والسُميريات فبرز الجميع على الزنج ملحقين بهم الهزيمة<sup>(5)</sup>.

وفي ملحمة تحرير الضفة الغربية للمختارة، أدرك الأمير الموفق بالله أن الفرصة مواتية للبدء بالعمليات العسكرية ضد (المختارة) عاصمة الزنج، فاستقر الرأي على العبور بالجيش كله إلى تلك المدينة الحصينة، وأخذ يُعدّ العدة، إذ أصدر أوامره إلى أبي العباس والقادة والغلمان بالتأهب والاستعداد للعبور، كما أمر بجمع السفن والمعابر وتوزيعها بعد التأكد من سلامتها ((ووقف على يوم بعينه أراد العبور فيه))، وقد كان يوم العبور في يوم الأربعاء 23/ ذي

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 85.

(2) - ابن أبي الحديد، شرح، ص 190.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 86؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 356.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 86-87.

(5) - ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 356؛ ابن أبي الحديد، شرح، ج 8، ص 191.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

الحجة 267هـ / 25 تموز 881م بأكمل عدة وأكثف جمع<sup>(1)</sup>، إذ تتلخص رؤية الأمير الموفق في العبور واقتحام المدينة وفق خطة وزع المسؤوليات فيها فكانت حصبة نصير (أبو حمزة) صاحب الشذا في عدة من الشذوات ترافقه للمرابطة هناك وتدمير ما للزنج من شذوات تحاول الظهور هناك<sup>(2)</sup>.

اصطدمت قوة رشيق المكونة من الشذوات بقوة كبيرة من شذوات صاحب الزنج، إذ تمكن من مباغته القوة فاحرق وأغرق عدة شذوات فيما لحقت الهزيمة بالباقيات التي انسحبت إلى نهر أي الخصيب<sup>(3)</sup>.

ولما أراد احد قادة الزنج وهو ريحان بن صالح المغربي صاحب حماية (انكلاي) ابن صاحب الزنج، الذي كاتب الجيش العباسي طالباً الأمان له ولاتباعه محدداً للأمير المكان الذي سيكون بانتظارهم فيه، استجاب الأمير الموفق وبسرعة إذ سير له قوة من الشذوات والسُميريات والمعابر بقيادة (زيرك) صاحب مقدمة أبي العباس الذي سار بنهر اليهودي حتى وصل نهر المطووعة إذ عنده التقت القوة بريحان واتباعه ليعود الى حيث دار الامر الموفق بمدينة الموقية<sup>(4)</sup>.

وبالشذوات أمر الأمير الموفق بحمل المستأمنة مع قائدهم لعرضهم على معسكر العدو مقابل دار صاحب الزنج كنوع من الحرب النفسية، إذ عرف اتباع ريحان الذين لازالوا بالمدينة بخبره وما لاقاه من الاحسان والتكريم هو وجماعته، فلحقوا به من ساعتهم وشملوا بالرعاية والإكرام<sup>(5)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 87؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 357.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 88.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 90.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 91؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 359.

(5) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 91.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وفي خطة أخرى للعبور إلى المختارة للقيام بعملية محدودة لا تتعدى فتح الثغرات في سور المختارة إذ أردف لكل قوة من القوات المهاجمة بالشذوات التي حشّدت برماة السهام ليكون واجههم تقديم الاسناد والتغطية للمهاجمين والفعلة (المهندسين) الذين سيلتصقون بالسور لإنجاز مهمتهم<sup>(1)</sup>.

وامعاناً في تشديد الحصار الاقتصادي على حركة الزنج ، ولما تناهى إلى الأمير الموفق أن الزنج يحاولون الولوج بطريقة جديدة توصلهم إلى البطيحة والبحر، فان الموفق امر بتجهيز رشيق -غلام أبي العباس- وأمره أن يتخذ عسكرياً له عند (جويث بارويه) في جانب دجلة الشرقي مقابل نهر الأمير على أن يحفر خندقاً هناك، فيما يقوم أبو العباس بضم (5000) خمسة آلاف رجل من خيرة المقاتلين تحملهم ثلاثون شذاة. كما أوعز إلى رشيق بأن يوزع ويرتب الشذوات على فوهة نهر الأمير<sup>(2)</sup> ، وأن يُسيّر دوريات الشذا بعد أن يقسمها قسمين لكل (15) خمسة عشر شذاة نوبة تقوم بواجبها بقيادته فيدخل بها نهر الأمير إلى أن يصل إلى المعترض الذي يسلكه الزنج للوصول إلى دبا والقندل ونهر المسيحي، ليكون هناك أساس واجبه<sup>(3)</sup>.

وبينما كانت قوة رشيق تشدد الحصار بيقضة تامة من قبل دوريات الشذا تناهى إليه أن جماعة من بني تميم وصلوا عنده مؤخره نهر الأمير عن طريق البر ومعهم ميرة متنوعة عبارة عن طعام وإبل وغنم وهم بانتظار سفن الزنج التي سوف تنقلهم الى معاقلم<sup>(4)</sup> . فوضعت قوة رشيق يدها على تجارتهم المتنوعة إذ حملت الميرة وسار برؤوس القتلى والأسرى والغنائم بشذواته

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 93.

(2) - نهر الأمير من انهار البصرة حفره الخليفة أبو جعفر المنصور ووهبه لابنه جعفر فقبل نهر الأمير، الحموي، معجم البلدان، مجلد 5، ص 318.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 96، ودبا من نواحي البصرة فيها انهار وقرى ونهرها يأخذ ماءه من دجلة ، الحموي، معجم البلدان، مجلد 2، ص 436.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 97؛ ابن الاثير ، الكامل، ج 7، ص 365.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وبعض السفن التي كانت ترافقه حتى وصل إلى الموفقية. وهناك تم تعليق رؤوس القتلى بالشذا وصلب الأسرى وتم الطواف بها في أرجاء المعسكر لنشر خبر انتصار قوة رشيق. إذ كان الأمير الموفق حريصا كل الحرص على أن يكون المتمردين الزنج على علم بالواقعة فأمر بأن تجتاز الشذا بهم معسكر الزنج (حتى عرفوا ما كان من رشيق من الإيقاع بجالي الميرة المهم) <sup>(1)</sup>.

ومن جملة الإجراءات التي اتخذها الأمير الموفق والمتمثلة في غلق الأنهار التي يسهل غلقها، إذ يتم وضع الشذا عند فوهات الأنهار الكبيرة. ولما تم ذلك لم يستطع (بهبود) وهو أحد كبار قادة الزنج انجاز ما كان يعمل. فحاول الاغارة الخاطفة وحقق هدفه عندما استغل فرصة غفلة أصحاب شذوات الموفق عند مخفر الابلّة فاجتاز من مؤخرة نهر ابي الخصيب بشذوات وسُميريات شبيهها بما للموفق منها ونصّب عليها اعلامهم وحمل فيها شجعان أصحابه فأوقع بالشذوات والسُميريات العباسية الموكلة بحراسة النهر في الوقت الذي كان فيه رجالها غافلون فقتل منهم واسر وسيطر على ست شذوات وعاد إلى معسكره عبر طريق نهر الابلّة نفسه <sup>(2)</sup>.

وكانت الشذوات والسُميريات والزواريق الخفاف ضمن قوة تحمل أبو العباس وخيرة رجاله لمنع الزنج الذين انتشروا بالقرى بأمر صاحب الزنج للبحث عن الاقوات بعد أن أحكم العباسيون الحصار الاقتصادي. إذ حالت هذه القوة الأعداء من الرجوع الى المختارة <sup>(3)</sup>.

وعلى إثر ذلك سیر صاحب الزنج أحد قاداته (بهبود) على رأس قوة لاعتراض قوة ابي العباس. وفي الطريق لاحت لهبود سُميرية من سُميريات أبو العباس فطمع في السيطرة عليها مع جماعة من اتباعه وقد كان بالسُميرية جماعة من

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص97؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص365.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص99.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص99-100.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

غلمان أبو العباس الناشبة ، وحتى إذا ما التحم مع من فيها استبسل حُماتها فأصابت (يهبوذ) طعنة في بطنه من غلام أسود من غلمان السُميرية فهوى على إثرها في الماء فتم انتشاله والرجوع به إلى المختارة إذ فارق هناك الحياة<sup>(1)</sup> وذلك في شهر رجب 268هـ/ كانون الثاني 882م<sup>(2)</sup>.

ولأجل مهاجمة دار صاحب الزنج التي كانت محصنة تحصيناً منيعاً. وبعد أن أدرك الموفق أن الوصول إلى الدار واحراقها أمراً ليس بالهين عكف على اتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذ الخطة وتهيئة مستلزمات نجاحها وتوفير الآلات الضرورية لحماية المقاتلة من الأسلحة الكثيفة والمتنوعة للزنج فاصدر أوامره بتهيئة واتخاذ التدابير التالية<sup>(3)</sup>:

- أ- اعداد ظلال من خشب للشذوات .
- ب- تغلف هذه الظلال بجلود الجواميس وتغطى بالخيوش المطلية بالعقاقير والأدوية المختلفة التي لا تساعد على الاحتراق .
- ت- ينفذ ذلك على عدة شذوات .
- ث- تشحن الشذوات بجماعة من شجعان الغلمان رماة الرمح والناشبة فضلاً عن امهرواحدق النَّفَاطِين الذين تم اعدادهم لإحراق قصر صاحب الزنج. في يوم السبت 18 شعبان 269هـ/ اذار 883 م باكر الأمير الموفق إلى نيته في احراق قصر صاحب الزنج وهو وجنده في اكمل استعداد واحسن زيّ ترافقه الشذوات التي تم طلاؤها بالعقاقير فضلاً عن الشذوات والسُميريات الأخرى التي رتب فيها عامة مواليه وغلمانه اضافةً الى المعابر التي كانت تحمل المشاة<sup>(4)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص100؛ ابن ابي الحديد، شرح، ج8 ، ص196.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص98.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص111.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص111.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

قاد الأمير الموفق جناح الهجوم الرئيس الذي توجه إلى قصر صاحب الزنج إذ أمر مقاتلي الشذا المظلمة بالتوجه إلى الرواشين والأبنية المطلّة على نهر دجلة. وتم ذلك فعلاً والصقوا الشذا بسور القصر<sup>(1)</sup>.

لم تنفع كل الأساليب الدفاعية التي اتخذها الزنج مع الشذوات المظلمة التي لم يُصب أحد من رجالها بأذى فلا نشاب أو حجارة ولا رصاص ذائب<sup>(2)</sup> نفعهم في دحر وتدمير محاولات الشذا ما كان له الأثر الكبير في زعزعة همّة الزنج إذ نجح المهاجمون في تحقيق صفحات هجومهم المقبلة وخصوصاً القصر نفسه.

وفي خطة ذكية من الأمير الموفق أمر بانسحاب الشذوات والرجوع إلى مواقع انطلاقها ليتم هناك تبديل مقاتلتها بمقاتلة آخرين ثم ينتظر وقت المدّ الذي سيحمل الشذوات المظلمة إلى قصر صاحب الزنج. وعندما تم ذلك ووافقت الشذوات بفضل المد العالي إلى القصر أمر الموفق بالله مقاتليه بإحراق الدور المشرفة على دجلة المجاورة لقصر على بن محمد صاحب الزنج بنيران النفاطين التي أتت وبسرعة على تلك البيوت<sup>(3)</sup>.

أما الرتل الاخر الذي يقوده أبو العباس فقد قصد دار الكربائني ليتولى واجبه فيها حرقاً وهدماً. وقد تم له ذلك بعد ان تمكن من قطع سلسلة كبيرة من الحديد ربطها صاحب الزنج بين ضفتي نهر أبي الخصيب ليتمكن بها من منع الشذوات والسُميريات العباسية من ولوج النهر. وقد تم حملها في بعض الشذوات<sup>(4)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص111-112 و الرواشين هي الفرض التي على النهر اذ يُعرّف ابن منظور في لسان العرب ( بيروت 1955 ) مجلد13، ص180-181 الرشن بأنه الفرضة من الماء في حين يعرف الروشن بأنه الرف وعليه فكلا المعنيين وارد، وارى ان الرواشين هي تطلّيعه على النهرتقف عندها المراكب او تؤدي واجبات أخرى.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص112؛ ابن الاثير الكامل، ج7، ص379.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص112؛ المجهول، العيون والحدائق، ج4، ق1، ص103، اذ يطنب الطبري في تفاصيل هذا الحدث.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص112؛ ابن الاثير الكامل، ج7، ص379.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وفي يوم الاحد 19 شعبان 269هـ / 3 آذار 883م توجه الأمير الموفق مبكراً لحرب اعدائه في تلك المنطقة يرافقه زيرك نصير ( أبو حمزة ) قائد الاسطول او ما يسميه الطبري (جيش الماء). وتقضي خطة الأمير الموفق بأن يتوجه نصير الى قنطرة أُقيمت على نهر أبي الخصيب لتتولى قوته تدميرها. في حين توجه زيرك بقوة أخرى إلى المنطقة التي تلي دار الجبائي للقاء من فيها من الأعداء على أن تتفرع قوة منه إلى المنطقة التي تلي دار انكلياي للمحاربة أيضاً. ولم يكن قائد (جيش الماء) هذه المرة قد تصرف بحكمة وتروي. فقد تسرع بالدخول إلى نهر أبي الخصيب في وقت كان فيه المد على أشده فحمل شذواته ملصقاً إياها بالقنطرة، كما دخلت مجموعة من شذوات موالي الأمير الموفق وغلماينه الذين لم تصدر الأوامر لهم بولوج النهر فتلقفهم المد وحملهم الى شذوات نصير الملتصقة بالقنطرة "فصكت الشذوات بعضها بعضاً حتى لم يكن للاشتيامين والجذافين فيها حيلة ولا عمل"<sup>(1)</sup>.

وجدت الشذوات نفسها محاطة بالزنج من كلا جانبي النهر. فترعزعت قوة الجند العباسي ، ودخل الذعر والوجل الى قلوب الجذافين الذين ألقوا بأنفسهم إلى النهر ما دفع الزنج إلى دخول الشذوات والإشتباك مع مقاتليها الذين لاقوا مصيرهم بين قتيل وأسير وغريق. في الوقت الذي ثبت فيه قائدهم نصير ( ابو حمزة ) في مجموعة من شذواته حتى أدرك تفرق جمعه عنه فألقى بنفسه بالماء هرباً من الاسر الا انه كان على موعد مع قدره فغرق في الماء وهو صاحب جيش الماء<sup>(2)</sup>. ونرى انه قتل وهو في الماء إذ ليس من المعقول أن يكون قائد الاسطول لا يعرف السباحة علماً انه يتولى قيادته منذ زمن طويل.

وتسهيلاً لمرور الشذا في نهر أبي الخصيب كان لا بد على سلاح الهندسة (الفعلة) من أزاحة القنطرة والبدود والتي كانت محكمة وقفت حائلاً دون قطعها. ما أضطر الأمير الموفق إلى إصدار أوامره بإدخال السفن المحشوة بالقصب

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 113؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 380.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 113؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 380-381؛ ابن ابي الحديد، شرح، ج 8، ص 202.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

والنفط في النهرو وإرسالها الى حيث القنطرة وقد أضرمت النار فيها ، فأستقرت عند القنطرة وبدأت النار تلتهمها في الوقت الذي كان النجارون يقطعون البدود فأصبح النهر سالكاً أمام الشذوات<sup>(1)</sup>، التي دخلت النهرو والكل مزهوّ بهذا الإنجاز، فيما بدأ الزنج بالتقهقر<sup>(2)</sup>.

وبعد أن كرم الأمير الموفق مقاتليه على البلاء الحسن، عبر في مجموعة من مواليه وغلماينه تقلّمهم الشذوات والسُميريات والزواريق الخفاف متوجّهاً إلى فوهة نهر أبي الخصيب التي كان الزنج قد ضيّقوا مداخلها بإقامة برجين من الحجارة يساعد على حدة جريان الماء الذي لا يساعد الشذوات التي تدخل على العودة من حيث دخلت، فيكون ذلك بمثابة المصيدة لسفن الجيش العباسي<sup>(3)</sup>.

أرسل الجيش العباسي قوة من أجل هدم البرجين، وحال انسحاب القوة على أمل معاودة الهدم في اليوم التالي كان الزنج قد عادوا وأصلحوا ما تم هدمه، ما اضطر الموفق الى إرسال قوة ((فوكّل عليها مجموعة من أصحاب الشذوات ليتولوا واجهم المتلخص في حراسة البرجين ورمي كل من يتقرب منها من المتمردين لإعادة ما تم قلعه))<sup>(4)</sup>.

ولما تم للجيش العباسي قلع البرجين أتسع مسلك النهرو لدخول الشذوات وخروجها<sup>(5)</sup> ليكون ساحة للشذوات والسُميريات وسائر المراكب في العمليات المقبلة.

وحملت الشذوات والسُميريات والمعابر أعداداً كبيرة من النساء اللاتي أسرهن وسباهن صاحب الزنج وتم تحريرهن، إذ أمر الموفق بحملهن فوراً إلى

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص115؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص381-382.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص116.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص116.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص116.

(5) - الطبري، تاريخ، ج8، ص116.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

الموفقية. وذلك بعد أن تمكن الجند العباسي من اقتحام قصر الهمداني أحد كبار قادة الزنج والاستيلاء على قصره والقصور المجاورة<sup>(1)</sup>.

وفي الاستعداد لمعركة أخرى من أجل هدم أحد سوار المختارة وإزالة التحصينات وجّه الموفق بأن تتخذ الشذوات مواضع لها على امتداد المنطقة الممتدة من نهر جوي كور وحتى منطقة الدباسين<sup>(2)</sup>.

وفي معارك الجسرين على طريق تطهير الجانب الغربي للمختاره، كانت إحدى شذوات الجيش العباسي تجرّ سفينة كبيرة مملوءة بالقصب المنفط منصوب في وسطها عمود لتوصلها إلى الجسر ولتقف السفينة أسفله بواسطة العمود لتقوم بإحراقه وتدميره<sup>(3)</sup>.

وفي يوم السبت 15 شوال 269هـ / 27 نيسان 883م كانت ساعات الصفر لهجوم من عدة أرتال، إذ أنطلق الأمير الموفق برتله مع مواليه وغلمانه وخدامه ممتطين الشذوات والسُميريات صوب فوهة نهر أبي الخصيب، إذ يقف هناك رتلا الهجوم البري على ضفتي النهر<sup>(4)</sup>.

وكانت الشذوات قد توجهت إلى موضع الجسر لإزالة اعمدته التي لا تزال قائمة وسط النهر، إذ امر الموفق ولده أبو العباس بتوجيهها الى هناك، فتم لهم ذلك إذ دخلت شذوات الموفق التي يقودها ضمن الرتل النهري متوجهة إلى هدفها من غير عوائق<sup>(5)</sup>.

ولمعالجة الهدف الآخر من عمق نهر أبي الخصيب وهو الجسر الثاني، كان الموفق يعدّ العدة لتدميره في الوقت الذي كان فيه مستمراً في تسيير دوريات

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص118.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص120.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص121-122؛ ابن الاثير، الكامل، ج7، ص386.

(4) - الطبري، تاريخ، ج8، ص122.

(5) - الطبري، تاريخ، ج8، ص123.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

الشذا في النهر موجهاً غلمانه باتباع سياسة الأرض المحروقة وحرق كل ما على حافتي النهر من منازل وما يواجههم في النهر من سفن الأعداء<sup>(1)</sup>.

وضع الموفق خطة الهجوم على الجسر الثاني من أجل إحراقه وتميره وفرض السيطرة الكاملة على الضفة الغربية للمختارة ، فأعد خطته لذلك موزعاً قواته على أرتال وذلك في يوم السبت 22 شوال 269هـ/ 4 مايس 883 م . وقد كان رتل الأمير الموفق قد أتخذ قلب الهجوم فسلك طريق نهر أبي الخصيب في الشذوات التي أختار لها خيرة مقاتليه ناشباً ورامحةً ترافقهم الآلات التي سيتولون بها قطع الجسر وتدميره<sup>(2)</sup>.

أصدر الموفق أوامره لرتل الشذا بالتقرب من الجسر وتنفيذ عملية إضرام النار به وزحزحة من وقف عنده للدفاع عنه ورميهم بالسهم الكثيفة حتى تمكنوا من ذلك وفسح المجال أمام هذا الجسر الذي التهمته النيران من كل جانب<sup>(3)</sup>.

وكانت الشذا هي المركب المؤهل دائماً لحمل المستأمنة من قادة الزنج وجندهم، وذلك ما حصل مع القائد سليمان بن موسى الشعراني ومجموعة كبيرة من أتباعه، إذ سَير الأمير الموفق الشذوات إلى مكانٍ اتفقا عليه لتحمله إلى الموقفية مع أخيه واهله ومجموعة من القادة والجنود<sup>(4)</sup>، إذ نرى أن الشذا حملته من مؤخرة نهر أبي الخصيب التي كان مسؤولاً عن حراستها.

وحملت الشذا القائد الشعراني وجماعته بناءً على أمر الموفق الذي طلب من ابنه أبو العباس استعراضهم على أتباعهم ليعرفوا حقيقة الأمر " فلم يبرح

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص123؛ ابن الاثير ، الكامل، ج7، ص387.

(2) - الطبري، تاريخ، ج8، ص125.

(3) - ابن الاثير ، الكامل، ج7، ص125.

(4) - ابن الاثير ، الكامل، ج7، ص389، انظر كذلك، الطبري ، التاريخ ، ج8، ص126-127.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

الشذا من موضعها في نهراي الخصب حتى استأمن جمع كثير من قواد الزنج وغيرهم<sup>(1)</sup>.

وفي الاستعداد للهجوم الأول على الضفة الشرقية للمختارة، فإن الموفق لم يترك ساعة من وقته من غير أن يخصصها لترتيب عساكره وتهيئة مستلزمات النصر، فالاستعدادات جارية في الموفقية على قدم وساق من أجل ذلك، فلقد أمر بإضافة السفن والمعابر الموجودة في دجلة والبطيحة إلى عسكره وذلك لكي تكون أعدادها متوازنة مع الأعداد الكبيرة لجنده<sup>(2)</sup>، فلقد حشد الأمير الموفق أعداداً هائلة جداً من المراكب على اختلافها حتى أنه تم إحصاء الملاحين الذين يستلمون روايتهم من بيت المال والمرتبين في الشذوات والسُميريات والرُقيات المخصصة لعبور الخيل فكانوا بحدود عشرة آلاف ملاح، هذا فضلاً عن السفن الأخرى المخصصة لحمل الميرة والتي يمكن استخدامها لنقل الرجال عند الحاجة، وما لكل قائد وأصحابه من سُميريات وجُربيات وزواريق تقلّ الملاحين الراتبية<sup>(3)</sup>.

وزع الأمير الموفق الجيش العباسي الزاحف على ارتال، وقد انطلق رتل الأمير الموفق بركب الشذا عشية يوم الاثنين 8 ذي القعدة 269هـ / 19 مايس 883 وقد بلغ تعداد الشذوات (150) مائة وخمسون شذاة محشوة بشجعان غلمان الأمير الموفق ومواليه<sup>(4)</sup> ناشبةً ورامحه ليوزعها على جبهة القتال فجعلها من أول عسكر المتمردين إلى آخره تؤدي دور الحصن المنيع للجيش الزاحف والرادع للأعداء إذا ما حاولوا الإلتفاف من وراه فطُرحت الأناجر لتقرب من الشط، فيما اختار الموفق لنفسه بعض الشذوات التي اختار لها متميزي قادة غلمانه ليرافقوا الأمير في اقتحامه نهراي الخصب<sup>(5)</sup>.

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 127؛ كما كانت الشذا قد توجهت إلى حيث طلب قائد آخر من الزنج الاستئمان وهو المدعو (شبل بن سالم) الذي يصفه الطبري بأنه (من عدد الخبيث وقدماء أصحابه وذوي الغناء والبلاء في نصرته). الطبري، المصدر والصفحة نفسهما.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 129؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 391.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 129-130؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 391.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 131؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 391.

(5) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 131.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وكانت الشذوات تشكل قوة إسناد وتغطية للقوة التي تقوم بواجب خاص. إذ كان الموفق واتباعه في الشذا يقدم الأسناد ليضمن الانسحاب الهادئ لقوة استبسلت في مهاجمتها لقصر صاحب الزنج في شرقي نهر أبي الخصيب<sup>(1)</sup>. وتقدم الأمير الموفق إلى ولده أبي العباس بإنتداب أحد قادته في قوة من خمس شذوات يتجه بها إلى مؤخرة عسكر المتمردين في نهر أبي الخصيب من أجل حرق مخازن مهمة لميرة الزنج. فتم لهم ذلك وأتت النار على معظمها. إذ كانت آخر مورد يتقوّت منه الزنج، فكان وقع ذلك عليهم ثقيلاً<sup>(2)</sup>. وبعد أن فقد الزنج الجسور والقناطر وأصبح نهر أبي الخصيب سالكاً أمام الشذوات للولوج فيه والعودة منه. وأجتهد في دفع أتباعه لإقامة سكر في جانبي النهر جاعلاً في وسط السكر باباً ضيقاً وذلك من أجل أن يحتد جريان الماء فيه. وبذلك يتحقق هدفاً مهماً يعيق من خلاله دخول الشذوات بل ويمنعها في وقت الجزر كما يجعل خروجها منه وقت المد أمر في غاية الصعوبة<sup>(3)</sup>. ولم يهدأ للجيش العباسي بال مادام السكر موجود، فواصل معركته على ذلك السكر معتمداً في قتال حماته على مقاتليه ومقاتلي القائد لؤلؤ الذي التحق بالجيش العباسي مع مقاتليه منشقاً عن أحمد بن طولون في مصر. إذ تمكن مقاتليه من الوصول إلى السكر تنقلهم الشذوات وفتح الطريق أمام الفعلة ( سلاح الهندسة ) الذين انشغلوا في واجهم بقلعه والقتال محتدم حتى تمكنوا منه وتسهّل للشذوات الدخول والخروج في أوقات المد والجزر<sup>(4)</sup>، إذ يبدو أن الشذوات صالحة للولوج في الأنهار الصغيرة أكثر من غيرها من المراكب.

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 132؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 392-393.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 133؛ السامر، ثورة الزنج، ص 149.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 134؛ ابن الاثير، الكامل، ج 7، ص 399.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 136.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

وكان للشذوات إسهامها في معركة أخرى. إذ تناهت إلى الجيش العباسي إن لصاحب الزنج وأتباعه أراضي بمنطقة نهر الغربي لهم فيها مزارع تمدّهم بحاصلات مختلفة منها الخضر وتربطهم بها قنطرتان على نهر الغربي. فتشاور الموفق مع ولده أبو العباس ووضعوا خطة من ثلاث محاور يتولى أبو العباس أحد المحاور إذ يتوجه في شذواتٍ عديدة فيها انجاد رجاله إلى فوهة نهر الغربي ومعه قوّة من بيضان غلمانه وسودانهم<sup>(1)</sup>. وما ان حققت قوى المحورين الباقية أهدافها والتحمت بالاعداء وحالما شاهد أبو العباس ذلك دخل النهر بشذواته ونشر رجالته على ضفتي النهر ليستخدم القتال وتنكسر جبهة الزنج إذ لم ينجو منهم إلا من ولى هارباً بجلدته<sup>(2)</sup>.

وقد أتضح للقيادة العباسية والأمير الموفق إن ساعة الحسم قد حانت. لذا فقد كانت (المختارة) عاصمة الزنج وضفتها الشرقية بخاصة على موعد مع الهجوم الشامل. ولا بد من قرع طبول الحرب، فعزم على التوجه إلى حيث يخندق المتمرّدون، فأصدر توجيهاته بإعداد وإدامة السفن والمعابر وتصليح الشذوات والسُميريات إلى سائر آلات الحرب البرية والنهرية<sup>(3)</sup>.

إجتمع الأمير الموفق مع قاداته اذ وزع عليهم المسؤوليات، فقسّمهم إلى سبعة ارتال كانت حصّة أبو العباس أن يقود رتلاً مكوناً من أصحابه وغلمانه فضلاً عن ما ضمّ إليه من المشاة والخيول والشذوات يتجه بها إلى الجانب الشرقي قبالة دار المهلب<sup>(4)</sup>.

في يوم الاثنين 26 محرم 270هـ/ 5 آب 883 م عبر الأمير الموفق إلى نهر أبي الخصيب، وبرزت الأرتال من مواضعها لتتأهب برؤية إشارات متفق عليها لبدء الهجوم. وحين أوعز الأمير الموفق بإعطاء الإشارات التي كانت عبارة عن علم أسود كبير يرفرف وبوق ضخّم له صوت عالي. دخل الأمير الموفق يقود

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 135؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 400.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 135؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 400.

(3) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 137.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 137؛ العلي، صالح احمد، خطط البصرة ومنطقتها، (بغداد 1986)، ص 181.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

رتل الشذوات إلى نهر أبي الخصيب، والأرتال بدأت تزحف، فحققت الأرتال هدفها وسقطت الضفة الشرقية في يد الجيش العباسي وهرب قائد حركة الزنج (علي بن محمد) وأركان قيادته إلى مكان قد هياه مسبقاً له ولإتباعه عند نهر السفيناني<sup>(1)</sup>.

طارد لؤلؤ وأتباعه الفلول المهزومة فعبر خلفهم نهر السفيناني وهم يواصلون هروبهم حتى نهر القريري وهو مصرّ على ملاحقة صاحب الزنج وأتباعه فأوقع بهم فهربوا عابرين النهر فأقتحمه لؤلؤ حتى أوصلوهم إلى نهر المساوان الذي عبرته تلك القوة لتتموضع بجبل بعد النهر<sup>(2)</sup>.

كان لؤلؤ وجنده يرغبون عبور نهر المساوان وملاحقة صاحب الزنج وأتباعه إلا أن الأمير الموفق أصدر أوامره بالتوقف عن المطاردة معبراً للؤلؤ ولجنده عن التقدير لاندفاعهم الشجاع<sup>(3)</sup>، الذي تميزوا به وبما أن الوقت قد آل إلى غروب الشمس فقد أمرهم بالانسحاب إذ حملهم في شذواته محيطاً إيّاهم بالتكريم والحفاوة<sup>(4)</sup>.

أصدر الأمير الموفق توجيهاته إلى القادة والغلمان كافة بالمبيت في جانب دجلة الشرقي قبالة عسكر الزنج وليكونوا بأعلى درجات التأهب من أجل محاربتهم في غد اليوم التالي<sup>(5)</sup>. ثم أخذ يطوف بشذواته على مواقع القادة وجندهم طيلة الفترة الواقعة بين عشية الجمعة وليلة السبت، يوزعهم على المواقع والمواقع التي يرتئها مناسبة<sup>(6)</sup>.

وحملت شذاة أبي العباس وتحت حراسة رجال مسلحين كبار الاسرى، وهم كبار قادة الزنج المقربين منه، وهم سليمان بن جامع، وإبراهيم بن جعفر

(1) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 137-138، ابن الجوزي، المنتظم، ج 5، ق 2، ص 70؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 401.

(2) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 139.

(3) - ابن أبي الحديد، شرح، ج 8، ص 208.

(4) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 139؛ ابن الأثير، الكامل، ج 7، ص 402.

(5) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 140.

(6) - الطبري، تاريخ، ج 8، ص 140.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

الهمداني، ونادر الأسود المعروف بالحفّار وهو من أصحاب قائد الزنج القدماء<sup>(1)</sup>.  
بعد ان امر الموفق بتوثيقهم بالحديد<sup>(2)</sup>.

ويوم قتل علي بن محمد (صاحب الزنج) كان الجيش العباسي بعامة  
والأمير الموفق بخاصة قد غمرتهم الفرحة بالقضاء على هذه الحركة العارمة.  
إذ كانت نشوة النصر تملأ تقاسيم وجه الأمير الموفق، فانصرف في موكب رسمي  
وسط احتفال بهيج (( ورأس الخبيث منصوب بين يديه على قناة في شذاة  
يخترق بها نهر أبي الخصيب والناس على حافتي النهر ينظرون إليه حتى وافى  
دجلة فخرج إليها ))<sup>(3)</sup>.

وفي دجلة أمر الأمير الموفق بإعادة السفن والمعابر التي سبق وأعادها الى  
ضفة دجلة الشرقية ، فيما واصل الأمير الموفق مسيره في موكبه النهري ((ورأس  
الخبيث بين يديه على القناة وسليمان بن جامع والهمداني مصلوبان في الشذا  
حتى وافى قصره بالموفقية ))<sup>(4)</sup>.

وللزيادة في طمأنة الجند والناس هناك، فقد انتدب الأمير الموفق ولده  
أبو العباس ليطوف بالرأس على باقي المعسكر ليزيد من طمأنة المقاتلة فركب  
الشذا وطاق بالرأس وسليمان بن جامع والهمداني مصلوبان فيها متجهاً الى  
نهر جطى إذ هناك بداية عسكر الموفق<sup>(5)</sup>.

هكذا نقل لنا التاريخ هذه الصورة المشرفة للأسطول الحربي للجيش  
العباسي الذي جاهد وكافح بكل ما اوتوا من قوة من أجل الدفاع عن وحدة  
الدولة العربية الإسلامية وسلامة أراضيها .

(1) - الطبري، تاريخ، ج8، ص141، ابن الاثير، الكامل، ج7، ص403؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص44.

(2) - ابن ابي الحديد، شرح، ج8، ص210.

(3) - الطبري، تاريخ، ج8، ص141.

(4) الطبري، تاريخ، ج8، ص1141-142، ويذكر ابن ابي الحديد في شرحه، ج8، ص211، إن الاسيران مصلوبان

احياء في شذاتين عن جانبيه.

(5) الطبري، تاريخ، ج8، ص142.

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

خاتمة:

من خلال هذه الرحلة التي أمضيناها مع الاسطول الحربي للجيش العباسي والذي تتبعنا تحركاته طيلة صفحات الحرب الضروس والتي دامت لأكثر من 14 عاماً، فقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

- امتازت الأرض التي شهدت هذه الحرب الضروس بكثرة الأتهار والجداول التي تشقها.
- اضطر الجيش العباسي إلى استخدام سفن متنوعة تسهل عليه اجتياز هذه الموانع، فكان الاسطول الحربي.
- استخدم الجيش العباسي أنواعا عديدة من السفن صغيرها وكبيرها، شهدت لها ساحات الحرب بكل صفحاتها .
- ولضخامة الأسطول وتنوع مراكبه واختلاف أحجامها ومهامها، فقد كان له قائده الذي سمّاه الطبري (( قائد جيش الماء )) .
- كانت منطقتي سيراف وجنابا الواقعتين على الخليج العربي هما اللتان تبنيان السفن للجيش العباسي .
- وعلى أساس ذلك فقد كان للجيش العباسي معملا لصيانة وإدامة سفن الأسطول .
- كان للشذوات والسُميريات اسهام فاعل في حسم هذه الحرب، إذ تبين أن هذين النوعين من السفن كانا متلازمين في مهامهما في الغالب، إذ غالبا ما تكرر الشذوات إلا والسُميريات معها .
- كان للشذوات شرف المساهمة في حسم الحرب وحمل رأس صاحب الزنج والطواف به لإعلان الانتصار ونهاية الحرب .

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

جريدة المصادر:

المصادر القديمة:

- ابن الأثير، علي بن محمد ، الكامل في التاريخ ( بيروت 1965).
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (حيدرآباد الدكن، 1938-1939)
- ابن أبي الحديد، عزالدين ، شرح نهج البلاغة . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ( القاهرة 1966).
- ابن رسته، احمد بن عمر، الاعلاق النفيسة. ( ليدن 1891 ).
- الصابي ابو الحسن الهلال بن المحسن بن ابراهيم، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، القاهرة 1958.
- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك ، تصحيح مجموعة من العلماء، ( القاهرة 1939)
- ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية في التاريخ ، ( القاهرة 1932 )
- المجهول ، العيون والحداثق في اخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، ( النجف 1972)
- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت 1955).
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ( بيروت 1955)

المراجع الحديثة:

- الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ،( بغداد 1945)
- زيات، حبيب ، معجم المراكب والسفن في الاسلام، (بيروت، 1950)
- السامر، فيصل ، ثورة الزنج ، ( بيروت 1971 ) .
- العلي، صالح احمد، خطط البصرة ومنطقتها، ( بغداد 1986 )

## الأسطول الحربي العباسي وإسهامه في حسم الحرب ضد حركة الزنج

- عمر، فاروق، تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الأولى ، ط2 (بغداد 1985).
- النخيلي، درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، (القاهرة، 1974) كتب للمؤلف في هذا المجال:
- السامرائي قاسم حسن آل شامان (الدكتور) - صاحب الزنج .. إعادة تقويم ، ( بغداد 1988م) - الطريق الى المختارة ، القصة الكاملة لحرب الدولة العباسية لحركة الزنج ودحرها ، ( عمان 2022م).
- صراع الارادات في العصر العباسي الثاني ، الامارتين الصفارية والطولونية انموذجا، (عمان 2022م).
- الأمير المجاهد ، سيرة الأمير الموفق طلحة واسهامه في السياسة العباسية ، 226 - 278 هـ ( عمان 2022م).

الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب  
في عصر السيادة العربية الإسلامية

الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب  
في عصر السيادة العربية الإسلامية  
Commercial Navigation in the Indian Ocean Between  
Peace and war: During the Era of Arab-Islamic  
Dominance.

د. شفيقة عيساني

(جامعة الجزائر2- أبو القاسم سعد الله)

aissanichafika@yahoo.fr

ملخص:

تتناول هذه الدراسة، الدور المحوري للمحيط الهندي كمركز للتجارة والملاحة منذ العصور القديمة وحتى العصور الوسطى، مع التركيز على الفترة الإسلامية. وساهم الموقع الجغرافي للعالم الإسلامي في جعله وسيطاً للتجارة العالمية، مما عزز من مكانته الاقتصادية والثقافية، واعتمدت التجارة فيه على نظام سلمي قائم على الثقة والشراكات بين ثقافات مختلفة؛ هندية وإسلامية ومالاوية، رغم التحديات مثل الرياح الموسمية والتوترات السياسية. وبرزت مدن مثل البصرة وسيراف في الخليج كعقد تجارية حيوية، أنشأت موانئ استراتيجية لدعم التجارة بين الشرق الأوسط، الهند والصين.

كما كان للصين دوراً رئيسياً في الملاحة البحرية، خاصة في عهد أسرتي تانغ ومينغ، حيث وصلت السفن الصينية إلى الخليج العربي، لكن التراجع في السياسة البحرية الصينية في أواخر عهد أسرة مينغ سمح للقوى الأوروبية بالهيمنة على المنطقة. وشهد النظام التجاري في المحيط الهندي تحولات

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

كبرى مع دخول الاستعمار الأوروبي الذي غير طبيعة العلاقات التجارية، من شراكة سلمية إلى نظام هيمنة عسكري واقتصادي. يدعو النص إلى ضرورة التعاون الإقليمي والدولي لدعم نظام تجاري مستدام يضمن الحقوق والمصالح الاقتصادية للأطراف المختلفة.

كلمات مفتاحية: المحيط الهندي، التجارة والملاحة، الفترة الإسلامية، الموانئ العربية، البصرة، سيراف، صحار العمانية.

### Abstract:

This study highlights the pivotal role of the Indian Ocean as a hub for trade and navigation from ancient times to the medieval period, with a particular focus on the Islamic era. The geographic location of the Islamic world enabled it to act as a global trade intermediary, enhancing its economic and cultural significance.

Trade in the Indian Ocean relied on a peaceful system based on trust and partnerships among diverse cultures, including Indian, Islamic, and Malayan. Despite challenges like monsoon winds and political tensions, cities such as Basra and Siraf became critical commercial hubs with strategic ports supporting trade between the Middle East, India, and China.

China also played a major role in maritime navigation, particularly during the Tang and Ming dynasties, with Chinese ships reaching the Arabian Gulf. However, a decline in Chinese maritime policies in the late Ming era allowed European powers to dominate the region. The

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

Indian Ocean trade system underwent significant transformations with the advent of European colonialism, shifting from a peaceful partnership to a system of military and economic dominance. The text emphasizes the necessity of regional and international cooperation to support a sustainable trade system that protects the economic rights and interests of all parties involved.

**Key word:** Indian Ocean, trade and Navigation, Islamic Era, Arab Ports, Basra, Siraf, Sohar (Oman Port), Geographic Location, Trade Intermediary, Peaceful system, Tang Dynasty, Ming Dynasty, European Colonisation, Military Dominance.

### مقدمة:

ارتبطت البلاد العربية والإسلامية بممالك وإمبراطوريات الشرق الأقصى، وفي مقدمتها بلاد الصين وممالك بلاد التبت وبلاد الهند، بطريق آسيوي بري وأخر بحري، ارتادته القوافل التجارية والسفن البحرية بشكل منتظم، من قبل التجار. فبالنظر إلى الموقع الجغرافي لدار الإسلام أو الخلافة الإسلامية الممتدة على أغلب مساحة آسيا، وفضلاً على احتوائها على ثلثي طرق التجارة العالمية، أهلها لأن تكون هي الوسيط بين البضائع الصينية والهندية وباقي دول العالم، فكان موقعها ذو الأهمية الجيو-استراتيجية، هو ما عكس دورها المحوري في العلاقات الدولية والتفاعل الحضاري.

في هذا السياق شهد المجال البحري الممتد على طول سواحل شبه القارة الهندية والجزر الشرقية وصولاً إلى الصين، زخماً كبيراً لحركة تجارية فريدة، فهو مجال لا يهدأ للنشاط التجاري العالمي ومقصد كل تجار العالم حينها، الساعين

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

الى الحصول أو للترويج لبضائع نفيسة وحيوية، ابتداء من المعادن والأحجار الكريمة وصولاً الى أفخر أنواع البخور والعطور والتوابل والخزف الصيني ومختلف أنواع الحرير والاقمشة المطلوبة في الأسواق والقصور. وعبر الرحلات المشرقية عن طريق البحر وأرخبيل الملايو والصين، سار العرب على التقاليد القديمة، حيث كان خط سيرهم ينطلق من ميناء الأبله الواقع الى الجنوب من مدينة البصرة، كما أن الفرس كانوا حتى عصر السيادة العربية الإسلامية، هم المسيطرون على الميدان وأكثر العناصر جسارة على ركوب البحر، فمنذ عهد طويل كان العنصر الفارسي والعربي- جنوب شبه الجزيرة العربية- هم العناصر النشطة في ميناء كانتون الصيني- هونغ كونغ الحالية- وبلغتا من القوة والغلبة هناك ان وضعتا يدها على المدينة اثر اضطرابات عام 757م. فماهي الظروف التي نشأ فيها هذا النظام التجاري الدولي وماهي أهم مميزاتة ، ومن هي الأطراف المساهمة في استقراره، والى متى بقي ساريا و نشطا بصفة منتظمة وأمنة، وماهي المتغيرات التي دفعت بعض الأطراف المحلية الى العمل على تغييره والاستحواذ عليه؟ وهل كتب لها النجاح أم انها كانت مجرد محاولة مبتورة لم يكتب لها الاستمرارية؟

### 1. القوى الآسيوية وشراكة تجارة المرافئ:

منذ القديم كانت الملاحة البحرية والمبادلات التجارية في المحيط، بيد الفرس والهنود الضليعين في الملاحة البحرية والمعارف الفلكية، وهؤلاء أسسوا لهم ممالك قوية مترامية الأطراف، سواء في شبه القارة الهندية والجزر الإندونيسية وبلاد الملايو، أو في أراضي كمبوديا والفيتنام. وتمتع التجار من فرس وهنود وعرب وغيرهم، بحرية في النشاط ضمن تجارة الشراكة في مرافئ المحيط الهندي The emporia Partnership Trade، القائمة على المبادلات

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

التجارية للأقليات من كافة القوميات منها المستقر ومنها المتنقل، وقد اصطلح على تسميتها بـ " تجارة الشتات " the Trading Diaspora.

وفي مطلع العصر الوسيط، شكل حدثان هامان منفصلان جغرافيا ومتقاربان زمانيا، نقطة البداية لنظام عالمي جديد بالنسبة للتجارة وحضارة المحيط الهندي، ففي عام 618م صعد " لي يوان " " Ly Yuan " عرش الإمبراطورية السماوية الصينية، إثر مقتل آخر أباطرة أسرة سوي the sui dynasty ولقب لاحقا بصاحب النسب العالي، وخلفه ابنه لي-شي-مين Li.Shih-min، الملقب بالجد الأعلى الأكبر " The grand Ancestor "، واشترك الرجلان في تأسيس حكم أسرة تانغ 618-907م، وهي من أقوى الأسر الإمبراطورية التي حكمت الصين، وضعت أسس سياستها الداخلية والخارجية عبر تاريخها الطويل.

وفي الطرف الغربي للجزيرة العربية، وتحديدًا بعد أربعة أعوام، في 6 جويلية 622م، هاجر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، من موطنه مكة ليستقر بالمدينة، وسيطر حينها على الطريق الذي يربط مكة بالشام، وتحديدًا بأسواق غزة وبصرى، وشرع في تأسيس دولة إسلامية مترامية الأطراف، ولم ينقضي النصف الأول من القرن السابع الميلادي، حتى أصبحت القوتان تهيمنان على الطرقي الشرقي والغربي للمحيط الهندي، وغدت منطقة جاوة هي نقطة التقاء واحتكاك الطرفان تجاريا.<sup>(1)</sup>

حينها بدأت فترة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية، كان لها انعكاسها على حركة الافراد والتجار من مختلف الجنسيات، في حوض وشواطئ المحيط الهندي، وكان في مجمله يتم بطريقة سلمية، حيث كان يمتاز بحرية ونشاط

(1) - Chaudhuri K.N : Trade and civilization in the Indian ocean ,an Economic History from the Rise of Islam to 1750 , Cambridge University Press ,2001,P.34.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

تجاري كبير، لثراء المنطقة بسلع لا يمكن الاستغناء عنها سواء من نباتات عطرية أو توابل أو احجار كريمة وأقمشة مخملية وأخرى ذات رفاهية منقطعة النظر.

خلال فترة السيادة الإسلامية- القرن الأول /7م إلى التاسع الهجري -15م- كان هناك نطاقين تجاريين حيويين، يقعان على حدود سوق واسعة غنية بسلعها الثمينة المطلوبة، يمتد خارجيا على سهوب آسيا الوسطى المعروف بطريق الحرير البري، كما يمتد في ما وراء خلجان البحر الفارسي، والبحر الأحمر ما عرف بطريق التوابل أو طريق الحرير البحري<sup>(1)</sup>، وكلاهما كانا يمثلان موردا ماديا معتبر سواء للخلافة الإسلامية أو الممالك الهندية، الواقعة على السواحل البحرية، وصولا إلى الإمبراطورية الصينية مقصد كل التجار المنطلقين من الغرب نحو الشرق. غير أن الطريق الأكثر أمنا وسلوكا من طرف التجار كان الطريق البري الذي لم يكن يحاد عنه إلا فترات الحروب والفوضى الداخلية، ذلك لخطورة الطريق البحري الذي تتحكم في الرياح الموسمية، وفي هذا الموضوع سجل التاجر اليهودي بن يامين التيطلي الأندلسي Benjamain of Tudéla، أن للوصول إلى بلاد "Zin (الصين) يجب المرور عن طريق بحر محفوظ بالمخاطر لأن به رياح قوية وتطول رحلته البحرية.<sup>(2)</sup>

فكان أغلب مرتادي المحيط الهندي يخشون فكرة الإبحار فيه، ومنهم التاجر اليهودي يعقوب الأنكوني فلولا الضرورة التي فرضتها أعماله التجارية

(1) - Hourani,J.F : Arab seafaring , Khayat ,Beirut, 1963,P.64.

(2) - BenJamain of Tubela : The itinerary of ben jamain of tudela, translated by Marcus Nathan Adler, Frankfurt University 1995, edited by fuat sezguin, In : Islamic world in foreign travels accounts ,vol.60, P.59.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

المتراجعة هناك، لما عرض نفسه لخطر العواصف البحرية القاتلة في المحيط الهندي.<sup>(1)</sup>

من ناحيتها لم تكن الصين-وهي أهم منشط للتجارة في المنطقة- في حاجة الى الترويج وتسويق بضاعتها مع البلاد الغربية فحسب، بل كانت لها دوافع دينية قوية، تحثها على الحفاظ على روابط قوية مع الهند، وذلك باعتبارها مهدا لبوذية، فاستنادا إلى المنشورات الأخيرة للمؤرخ شينرو ليو (Xinru Liu) (1996؛ 1995؛ 1988)، التي شملت السجلات الصينية حول العلاقات الصينية الهندية المبكرة و اتصالات الصين المبكرة مع البحار الجنوبية. حُلصَ إلى أن تفاعلات الصين المبكرة مع الهند كانت مدفوعة جزئيا بدوافع عسكرية واقتصادية وثقافية وهي؛ التماس مساعدة الهند في تأمين حدود الصين الغربية، والبحث عن طريق تجاري إلى الغرب كبديل لطريق الحرير في آسيا الوسطى؛ والسعي إلى الوصول المباشر إلى موطن الديانة البوذية، كمصدر للنصوص الدينية المقدسة، والتحف والأشياء الطقسية، ومركز للحج حيث يمكن للرهبان الصينيين دراسة البوذية.<sup>(2)</sup>

من ناحية أخرى ومنذ القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي، اتسع نشاط التبادل التجاري بين الصين وبلاد فارس والجزيرة العربية، وأصبح ميناء سيراف على الساحل الشرقي للخليج الفارسي هو مرسى السفن الصينية " الجنك " " Junk"، وكانت أسرة تانغ قد أطلقت العنان للتجارة البحرية

(1)- Jacob D'Ancone di Salomone : La cite de Lumière , traduction mise en conformité avec le manuscrit Original et annoté par David SELBOURNE, traduit de l'Anglais par Pierre-Emmanuel DAUZAT, Librairie Arthème Fayard, Paris, 2000 , P.55.

(2)- KENNETH.R: local and international trade and trader in the straits of melaka region 600-1500, in Journal of the Economic and social history of the orient, 2004,vol.47,No.2(2004),p.215. :

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

والانفتاح على الممالك الغربية، حتى أنها أشارت في سجلات حولياتها التاريخية المعروفة بـ " كوانغ تونغ " Kawang Tung، الى وصول المسلمين الأوائل إلى الصين كتجار أجانب فسجلت " في بداية عهد تانغ، وتحديدًا إلى ميناء كانتون أعدادًا كبيرة من بين جملة الأجانب من ممالك الأنام Annam كمبوديا، "ومن مملكة " مو.ده- Mo -De -nal ( المدينة) وهؤلاء الغرباء يعبدون السماء (الله) دون صورة أو تمثال في معابدهم، وهذه المملكة قريبة من الهند، ديانة أهلها تختلف في أصولها عن البوذية، وهم لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر ويعتبرون أي حيوان لم يذبح على طريقتهم غير طاهر، ويعرفون اليوم بـ هوي هوي Hui-Hui وكانوا قد سألوا الإمبراطور أن يسمح لهم بالإقامة في " كانتون" ووافق على طلبهم فأنشأوا فيها دورًا رائعة ذات طراز مختلف عن دور بلادنا، وهم تجار أثرياء جدا، ويطيعون الزعيم الذي اختاروه بأنفسهم ليرأسهم " (1)

لذلك يرجح أن استقرار التجار المسلمين في "كانتون" يعود الى هذا الوقت المبكر، وهو ما يؤكّد فكرة أن دخول الإسلام إلى الصين أول الأمر كان عن طريق البحر. غير أنه توجد مؤشرات أخرى في سجلات الصينية التي يمكن اعتمادها، والخاصة بالعلاقات الدبلوماسية تشير إلى وجود اتصالات بين المسلمين، وأباطرة أسرة تانغ عن الطريق البري، وذلك حين أسقط المسلمون حكم الإمبراطورية الساسانية وقضوا على "يزدجرد" آخر الأكاكسة الفرس، فاستنجد ابنه فيروز بإمبراطور الصين طالبا مساعدته، لكنهم رأوا أن بعد المسافة حتى بلاد فارس يصعب من مهمة انتقال الجيش، وقاموا بإرسال سفارة إلى المسلمين في المدينة لتحرير حقيقة هؤلاء القوم الذين أطاحوا بالملك

(1)- ARNOLD,T.W: the Preaching of Islam , A History of the Propagation of the Muslim Faith , constable and company LTD , second edition. London ,1913, P.294-295.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

الساساني، وحسب السجلات الصينية أرسل الخليفة عثمان بن عفان أحد قاداته العسكريين، لمرافقة السفارة الصينية في طريق العودة، وكان ذلك عام 30هـ/651م، واستقبله الإمبراطور بحفاوة كبيرة.<sup>(1)</sup>

حسب ما سجلته حوليات أسرة تانغ فإن السفن التجارية الصينية ترددت على ميناء " وولا- wula " أي الأبله جنوب البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ( 13-22هـ/634-643هـ)، وبالرغم من أن ليس هنالك ما يؤيد هذه الرواية، لكن الأرجح أنه كانت ثمة جماعة من السفن المتعددة الجنسيات ترددت على الميناء، منتقلة بين موانئ الخليج الفارسي والموانئ الجنوبية للصين لاسيما ميناءها المركزي حينها " كانتون"، فيبدو أن الازدهار الذي عرفته الصين في فنون الملاحة البحرية، أوصلت السفن الصينية إلى سواحل الجزيرة العربية، وكانت تستورد المواد النادرة والجديدة، خاصة منها المواد العلاجية الطبية التي كثر الطلب عليها أكثر من ذي قبل.<sup>(2)</sup>

### 2. السفارات الدبلوماسية والعلاقات العسكرية وانعكاسها على النشاط التجاري:

كان للبيت الأموي دور كبير، في ربط علاقة اقتصادية متينة مع بلاط أسرة تانغ، ذات النفوذ في البحار الشرقية، فقد وجه الأمويون اهتمامهم نحو ارتياد البحر وتنظيم وتنشيط المبادلات التجارية فيها، على الرغم من تنوع مكوناتها العرقية والعقائدية، وفي هذا السياق كتب في القرن الأول الهجري جون أوف فيناك John of Phenek أحد المسيحيين النساطرة من شمال

(1) - ARNOLD,T.W : op.cit , P.295

(2) - JiH- Ming- chang : Les Musulmans sous la chine des Tang(618-905),Cheng wen-Taipei,1980 , P.96

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

الجزيرة الفراتية Mésopotamia ، واصفا عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان فسجل ما يلي: " في عهده، أزهـر العدل تحت حكمه ،وعمّ سلام كبير في البلاد التي تسوسها قوانين دولته .... وأعطت الأرض ثمارها بسخاء كبير، وعمت الأخوة والرخاء بين الناس وتضاعف حجم التجارة."<sup>(1)</sup>

وكان للاحتكاك العسكري الأموي- الصيني في عهد الوليد بن عبد الملك 86-96هـ/705-715م، دور في تعريف الحكام الصينيين، بمدى قوة وخسارة جيوش العربية الإسلامية، حينما فتح القائد قتيبة بن مسلم الباهلي مدينة كاشغر Kachgar في آسيا الوسطى التي كانت ضمن المحميات العسكرية الصينية في المنطقة وأرسل سفارة إلى الصين معلنا دخول المنطقة برمتها تحت سيطرة الخلافة الأموية.<sup>(2)</sup>

وبعد فترة زمنية قصيرة أشارت الحوليات الصينية إلى وصول سفير عربي يدعى سليمان من طرف الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام 107هـ/726م في عهد الإمبراطور هسوان تسونغ Hsuan-Tsung . وكان لهذه السفارات دور في دعم مكانة التجار المسلمين، ومصالحهم في الصين، وتوالت السفارات الديبلوماسية للأمويين في البلاط الصيني، كتلك التي سجلتها في الفصل 795 حوليات الشهر الثاني عشر، حسب التقويم الصيني الموافق ل 123هـ/741م حيث وصل سفير من بلاد داشي (العرب)، ليقدم تَحِيَّاته واحترام ملكه، وقد

<sup>(1)</sup> - CHAUDHURI, K.N: Op.cit , P.44، أنظر أيضا، مايكل فليب بن : حين التقى المسيحيون بالمسلمين أول مرة، مرجع لأقدم الكتابات السريانية عن الإسلام ، ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم، اشراف عام حاتم حمدان ، تدقيق لغوي مكتب محرر، شركة جليس للنشر والتوزيع ،د.ت، ص.121-122.

<sup>(2)</sup> - ARNOLD ,T.W : op.cit , P.295.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

تم اعطائه لقب "القائد العام للحرس كيو - وُو" Kiu-ou ، كما منح رداء بنفسي مع زنار مزدان بالفضة.<sup>(1)</sup>

إلا أنه يعود أقوى عوامل تكوين مجتمع التجار المسلمين الأوائل في الصين إلى عام 138هـ/756م، وذلك في خضم أحداث الانقلاب على الإمبراطور الصيني هسوان تسونغ، حين طلب من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بدعمه عسكريا، فأرسل كتيبة من الجنود المسلمين الذين نجحوا في مسانדתه، واستعاد عاصمتي ملكه وهما مدينة سنيان فو Singan- Fu، و"هو- نان- فو" Hu.nan-Fu من أيدي المتمردين، ويبدو أن هذه الحادثة كان لها نتائج غاية في الإيجابية وبعيدة المدى، أبعد من الحفاظ على حكم الامبراطور " هسوان " حيث لم يغادر الجنود المسلمين الصين. وتذكر الروايات أنهم نقلوا إلى مدينة كانتون الساحلية للإبحار إلى البلاد الإسلامية من هناك، إلا أنهم أرادوا الاستقرار بها والاشتغال بالتجارة لاسيما وأن جماعة من التجار المسلمين كانوا يقيمون في المدينة- من عرب و فرس- إلا أن حاكم المدينة رفض وأراد ترحيلهم بالقوة الأمر الذي دفع بهم إلى التمرد والتسبب في احداث شغب في كانتون، ونهبوا البيوت التجارية الكبرى بها. ويبدو أنها كانت ثورة عارمة أجبرت حاكم المدينة لاحتفاء داخل القلعة، ولم يدخل إلى المدينة حتى اعطاه الامبراطور موافقته بالسماح لهؤلاء المقاتلين المسلمين بالبقاء في كانتون والاقامة بها، ليس هذا فحسب وإنما منحهم منازل وأراضي في مدن مختلفة، حيث استقروا وتزوجوا بصينيات.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> - CHAVANNES ,E.D : « Notes additionnelles sur les Toukiue Ture occidentaux » in Toung Pao, BiLL Leiden 1906 , serie II , Vol 5 , P.67.

<sup>(2)</sup> - De THIERSANT Darby .P : Mahometisme en chine, PP.70-71, Arnold.T.W : opcit,P.296.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

يبدو واضحاً أن الصين، كانت تعاني من ضعف عسكري واضح، دفع بها إلى الاستعانة بطرف خارجي للتحكم بزمام الأمور، فضلاً عن أن هذه الأحداث المروية في حوليات أسرة تانغ، تؤكد وجود تجمع للتجار المسلمين استقروا في مدينة كانتون، منذ زمن أبعد من تاريخ هذه " الثورة"، وأن أعدادهم الكبيرة ساهمت في أحداثهم فوضى عارمة، وفي هذا السياق ذكر " حوارني" أن هذه آخر مرة، أُشير فيها إلى " بوسي" الفارسي في الحوليات الصينية، حيث استبدلت منذ ذلك الحين بمسمى " داشي" Dashi/Duoshi/Tachi ، وهكذا عُرف التجار المسلمين في السجلات الرسمية في الصين <sup>(1)</sup>.

ويمكن القول أن متانة العلاقة، بين الحكام المسلمين- سواء من أمويين أو عباسيين- مع الأباطرة " تانغ" هو ما ساهم في انتشار الإسلام في الصين، وذلك عن طريق السماح بإنشاء مستوطنات للتجار المسلمين، في أكبر مدن الساحل الجنوبي الصيني، التي أصبحت مرتكزا لنشاطهم التجاري، ومنطقهم منها. وكان من أهم نتائج حادثة نهب كانتون عام 140هـ/758م، أن مُنع التجار الأجانب، من الوصول إلى المدينة لفترة زمنية طويلة، أصبح خلالها ميناء " تونغ كينغ" Tong-King <sup>(2)</sup> هو الحد الذي تتوقف عنده السفن التجارية

(1) - HOURANI, J.F: op.cit , P.63 , VENDERMEERCH:« Les Relation sino.Arabes aux XV et XVI,un chapitre de L 'Histoire des Ming» , in cahier de L'Inguistique , d'orientalisme et de slavistique , n°1,2, P.271.

(2) - عرف بكياو-شي Kiau-Chi في المصادر الصينية، يرى إدوارد شافان E. chavannes أنها التسمية القديمة لإقليم هانوي Hanoi ، وأضاف بيليو Pelliot أنها التسمية الأصلية المُحرّفة، لما يعرف اليوم بإقليم كوشين- شين Cochinchina ، والواضح أنها المنطقة الساحلية المحاذية لجنوب شرق الصين، على الساحل الأنام Annam. وقد ذكر الموظف الصيني شو-جو-كو chu.Ju.kua ( القرن.12م) أن كل الأسر التي حكمت الصين حرصت على إبقاء كتائب من الجيش الصيني على هذا الساحل بصفة مستمرة، وقد تعرضت هذه السياسة، لانتقادات كثيرة داخل الصين، بوصف أن المنطقة لا تعود بفائدة اقتصادية كبيرة على الصين، بينما الوجود العسكري الصيني فيها أثقل خزينة الدولة، إلا أن نزعها التوسعية جعلتها تحافظ على تواجدها هناك. للمزيد يراجع:

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

الأجنبية، إلى أن أعيد فتح مرافئ مدينة كانتون أمام نشاط الأجانب عام 175هـ/792م وذلك حسب ما أشارت إليه السجلات الصينية<sup>(1)</sup>.

ونشطت بوضوح شراكة التجار المسلمين، في أكبر المرافئ الهندية والصينية، منذ مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فكان أن أنشأ التجار المسلمون القادمون، من سواحل البحر الأحمر والخليج الفارسي، مستوطنات تجارية حضارية على سواحل المحيط الهندي، وحتى\* في السواحل الشرقية لأفريقيا في أكثر من موضع، كمقديشو وزنجبار وكيلوا، التي ارتبطت بتجارة المحيط الهندي. وليس هناك أدنى شك في أنه لم يكن حينها أي نوع من الحقد الديني اتجاه المسلمين في كل من الهند والصين.<sup>(2)</sup>

ولقد كان من مظاهر انصهار التجار المسلمين في المجتمع الصيني، تشبع المسلمين بالملاح الصينية وذلك بفعل المصاهرة، كما وجها مخاطر التقلبات السياسية التي مرت بها الصين، خاصة في الفترات الأخيرة من عمر أسرة" تانغ"، فعندما قامت ثورة المتمرّد هوانغ شاو Huang chao عام 264هـ/878م، وقضت على أكثر من مائة وعشرون من التجار الاجانب، كان أغلبهم من المسلمين، هذا إلى جانب مسيحيين النساطرة، ويهود ومجوس، ويعود سبب ذكر أعدادهم إلى أن الإدارة الصينية كانت تقوم بإحصاء التجار الأجانب المقيمين في الصين

---

Chu.Ju.Kua : His work on the Chinese and arabe trade in the twelfth and thirteenth centries entiled. Chu-fan-chi, Translated by Friderich Hirth and ww. Rochkhill, in Islamic world in foreign travel accounts, Frankfurt University, P.45-46 ,1996.

(1) - HOURANI , J.F : op.cit, P.66

(2) - CHAUDHURI, K.N : op.cit , p.44

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

حتى تضبط قوائم الضرائب. ويدل هذا العدد المعتبر للتجار الأجانب في مدينة كانتون على الحجم الكبير للمبادلات التجارية في الصين أواخر عهد "تانغ"<sup>(1)</sup>.

ولقد أتبعَت هذه الأحداث الدموية في المدينة. بحالة من الفوضى فرض فيها التضييق على الجاليات المسلمة العربية، وسجلت تجاوزات في التعامل مع أصحاب المراكب المرتادة للمرافئ، كما عمد هؤلاء المتمردين إلى فرض أعباء رسوم إضافية غير قانونية وجائرة على التجار، ثم قاموا بمصادرة ثرواتهم، في الوقت الذي ضعفت فيه قوة أسرة "تانغ" ما جعلها تفقد زمام الأمور.<sup>(2)</sup>

### 2. شبكة المدن ومرافئ التجارة في المحيط الهندي:

من الجهة الغربية، تم اعتماد -في البداية- ميناء الأبله الساساني في التواصل التجاري مع المراكز التجارية في المحيط الهندي، ثم أتبعَت بمدينة البصرة التي أنشأت حديثاً 17هـ/638م. ومدن الساحل الفارسي مثل سيراف و كيش وهرمز التي سرعان ما ازدهرت في خضم تجارة المرافئ الكبرى. وكان ملاك السفن وأصحاب المراكب القادمين من الشرق يجدون أسواقاً جاهزة للتبضع بالسلع، لاسيما وأن مواعيد رحلاتهم مرتبطة بمواقيت الرياح الموسمية، فيحملون ما يحتاجونه يسلكون طريق العودة إلى أوطانهم، فقد مثلت البصرة لقرون عديدة المرفأ التجاري الأول والمدينة الإسلامية بكل مقاييسها، هذا إلى جانب أن كل من العراق وبلاد فارس كانتا قديماً مركز الحضارة الفارسية بمكوناتها الاقتصادية الثرية.<sup>(3)</sup>

(1) - HOURANI ,J.F :op.cit , P.77-78.

(2) - HOURANI ,J.F :op.cit , P.77-78

(3) - CHAUDHURI , K.N :op.cit , P.47.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

كانت البصرة بالنسبة لتجار العالم في العصر الإسلامي، مبدأ التجارة البحرية للتوابل والحريز، وأهم أبواب المحيط الهندي، وبها مركزا تجاريا تفرغ فيه حمولة المراكب، والسفن التجارية القادمة من كل مكان، كما شحن منه بضائع متنوعة، ففي البصرة مصانع لأنواع ثمينة من الأقمشة الحريرية، التي تختص بصناعتها- وحسب ما نقله التاجر الأنكوني يعقوب اليهودي، كان يجلب منها الحرير المشجر بكل أنواعه نقشي Nacchi، ونقشيني Nacchini والبروكار Brocarts، المزدانة بزخارف ورسوم مميزة لحيوانات برية كالأسود والديبة وغيرها، وهي منسوجة بخيوط ذهبية تدل على مهارة حرفية عالية جدا. وكانت بالبصرة ورشات لبناء السفن التجارية الكبيرة القاطعة للمحيط الهندي نحو جزيرة سيلان ( سيرلانكا)، وقد كانت شركات تجمع ملاك مسلمين ويهود.<sup>(1)</sup>

كما لا يمكن إغفال الدافع الاقتصادي التجاري وراء اختيار الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور لموقع مدينة بغداد عندما أمر بإنشائها، فلقد وقع اختياره على الأطراف الجنوبية لنهر دجلة، لارتباط النهر بمياه المحيط الهندي، وخيرات و سلع الشرق الآسيوي، حول هذا نقل الطبري في كتابه على لسان المنصور عن سبب بناءه المدينة في الموضع التي هي عليه " هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء، يأتينا فيها كل ما في البحر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينية و ما حول ذلك، وهذا الفرات يجي فيه كل شيء من الشام والرقّة وما حول ذلك ". فأصبحت بغداد بعد اتمام بناءها عام 146هـ، مرسى لبضائع من مختلف ممالك وإمبراطوريات العالم حينها، فلم تكن تصل إليها بضائع البصرة، والأبله وعمان فحسب، ولكن كانت تصلها تجارة الشام ومصر وشمال افريقية، وأذربيجان وأرمينيا واصفهان وخرسان،

(1) - D'ANCONE , Jacob : La cité de Lumière , P.84, 84

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

ومن بلاد الروس والبلغار عن طريق الفرات، والدجلة فكان اختيار موقع المدينة بين مجرى نهريين كبيرين وبالقرب من المحيط الهندي أن جعلها سوقا كبيرة وخاضعة لبضائع ثمينة وباذخة وتصلها من كل أصقاع الأرض. حتى الصين وهي أبعد الممالك.<sup>(1)</sup>

فيما بقيت مدينة البصرة محافظة على صدارتها الاقتصادية والتجارية حتى في الفترة التي تلت سقوط العاصمة بغداد في يد المغول، فذكر التاجر يعقوب الأنكوني الذي زار المدينة في حدود عام 668هـ 30-31 جويلية 1270، أن نشاط التجار الاجانب في المدينة كبير جدا، واغلبهم قدموا من الهند الكبرى والجزر الأندونيسية ومن الصين، لاسيما وان المدينة مرتبطة بمرفأ جميل يعرف بـ " صراغي " Saraggi" تصله السفن الصينية التجارية الكبيرة وتستخدمه في إنزال أو شحن البضائع، وللهود مستودعات في المرفأ، كما لهم ورشات لبناء المراكب ويأجرونها إلى التجار الذين يقصدون بلاد الهند.<sup>(2)</sup>

وقد وصلتنا رحلات وصفية لهذا الزخم، من النشاط والتفاعل الاقتصادي والثقافي بين شعوب والامبراطوريات الاسيوية؛ منها ما أورده ابن رسته من حقائق نقلها عن شخص غير معروف وهو عبد الله محمد بن اسحق، الذي أمضى مدة عامين في مملكة قمارأي خمير كمبوديا الحالية، وأخذ عنه ابن خردادبة وجغرافيين آخرين.

حتى حدود القرن الخامس الهجري /11م كانت المراكب، والسفن الناشطة في مرافئ التجارة في المحيط، هي مراكب لتجار من مختلف الجنسيات الأجنبية والمحلية، ويأتي المسلمون في مقدمتهم إلى جانب مراكب الممالك الهندية، والجاوية

<sup>(1)</sup> - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1976، ج7، ص.614.

Hourani J.F, op.cit, P.64

<sup>(2)</sup> - D'ANCONE,J: op.cit, P.84

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

" سيريفيجايا Sirivilaya"، فضلا عن نشاط السفن التجارية الصينية التي كانت تصنف ضمن النوع الثاني من تجارة الشتات غير المستقرة، وكانت قد أخذت لها مكانا في مرافئ ساحل الكورومندل والمالابار جنوب الهند، وأصبحت منطقة عبور أساسية لسفنها أثناء اتجاههم نحو بحر العرب والخليج الفارسي وسواحل البحر الأحمر، حيث تُسَوَّق سلعها من توابل وخزف وحرير وشتى أنواع أعواد العطور وت شحن البضائع المطلوبة في الصين.<sup>(1)</sup>

ومع ظهور أسرة صونغ الصينية ( 960-1279م) بدأت تطراً تغييرات على نظام التجارة البحرية، حيث برز مع الوقت طموحها الكبير في الهيمنة على تجارة التوابل والحرير على الطريق البحري، ثم تبعتها أسرة يوان المغولية على نفس الخط الاقتصادي متعهدة تطوير وتقوية الأسطول التجاري الصيني، منتزعة بشكل تدريجي سيطرة المسلمين على تجارة التوابل في المحيط الهندي، ومنشئة لشبكة بحرية أوسع من ذي قبل سمحت بارتفاع عدد المبعوثين الصينيين إلى الخارج وأصبح تقليدا منذ ذلك العهد.<sup>(2)</sup>

### 3. المعاملات والعقود التجارية في أسواق المحيط الهندي الى القرن 7هـ/13م:

كان شكل المبادلات التجارية في الأسواق الساحلية للمحيط الهندي يعتمد في الأساس على حركة كبار التجار وبراعتهم في انتقاء السلع المطلوبة وبأثمان مناسبة لإعادة تسويقها في أسواق المرافئ حيث يكثر الطلب عليها

<sup>(1)</sup> - TENSEN.SEN : «the formation of chinese maritime networks To southern Asia 1200-1450 » in JESHO N°49, 4 , BriLL Leiden , 2006, P.422.

<sup>(2)</sup> - HALL,D.G.E: A History of south. East Asia , London , MacMillan and company new york,1955, P.56 ; MENZIS Gavin: 1421 L'Année ou La chine a decouvert L'Amerique , Traduit Par : Julie sauvage , Edition Intervalles, 2012, P.27.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

فكانت تنقل من إقليم إلى آخر ويجني التجار أرباحا طائلة منها. فكان كبار التجار ملزمون- عموما- بمرافقة بضائعهم إلى أسواق ما وراء البحر حرصا منهم على أموالهم وتجارتهم، وفي حالات أخرى كانوا يقومون بتكليف شركاءهم التجاريين الصغار للقيام بهذه المهمة، أو ينتهجون الطريقة الثالثة المعمول بها وهي تفويض وكلاء تجاريين وأصدقاء عن طريق تحرير وثيقة متعارف عليها، تنص بتكفل التاجر الفلاني بحمولة المركب، وتحمل شروط التعاقد الرسمي بين الطرفين.<sup>(1)</sup>

وقد تم العثور في وثائق " الجنيزة " -المخزن باللغة العبرية- في مصر والتي تعود الى العهد الفاطمي، على عقود ومعاملات تجارية بيع وشراء وتوكيلات تجارية، خاصة بيهود شمال إفريقيا وبنشاطهم التجاري في سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي، وهي سلسلة من الوثائق فريدة من نوعها في هذا المجال، تم اكتشافها في حدود النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تمثل رصيذا ثريا للدراسات التاريخية، وتعكس الأبعاد الجغرافية الواسعة لنشاط التجار عامة والتجار اليهود خاصة في العصر الوسيط، حيث تربط بين التجار والوكلاء المقيمين في مدن الموانئ التجارية، مختلف أنحاء العالم حينها.<sup>(2)</sup>

كما لم يكن تجار في العصور الوسطى يحملون معهم الكثير من العملات النقدية، وإنما كانوا كثيرا ما يعتمدون في عملية التموين بالبضائع وفي تسديد حساباتهم على ممثلهم في المحطات التجارية، أو على أفراد من عائلاتهم المقيمة هنا وهناك، او على أفراد من نفس جماعتهم الدينية أو العرقية، ضمن اتفاقيات

<sup>(1)</sup> - Chaudhuri K.N : Trade and civilization in the Indian ocean , an Economic History From the Rise of Islam To 1750, Cambridge University Press , 2001, P.11

<sup>(2)</sup> - حول الوثائق يراجع:

Goitein.SD : Letters Of Medieval Jewish Traders, Translated From The Arabic with introduction and notes , Princeton 1973

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

مالية منظمة، وينتج عن هذه العقود التجارية شراكة قوية ومتينة، فالتاجر المشتري يتعهد ويربط اتفاهه إما شفها أو كتابيا يدفع مبلغ من المال، في مكان آخر قد تم تحديده والاتفاق عليه، بينما كان بإمكانه تسليم القيمة المالية إلى وكيل البائع إلا أن هذه الصيغة المبنية على الثقة تسهل عمليات البيع والشراء للتجار ذوي النشاط الواسع.

كما اعتمدت أشكالاً عديدة أخرى للمعاملات التجارية، كرسائل القرض التي تسحب من عائلات التجار، الذين يتمركزون في المدن الواقعة على طول الطرق التجارية ضمن مستوطنات خاصة، ويعملون بأنظمة خصم معقدة تساعد في تنشيط حركة البيع والشراء، ولقد برع في هذا المجال التجار اليهود والاطاليين في العصر الوسيط.<sup>(1)</sup>

وفي هذا السياق ليس هناك ضمن النصوص الخبيرة التاريخية ما يعطينا صورة أوضح وأدق عن دور العلاقات الأسرية والجماعات العرقية في حركة البيع والشراء في المراكز الساحلية التجارية للمحيط الهندي، اوضح وأدق مما أورده التاجر اليهودي الإيطالي يعقوب الأنكوني Jacob d'Ancone الذي سبق التاجر البندقي ماركو بولو في وصف أسواق السواحل الهندية والصينية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي. فمن خلال نصوص التاجر يعقوب، يتبين مدى التداخل الكبير والواسع للعلاقات العائلية والدينية والثقافية التي تحكم معاملات البيع والشراء، لكافة الطوائف المسلمة والمسيحية واليهودية، وفي نفس الوقت يتبين عدم تقيد العنصر اليهودي بالحدود الجغرافية وغيرها، فهي آخر ما يمكن أن يحد نشاطهم، فالمتبع لرحلة يعقوب التاجر اليهودي من مرفأ بلدته أنكون Ancone الإيطالية المطلة على بحر

(1) - d'Ancone, J : La cité de Lumière, see note : Selbourne, D , P.60

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

الأدرياتيكي إلى غاية وصوله إلى مدينة " زيتون " الصينية، يلاحظ تركز شبكة من العائلات اليهودية من الشركاء وأصهارهم في كل محطات التجارة المنتشرة على طول الطريق التجاري البحري وصولاً إلى الصين، وهي هدف كل السفن التجارية في العالم، فإذا أخذنا عائلة يعقوب بن سلمون كمثال نجده يبرز لنا أن عامل المصاهرة بين كبار التجار اليهود من أهم عوامل دعم وتوسيع شبكة النشاط التجاري اليهودي في العالم، فالتجار ذاته اصطحب معه ابنه إسحق إلى البصرة حيث عقد قرانه على ابنة أكثر تجار يهود البصرة ثراء ويدعى إزاي الصقولي Isai D'AscoLi<sup>(1)</sup>.

ويضيف نفس المصدر، أن الحسابات تجارية بين العائلات أو التجار عموماً، تقام على أساس المراسلات البطيئة، ذلك لأن إدارة الأعمال كانت عملية شاقة مرتبطة بالتنقلات وطول المسافة، وعموماً كان يتم اختيار الوكيل التجاري " Commissi " والساعي Fattori من بين المهاجرين المنتمين إلى نفس العائلة أو الديانة أو إلى نفس البلد، لأن المعاملات التي تستند إلى رؤوس أموال ضخمة أساسها الثقة، ولكن مع ذلك -أكد التاجر اليهودي- أنه لا غنى للتجار الشركاء عن الانتقال والسفر، بين المرافئ التجارية البعيدة للوقوف على البيع والشراء، ومراقبة الوكلاء والسعاة المستخدمين من حين لآخر، وإبطال بعض الاتفاقيات التجارية، وضبط الحسابات، وتحصيل الأموال والديون، وتغيير الموظفين، إذا لم يكونوا في مستوى الأمانة، والمهام المكلفين بها، فهي ضرورة لا يمكن للتجار تغافلها، فيقطعون المسافات الطوال بالرغم من خطورة الملاحة في المحيط الهندي، وبُعدهم لأعوام عديدة عن أهلهم وديارهم، حتى لا تتراجع أموال التاجر حذَّ الإفلاس، كما حدث مع والد التاجر يعقوب<sup>(2)</sup>.

(1) - d'Ancone, J : op.cit, P.84.

(2) - d'Ancone, J : op.cit, P 101.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

ومن مهام الوكلاء التجاريين اللاتين واليهود والأرمن والمسلمين وغيرهم في المرافئ التجارية الصغيرة تسيير شؤون مكاتب الصرافة ومباسط السلع المعروفة لدى التجار الإيطاليين عامة بـ " فونداكو Fondaco، وهي مخصصة للقيام بإدارة حساباتهم التجارية، حيث تتواجد مخازن السلع، فيستلم الوكلاء شحنات من البضائع هناك، ويشترون أو يصرفون أخرى، كما يستلمون دفعات من المستحقات المالية أو ينفذون دفعات مالية، ولكنهم في نفس الوقت يعقدون اتفاقيات تجارية لحسابهم الخاص في المكاتب التجارية المذكورة.<sup>(1)</sup>

ويبدو أن العائلات والشركاء اليهود واللاتين -خاصة منذ القرن هـ/13م- نسجت علاقات تجارية واسعة ليس في مدن المرافئ للبحر الأبيض المتوسط فحسب وإنما في السواحل الشرقية للمحيط الهندي، وفي أكبر مراكزه التجارية، في الهند وإندونيسيا والصين، التي كانت موزعة على طول المسلك البحري، أساسها النشاط الحرفي والشراكة التجارية انطلاقاً من وسط إيطاليا، وكانت أبرز مدنها، البندقية، جنوة وفيرون، توسكانيا، نابولي، ومدن إسبانيا، ومدن الساحل الشامى والمصري، عكا وعزة والاسكندرية، ودمشق والبصرة، وسيراف وهرمز. كما يُستشف مما دَوَّنه يعقوب الأنكوني أن عدد الوكلاء اليهود العاملين لدى تجاريه كبار أو لدى مجموعة شركاء تجاريين مسلمين، كان كبيراً جداً لاسيما المراكز التجارية لسواحل المحيط الهندي، سواء في بغداد أو دمشق أو البصرة وهرمز وغيرها.<sup>(2)</sup>

هذا إلى جانب اشتغال الوكلاء التجاريين في خدمة التجار المسلمين كالبصرة وغيرها فحسب رأي التاجر يعقوب بالرغم من مهارة التجار المسلمين

(1) - d'Ancone,] : op.cit, P 101.

(2) -Ibid..

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

في البيع والشراء، إلا أنه يبقى التفوق في مجال إمساك الحسابات وتحصيلها للعنصر اليهودي.<sup>(1)</sup>

### 4. أسرة مينغ الصينية والتحول في نظام الشراكة التجارية في المحيط الهندي:

كان لمجيئ أسرة مينغ ( 1368-1644 Ming Dynasty م) دور في ظهور تطور كبير في السياسة الصينية اتجاه النظام التجاري العالمي في المحيط الهندي فهي لم تنتهج، نفس نهج سابقتها في فرض قوتها على المناطق القريبة منها، والحفاظ على قواعد عسكرية ثابتة في جزر جنوب شرق آسيا وساحل كمبوديا ( شامبا) وجعلها خلفيتها، فحسب وإنما ذهبت إلى أبعد من ذلك حين انتهجت فرض القوة العسكرية على أكبر الممالك التجارية الواقعة على طول الطريق البحري في المحيط الهندي.<sup>(2)</sup>

أما من ناحية السياسة الداخلية كانت سياستها معادية لغير الصينيين، حيث كانت لهذه الأسرة ردة فعل عنيفة ومتطرفة أول الأمر اتجاه الأجانب، الامر الذي أدى إلى ذوبان تلك المتواجدة في الصين والحد من نشاط التجار الغرباء وذلك وفق إعادتها العمل بالأحكام الأهلية التي تنفر من الأجنبي وتعمل على استبعاده بالقوة.<sup>(3)</sup>

في عهد الامبراطور " يونغ لو" أظهرت الصين اهتماما بالغا في التوسع العسكري، عبر المحيط، وبرهنت على تفوق بحري وازدهار تفتي غير مسبوق،

(1) - d'Ancone, J : op.cit , P 84

(2) - TENSEN .SEN : op.cit , P.423

(3) - YULE, Henri: Cathay and the way thither, a collection of medieval notices of China Preliminary essay, Vol.1, P.172 ; Vandermeerch ,L :Les Relation, P.272, London, MDCCCCXV.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

وبرز شكلا جديدا من العلاقات التي ربطت الصين مع أمم والممالك التجارية في المحيط الهندي جعلها تظهر بمظهر المسيطر والمتحكم في تجارة التوابل والحرب على الطريق البحري للمحيط الهادي.

ففي غضون اثني عشر شهرا من اعتلائه العرش عيّن " يانغ لو"، كبير الخصيّين " شانغ هو" القائد الأعلى للأسطول البحري في العالم حينها، وكلفه بمضاعفة عدد الورشات ومصانع السفن البحرية وبالتالي مضاعفة إنتاج السفن " الجنك" الصينية، فتم إضافة 1681 سفينة جديدة، ومن بينها السفن الضخمة المعروفة ب " بوارج الذخيرة" " Les vaisseaux" ذات التسع سوارى وسميت كذلك لأن طاقة استيعاب قعر السفينة كبير جدا، واستعان شانغ هو بعشرات الآلاف من النجارين وصناع الأشعة البحرية من كل المدن والأقاليم الصينية لإنجاح هذه المهمة.<sup>(1)</sup>

وكان هناك عاملان أساسيان استخدمهما " شانغ هو" ومساعديه " لي . كاي Li - Kai ويانغ مين Yang Min في تطوير ملاحه السفن الصينية عبر المحيط أولها الخريطة البحرية وتصحيح دقة الإسطرلاب، وقد ساعدا في رسم تفاصيل صورة السواحل والخلجان وتصويب الشكل العام لها، إلى جانب كتاب الملاحة البحرية الذي لا يفصل المواقع الجغرافية للمناطق الملاحية المختلفة غرب وشمال المحيط الهندي فحسب وإنما بصفة خاصة يحدد أماكن القمم الجبلية، الجزر والصخور، خطورة أو سلامة الطرق الملاحية قصد سلوكها أو تفاديها، والإشارة إلى مدى عمق مياه البحر ومعارف عن الخلجان وصفتها، وكان للإسطرلاب ذو الإبرة المغناطيسية دوره الأساسي في تحديد مكان تواجد السفن، وحساب مسافة الرحلة، على رأس كل ساعتين تقريبا، كما سمحت بتقدير احتمالات

(1) - MENZIES, G: op.cit , P.27.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

التغييرات الجوية كسرعة الرياح أو حركة المياه.<sup>(1)</sup> أما العامل الثاني، فهو أخذ الصينيون تقنيات الملاحة وعلم النجوم عن المسلمين فيبدو واضحاً أنهم درسوا بعناية التقنيات المتقدمة لوسائل الملاحة عند المسلمين، ثم شرعوا في تطبيق نظام مراقبة موقع النجوم والحسابات الفلكية للسفر والملاحة في المحيط الهندي.<sup>(2)</sup>

وبعد سلسلة من الاستعدادات الكبيرة، خرج "شانغ هو" قائد الأسطول الصيني والسفير الأول للإمبراطور "يونغ - لو" في أول حملة استكشافية عسكرية صينية عام 1405م من جملة سبع حملات (1405-1433م) على ممالك وجزر البلاد الغربية وانطلقت أول حملة 1405-1407م من ميناء شانغ لو Chang-Lo من ولاية فوكيان Fukien، متجهة إلى جزر جنوب شرق آسيا جاوة، سومطرة، جزر لامبري Lambri، ثم شبه القارة الهندية، فوصلت إلى قاليقوت، ويرجع إلى أنها توقفت في جزيرة سيلان (سيرلانكا).<sup>(3)</sup>

في هذه المرحلة كان الأسطول الصيني هو أكبر قوة بحرية في الشرق حمل أكثر من 28.000 شخص بين جندي وضابط، وتكونت قطع أسطوله البحري، من 400 سفينة حربية سريعة. كانت متواجدة في ميناء بالقرب من مدينة نانكين Nanking و2700 سفينة حربية حارسة على المحطات الساحلية، و400 سفينة شحن تجارية. موجهة لنقل الحبوب والماء والخيول، و250 من نوع "بوارج الذخيرة" كل واحدة منها قادرة على حمل 500 رجل<sup>(4)</sup>، ويتحدث المؤرخ

(1) - GUANGQI Sun : the development of China's , P229

(2) - Ibid.

(3) - PELLIOT,P: «Les Grand Voyages Maritimes Chinois au Début du Xx<sup>e</sup> siècle» , in ,T'oung Pao, Volume XXX , Leiden, Brill , 1933, P.275.

(4) - HOUAN, Ma : Yaing – yai sheng – Lan « The overall survey of the oceans shores 1433 »

Translated from Chinese Text by J.V.G Mills , Cambridge , Published for The Hakluyt society , 1970

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

مانيز G.MENZIES عن 3500 مركب، منها 1350 سفينة من نوع الطوافة و ما يقربها سفن قتالية حربية منتشرة في قواعد عسكرية على السواحل أو في الجزر، ومهمة المراكب هي مسح المحيطات لرسم خرائط مفصلة ودقيقة والهيمنة على المنطقة بإخضاع الممالك ومجتمعات التجارة في المحيط الهندي للتبعية للصين وذلك بدفع " ضريبة الطاعة" والتبعية مقابل الحماية. لكن الملاحظ أن الصين كانت تباع لشراكتها بضائعها من حرير وخزف بقيمة اضافية على مشترياتهم ما جعل الديون تتراكم عليهم ويبقون حبيسين دين ثقل لها، كما أوكل إلى هذا الأسطول كل عمليات المفاوضات والمقايسة التجارية.<sup>(1)</sup>

ويبدو واضحاً من حجم الاستعدادات الضخمة للسفن الصينية المذكورة، والأعداد الكبيرة للرجال الذين حملتهم المراكب، النزعة الاستعمارية الصينية، وطموحها باستخدامها القوة العسكرية لتحقيق هذا المشروع ذو الأهداف الاقتصادية والتجارية وهو ما تدل عليه النقوش الموضوعة في تيان، في Tien- Fei ، فقد أمر شانغ هو بكتابة مايلي: " المرتبط بالسما والحواسر الروحي للبحر، أخضع القراصنة والأمراء الأجانب الذين تحدوا إرادة الإمبراطور ورفضوا الخضوع لسلطته"<sup>(2)</sup>.

فدوافع أسرة منيع للقيام بهذه الحملات الواسعة المتكررة، كانت كثيرة وقد لخص أولها المؤرخ الصيني " فاي ها تسين "، الذي شهد بنفسه هذه الحملات وشارك في بعضها، حيث سجّل مايلي: "في العام السابع من حكم الإمبراطور" يونغ لو Yung-Lo" (1409)، أصدر أوامره الى كبير الموظفين، " شانغ هو" وآخرين، للخروج على رأس أسطول مكون من 27000 جندي، و48 قطعة

(1) - MENZIES.G : op.cit , P.28.

(2) - CHAUDHURY, K,N : op.cit , P.61.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

بحرية لنشر إرادة الامبراطور على باقي الممالك"<sup>(1)</sup>، هذا الى جانب الرغبة الشخصية للإمبراطور في إعادة أمجاد الصين في مياه البحر بعد فترة حكم أسرة أجنبية للصين، ورغبة الامبراطور الشخصية، في تمجيد اسمه بفرض سيطرته على البحر، الشيء الذي سيجعل بلاطه مقصد السفراء الأجانب طالبين رضاه ووده، كلسلاطين الممالك في مصر البعيدة كانوا يرسلون سفراء إلى الإمبراطور، والسعي إلى إعادة احياء أمجاد الصين خاصة بعد إعلان بعض الممالك الغنية تبعيتهم لها كملوك كمبوديا و مالاقا، بعد استخدامها للقوة العسكرية، وصف فاي ها تسين " هذا المشهد فقال "كان جنودنا كأنهم يضاھون الرب من حيث القدرة والقوة. باسطين سيطرتهم، مُجبرين الأفعى والتنين على الفرار من أمامهم"<sup>(2)</sup>.

هذا فضلا عن السعي وراء توسيع دائرة النشاط التجاري البحري للصين وخاصة مع البلاد الغربية، لما تعود به من فوائد مادية وأرباح على خزينة الدولة، ورفاهية وازدهار كبيرين على البلاد، فضلا على جلب أنواع من السلع التي تحتاجها الأسواق الصينية لاسيما منذ أن قطع تيمور لنك طريق الحرير البري عن الصين.<sup>(3)</sup>

في نفس الوقت كان هناك من ملوك جزر المحيط الهندي من رفض هذه التبعية ودفع الجزية لإمبراطور المينغ، مثل ملك سيلان وملكين من ملوك جزيرة

<sup>(1)</sup> - Fei, Hsin: Hsing- Ch'a Sheng- Lan , The Overall Survey of the Star Raft ,Translated by: J.V.G Mills, annotated and edited by Roderick Ptak Harrassowitz Verlag,Weisbaden,1996, P. 35 .

<sup>(2)</sup> - Fei Hsin : op. cit , P. 56

<sup>(3)</sup> - Huan- Ma : op.cit , PP , 1,2

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

سومطرة، فكان مصيرهما -حسب نصوص الحوليات الصينية- أن وقعوا في الأسر واقتيدوا إلى الصين بالقوة.<sup>(1)</sup>

وبات واضحاً أن البحرية الصينية تحت قيادة الملاح " شانغ هو " كانت أداة للسيطرة بالقوة والهيمنة على شبكة التجارة في المحيط الهندي، فحسب ما دونته السجلات التاريخية لأسرة مينغ، وُصفت البحرية الصينية بـ " الرائد المتكبر لعرش التنين، المتسلح حتى الأسنان، الداعم لإرادة الإمبراطورية " والمُبلغ لنداء " ابن السماء"، وإعلام العالم أن جلالته يهب الأعطيات للملوك والحكام التابعين له، بينما كل من يخالف ارادته، فسيتم إخضاعه بالقوة"<sup>(2)</sup>.

أُرسل " شنغ هو " خلال عشرين عاماً، في سبع طلعات بحرية على رأس أسطول ذو سفن متنوعة، فيها 36 من سفن الذخيرة على متنها أكثر من ثمانية وعشرون ألف شخص بين ضابط وموظف وجندي، وفرضت الصين هيمنتها على مساحة واسعة من الجزر اليابانية إلى السواحل الشرقية لإفريقيا، متباهية بقوتها، مبرزة إياها، عن طريق القيام بعمليات القرصنة، مستخدمة أسطولها العسكري، بعيداً عن بحر الصين حيث مجال نشاطه المعتاد، فتمركزت قواتها العسكرية في موانئ المدن الشهيرة، على طول الطريق البحري وصولاً إلى جزيرة سيريلانكا جنوب شبه القارة الهندية.

لذا رأى الدارسون أن هذه الحملات العسكرية، دليل على الطموح الاستعماري لأسرة مينغ، واستدل كل من غوف وايد Geoff wade (2005) وإدوارد داير Edward Dreyer (2006)، بالضرائب التي فرضتها الصين، على

<sup>(1)</sup> - Huan – Ma : op.cit , P.02

<sup>(2)</sup> - Ibid.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

كل الممالك الساحلية في جاوة و ملاقا وسيريلانكا وغيرها، كما ألزمتها بتزويد الأسواق الصينية، بأصناف من السلع الكمالية الفارها وبشكل مستمر وكثيف، وفي هذا السِّياق تدخلت الصين في السياسات الداخلية للممالك المختلفة، وكُرِّست مصالحها الخاصة بتعيين مفاوضين تجاريين من قبلها، كان لهم دور كبير في خلق نزاعات بين الحكام المحليين، وهو ما حدث في كاليكوت Calicut وكوشين cochin على ساحل الملابار الهندي وحتى في بلاد البنغال<sup>(1)</sup>.

وهكذا اتخذت السياسة الخارجية، لأسرة مينغ طابع الغزو الإستعماري العسكري، لممالك في المحيط الهندي، فمن ناحية الجزر الشرقية الملاوية والأندونيسية، استولى الأسطول العسكري الصيني في عام 1409م، على جزر سمبيلان Sembelan Islands بالقرب من ملاقا Malacca، واستحوذوا بذلك على كل الخشب العطري الذي تشتهر به هذه الجزر، وتصدره للخارج، وامام الضغط الصيني المتكرر على سلطان شبه الجزيرة المالوية خضع هذا الأخير، عام 1415م للامبراطور يونغ لو، وقدم ولاءه، على أن يدفع الجزية للصين مما تعرف به بلاده من سلع غالية ومتنوعة.<sup>(2)</sup>

### 5 إنعكاسات الحملات العسكرية الصينية في الداخل والخارج:

وكان من أهم نتائج الحملات البحرية الصينية، أن دعم الأسطول الصيني بقوة الحركة التجارية البحرية في المحيط الهندي ذهابا وإيابا، دون انقطاع، حيث كانت في تواصل مستمر مع بلدان آسيوية وإفريقية، فوصل حجم

(1) - TANSEN – SEN : the formation of chinese maritime , P.422.

(2) - Fei Ht'sin : op .cit, PP.55,56 .

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

مبادلاتها التجارية أعلى مستوياته، لاسيما مع ازدهار تقنيات الملاحة الصينية، فتحكمت في طرق وشبكة التجارة للمحيط الهندي.<sup>(1)</sup>

إلا أن السياسة الخارجية الصينية عرفت تغيرا واضحا، بعد وفاة الإمبراطور " يونغ لو" وبشكل تدريجي، بدأت تخبوا شعلة الحماس العسكري للحكام الجدد، ليظهر بوضوح نزعتهم ضد توسع الصين في الأقاليم الخارجية، خاصة بعد وفاة كبير الملاحين الصينيين " شانغ هو" (1433/1434م)، حيث تعرضت النشاطات البحرية الصينية، لانتقادات كثيرة من قبل موظفين كبار في الصين، واعتبروها السبب في تراجع أموال الخزينة، وهو ما كان يراه الإمبراطور جن تسونغ Jen-Tsung، وبكونها مثلت عبئا إضافيا على كاهل الخزينة وكان من أسباب هذا التحول في السياسة الخارجية للصين، والانغلاق على الخارج هو رغبتها في حماية مدنها الساحلية الجنوبية، من هجمات العصابات البحرية القادمة من الجنوب وتحديدًا من الجزر اليابانية، ونهبها للمدن بشكل دوري فضلا عن قطعهم المسالك البحرية أمام السفن الصينية، فكان نتيجةها هو غلق المرافئ الصينية التجارية أمام الملاحين والتجار الأجانب.<sup>(2)</sup>

وكان من جملة القرارات المتخذة، إلغاء كل الحملات العسكرية المزمع القيام بها، والتخفيف من التواجد العسكري للصين في المناطق البعيدة، ماعدا القريبة منها والجزر المجاورة لها، ومع تراجع الدعم العسكري للحاميات الصينية وانقطاع المدد، على مناطق النفوذ، أن وقعت هزيمة عام 1425م وكسرت شوكة البحرية الصينية التي خسرت حينها 300 سفينة جنك، مما أدى إلى انسحاب قواتها من قاعدة " تونغ كينغ" شمال الفيتنام، عام 1427م.<sup>(3)</sup>

(1) - Sun Guangqi : the Development .... , P.298

(2) - CHAUDHURY : op.cit , P.6

(3) - Ma. Huan : op.cit , P.03.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

وبالرغم من ذلك بقيت الصين، محتفظة بصفتها أكبر الدول المسيطرة على المحيط بعد عودة شانغ هو من حملته السابعة والأخيرة (1331-1333م)، وكانت لاتزال أقاليم شامبا Champa وتايلاند Thai Land تابعة للصين، وتواصل النشاط التجاري البحري لأسرة مينغ فيما وراء البحار في أشكال مختلفة، حيث تمكن تجار الرّباطات الساحلية من بناء سفن جنك خاصة بهم، وحصلوا على موافقة من المكتب المحلي الصيني للنشاط والتعامل التجاري مع جزر الفلبين وتونغ كينغ و مالاقا.<sup>(1)</sup>

والجدير بالإشارة إليه، ان إلغاء أسرة مينغ مجموعة التدابير والقرارات، التي كانت الصين قد خطت بفضلها خطوات كبيرة نحو الهيمنة على أهم السواحل الاستراتيجية في المحيط الهندي حينئذ، أفضت إلى القضاء على المكانة الكبيرة التي تبوأها الصين في المنطقة، وجردت آسيا من قوة عسكرية يحسب لها ألف حساب، وفتحت المجال أمام البحرية الأوروبية؛ كانت طلائعها الأولى البحرية البرتغالية، ثم تبعها الهولندية والبريطانية والفرنسية، التي بدأت تفرض هيمنتها بالقوة ابتداء من منتصف القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وكانت أكثر إصرارا وجاهزية لتغيير النظام المتعارف عليه المحيط الهندي، من شراكة حقيقية لنشاط تجاري سلمي شامل ومتعدد الأعراق والدول، الى الهيمنة بالقوة العسكرية وفرضا لرسوم إضافية على التجار عبر شبكات التبادل التجاري الحيوية، مع احتكار لأنواع التجارة ورسم لمناطق نفوذ خاصة بتلك الدولة أو أخرى، فيما عرف بحركة الاستعمار الأوروبي الغربي، الذي غير من وجه المنطقة برمتها، وأثر على مصيرها قرابة أربعة قرون من الزمن.

<sup>(1)</sup> - Chudhury : op.cit , P.62.

## الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب في عصر السيادة العربية الإسلامية

والحاصل من كل ما سبق، أنه لا مناص أمام المجتمعات التجارية في الشبكات الحيوية، بل من الضرورة بمكان دعم النظام التجاري والاقتصادي لمثل هذه الأقاليم، وذلك بتتويج تكتلها الاقتصادي بشراكة عسكرية تضمن الحقوق والمصالح التجارية والاقتصادية للأطراف المحلية، وحامية لها، مع وضع ضوابط و ضمانات للأطراف التي ترتاد مراكز التجارة في المحيط الهندي، القادمة من البلاد البعيدة، بما يتناسب مع أمنها الاقتصادي وسيادتها.

القائمة البيبليوغرافية:

1. المصادر باللغة العربية:

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة،

1976، ج7.

2. المصادر باللغة الأجنبية:

1- D'Ancone Jacob di Salomone : La cite de Lumière, traduction mise en conformité avec le manuscrit Original et annoté par David SELBOURNE, traduit de l'Anglais par Pierre-Emmanuel DAUZAT, Librairie Arthème Fayard, Paris, 2000.

2- Ben Jamain of Tubela : The itinerary of ben jamain of tudela, translated by Marcus Nathan Adler, Frankfurt University 1995, edited by fuat sezguin, In : Islamic world in foreign travels accounts ,vol.60.

الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب  
في عصر السيادة العربية الإسلامية

---

- 1- **Fei, Hsin:** Hsing- Ch'a Sheng- Lan , The Overall Survey of the Star Raft ,Translated by: J.V.G Mills,annotated and edited by Roderiek Ptak Harrassowitz Verlag ,Weisboden,1996.
- 2- Goitein .SD: Letters of Medieval Jewish Traders, Translated From The Arabic with introduction and notes, Princeton 1973.
- 3- HOUAN, Ma : Yaing – yai sheng – Lan « The overall survey of the oceans shores 1433 » Translated from Chinese Text by.
- 4- J.V.G Mills , Cambridge , Published for The Hakluyt society , 1970.

3. المراجع باللغة الأجنبية:

1- ARNOLD ,T.W: the Preaching of Islam, A History of the Propagation of the Muslim Faith , constable and company LTD , second edition. London ,1913

2-CHAUDHURI, K.N: Trade and civilization in the Indian ocean, an Economic History from the Rise of Islam to 1750, Cambridge University Press ,2001.

3- De Thiérsant Darby.P: Le Mahométisme en chine et dans le Turkestan Oriental, T1, Ernest Lerneux, Paris, 1878.

4- HALL, D.G.E: A History of south east Asia , London , MacMillan and company new york,1955.

5- HOURQNI,J.F : Arab seafaring , Khayat ,Beirut, 1963.

6-JIH- Ming- chang : Les Musulmans sous la chine des Tang (618-905),Cheng wen-Taipei,1980.

الملاحة التجارية في المحيط الهندي بين السلم والحرب  
في عصر السيادة العربية الإسلامية

---

7-MENZIS Gavin : 1421 L'Année ou La chine a découvert L'Amérique  
, Traduit Par : Julie sauvage , édition Intervalles, 2012.

4. قائمة المقالات:

1- PELLIOT,P: «Les Grand Voyages Maritimes Chinois au Début du  
Xx<sup>e</sup> siècle» , in T'oung Pao, Volume XXX , Brill, Leiden, 1933.

2-KENNETH.R: « local and international trade and trader in the  
straits of melaka region 600-1500» in Journal of the Economic and  
social history of the orient,vol.47,No.2(2004).

3-CHAVANNES ,E.D : « Notes additionnelles sur les Toukiue Ture  
occidentaux » in Toung Pao, E.J Brill, Leiden 1906 , serie II , Vol 5.

4-VENDERMEERCH :« Les Relation sino.Arabes aux XV et XVI,un  
chapitre de L 'Histoire des Ming» , in cahier de L'Inguistique, d'orientalisme  
et de slavistique , n°1,2

5-TENSEN.SEN : «the formation of chinese maritime networks To  
soutern Asia 1200-1450 » in JESHO N°49, 4 , BriLL Leiden , 2006.

1. الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)
2. غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)
3. الحملات البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال العهد الأغلبي "فتح صقليا أنموذجا"
4. حروب الفتح الإسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبي "فتح صقلية أنموذجا"
5. الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي
6. جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية 453-500هـ/1061-1106م
7. المعارك البحرية بين الموحيدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م
8. دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس (662هـ-743هـ/1260م-1341م)

الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود  
الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

---

الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء  
الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)  
The Naval role of Andalusian immigrants and the Aghlabids  
in reviving the Islamic presence in the Mediterranean  
(212-262 AH / 827-876 AD)

أ.د أسامة محمد أبو نحل (أستاذ تاريخ الحديث والمعاصر)  
جامعة الأزهر- غزة، فلسطين  
osamabunahel@gmail.com

---

#### ملخص

أدى فشل الأمويين في الاستيلاء على مدينة القسطنطينية في عام 99هـ (718م)، إلى بداية تقاعسهم بالشؤون البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط؛ فكانت هزيمتهم القاسية على أيدي البيزنطيين في عام 129هـ (747م) بالقرب من جزيرة قبرص، حيث تمّ حسم الصراع بين القوتين في البحر المتوسط. وعندما قضى العباسيون على حكم الأمويين لم يحاولوا إعادة إحياء الاهتمام بالشأن البحري؛ بل اكتفوا فقط بالإغارة على الأراضي البيزنطية من ناحية البر. ومع ظهور المهاجرين الأندلسيين، وبعد طردهم من مدينة الإسكندرية، وجّهوا وجوههم شطر جزيرة إقريطش (كريت) فاستولوا عليها، وكونوا فيها دولة إسلامية. كما تمكّن الأغالبة في المغرب الأدنى (تونس)، من غزو جزيرة صقلية، والاستيلاء عليها بدايةً من عام 212هـ (827م)، وهو العام ذاته الذي استولى فيه المهاجرون الأندلسيون على إقريطش. وبذلك، يمكن القول: إن المهاجرين الأندلسيين والأغالبة قد تمكّنوا من استعادة الوجود الإسلامي في البحر المتوسط مجددًا.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

ولقد توصلت الدراسة، لعددٍ من النتائج كان أهمّها: أنه باستيلاء المهاجرين الأندلسيين على جزيرة إقريطش، والأغالبة على جزيرة صقلية، انتهت مرحلة الضعف البحري الإسلامي، ودخل المسلمون طورًا جديدًا من أطوار المجد، بعد أن رفضوا عنهم غبار مدّةٍ طويلةٍ من الخمول، امتدّت منذ عام 99هـ (718م) التي انتهت بها السيادة البحريّة على البحر المتوسّط. كما أن إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسّط، غير خريطة المنطقة والبحر المتوسّط، إذ أخذت جزر هذا البحر تأخذ بسياسة استقطاب القوى، كما أصبح للمسلمين كلمةً مسموعة ومدوية في أوروبا؛ فأصبحت دولها تخشاهم، وتحسب لهم الكثير من الحساب.

كلمات مفتاحية: الدور البحري، البحر المتوسّط، المهاجرون الأندلسيون، إقريطش، الأغالبة، صقلية.

### Abstract

The failure of the Umayyads to seize the city of Constantinople in the year 99 AH (718 AD) led to the beginning of their negligence in maritime affairs in the eastern basin of the Mediterranean. Their cruel defeat was at the hands of the Byzantines in the year 129 AH (747 AD) near the island of Cyprus, where the conflict between the two powers in the Mediterranean was resolved. And when the Abbasids ended the Umayyads' rule, they did not try to revive interest in Naval affairs. Rather, they were satisfied with raiding the Byzantine lands from the land side. And with the advent of the Andalusian immigrants and after their expulsion from the city of Alexandria, they turned their

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

---

faces towards the island of Crete, so they seized it and established an Islamic state. The Aghlabids in the lower Maghreb (Tunisia) also managed to invade and seize the island of Sicily, beginning in the year 212 AH (827 AD), the same year in which the Andalusian immigrants seized Crete. Thus, it can be said that the Andalusian immigrants and Aghlabids restored the Islamic presence in the Mediterranean again.

The study reached a number of results, the most important of which are: that with the takeover of the Andalusian immigrants on the island of Crete, and Aghlabids on the island of Sicily, the stage of Islamic Naval weakness ended, and the Muslims entered a new phase of glory after they had shaken off the dust of a long period of inactivity that extended since the year 99 AH (718 AD) that ended with it. Naval sovereignty over the Mediterranean. In addition, the revival of the Islamic presence in the Mediterranean changed the map of the region and the Mediterranean Sea, as the islands of this sea began to adopt a policy of polarizing powers, and Muslims became an audible and resounding word in Europe. Its states became afraid of them and took a lot of account of them.

**Keywords:** Naval role, The Mediterranean Sea, Andalusian immigrants, Crete, Aghlabids, Sicily.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

مقدمة:

تمهيد:

أوضحت الدراسة التي بين أيدينا، دور وجهود المهاجرين الأندلسيين والأغالبة البحري، في إعادة إحياء البحريّة الإسلاميّة مجدّدًا بين عامي (212-262هـ / 827-876م)، وذلك بعد أن فقدت قوّتها بعد فشل الأمويّين في الاستيلاء على مدينة القسطنطينيّة عام 99هـ (718م).

أهميّة الدراسة:

تكمن أهميّة الدراسة، في توضيح دور المعارك البحريّة التي خاضها المهاجرون الأندلسيون والأغالباء، في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسّط، وتقعيد نفوذ الأسطول البيزنطي في هذا البحر. ثمّ إن هذه الدراسة، سوف ترفد المكتبات العربيّة بدراسةٍ تُعدُّ قراءة جديدة لهذا الموضوع المهم. ويأمل الباحث، بأن يحذو الباحثون في الحقل التاريخي حذوه، لبيان إعادة إحياء الأمجاد البحريّة الإسلاميّة، بعد فترةٍ فقد فيها المسلمون هيمنتهم البحريّة مؤقتًا.

مشكلة الدراسة:

لقد كتب الكثير عن الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة، في محاولاتٍهم لإعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسّط، مع اختلاف وجهة نظر من تناول هذا الموضوع. فقد تناوله على سبيل المثال بعض الكتّاب الأجانب، منهم: (أرشيبالد لويس)، في كتابه الموسوم: (القوى البحريّة والتجارية في حوض البحر المتوسّط)، وكذلك (J. B. Bury)، في كتابه الموسوم: (A History of The Later Roman Empire)، و(Edward Gibbon)، في كتابه الموسوم: (History of the Decline and Fall of the Roman Empire). ومن

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

المراجع العربية، نجد (إبراهيم العدوي)، في كتابه الموسوم: (الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية)، و(السيد عبد العزيز سالم؛ أحمد مختار العبادي)، في الكتاب الموسوم: (تاريخ البحريّة الإسلاميّة في المغرب والأندلس). لذلك؛ ارتأينا ضرورة الكتابة عن دور المهاجرين الأندلسيين والأمراء الأغالبة في البحر المتوسط بين عامي (212-262هـ / 827-876م).

ودارت مشكلة الدراسة في سؤالٍ رئيسٍ مفاده: ما الدور البحري الذي اضطلع به المهاجرون الأندلسيون والأغالبة، لإعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط بين عامي (212-262هـ / 827-876م)؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة لتوضيح الآتي:

1. بيان الاهتمام بنشأة الأسطول الإسلامي في بلاد المغرب الأدنى.
2. تناول تداعيات فشل الأمويين في الاستيلاء على مدينة القسطنطينية عام 99هـ (718م).
3. توضيح أحوال البحريّة الإسلاميّة في عهد الخلافة العباسيّة.
4. توضيح دور المهاجرين الأندلسيين في إعادة إحياء البحريّة الإسلاميّة.
5. بيان دور الأغالبة في الاستيلاء على جزيرة صقلية.
6. الوقوف على دور الأغالبة في غزو السواحل الإيطاليّة.
7. تناول دور المسلمين في غزو السواحل الفرنسيّة وجزيرة مالطة.

حدود الدراسة:

تمتدُّ حدود الدراسة الزمنيّة ما بين عامي (212-262هـ / 827-876م)، أي منذ استيلاء المهاجرين الأندلسيين على جزيرة إقريطش، وانتهاءً بتمكّن اللومبارديين في نهاية الأمر، من استرداد مدينة بارة الإيطاليّة من أيدي الأغالبة.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على ثلاث مناهج رئيسية، هي:

- المنهج التاريخي: الذي تتمكّن بواسطته، الحصول على المعلومات الأولية لموضوع الدراسة.

- المنهج الوصفي التحليلي: وذلك لتفسير المعلومات الخاصة بدور المعارك البحرية، في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط، وتحليلها، وبيان أهميتها وقيمتها العلمية.

- نظرية الدور: حيث تهتم هذه النظرية، بدراسة سلوك الدول، بوصفها أدوارًا سياسية تقوم بها على المسرح السياسي الدولي.

أولاً: الاهتمام بنشأة الأسطول الإسلامي في المغرب الأدنى  
تمهيد:

في الوقت الذي كان فيه الأسطولان المصري والشامي، يؤديان فيه دورهما على خير وجه، ضدّ المصالح البحرية البيزنطية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، كانت الغزوات التي يقوم بها المسلمون في بلاد المغرب، تسير كما رسم لها قادة الخلافة الأموية، حتى تمكّنوا من بسط سيادتهم عليها، من منطقة برقة في المغرب الأدنى، حتى سواحل المغرب الأقصى على المحيط الأطلسي.

وقد اقتضت الحكمة من المسؤولين على هذه البقعة، أن يعملوا على تأمينها من أخطار البيزنطيين المستمرة، بواسطة إنشاء دار للصناعة البحرية في إحدى المدن الساحلية، لتقوم بتزويد الجيش البري بأسطول يكون على استقلال تامّ عن الأسطول المصري، لغزو جزيرة "صقلية Sicily" وغيرها من المراكز البحرية البيزنطية. وكان الهدف من بناء هذه الدار، الاستقلالية في القيام بالعمليات البحرية، نظرًا لاحتياج الشام -ووقتذاك- للأسطول المصري،

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

في الدفاع عن السواحل الشامية، بالإضافة إلى غزو الجزر البيزنطية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. وكانت سواحل المغرب الأدنى مُعرّضة دومًا لخطر الهجمات البيزنطية في كل وقت، فشرع القائد الأموي (حسان بن النعمان)، في بناء دار صناعة السفن بتونس، ثمّ استكمل (موسى بن نصير) ما ابتدأه (حسان)، حيث إن (موسى) تولّى القيادة على بلاد المغرب في آخر عام 85هـ (704م)، بموافقة والي مصر (عبد العزيز بن مروان)، وهو لم يركب البحر إلا في آخر هذا العام، في الغزوة التي سُميت بغزوة الأشراف، بسبب اشتراك أشراف العرب فيها، إذ أرسل أسطولاً صغيراً بقيادة ابنه (عبد الله) لفتح جزر صقلية، و"سردينيا Sardinia"، و"البليار Balearic"، وتكلّلت تلك الحملة بالنجاح مؤقتًا<sup>(1)</sup>. غير أن (ابن تغري بردي)، يذكر أن هذه الغزوة قد تمّت في عام 89هـ (707م)<sup>(2)</sup>.

وفي عام 86هـ (705م)، أرسل (موسى بن نصير) أحد قوّاده، ويُسمّى (عياش بن أخيل) إلى مدينة "سرقوسة Syracuse" بجزيرة صقلية، وعادت تلك الحملة بغنائم كثيرة. ثمّ توقّفت الغزوات الإسلامية ضدّ صقلية بعض الوقت، لكنها تتابعت -لاحقًا- في عهد الخليفة الأموي (يزيد بن عبد الملك) الذي أرسل حملة إليها في عام 102هـ (720م)، بقيادة (محمد بن أوس الأنصاري)، ثمّ توالى الحملات ضد صقلية، حتى تاريخ القضاء على الخلافة الأموية<sup>(3)</sup>.

(1) - سالم، السيد عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار (1969)، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية، ص 29-31؛ حلاق، حسان (1999)، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط2، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 340؛ ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني (1286هـ)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، تونس: مطبعة الدولة التونسية، ص 13؛ الطالبي، محمد (1995)، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ / 800-909م، ترجمة: المنجي الصيادي، مراجعة وتدقيق: حمادي الساحلي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص 438.

(2) - بن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (1963)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 1، القاهرة: وزارة الثقافة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ص 216.

(3) - لمزيد من التفاصيل انظر: الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ص 438-439؛ لقبال، موسى (1981)، المغرب الإسلامي، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 127.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وبعد أن صار لتونس أسطولاً خاصاً بها، عمل (ابن نصير) على صنع سياسة بحرية، تهدف للسيطرة على جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط، فاتخذ من صقلية قاعدة بحرية أمامية، لتحمي سواحل بلاد المغرب، ثم تنظيم غزواتٍ مستمرةً ضدَّ الأندلس وفرنسا<sup>(1)</sup>.

وأصبح أسطول المغرب من الأهمية، بحيث إنه تمَّ إضافته إلى أسطولي الشام ومصر. وعلى الرغم من استقلاله في عمليّاته، إلّا أنه أسهم مساهمةً فعليةً باشتراكه في حصار الأمويين لمدينة "القسطنطينية Constantinople"، على عهد الخليفة (سليمان بن عبد الملك)، حيث زوّد الحملة الإسلامية بما تحتاج إليه من عدّة وعتاد<sup>(2)</sup>. وبذلك، غدا أسطول المغرب يمثل عقبة كؤود في وجه بيزنطة، بعدما قيّد حركاتها وإبحارها في هذه المنطقة الغربية من البحر المتوسط، فهدد مصالحتها وسواحل أوروبا الجنوبية في فرنسا وإيطاليا.

وخلال حقبة الحكم الأموي، قام أسطول المغرب بغزواتٍ عدّة، ضدّ جزيرة سردينيا التي تُعدّ ثاني جزيرة في البحر المتوسط، من حيث الحجم بعد صقلية، وكان أوّل غزوٍ لها في عام 92هـ (710م)، بعد أن فتح (موسى بن نصير) الأندلس<sup>(3)</sup>. ثمّ تكرّرت الغزوات الإسلامية -لاحقاً -خلال الأعوام: 98هـ (716م)، و117هـ (735م)، و118هـ (736م). ثمّ بعد قيام الخلافة العباسية، قام (عبد الرحمن بن حبيب الفهري) بغزوها، وصالح سكّانها على الجزية في

(1) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص35.

(2) - العدوي، إبراهيم (1953)، الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص158.

(3) - ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (1407هـ 1987م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، مج4، بيروت: دار الكتب العلمية، ص271.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

عام 135هـ (752م)<sup>(1)</sup>. وفيما بعد، توالى الهجمات الإسلامية على سردينيا، لكن المسلمين لم يكن في مكنهم إخضاعها تمامًا، وربما كان أفضل تعبير للغزوات التي تعرّضت لها الجزيرة، أنها كانت أقرب للموجات أو الغارات، منها إلى الفتح والاستقرار، إذ لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم فيها، بسبب عدم ملاءمة المناخ من جهة، وكثرة الأمواج على شواطئها من ناحية ثانية، وما بذله أهلها من جهدٍ للتصدّي لتلك الهجمات من ناحيةٍ ثالثة. لذلك؛ فإن سردينيا لم تتأثر كثيرًا بالمسلمين من حيث الدين والثقافة، أو الفن، أو التجارة<sup>(2)</sup>.

ومما سبق بيانه؛ يتضح لنا أن أسطول بلاد المغرب، كان له من الأهمية ما كان لأسطولي الشام ومصر؛ فتلك الأساطيل كان بعضها يُكْمِل البعض. فإذا كان الأسطولان الأخيران قد وقع على عاتقهما مهمة تأمين السواحل الشامية والمصرية من جهة، والاستحواذ على الجزر البيزنطية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط من جهةٍ أخرى؛ فإن أسطول المغرب -أيضًا- وقع على عاتقه مهمة حماية سواحل بلاد المغرب الإسلامي، وغزو الجزر الواقعة غربي البحر المتوسط.

ثانيًا: تداعيات فشل الأمويين في الاستيلاء على مدينة القسطنطينية عام 99هـ (718م)

كان الفشل الأموي في اقتحام القسطنطينية عامي (98-99هـ / 717-718م)، سببًا مباشرًا في تدهور البحرية الإسلامية مؤقتًا. فبعد أن رفع المسلمون حصارهم البري والبحري عنها، خرج الأسطول البيزنطي من بحر إيجه، متعقبًا

(1) - المرجع السابق، ص 272؛ ابن عذارى المراكشي (1950)، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج 1، بيروت: مكتبة صادر، ص 67.

(2) - تشركووا، كليليا (1961)، مجاهد العامري: قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، القاهرة: لجنة البيان العربي، ص 199.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

المسلمين لمحاربتهم في عقردارهم<sup>(1)</sup>، وهذا ما يعني أن قوة المسلمين البحريّة، أصبحت عاجزة عن ردّ البيزنطيين الذين شنّوا غاراتٍ على ساحل مدينة اللاذقيّة بالشام، وهدموها، وسبوا سكّانها، وذلك في عام 100هـ (718م)، في عهد الخليفة (عمر بن عبد العزيز) الذي أمر بإعادة بنائها وتحصينها، لكنّه مات قبل أن يتمّ ذلك، فتابع خلفه (يزيد بن عبد الملك) هذه المهمّة في العام التالي، فأتمّها، ودعمها بالمقاتلين<sup>(2)</sup>.

أصبح البحر المتوسّط بعد ذلك حكرًا على أساطيل بيزنطة، ولمّا تيقّنت بيزنطة باضمحلال النفوذ البحري الإسلامي، هاجم أسطولها دلتا النيل بمصر عام 102هـ (720م)، ثمّ أعاد الكرة مجدّدًا عام 107هـ (725م)، وأصبحت السواحل المصريّة عرضة للهجمات البحريّة البيزنطيّة المستمرة، وسبّبت فيها خسائر كبيرة، إلّا أنه في عام 108هـ (726م) عاود المسلمون حركاتهم الهجومية، فأغار أسطولٌ أمويٌّ على جزيرة قبرص. وفي عام 118هـ (736م)، عاودت بيزنطة هجماتها على مصر، فاستولت على عددٍ كبير من السفن في أثناء خلافة (هشام بن عبد الملك)، كما هاجم البيزنطيّون مدينة دمياط في عام 121هـ (738م)، في أسطولٍ يتكوّن من ثلاثمائة وستين سفينة، فقتلوا عددًا كبيرًا من أهلها، فردّ الأمويّون على هذا الهجوم بهجومٍ مضاد، تمثّل في الإغارة على جزيرة قبرص عام 126هـ (743م)، وعاودوا منها ومعهم عددٌ كبير من أهلها، تمّ الاحتفاظ بهم كأسرى في الشّام<sup>(3)</sup>.

(1) - لويس، أرشيبالد (1960)، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص104.

(2) - البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1407هـ (1987))، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ص181.

(3) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص105، 107؛ رمضان، أحمد (1967)، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط"، القاهرة: هيئة الآثار المصرية، ص20.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

ونستطيع القول: بأن الحقبة الممتدة بين عامي (99-129هـ / 718-747م)، يمكن تسميتها بحركات المدّ والجزر بين البيزنطيين والمسلمين؛ فإذا ما هاجم البيزنطيون السواحل الإسلامية، ردّ الأمويون على ذلك بهجومٍ مضاد معاكس على القواعد البيزنطيّة، خاصةً في الجزر مثل قبرص القريبة من السواحل الشاميّة.

وفي عام 129هـ (747م)، تمّت آخر مواجهة بحريّة بين الأمويين والبيزنطيين بالقرب من قبرص، حسمت الصراع بين القوتين في البحر المتوسّط، حيث حاصر أسطول بيزنطي أسطول أمويّ ضخّم يتكوّن من ألف سفينة، وهي أقصى ما بلغته القوّة البحريّة الإسلاميّة في مصر والشام، في حين كان الأسطول البيزنطي قليل العدد، ويبدو أنه قد تمّ تسليحه بالنار الإغريقيّة، وانتهت الموقعة بهزيمة الأمويين، إذ لم ينجُ من أسطولهم سوى ثلاث سفن لاذت بالفرار. وكان من أهم الأسباب التي أدّت إلى إضعاف قوّة المسلمين في أواخر أيام الخلافة الأمويّة، الحروب الأهليّة التي استغلّها الإمبراطور (قسطنطين الرابع Constantine IV)، لشنّ الغارات على المدن الإسلاميّة الواقعة على حدوده<sup>(1)</sup>.

وبهذا الانتصار، عادت السيطرة لبيزنطة على مياه البحر المتوسّط، وانتهت القوّة البحريّة للأمويين. وبسقوط الخلافة الأمويّة عام 132هـ (750م)، انتهى العصر الذهبي للبحريّة الإسلاميّة، وتبخّرت كل جهود القادة العظام، أمثال: (معاوية بن أبي سفيان)، و(عبد الله بن أبي سرح) أدراج الرياح. فلم يعد للمسلمين، أي نفوذٍ في البحر المتوسّط الذي أضحي حِكراً لبيزنطة وسفنها، كما أصبحت السواحل المصريّة والشاميّة عرضة لهجماتها.

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص108؛ حسن، إبراهيم حسن (1416هـ / 1996م)، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج2، ط14، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص197.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

ثالثًا: أحوال البحريّة الإسلاميّة في عهد الخلافة العباسيّة بين عامي (132-210هـ / 750-825م)

### 1. إهمال العباسيين للبحريّة

عندما حلَّ العباسيون محلَّ الأمويين في حكم الدولة الإسلاميّة، وإمساك زمام الحكم، حاولوا تثبيت سلطانهم على أجزاءٍ من الممتلكات الإسلاميّة في مصر وبلاد المغرب والأندلس، لكنَّ جهودهم باءت بالفشل. فبلاد الأندلس خرجت من تحت عباءتهم، وأقيمت بها الإمارة الأمويّة، ثمَّ دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، والدولة الرستميّة في المغرب الأوسط، واستطاع الأغالبة انتزاع اعترافٍ فعليٍّ من الخلافة العباسيّة بالاستقلال الذاتي بشؤون المغرب الأدنى. ولقد سبَّب هذا الوضع الجديد مصاعبَ جمّة للخلفاء العباسيين الجدد، إذ ادَّخروا جُلَّ مجهودهم العسكري في محاولةٍ يائسةٍ منهم، لإعادة هذه الأقاليم إلى الحضيرة العباسيّة مجددًا، بينما بقيت مصر تخضع للحكم العباسي بمفردها. وكان لافتقار العباسيين إلى قوّة بحريّة فعّالة، سببًا لضياح هذه الأقاليم كلّها من قبضتهم<sup>(1)</sup>.

وكان لانشغال بيزنطة في الفتن الداخليّة والمشكلات الخارجيّة التي ألمّت بها، سببٌ في تجميد نشاطها البحري؛ فهذه الظروف لم تشجّع القوّتان على المواجهة في البحر إلا قليلاً في حالاتٍ استثنائيّة. إن تجميد نشاط البحريّة الإسلاميّة وعجزها في مواجهة بيزنطة بحرًا، كان يعني أن الركود البحري قد شلَّ أطراف الأسطول الإسلامي مؤقتًا، لفترةٍ دامت ما يقرب من خمسين عامًا. واتّجهت وجهة الحرب بين الطرفين، بأن صارت غاراتٍ بريّةٍ كان الهدف منها التخريب، وغير ذلك من إتلاف النفس والمال، كما لم يهتم العباسيون لإنشاء

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص161.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

أسطول لهم في البحر المتوسط، يحيي سواحلهم، ويقمها شرّ الهجمات البيزنطية على المدن المطلّة على هذا البحر، وبقي اعتمادهم على جيوشهم البرية<sup>(1)</sup>.

وعلى الرغم من ضعف قوّة العباسيين البحرية، إلا أنه بقيت قوتان بحريتين إسلاميتين بجانب قوّة بيزنطة، هما: الأندلس والشام، مع أن قوتهم البحرية تمّ تنظيمها على أساس محلي، أمّا مصر وبلاد المغرب فكانتا عاجزتين بحريًا تمامًا<sup>(2)</sup>. ولم تستعد هاتين القوتين قدرتهما إلا فيما بعد، عندما بدأت الهجمات البرية العباسية على أقاليم آسيا الصغرى، وما رافقها من غارات بحرية على القواعد البيزنطية، تمهيدًا لإعادة السيطرة الإسلامية على البحر المتوسط.

### 2. اهتمام (هارون الرشيد) بالبحرية

لمّا تولى (هارون الرشيد) الخلافة عام 170هـ (786م)، بدأت الحياة تدبّ في أوصال البحرية الإسلامية، بعد أن كانت مُصابة بالشلل. فلم يكن هناك أي منافس للأسطول البيزنطي، إثر هزيمته المؤلمة للأسطول الأموي عام 129هـ (747م). فقد رأى (الرشيد)، أهمية هذا النشاط لضمان بقاء هيبة سلطان خلافته؛ فالغارات البحرية بدت تظهر بصورة جليّة، في الوقت الذي أخذت فيه الغارات البرية العباسية تشتد<sup>(3)</sup>، وهذا يعني أن الصحوة الإسلامية قد وصلت إلى مرحلة استطاعت بمقتضاها الوقوف على قدميها.

(1) - سالم، السيد عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار (1981)، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت: دار النهضة العربية، ص37؛ حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج2، ص197-198.

(2) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص158-159.

(3) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص38؛ العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص86.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وفي عام 189هـ (805م)، شنَّ الأغالبة حكام المغرب الأدنى غارةً بحريَّةً على جزر "البلوبونيز Peloponnese" اليونانية، كما أمدوا الصقالبة المناوئين لبيزنطة، بالمساعدة في حصار مدينة "باتراس Patras". ولم يكن ما قام به الأغالبة من هذه الجهود، سوى جانبٍ من الخطة التي وضعها الخلفاء العباسيون للتضييق على القسطنطينية برًّا وبحرًا<sup>(1)</sup>. وفي العام التالي، نقض أهالي جزيرة قبرص عهدهم مع المسلمين، فغزاهم الأسطول العباسي بقيادة (حميد بن معيوف الهمداني)، وشرع في الهدم والحرق فيها، وقتل أعدادًا كبيرة منهم، وسبى نحو سبع عشر ألفًا منهم، وقيل ست عشر ألفًا<sup>(2)</sup>. كما قام (ابن معيوف) -أيضًا- بغزو جزيرة إقريطش، ففتح بعض أنحاءها، لكن لم يلبث أن انحسرت عنها السيطرة الإسلامية برحيل الفاتحين. وأعدت هذه الغزوة البحرية إلى الأذهان، أمجاد المسلمين البحرية السابقة، فتطلَّعت أعينهم إلى إعادة تلك الأمجاد مجددًا، فأعقبوا تلك الغزوة بغزوةٍ أخرى على جزيرة "رودس Rhodes" في عام 191هـ (807م)، عادت مُحمَّلةً بالغنائم والأسرى، لكن غارات العباسيين البحرية توقفت في آخر أيام (الرشيد)، بسبب انشغاله بالفتن والقتال الداخليَّة<sup>(3)</sup>.

بعودة الروح إلى البحرية الإسلامية، بدأ نفوذ بيزنطة البحري يتراجع أمام هذه الصحوة، التي كانت بمنزلة مفاجأة باغتت بيزنطة، نتيجةً للصراعات

(1) - العربي، السيد الباز (د.ت)، الدولة البيزنطية 323-1081م، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص269.

(2) - ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (1407هـ / 1987م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، مج5، بيروت: دار الكتب العلمية، ص342؛ الطبري، محمد بن جرير (1975)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج8، القاهرة: دار المعارف، ص320.

(3) - الحارثي، الشريف محمد بن حسين (فبراير 2020)، "جزيرة كريت "إقريطش" والفتح الإسلامي: دراسة تاريخية"، مكة المكرمة، ص2؛ العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص87.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

الداخلية التي اعترتها. فقد قامت حربٌ أهليةٌ كان السبب في إشعالها ثورة (توماس Thomas) الصقلي، وذلك بين عامي (206-208هـ / 821-823م)، وتسببت ذلك الحرب بإضعاف قوّة بيزنطة في البحار. وتُعدُّ هذه الثورة، السبب الرئيس والمباشر في حكم الإمبراطور (ميخائيل الثاني Michael II). وهي إلى ذلك، فرضت على بيزنطة سياستها الدينية، وترتب عليها فقدان جزيرتي إقريطش وصقلية؛ كنتيجةً من نتائجها. وكان (توماس) قد لاقى تأييداً في كل آسيا الصغرى تقريباً، كما لم يتردد الخليفة (المأمون) من التحالف مع ثورته. ولم يكن وجود الفرق الإسلامية في جيوش (توماس) اتفاقاً، كما لم يكن دخول المسلمين فيه رغبةً في الغنيمة والكسب حسب قول (فازيليف): بل كان (المأمون) يتبع خطة دقيقة معادية للبيزنطيين<sup>(1)</sup>. ويبدو أن ثورة (توماس) كانت مطرقة هوت بشدة على أعصاب بيزنطة، بحيث كانت من القوّة بأن شلت حركتها البحرية مؤقتاً، إلى حين إعادة السلطان لها مجدداً فيما بعد.

وفيما بعد، صادق الإمبراطور (ثيوفيلوس Theophilus) والخليفة العباسي (المعتصم بالله) على معاهدة سلام بين البيزنطيين والعباسيين في عام 226 هـ (841م)، حيث كان (ثيوفيلوس) يأمل باسترداد جزيرة صقلية من الأغالبة، واستمرت هذه المعاهدة حتى أمر الخليفة بتجهيز حملة بحرية لمهاجمة القسطنطينية. وفي العام التالي، خرجت قوّة بحرية قوامها (400) رجل أبحرت من موانئ الشام، ثمّ مات الخليفة (المعتصم)، ولحقه في الشهر نفسه (ثيوفيلوس). وقد تمّ تدمير الأسطول العباسي البحري بالكامل، بسبب عاصفة على صخور جزر "شيلدونيا Chelidonian" على طول ساحل "ليكيان Lycian". وقد نجت

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص168؛ فازيليف (د.ت)، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة: دار الفكر العربي، ص28-29.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

سبع من البوارج العباسية التي اتخذت قرارًا بالعودة إلى الشام؛ وبذلك نجت القسطنطينية من هذا الهجوم<sup>(1)</sup>.

وفي نهاية القرن الثاني الهجري، أهملت بيزنطة نشاطها البحري، لتجاري بذلك المسلمين في انصرافهم عن البحر، إلا أن بلاد المغرب بعد أن استقلت عن الخلافة العباسية اتجهت اتجاهًا بحريًا، وعادت السيادة للمسلمين في البحر المتوسط، نتيجة استغلالهم للظروف التي مرّت بها بيزنطة التي انشغلت بمحاربة البلغار في عهد الإمبراطور (ليون الخامس Lyon V)، وإخماد ثورة (توماس). وكان مسلمو المغرب والأندلس، أفضل من استغل هذه الظروف التي جرت في بيزنطة لمصلحتهم<sup>(2)</sup>. فقد كان للإمارة الأموية في الأندلس، دورٌ في الفتوحات البحرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ فخلال حقبة حكم (الحكم بن هشام)، انطلقت حملة في عام 182هـ (798م)، باتجاه جزر البليار التي استعان سكّانها بملك بلاد الغال (فرنسا) (شارلمان Charlemagne)، ونجحت هذه المعونة في إبعاد المسلمين عنها مؤقتًا<sup>(3)</sup>. وفي عام 200هـ (815م)، كان أهل جزيرة "ميورقة Majorca" مرتبطين مع المسلمين بعهدٍ، لكن سكّان الجزيرة نكثوا العهد في عام 234هـ (848م)؛ فأرسل (عبد الرحمن الثاني بن الحكم) أسطولًا في العام ذاته مكونًا من ثلاثمائة مركب، فنجح في إخضاعهم<sup>(4)</sup>.

يتضح لنا ممّا سبق، أن الخلافة العباسية وعلى الرغم من تعاضم حجم مساحتها، لكنها لم تولي الشأن البحري أهمية كبيرة كما كانت الخلافة

(1) - Bury (J. B.) (1912), A history of the Eastern Roman empire from the fall of Irene to the accession of Basil I. (A.D. 802-867), London: Macmillan and Co, p. 274.

(2) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 47.

(3) - كلييا، مجاهد العامري؛ قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط، ص 187.

(4) - ابن عذارى المراكشي (1950)، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج 2، بيروت: مكتبة صادر، ص 132.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

الأمويّة من قبل، وانصبَّ جلُّ اهتماماتها فقط في المعارك البريّة ضدَّ البيزنطيّين في منطقة آسيا الصغرى. ولم يبرز الاهتمام الفعلي لها بالغزو البحري إلا في عهد الخليفة (هارون الرشيد)، عندما قامت في عهده أول محاولة بحريّة جادّة، بإرساله حملةً لغزو جزيرة قبرص في عام 190هـ (806م).

رابعًا: دور المهاجرين الأندلسيّين في إعادة إحياء البحريّة الإسلاميّة  
1. ظهور المهاجرين الأندلسيّين واستيلاؤهم على مدينة الإسكندرية

تولّى (الحكم الأول) مقاليد السلطة في "قرطبة Córdoba" بعد أبيه (هشام بن عبد الرحمن) في عام 180هـ (796م)، واختلفت السياسة التي اتبعها (الحكم) عن سياسة أبيه، إذ هدفت سياسته إلى إبعاد الفقهاء عن التدخّل في شؤون الحكم، والاكتفاء بإقامتهم للشعائر الدينيّة، بهدف استحواذ كافة السلطات والصلاحيّات في يديه، والحيلولة دون تدخّلهم مباشرةً في الأمور التي يتخذها، ممّا أثار حفيظتهم فأعلنوا العصيان عليه، فعاثوا في الطرقات، كما ثار -أيضًا- المولّدون والإسبان الذين اعتنقوا الإسلام في مدينتي قرطبة و"طليطلة Toledo" بقيادة الفقهاء. وفي عام 190هـ (805م)، اندلعت في شوارع قرطبة ثورةٌ عارمة، سرعان ما انتهت بعد قمعها. فقامت ثورة أخرى أشدّ من سابقتها في عام 198هـ (814م) رأسها الفقهاء أيضًا، فخلعوا (الحكم)، وبايعوا أحد أفراد أسرته ويُسمّى (ابن شماس)، الذي تظاهر بقبول عرضهم، لكنّه فضح أمرهم؛ فكانت النتيجة مقتل ثنتان وستين من المتأمّرين<sup>(1)</sup>، ما جعل الأمور تزداد سوءًا وتعقيدًا، وبدأت المدينة تتهيأ لثورةٍ عارمةٍ ضدّ (الحكم).

(1) -المقري، أحمد بن محمد (1408هـ / 1988م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، مج 1، بيروت: دار صادر، ص 339؛ فازيليف، العرب والروم، ص 52.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

حاصر المتظاهرون قصر الأمير، ولكنه تمكّن بدهائه من القضاء على ثورتهم، بعد أن أشعل النيران في حيّ الرّيض الذي يسكنه معظم الثائرين، ما جعلهم يسرعون لنجدة أطفالهم ونسائهم. وانتَهز (الحكم الأول) الموقف الذي نشأ عن هذا الحريق، وما تلاه من نشر الذعر بين سكّان الحي، فأعمل فيهم السيف، وقتل وصلب منهم نحو ثلاثمائة<sup>(1)</sup>. وظلّ يعمل القتل والصلب في أهالي الحيّ، حتى أوقع الهزيمة بالثوّار. وبقي الحال هكذا لمدة ثلاثة أيام، ثمّ اتخذ قرارًا بمحو هذا الحيّ محوًّا نهائيًّا، فجمع أولئك المغلوبين على أمرهم نساءهم وأطفالهم، وما استطاعوا من أموالهم ومتاعهم، واتجه بعضهم نحو مدينة طليطلة، وآخرون اتّجهوا بحرًا نحو شواطئ بلاد المغرب، بينما اتجهت جماعة كبيرة منهم نحو الإسكندرية بمصر، قُدّر عددهم بنحو خمسة عشر ألفًا استقرّوا فيها. ويبدو أن هؤلاء المهاجرين الأندلسيين قد ملكوا هذه المدينة في عام 200هـ (816م). فلم يعقّ طريقهم لا العباسيون ولا البيزنطيّون، فحكموها اثنتي عشرة سنة مستغلّين الأوضاع السياسيّة الصعبة التي كانت تمر فيها مصر<sup>(2)</sup>.

وبعد أن تولّى (المأمون) الخلافة، وجد أنه من الأفضل وضع حدًّا للقلاقل الداخليّة في مصر، فتمّم له هذا الأمر على يد أحد قوّاده ويُسمّى (عبد الله بن طاهر)، حيث قاتل (عبد الله بن السري) وحاصره حتى قبل الأمان، وذلك في عام 210هـ (825م). وبعد ذلك، رأى حتميّة إنهاء القلاقل والشغب السائدين

(1) - العدوي، إبراهيم (1951)، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ص 88؛ ابن الأبار (1963)، الحُلّة السرياء، تحقيق: د. حسين مؤنس، ج 1، القاهرة: دار المعارف، ص 44؛ بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 2، ص 157.

(2) - فازيليف، العرب والروم، ص 52-53؛ ابن الأبار، الحُلّة السرياء، ج 1، ص 44-45؛ المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (1998)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ج 1، تحقيق: د. محمد زينهم، ومديحة الشراوي، القاهرة: مكتبة مدبولي، ص 486.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

في الإسكندرية، وذلك بالقضاء على الأندلسيين الوافدين إليها. وهنا، أدرك (ابن طاهر) أهمية الأسطول في هذا الموقف، إذ رأى أنه لن يستطيع القضاء على جميع هذه الفتن إلا إذا استخدم كلتا القوتين البرية والبحرية معاً، فأرسل في طلب بعض السفن العباسية من الشام إلى مدينة تنيس، لمحاصرة الإسكندرية، وإرغامها على الإذعان له<sup>(1)</sup>. فسار إلى الإسكندرية في عام 212هـ (827م)، وضرب عليها الحصار إلى أن اضطرت إلى الاستسلام، وعندئذ وجد الأندلسيون أنه لا مفرّ لهم إلا بمصالحته، فصالحهم شريطة أن يخرجوا منها إلى حيثما شاءوا من الأراضي غير التابعة للسيادة العباسية، فاختراروا التوجه إلى جزيرة إقريطش فأقاموا بها وتنازلوا، وعملوا على تعميرها، حتى استعادها البيزنطيون منهم في عام 345هـ (956م)<sup>(2)</sup>.

إن اختيار المهاجرين الأندلسيين لجزيرة إقريطش لم يكن اختياراً عشوائياً؛ فالواضح أنه كانت لهم معرفة سابقة بها، بدليل اختيارهم لها مع وجود جزر أخرى في البحر المتوسط، فإقريطش كانت وقتذاك خالية من البيزنطيين، وهذا ما شجّعهم على التوجه صوبها، والإقامة في كنفها، وهي إلى ذلك تُعدُّ أكبر الجزر اليونانية ثراءً<sup>(3)</sup>. وبدخول هؤلاء الأندلسيين إلى إقريطش انتهت مرحلة الضعف البحري الإسلامي، ودخل المسلمون طوراً جديداً من أطوار المجد، بعد أن رفضوا عنهم غبار مدّة طويلة من الضعف، امتدّت منذ عام 99هـ (718م) التي انتهت بها السيادة البحرية الإسلامية على البحر المتوسط.

(1) - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1421هـ / 2000م)، تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر، ج3، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص317؛ سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب وأندلس، ص80.

(2) - المقرئ، المواعظ والاعتبار، ج1، ص488-489؛ الكندي، محمد بن يوسف (1908)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 183؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص480.

(3) - ابن الأثير، الخلة السيرة، ج1، ص45؛ العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص88.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

2. المهاجرون الأندلسيون يغزون جزيرة إقريطش، وبيزنطة تهاجم دمياط  
أ. غزو المهاجرين الأندلسيين لجزيرة إقريطش: انصاع المهاجرون الأندلسيون لقرار رحيلهم عن الإسكندرية، واللجوء إلى مكانٍ آخر، فكان اختيارهم لجزيرة إقريطش. ولم تكن هذه هي المرة الأولى الذي غزا بها هؤلاء هذه الجزيرة، فخلال إقامتهم في الإسكندرية كانوا قد أرسلوا إليها عدّة سفن في عام 211هـ (826م)، وقفلت عائدة محمّلة بالأسرى والغنائم، ومعلوماتٍ وفيرة عن الجزيرة. ثمّ أبحر المهاجرون الأندلسيون من الإسكندرية في عام 212هـ (827م) بقيادة (أبي حفص عمر بن شعيب البلّوطي)، متجهين إلى إقريطش في أربعين سفينة، حيث نزلوا في خليج "سودا Suda"، ثمّ أخضعوا الجزيرة بالتدرّج ولم يجدوا أي مقاومة عند نزولهم فيها نهائياً، ثمّ إن أهلها لم يعارضوا دخول المسلمين، لحنقهم على الإدارة البيزنطية التي استعملت القسوة ضدّهم في الحركة اللايقونية التي حدثت داخل بيزنطة<sup>(1)</sup>.

وعندما وطئت أقدام الأندلسيين أرض الجزيرة، اقتنعوا بحصن واحد من حصونها الكثيرة، وأقاموا تحصيناتٍ منيعة حتى يتحصّنوا فيه عند غزو البيزنطيين لهم، وحفروا حول هذا الحصن خندقاً، لذا عُرف الحصن باسم "ربض الخندق" أو الخندق اختصاراً. وقد حرّف الأوروبيون هذا الاسم فيما بعد، فأصبح "Chaodax"، ثمّ "كانديا Candia". ولمّا اطمأنّ الأندلسيون إلى أن قاعدتهم أصبحت حصينة، أخذوا يفتتحون المدن والحصون الأخرى في الجزيرة، حتى وصل عددها إلى تسعٍ وعشرين مدينة، حتى أكملوا فتح الجزيرة في نحو عام 230هـ (844م). وممّا شجّعهم على إتمام فتح إقريطش، استغلالهم لحالة الضعف الذي كانت تمرُّ بها بيزنطة، بسبب ثورة (توماس) التي استنفدت

(1) - العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص88:

Gibbon (Edward), History of the Decline and Fall of the Roman Empire, Chapter LII: More Conquests by the Arabs, part IV, Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library, pp. 2290-2291.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

قواها. ولم يلبث أن دخل الأندلسيون في الجزيرة في فلك العباسيين بهدف حمايتهم، كما استغلوا الموارد الطبيعية الموجودة فيها، وخاصة الأخشاب في صناعة سفن جديدة تدعيمًا لأسطولهم، ولتعيينهم على مواصلة الغزو<sup>(1)</sup>.

وجزيرة إقريطش لها من الأهمية الاستراتيجية، ما دعا (القلقشندي) إلى وصفها: بأنها "جزيرة عامرة، كثيرة الخصب، ذات كروم وأشجار، وبها معدنٌ ذهبٍ، وبينها وبين ساحل برقة يومٌ وليلة"<sup>(2)</sup>. ونظرًا لقربها من سواحل المغرب الأدنى؛ فإن استقرار الأندلسيين بها جعل من هذه السواحل آمنة من المخاطر البيزنطية. وتتمتع إقريطش بموقعٍ استراتيجيٍّ ممتاز في وسط البحر المتوسط؛ فهي جسرٍ يربط بين شبه جزيرة "البلوبونيز Peloponnese" وشبه جزيرة "الأناضول Anatolia"؛ لذلك فهي تتحكم في الممرات المائية إلى بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى ومقدونيا. فضلًا على ذلك؛ فهي تقع بجوار عددٍ كبير من جزر بحر إيجه، مثل: جزر رودس، و"ميتلين Mytilene"، و"سكوبيلوس Skopelos"، و"ميلوس Milos"، و"ساموس Samos"، و"لمنوس Limnos"، و"خيوس Kos"، و"ثاسوس Thasos" التي تكوّن خطًا دفاعيًا أماميًا لسواحل بيزنطة الواقعة على بحر إيجه وبحر مرمرة<sup>(3)</sup>.

وبامتلاك الأندلسيين لأسطولٍ قوي أخذوا يهاجمون جزر بحر الأرخبيل، كما أخذت السيطرة والسيادة في البحر المتوسط تعود للمسلمين مجددًا<sup>(4)</sup>، بعد أن استردت البحرية الإسلامية عافيتها على أيدي هؤلاء المهاجرين، الذين فتحوا صفحةً جديدة في تاريخ هذه البحرية، ملأت الآفاق لأكثر من مائة عام.

(1) - فازليف، العرب والروم، ص 288-289: Bury op. cit.

(2) - القلقشندي، أبي العباس أحمد (1915)، صبح الأعشى، ج 5، القاهرة: المطبعة الأميرية، ص 371.

(3) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص 40.

(4) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 83.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

ولما هاجمت بيزنطة الشام، ونهبت فيها مدينة أنطاكية بين عامي (213-227هـ / 828-841م)، أدرك العباسيون أهميّة وجود قوّة بحريّة لحماية السواحل الإسلاميّة. وكانت مصر المزوّد الرئيس لمسلمي إقريطش بالسّلاح والمعدّات، كما كانت دار الصناعة الموجودة في دمياط، تقوم بتزويدهم بالسفن المنتجة من أخشاب إقريطش<sup>(1)</sup>. وأدركت بيزنطة الخسارة الفادحة التي أبتليت بها نتيجة فقدانها لإقريطش، وكان الإمبراطور (ميخائيل الثاني)، ومن خلفه في الحكم قد أدركوا ما يهدّد بيزنطة من الخطر الإسلامي القائم لا سيّما في إقريطش، فعمل على استردادها بعد قضائه على ثورة (توماس) عام 213هـ (828م)، بواسطة محاولاتٍ عدّة يائسة بُغية استردادها من أيدي الأندلسيين، وكانت أهم تلك المحاولات في العام المذكور، ولكن إقريطش كانت قد أصبحت معقلاً بحريّاً منيعاً في وجه الغارات البيزنطيّة البحريّة، فعين (ميخائيل) قائد ثغر الأناضول (فوتينوس Photeinos) قائداً لثغر إقريطش، فوصل إليها بعد بضعة شهور من استيلاء الأندلسيين عليها، لكنه اكتشف أن ما يملكه من قوّات لا يكفي للمحافظة على ممتلكاته بالجزيرة، فتمّ إمداده بجيشٍ كبير بقيادة (دميانوس Damianos)، لكنه أُصيب ووقع نفسه أسيراً، بينما استطاع (فوتينوس) الإفلات من الأسر بصعوبة، والهرب إلى جزيرة "ديوس Dios" المواجهة لحصن الخندق (كانديا)<sup>(2)</sup>.

لم تكن هذه الهزيمة نهاية المطاف لبيزنطة، فأرسلت في العام ذاته أمير بحر يُسمّى (كراتيروس Krateros)، لاستعادة الجزيرة في أسطولٍ كبير عدد

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص224-225؛ سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص40.

(2) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص84؛ فازنليف، العرب والروم، ص60؛

Bury, op. cit. p. 289-290

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

قطعه سبعين سفينة، ولكنه هُزم أيضًا<sup>(1)</sup>. وبقيت إقريطش صامدة أمام الهجمات البيزنطية المتكررة عليها. وتعدُّ هذه الهزيمة في حدِّ ذاتها المعول الرئيس في هدم أجزاءٍ مهمّةٍ من الإمبراطورية البيزنطية، ثمَّ ضمَّها إلى الدولة الإسلامية.

بقي الأندلسيون مبعثًا للربح والفرح لمنطقة بحر إيجة وللعرش البيزنطي، إذ أحرزوا انتصارًا ساحقًا على أسطول بيزنطة في عام 214هـ (829م)، بالقرب من جزيرة ثاسوس. وتنبَّه البيزنطيون إلى أن مصر تُعدُّ السبب الرئيس في مصدر قوَّة الأسطول الإسلامي في إقريطش؛ فهي التي تُنتج السفن للأندلسيين في هذه الجزيرة، إضافةً إلى أنها تزوِّدهم بما يلزمهم من سلاحٍ وعُدِّ وأمتعة<sup>(2)</sup>.

ب. مهاجمة بيزنطة لمدينة دمياط: اعتقد البيزنطيون، أن هجومًا مفاجئًا على مصر مُمَثِّلًا بضرب مدينة دمياط، يمكن أن يُخَلِّص إقريطش من براثن المسلمين، فعملت على قطع أي اتصالٍ بينها وبين مصر، وذلك بمهاجمة دمياط عن طريق البحر. وكان -آنذاك- (عنبسة بن إسحاق الضبي)، في عام 238هـ (853م) واليًا على مصر، من قبل الخليفة العباسي (المتوكل على الله)، وكان عدد سفن بيزنطة حوالي ثلاثمائة سفينة، حسب قول غالبية المؤرِّخين ومنهم (ابن الأثير)، بينما يذكر (اليعقوبي)، بأنها خمسٍ وثمانون سفينة فقط<sup>(3)</sup>، لكننا نميل للرأي الأول، إذ لا يُعقل أن تقوم بيزنطة بمهاجمة الساحل المصري بعددٍ محدود من السفن.

(1) - Bury, op. cit. p. 290.

(2) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص169؛ سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص86.

(3) - العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص91؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (1407هـ (1987م))، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، مج6، بيروت: دار الكتب العلمية، ص117؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (1995)، تاريخ اليعقوبي، مج2، ط6، بيروت: دار صادر، ص488.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وقام البيزنطيون بترتيب سفنهم، بحيث قسموها بأن يقود كل مائة سفينة أمير بحر، وكان سبب هجوم البيزنطيين، انتهازهم فرصة إخلاء المدينة من الجند المكلفين بحراستها يوم عيد الأضحى، ذلك أن هذا الوالي أراد أن يحتفل بطهور ولديه يوم العيد، وكان احتفالاً كبيراً، ممّا دعاه إلى استدعاء الجند من ثغري دمياط وتنيس، بالإضافة إلى الإسكندرية أيضاً<sup>(1)</sup>. وبينما المدينة خالية من الجند القائمين على حراستها، هاجم البيزنطيون دمياط، فقتلوا الكثير من أهلها، وأحرقوا ألفاً وأربعمائة منزل، وسبوا أعداداً كبيرة من نساء المدينة، منهم ألفاً وثمانمائة وعشرين امرأة مسلمة، وألف من القبطيات، ومائة امرأة يهودية، وأخذوا السلاح الموجود فيها، وحاول الناس الهرب فغرق نحو ألفين منهم<sup>(2)</sup>. بينما يذكر (ابن الأثير)، أن عدد السبايا كان ستمائة فقط من المسلمات والذميات<sup>(3)</sup>.

ويبدو أن الرّقم الذي ذكره (ابن الأثير) قابلاً للتصديق، إذ لا يُعقل أن ينقل البيزنطيون نحو ألفي وتسعمائة وعشرين امرأة على سفنهم، بالإضافة إلى الأسلحة التي استولوا عليها. ورواية (اليعقوبي) قد تكون مقبولة في حالة واحدة، هي قلة عدد الجند البيزنطي فوق الثلاثمائة سفينة التي جاءت لمهاجمة دمياط.

ولقد حاول (عنبسة) -لاحقاً- للحاق بالبيزنطيين المهاجمين لكنه لم يستطع إدراكهم، إذ كانوا قد رحلوا إلى مدينة تنيس، وظلّوا بأشتومها فلم يحاول اتباعهم؛ بل اكتفى بإصلاح شأن دمياط، ثمّ عاد إلى مصر. وفعل البيزنطيون بأشتوم تنيس ما فعلوه بدمياط، إذ كان على هذا الأشتوم سورٌ

(1) - بن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (1963)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، القاهرة: وزارة الثقافة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ص294.

(2) - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج2، ص488.

(3) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج6، ص117.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وبابان من حديد، فأخذوا البابين ونهبوا السّلاح، وعادوا دون أن يتعرّض لهم أحد، ما دعا (المتوكّل) لإلقاء الأوامر ببناء حصن دمياط عام 239هـ (854م). ومن ثمّ، جرى الاهتمام بالأسطول المصري، لمواجهة أي اعتداء بيزنطي جديد على السواحل المصريّة. وبدأ والي مصر يُنشئ الشواني للأسطول، كما جعل للبحر غزاة مثل الغزاة في البرّ، ومنحهم الأرزاق، ما حدا بالناس إلى تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة<sup>(1)</sup>. وتلا الهجوم البيزنطي السابق على دمياط، هجومًا آخر على المدينة ذاتها عام 245هـ (859م)، فأمر الخليفة (المتوكّل) عام 247هـ (861م)، بترتيب المراكب بمدينة عكا في الشام، وجميع السواحل، وإمدادها بالمقاتلين<sup>(2)</sup>.

وبالرجوع للحديث عن جزيرة إقريطش، نجد أن الأندلسيين صعّدوا غاراتهم على سواحل آسيا الصغرى، فهاجموا "كاريا رايونا Kariya Rayona"، كما خرّبوا "السيكلاد Cyclades" و"الآتوس Athos" عام 248هـ (862م)، ثمّ أنشأوا في عام 252هـ (866م)، قاعدة شبه دائمة على جزيرة "نيون Neon" بالقرب من شبه جزيرة "خلسيد Chalcide". وخلال استقرار الأندلسيين في إقريطش، غزوا جزيرة "يوجين Eugene"، وأسروا الكثير من أهلها، كما قتلوا غيرهم<sup>(3)</sup>. وبعد الانتصارات التي حقّقها المسلمون ضدّ الجزر البيزنطيّة، غدت إقريطش منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، أهم وأعظم قاعدة

(1) - المقرئزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص599؛ الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ص200، 202؛ بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص295؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج6، ص117؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص157-158.

(2) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص223؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص162.

(3) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص86؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص223؛ فزليف، العرب والروم، ص58.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

بحريّة بحوزتهم في الحوض الشرقي للبحر المتوسط<sup>(1)</sup>. فكانت كدرع وقاية وأمان يحمي المسلمين من الهجمات البيزنطية، أو يقلل من خطورة الهجوم البيزنطي في الأقل.

وبقيت إقريطش تابعة من ناحية التقسيم الإداري لولاية مصر منذ عام 210هـ (825م)، وبفضل هذه السيادة البحرية، بدأ المسلمون يستعدّون لفتح كبير في جنوب أوروبا، يضم جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا والسواحل الفرنسية. وبفضل هذه السيادة أيضًا، أقام الأندلسيون في الجزيرة دولةً إسلاميةً كان اعتمادها على معرفة سكّانها بالشؤون البحرية، وبقيت هذه الدولة حتى عام 345هـ (956م)، عندما تمكّن الإمبراطور (نقفور فوقاس Nicephorus Phokas) من استردادها<sup>(2)</sup> من أيديهم، ولتغيب شمس الإسلام عن إقريطش بسبب ضعف حكّامها، بعد أن مضى عهدهم الذهبي، بقيادة حكّامها الأوائل الذين أثخنوا الجراح في جسد بيزنطة.

### خامسًا: دور الأغالبة في الاستيلاء على جزيرة صقلية

في عام 189هـ (805م)، كان (إبراهيم بن الأغلب) مؤسس دولة الأغالبة قد عقد هدنة مع (قسطنطين Constantine) بطريك وحاكم صقلية مدّتها عشرة أعوام، ولكن بسبب خروج تونس وطرابلس عن طاعة (ابن الأغلب)، ومن ثمّ قيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، وما ترتّب على ذلك من انقسام بلاد المغرب بين الأغالبة والأدارسة، أدّى إلى صعوبة تركيز القوى الإسلامية في تلك البلاد، وحشدتها للاستيلاء على صقلية. وفي عام 197هـ

(1) - سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص40.

(2) - ماجد، عبد المنعم (1966). العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت: مكتبة الجامعة العربية، ص89، 91.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

(813م)، عقد (أبي العباس عبد الله بن الأغلب) الذي خلف أباه (إبراهيم) على الحكم -أيضاً- معاهدة مع (جريجوري Gregory) حاكم صقلية، مدتها عشرة أعوام<sup>(1)</sup>.

وبعد انقضاء الهدنة بين الأغالبة وحكام صقلية، وبينما كانت بيزنطة قد أبتليت بداء المهاجرين الأندلسيين، نتيجة استيلائهم على إقريطش لم تلبث أن أبتليت بداءٍ أشدَّ عضالاً، فبينما كان الإمبراطور (ميخائيل الثاني) يحاول استخلاص إقريطش من أيدي الأندلسيين، وصلته الأنباء بأن الأغالبة شرعوا يدقون أبواب جزيرة صقلية التي منها كانت بيزنطة تضرب سواحل بلاد المغرب منذ الفتح العربي الإسلامي لها<sup>(2)</sup>.

وثمة أسبابٌ عدّة أدّت لغزو الأغالبة جزيرة صقلية، منها:

1. تمهيد السبيل لفتح البلاد الأوروبية ومهاجمتها من الوسط، حيث أخفق هجوم المسلمين عليها من ناحية الشرق عند جدران القسطنطينية، كما أخفق الهجوم عليها من ناحية الغرب في سهل مدينة "بواتيه Poitiers" الفرنسية أمام (شارل مارتل Charles Martel).
2. محاولة قطع دابر القرصنة البيزنطية بعد أن اتخذت من صقلية مركزاً لها، تشنُّ منها الغارة تلو الغارة على المغرب الأدنى.
3. رغبة الأمير الأغلبي في قطع دابر الفتن الداخلية والثورات التي كانت تجتاح البلاد<sup>(3)</sup>، وإن كنتا نرى أن هذا السبب لا تدعمه الوقائع المادية، إذ كيف

(1) - عبد الواحد، ذنون طه؛ وآخرون (2004)، تاريخ المغرب العربي، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي، ص261؛ Bury, op. cit. p. 295.

(2) - ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب، ص95؛ Bury, op. cit. p. 291.

(3) - المدني، أحمد توفيق (1969)، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، سيراكوزا: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص56.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

لحاكمٍ ما يريد أن يتخلّص من مشاكله الداخليّة، بغزو بلادٍ أجنبيّة قد يؤدّي الفشل في الاستيلاء عليها، ليس فقط إلى تفاقم مشاكله الداخليّة؛ بل أيضًا دفع جيشه في أتون صراعٍ دوليٍّ غير مضمون العواقب.

4. تفاقم الأوضاع في بيزنطة التي شهدت قيام ثورة (توماس) في آسيا الصغرى، ما اضطرّ الإمبراطور (ميخائيل الثاني) إلى سحب جيوشه من صقلية وأطراف إمبراطوريّته، لدفع الخطر عن عاصمته<sup>(1)</sup>. كذلك، انشغال الدولة الكارولنجيّة بمشاكلها الداخليّة، وعزوفها عن ركوب البحر، وكذلك اهتمام الدول الإسلاميّة في بلاد المغرب بالمسالك البريّة، جعل الحوض الغربي للبحر المتوسّط محل نزاع وتعاون بين الدولة الأغلبيّة في القيروان، والإمارة الأمويّة في الأندلس، إضافةً إلى تنامي قوّة البحريّة الإسلاميّة في هذا الحوض<sup>(2)</sup>.

5. إضفاء الصفة الجهاديّة على عملية الاستيلاء على صقلية؛ فالكثيرين دفعتهم المصالح العليا للدين، والرغبة في الحصول على الرضا من عند الله، حيث كان أهالي بلاد المغرب الإسلامي قد تفقّهوا في الدين، وأصبح منهم العلماء والفقهاء الورعون الذين كانوا عصب عمليّة الفتح، وأضفى اختيار الفقيه (أسد بن الفرات) لقيادة الحملة عليها طابع الجهاد المقدّس<sup>(3)</sup>.

6. أن الاستيلاء على صقلية وضمّها إلى دار الإسلام، سوف يُكسب الأغالبة تأييدًا ومكانةً ومهابةً في نظر المسلمين عامّةً، والخلافة العباسيّة خاصة<sup>(4)</sup>.

(1) - عبد الواحد، تاريخ المغرب العربي، ص 263.

(2) - أبو صوة، محمود أحمد (2000)، دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط، فاليتا (مالطا): منشورات شركة ELGA، ص 42.

(3) - مارسيه، جورج (1991)، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: هيكل محمود عبد الصمد، الإسكندرية: منشأة المعارف، ص 74-75.

(4) - الفقي، عصام الدين (1990)، تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ص 124.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

7. أن المجتمع الصقلي تحت الحكم البيزنطي، شهد أوضاعًا اجتماعية متردية. فقد اتسم حكم البيزنطيين بالاستبداد والاستغلال الاقتصادي، بواسطة إجبار المجتمع الصقلي على دفع ضرائب مالية باهظة<sup>(1)</sup>.

في الوقت الذي انصرف فيه العباسيون لمشاكلهم الداخلية والخارجية على حدٍ سواء، وانصراف البيزنطيين للفتن الداخلية، بدت تتضح نوايا المسلمين في بلاد المغرب الإسلامي للسيطرة على جزر البحر المتوسط الأوسط والغربي. فخلال عام 212هـ (827م)، أرسل زيادة الله الأول الأغلي سبعون سفينة على متنها قرابة عشرة آلاف فارس لغزو صقلية، بهدف مساعدة أحد الثائرين بها على بيزنطة يُدعى (فيبي) (إيفيميوس Euphemios)، ونجحت حملة الأغالبة إلى حدٍ بعيد بسبب ضعف أسطول صقلية البيزنطي<sup>(2)</sup>.

وفيما يخصُّ السبب الذي دعا (إيفيميوس) للالتجاء إلى الأغالبة، وطلب العون منهم؛ فالواضح أنه لم يكن أمامه خيارٌ آخر، حيث كان جيرانه من النصارى القريبين منه في الدوقيات الإيطالية، مثل: قلورية (كالابريا Calabria) و"نابولي Naples" و"أمالفي Amalfi"، معترفين بسلطة بيزنطة في الأقل من الوجهة النظرية ولم يكن لديهم أي رغبة في نجاته، كما لم تعمل "روما Rome" غريمة بيزنطة على نصرته، وكذلك كان "الكارولنجيون Carolingians" بعيدين عنه كثيرًا، وهؤلاء الكارولنجيون لو كانوا وافقوا على طلبه، فهذا يعني أنهم سوف يستولون على صقلية التي يطمع هو في حكمها. لذا لم يتبقَّ أمامه سوى الأغالبة المسلمين، وهو يعي جيدًا الاضطرابات

<sup>(1)</sup>- لوبون، جوستاف (2012)، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص314؛ مؤنس، حسين (2004)، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، القاهرة: مهرجان القراءة للجميع، ص101.

<sup>(2)</sup>- سالم؛ العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ص67؛ العدوي، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، ص90؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص170؛ Bury, op. cit. p. 297

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

الداخلية التي واجهت حكّامهم منذ زمن، فاعتقد أنهم لو مدّوا له يد العون سيكونون أقلّ خطرًا عليه، وأكثر نجاعةً له، لا سيّما وأنهم غرباء عن البلاد من الوجهة الدينية واللغوية. وذلك مقابل دفع جزية لهم، أي أنه كان ينوي عقد اتفاقٍ ماليٍّ ظرفيًّا مع الأغالبة، يُعجّل بعقده أو يبطله حسب ما يطرأ من أحداث، خصوصًا أن مثل هكذا أحلاف كانت مألوفة في العصر الوسيط. ويبدو أنه وضع نُصب عينيه مثال (توماس) الصقلي، الذي التمس المساعدة الأدبية والعسكرية من الخلافة العباسية، عندما قاد ثورته ضدّ بيزنطة بين عامي (206-208هـ / 821-823م). ومن ثمّ؛ فإن (إيفيميوس) لم يرّ في طلب المساعدة من الأغالبة أي غرابة، كما لم يرّ في ذلك عملاً شائئاً ينمُّ على الخيانة العظمى لوطنه، لأنه لا يمكن التفكير إطلاقاً أنه أراد التعمّد بتسليم بلاده إلى المسلمين وقد كانت في تلك مصلحته فعلاً. وقد أثار مسعى (إيفيميوس) لأوّل وهلة في القيروان، قضية طُرحت لا في صيغة مساعدة؛ بل في صورة التدخل أو الإلحاق<sup>(1)</sup>.

ويبدو لنا، أن ما عزم عليه (إيفيميوس) من طلب المساعدة من جانب الأغالبة، شبيهٌ إلى حدٍّ بعيد بما أقدم عليه (يوليان Julian) حاكم مدينة سبتة في مراكش الذي كان تابعًا لحكم الإمبراطور البيزنطي، الطلب من (موسى بن نصير) الوالي الأموي على بلاد المغرب بغزو الأندلس، نكايةً بالملك القوطي (لذريق Rodericus)، بعد أن دبّ الشقاق بينهما، ما فتح الباب -فيما بعد - واسعًا أمام المسلمين للاستيلاء على بلاد الأندلس.

ولم يلق الأغالبة كبير عناء في غزوهم للجزيرة، لأنهم كانوا على دراية تامّة بها. فقد سبق للمسلمين أن غزوها في عهد (معاوية بن أبي سفيان)؛ وهكذا بدأت صفحة جديدة أخرى من النفوذ الإسلامي على البحر المتوسط،

(1) - الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ص 465-466.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وورث مسلمو بلاد المغرب وإقريطش السلطان الذي تمتعت به القسطنطينية مدة طويلة في هذا البحر، وجرى الأمويون وراءه عبثًا دون طائل<sup>(1)</sup>.

نزل المسلمون الأغالبة بدايةً بمدينة مآزر (مازارا Mazara del Vallo)، بقيادة القاضي (أسد بن الفرات)، في أسطولٍ مكونٍ من مائة سفينة، وجيشٍ من سبع آلاف فارس، وعشرة آلاف من المشاة؛ فاستولوا على حصونٍ عدّة من صقلية، إلى أن وصلوا إلى قلعة الكرات التي تقع بين "جيلا Gela"، وسرقسطة (سيراكيوز Syracuse)، وبها أناسٌ كثيرون، فخدعوا (ابن الفرات) في أمر الصلح وأداء الجزية، حتى أتمّوا استعداداتهم للحصار، ثمّ امتنعوا عليه فعمد لمحاصرهم، وأرسل السرايا في كل اتجاه حتى كثرت الغنائم. وفي خطوةٍ لاحقة، حاصر الأغالبة مدينة سرقوسة برًّا وبحرًا، في الوقت الذي جاء به المدد من القيروان، ثمّ حاصروا مدينة بلرم (باليرمو Palermo) الساحلية. ثمّ زحف البيزنطيون في اتجاه المسلمين في أثناء حصارهم لمدينة سرقوسة واشتداده، غير أن عارض الفناء أصاب معسكر المسلمين فمات كثيرٌ منهم، ثمّ إن (ابن الفرات) مات أيضًا ودُفن بمدينة قصريانة (قصرنياني Castrogiovanni)، وتوالت بعد ذلك هزائم الأغالبة في صقلية<sup>(2)</sup>. غير أننا هنا، نأخذ برأي (ابن عذارى)، و(ابن أبي دینار)، و(ج. ب. بوري G. B. Bury)، القائل: بأن (ابن الفرات) قد مات وهو محاصرٌ لمدينة سرقوسة في عام 213هـ (827م)، ودُفن تحت أسوارها وليس في مدينة قصريانة، وذلك لأن المدينة الأخيرة لم تكن قد فُتحت بعد<sup>(3)</sup>.

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص 170؛ فازيليف، العرب والروم، ص 62.

(2) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 253-254؛ ابن أبي دینار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص 47-48؛ المدني، المسلمون في جزيرة صقلية، ص 61-63.

Gibbon, op. cit, Chapter LII: More Conquests by the Arabs, part IV, p. 2291; Bury, op. cit. p. 299.

(3) - ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج 1، ص 134؛ Bury, op. cit. p. 301.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

ومع أن (ابن الفرات) قاد الجيش الأغلي في صقلية لمدة عام فقط، إلا أنه استطاع أن يحقق فيها موطئ قدم ثابتة للأغالبة، قُدِّر له أن يتسع مع الزمن إلى أن أصبح افتتاحًا للجزيرة جميعها. وعلى أثر وفاته، تمَّ اختيار (محمد بن أبي الجواري) قائدًا للجيش. ولمَّا كان الأغالبة قد أوهنهم الوباء، وثبَّتت من عزيمتهم مقاومة البيزنطيين الصلبة، قرَّروا رفع الحصار عن سرقوسة والعودة إلى القيروان، إلا أن مراكب البيزنطيين والبنادقة اعترضت سبيلهم، فعاد الأغالبة وأحرقوا مراكبهم للحيلولة دون وقوعها في أيدي العدو، وساروا صوب الجزيرة، واحتلُّوا بادئ الأمر "ميناو Mineo" التي تقع على مسافة مرحلة من سرقوسة في اتجاه الشمال الغربي، ثمَّ استولوا على "أجرجنتومي Agrigentumi". وبعد ذلك، وصلوا أمام قصريانة أعظم معاقل الجزيرة مناعةً طبيعيَّة. ولقد تظاهر سكَّانها بالخضوع لحكم (إيفيموس) والاعتراف به إمبراطورًا عليهم، ثمَّ سرعان ما تغلَّبوا عليه وقتلوه. وحاول البطريرك البيزنطي (ثيودوتس Theodotus) منازل الأغالبة خارج قصريانة، إلا أنهم صدَّوه واحتى بمعقلها. وبعد وفاة (ابن أبي الجواري) في أثناء حصار المدينة، تولى (زهير بن الغوث) خلفًا له. ومن ثمَّ، قام (ثيودوتس) بهجومٍ مضادٍّ مباغت أودى بحياة ألفٍ من الأغالبة، لكن الأغالبة نجحوا في الانسحاب واللجوء إلى ميناو، حيث واجهتهم مجاعة. وفي هذه الأثناء، قامت الحامية الأغليَّة في أجرجنتومي بنهبها، ثمَّ أخلتها وتوجَّهت صوب مدينة مآزر؛ وبذلك لم يعد يتبقَّى في أيدي الأغالبة في عام 214هـ (829م)، سوى مدينتي ميناو ومآزر<sup>(1)</sup>.

لم يبقَ الوضع على حاله، إذ وصلت إمدادات، إضافةً إلى أسطولٍ من الأندلس بغرض الجهاد، ورسَّت ثلاثمائة سفينة على شاطئ الجزيرة، فتَمَّ فتح مدينة بلرم بالأمان عام 217هـ (832م). وباستيلاء الأغالبة عليها، حقَّقوا

(1) - فازلييف، العرب والروم، ص63: 302-303، Bury, op. cit. pp.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

مركزًا استراتيجيًا صالحًا اتخذوا منه فيما بعد قاعدةً حربيةً لمُدِّ فتوحاتهم في داخل الجزيرة. غير أن الأغالبة كانت تُسيطر على عقولهم منذ حركات الفتح الأولى على صقلية، ففكرة الاستيلاء على مدينة قصرية الاستراتيجية؛ لذلك اتجهت أنظارهم بعد استيلائهم على بلرم إليها؛ فاستولوا عليها مؤقَّتًا في عام 223هـ (837م) <sup>(1)</sup>.

كما دخلت في طاعة (عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب) في عام 225هـ (839م) كثيرٌ من قلاع صقلية؛ مثل: قلعة البلوط (كالتابيلوتا Caltabellota)، و"ابلاتنو Platani" وغيرها من القلاع. وفي عام 228هـ (842م)، تمكَّن (الفضل بن جعفر الهمداني) من فتح مرسى "مسينا Messina" بعد أن حاصرها، وذلك بمساعدة دوقية نابولي الإيطالية بعد أن تحالفت مع الأغالبة. واستطاع في عام 232هـ (846م)، من فتح مدينة لسي (لينتيني Lentini) بالأمان <sup>(2)</sup>. كما استولى (العبّاس بن الفضل بن يعقوب) مجددًا في عام 244هـ (858م) على مدينة قصرية الحصينة، واتخذ منها عاصمةً لحكم الأغالبة في صقلية <sup>(3)</sup>.

وباستيلاء الأغالبة على قصرية، أصبحوا يسيطرون على معظم أرجاء صقلية، ويتحكّمون في طريق المواصلات الداخلية، فكان ذلك بمنزلة أول الفتوح الحقيقية بعد بلرم التي عزّزت من وجودهم في صقلية؛ بل وشدّت من عزائمهم كثيرًا فواصلوا فتوحاتهم الفتح تلو الآخر، ممّا أنهك قوى عدوّهم الماديّة منها والمعنويّة. وفي المقابل، قويت الروح المعنويّة لدى الأغالبة، وآمنوا بقوّتهم وقدرتهم على مكافحة عدوّهم في استكمال فتحهم لكامل الجزيرة.

<sup>(1)</sup> - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص254-255؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص49؛ Waern (Secilia) (1910), Mediaeval Sicily Aspects of Life and Art in the Middle Ages, London: Duck Worth & Co., pp. 11-12.

<sup>(2)</sup> - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص257؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص49، 75؛ Bury, op. cit. p. 305-306

<sup>(3)</sup> - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص113-114؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص49.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وفي عام 248هـ (862م)، استكمل (خفاجة بن سفيان) الاستيلاء على المناطق الشرقية من صقلية، فاستولى على مدينة نوطس (نوتو *Noto*). وفي عام 254هـ (868م)، تمكّن ابنه (محمد) من إلحاق هزيمة مدوية ببيزنطة، بعد معركة بحرية قُباله سواحل سرقوسة<sup>(1)</sup>. وبذلك، أضحت صقلية قاعدة إسلامية، تمّ بواسطتها فيما بعد مهاجمة سواحل إيطاليا والتعرّض لتجارها، وبذلك انهارت سيطرة بيزنطة تمامًا على البحر المتوسط.

كان لانتصار الأغالبة في قصريانة واندفاعهم الجريء في غمار البحر المتوسط، أثرٌ عظيم في نفوس البيزنطيين. وقد علمت بيزنطة أنها إن لم تقض على هذه الدولة الناشئة في صقلية؛ فإن نفوذها سيتقلص نهائيًا في الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ لذلك جهّز البيزنطيون أسطولًا من ثلاثمائة سفينة بقيادة (قسطنطين كونتوميثس *Constantine Kontomytes*)، وأرسلت به مددًا إلى سرقوسة في عام 255هـ (869م)، ليحميها من غارات الأغالبة، ولكي يتمكنوا من استرجاع الجزيرة منهم، لكن السيادة على البحر كانت قد انتقلت نهائيًا من أيدي بيزنطة إلى أيدي الأغالبة. وصمد الأسطول الأغلي، وتمكّن الأغالبة من تحقيق نصرٍ مبين، إذ استولوا على مائة مركب بيزنطية، ولاذت بقية المراكب الأخرى بالفرار. وحسب قول (ابن الأثير): فإن هذا النصر لم يكلف الأغالبة سوى ثلاثة فقط من الشهداء<sup>(2)</sup>. ونذهب هنا، إلى ما ذهب إليه (أحمد توفيق المدني) الذي رأى في هذه الرواية مبالغةً، إذ لا يُعقل أن

(1) - ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص49؛ المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، ص78، 80.

(2) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص114؛ المدني، المسلمون في جزيرة صقلية، ص76-77؛ Bury, op. cit. p.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

معركةً بحريّةً، تُسفر عن الاستيلاء على مائة مركب، وانهزام مائتين آخرتين، لا يخسر المنتصرون فيها إلا على ثلاثة فقط من الشهداء<sup>(1)</sup>.

كان لاستيلاء الأغالبة على صقلية، أثرٌ ودورٌ رئيسي في الجانب الاقتصادي، حيث أدى إلى زيادة التبادل التجاري، وذلك بسيطرة المسلمين على تجارة البحر المتوسط، نتج عنه انتعاش اقتصادي ساد جميع دول البحر المتوسط الإسلامية. ولم تكن القواعد العسكريّة التي أقامها الأغالبة في صقلية وجنوب إيطاليا قواعد حرب فقط؛ بل مثّلت أيضًا مركزًا للتبادل التجاري يلتقي فيها تجار صقلية وبلاد المغرب الإسلامي وأوروبا<sup>(2)</sup>.

ومهما يكن من أمر؛ فإن الحكم الإسلامي في صقلية كان متسامحًا تجاه سكّانها، إذ سمح الأغالبة لهم بممارسة شعائرهم الدينيّة، كما سمحوا لهم بإصلاح كنائسهم القديمة، لكنهم اشتروا عليهم عدم بناء كنائس جديدة<sup>(3)</sup>. كما أن سكّان صقلية بعد الفتح الإسلامي لها تحسّنت أحوالهم، وأصبحت أفضل من أحوال سكّان جنوب إيطاليا الذين عانوا الصراعات الداخليّة، ولم يُفرض عليهم كذميّين سوى دفع الجزية. ثمّ إن خضوع صقلية للحكم الإسلامي لأكثر من مائتي عام، جعل الأغالبة يطورون مواردها، وزيّتوا عاصمتها (بيلرم) بالمباني الأرستقراطيّة التي أصبحت الآن مكان سيراكوزا كمدينة رئيسة للجزيرة، وتمسّكت بحكمها الرئيس الذي كان ليبراليًا إلى حدٍ بعيد<sup>(4)</sup>.

وحسب قول (جوستاف لوبون Gustave Le Bon)، تُرك لنصارى صقلية كل شيء لا يمسُّ النظام العام، فكان لهم قوانينهم المدنيّة والدينيّة،

(1) - المدني، المسلمون في جزيرة صقلية، ص 77.

(2) - عبد الواحد، تاريخ المغرب العربي، ص 282-283؛ الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، ص 601-606.

(3) - Waern, op. cit, p.p. 9-10.

(4) - Lombard (Maurice) (1975), The Golden Age of Islam, Amsterdam – New York: North-Holland; American Elsevier, p. 144; Hare (Augustus J. C.), (no date) Cities of Southern Italy and Sicily, London, p.374.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وحكام منهم للفصل في خصوماتهم، وجباية الجزية السنوية التي فرضها الأغالبة عليهم، وهي (48) دينارًا عن كل غني، و(24) دينارًا عن كل موسر، و(12) دينارًا عن كل من يكسب عيشه بنفسه، وكانت هذه الجزية التي هي دون ما كان يأخذه البيزنطيون منهم، لا تؤخذ من رجال الدين والنساء والأولاد. وجعل الأغالبة كل شيء له علاقة بالحقوق المدنية؛ كالتملك والإرث وما إليهما، ملائمًا لعادات صقلية<sup>(1)</sup>.

ولم تكد أقدام المسلمين الأغالبة تترسخ في صقلية، حتى أقبلوا على الزراعة والصناعة، فانتشلتها بسرعة من الانحطاط الذي كانتا فيه، وأدخلوا إليها زراعة القطن والزيتون وقصب السكر والبرتقال والفسطق والموز والزعفران، وحفروا فيها الترع والقنوات التي لا تزال باقية، وأنشأوا فيها المجاري المعقوفة التي كانت مجهولة قبلهم. كما واستخدم المتعلمون في صقلية في تدويناتهم ورقًا أبيض، كان أول ورق عرفته أوروبا. وفيها نظّم الشعراء شعرهم الغنائي الرقيق في صورة لم يعرفها الإغريق ولا الرومان ولا الجرمان، ثم صار هذا الطابع العربي الإسلامي ميزة فن الشعراء في حضارات الشعوب كلها<sup>(2)</sup>.

ومما سبق بيانه؛ فإن عملية استحواد الأغالبة على جزيرة صقلية لم تكن سهلة على ما يبدو؛ بل واجهوا خلالها الكثير من الصعاب والعراقيل، غير أن أهمية صقلية لهم استحققت هذا العناء، وذلك لإبعاد الخطر البيزنطي عن سواحل بلاد المغرب من ناحية، ولتسهيل لهم لاحقًا عملية غزو السواحل الجنوبية لإيطاليا من ناحية أخرى.

(1) - لوبون، حضارة العرب، ص320.

(2) - المرجع السابق، ص321؛ هونكه، زيفريد (1993)، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون؛ وكمال دسوقي، ط8، بيروت: دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، ص410.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

### سادسًا: غزو الأغالبة للسواحل الإيطالية

يقول (أوجست هار Augustus Hare)، على لسان الفيلسوف الألماني (جوته Goethe): دون صقلية؛ فإن إيطاليا لا تساوي شيئًا؛ فصقلية هي مفتاح الكل<sup>(1)</sup>. ومن هنا؛ يمكن القول: إن صقلية بمنزلة مفتاح الأمن القومي لشبه الجزيرة الإيطالية. فموقع صقلية التي ينتصف البحر المتوسط من جهة، وقرنها الشديد من إيطاليا من جهةٍ أخرى، جعل منها موقعًا آمنًا مهمًا للدوقيات الإيطالية التي كانت متناحرة فيما بينها.

ومن المعروف أن جزيرة صقلية يفصلها عن إيطاليا مضيق مسينا الضيق؛ لذلك فهي امتدادٌ جغرافيٌّ لشبه الجزيرة الإيطالية، كما تقع صقلية من الناحية الأخرى على مسافةٍ يسهل عبورها بحرًا من المغرب الأدنى، حيث توطن الإسلام دينًا ودولةً منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب<sup>(2)</sup>. لقد كان المسلمون يتهمزون الفرص للوثوب على الأراضي الإيطالية بطريقةٍ قويّة، تُمكنهم من فتحها والاستقرار بها، واشتدّت هذه الغزوات خلال حقبة غزوهم واستقرارهم في صقلية التي اتخذ منها الأغالبة نقطة انطلاق ووثوب على إيطاليا. وخلال هذه الحقبة، كانت بيزنطة مشغولة في ميادين أخرى. وكانت معظم مناطق جنوب إيطاليا خاضعةً لأمراء دوقية "بينيفينتوم Beneventum" "اللومبارديين Lombards"، كما كان هنالك عددٌ من الدوقيات الإيطالية المستقلة ذات حجمٍ أصغر مجاورة لها، مثل: نابولي، و"جايتا Gaeta"، و"سورينتو Sorrento"، وأمالفي، و"ساليرنو Salerno"، و"كابوا Capua"، وكانت هذه الدوقيات تابعة اسميًا للإمبراطورية البيزنطية، ويسودها النظام الإقطاعي، كما عملت على التصدي لخطر الأمراء اللومبارديين، والحيولة دون توسّع أمراء دوقية بينيفينتوم<sup>(3)</sup>.

(1) - Hare, op. cit, p.371.

(2) - أحمد، عزيز (1980)، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: د. أمين توفيق الطيبي، طرابلس: الدار العربية للكتاب، ص. 8.

(3) - Scott (S. P.) (1904), History of the Moorish Empire in Europe, Vol. II, London: J. B. Lippincott Co., p. 25.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

بعد أن استكمل الأغالبة عملية الاستيلاء على صقلية ورسّخوا حكمهم فيها، قرّروا استكمال عملية توسّعهم في المناطق القريبة منها، وكانت السواحل الإيطالية الأقرب لها، فهاجموا مدن: "برينديزي *Brindisi*" في عام 221هـ (836م)، وتمّ احتلالها مؤقتًا، ونابولي عام 222هـ (837م)، وريّة أو قلورية (كالابريا) عام 223هـ (838م)، وكابوا عام 225هـ (840م). وتمكّن الأغالبة من هزيمة أسطول "البندقية *Venice*"، وتقدّموا بمحاذاة سواحل إيطاليا على البحرين الأدرياتيكي والتيراني<sup>(1)</sup>. ويبدو أن عدم تملك اللومبارديين لأيّ أسطول بحري، ساعد الأغالبة في الاستيلاء على هذه المدن. وبذلك، انهارت سيطرة بيزنطة تمامًا على البحر المتوسط، وعلى الأخص في البحر الأدرياتيكي<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن المنافسة على الحكم في الدوقيّات الإيطالية لمدة عشر سنوات (224-234هـ / 839-849م)، وفّرت أفضل الفرص والتسهيلات للأغالبة في جزيرة صقلية، لوضع أسس دولة إسلاميّة في جنوب إيطاليا، حيث أصبحت ممتلكات الأمراء في إيطاليا مهدّدة فعليًا. لذلك، عدّت دوقية البندقية أنه لم يعد بالإمكان تجاهل خطر الأساطيل الإسلاميّة في مياه البحر الأدرياتيكي. واستجابةً لضغط الإمبراطور، أبحر أسطول البندقية المكوّن من ستين سفينة إلى خليج "تارانتوم *Tarentum*" في عام 225هـ (840م)، حيث واجه الأسطول الأغلب القوي الذي استولى مؤخرًا على المدينة، الأمر الذي أشعر مسلمي صقلية بالإغراء لغزو مناطق أخرى في جنوب إيطاليا<sup>(3)</sup>.

وفي عام 228هـ (842م)، أرسل أهالي نابولي إلى القائد الأغلب (الفضل بن جعفر الهمداني)، في طلب الأمان، فأمنهم وتحالفوا معه، ودام هذا التحالف

(1) - الكتاني، علي بن المنتصر (2005)، المسلمون في أوروبا وأمريكا، ج1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص155؛ أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص25.

(2) - العربي، الدولة البيزنطية، ص273؛ Bury, op. cit. p. 310.

(3) - Bury, op. cit. p. 311-312.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

نحو خمسين عامًا. ويبدو أن نابولي قد سئمت من الخضوع لدوقية بينيفينتوم، وإلتاوة التي كانت تدفعها لها، فطلبت المساعدة من الأغالبة عندما حاصرتها جيوش بينيفينتوم، فنجحت القوّات التي أرسلها (أبو الأغب إبراهيم بن عبد الله) والي صقلية في طرد المحاصرين<sup>(1)</sup>.

وفي عام 229هـ (843م)، اختلف أميران من اللومبارديين على حكم دوقية بينيفينتوم بجنوب إيطاليا، فاستنجد أحدهما ويُدعى (راديلكيس Radelchis)، بأمر جزيرة صقلية (الفضل بن جعفر) ضدّ خصمه (سكينولف Sikenlof)، بوساطة (باندون Pandon) حاكم بارة (باري Bari). ولم يتأخّر الأغالبة في الاستجابة لهذا الطلب الذي بدا لمصلحتهم، واستولوا على بارة ذاتها واستقرّوا بها، كما استنجد (سكينولف) بمسلمي جزيرة إقريطش ضدّ إخوانهم في الدين في صقلية، وضدّ (راديلكيس) بلا جدوى. وأنشأ الأغالبة في بارة إمارة إسلامية، أضحت قاعدةً قويّةً للغزو في هذه المياه، وعاشت في نواحي قلورية، وفُرضت الجزية على معظم مدنها التي استمرت أكثر من ثلاثين عامًا<sup>(2)</sup>. واشتهر حاكم بارة المسلم بالتسامح، حتى إنه كان يشجّع الحجّاج النصارى، ويساعدهم على الرحلة إلى فلسطين، بتيسير حصولهم على السفن، وتسهيل مرورهم في البلاد التي يجتازونها<sup>(3)</sup>.

(1) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص75؛ 26-27، Scott, op. cit, pp.

(2) - عنان، محمد عبد الله (1417هـ / 1997م)، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط5، نشره: حسين علوان عن

ورثة المؤلف، ص91؛ لويس، القوى البحرية والتجارية، ص215، 218؛ Bury, op. cit. pp. 313-314

يذكر (ابن الأثير)، إنه في عهد الأمير محمد بن أحمد بن الأغب، اتجه أسطولًا إسلاميًا في عام 225هـ

(839م) نحو قلورية واستولى عليها، كما تمّ الاستيلاء في العام التالي على مدينة بارة.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص49، 67.

بينما يذكر (الكتاني) بأن الاستيلاء على مدينة باري كان في عام 227هـ (841م)، ومدينة بينيفينتوم عام

228هـ (842م).

الكتاني، المسلمون في أوروبا وأمريكا، ج1، ص155.

(3) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص275.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وكان الملك (لويس الثاني Louis II) الكارولنجي حاكم إيطاليا قد حاصر مدينة بارة حصارًا طويلًا، لكنه أخفق بسبب سيطرة الأغالبة على المسالك البحرية، حين كان (لويس) لا يملك أسطولًا بحريًا يُمكنه من طردهم من مواقعهم الحصينة على الشواطئ، ومن هذه المواقع كانوا يتوغّلون بعيدًا في غاراتهم الداخلية. وقد تمكّن الأغالبة في عام 228هـ (842م)، من الاستيلاء على ثغر طارنت (تارنت Tarentum) من اللومبارديين<sup>(1)</sup>. ثمّ تابعوا غزواتهم البحريّة حتى مصب نهر "بو Po" في شمال إيطاليا، ممّا سهّل عليهم -لاحقًا - تجهيز قوّاتهم برًّا وبحرًا تمهيدًا لفتح مدينة روما<sup>(2)</sup>.

وفي عام 232هـ (846م)، سارت حملة بحريّة أخرى للأغالبة من صقلية إلى شاطئ إيطاليا الغربي، وبعد أن عاثت في ثغوره، ونهبت "فوندي Fundi"، رست أمام مصب تيفيري (التيبر Tyber) الذي تقع عليه مدينة روما عاصمة العالم النصراني، ثمّ نفذت إلى ضواحيها، ونهبت كنيسة: "القديس بطرس St. Peter"، و"القديس بولس St. Paul" اللتان كانتا -وقتئذ - خارج روما، ما أجبر البابا (يوحنا الثامن John VIII) على دفع الجزية. ولم ينقذ روما من الوقوع بأيدي الأغالبة في عام 235هـ (850م)، سوى جند (لويس الثاني). وقد اضطرّ البابا إلى تحصين ضاحية "الفاتيكان The Vatican"، وابتنى حصنًا في "أوستيا Ostia"، وعزّز المدينة بجدارٍ وحُفر، وأدخل الكنيستين المذكورتين في المدينة الجديدة، المعروفة باسم "ليون Lyon". ثمّ أبرم البابا اللاحق (ليو الرابع Leo VI)، اتفاقًا مع تحالف جيتا وأمالفي وناپولي. وقد كلّفت قوّات

(1) - المرجع السابق، ص218؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص76.

(2) - المدني، المسلمون في جزيرة صقلية، ص72؛ Bury, op. cit. pp. 312-213.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

التحالف نفسها بالدفاع عن مدينة الباباوات، ووصل الأسطول الأغليبي وبدأت المعركة، ولكن فجأة نشبت عاصفة شتت السفن الأغلبية<sup>(1)</sup>.

ثم استولى الأغالبة على ثغر رغوس (راجوزة Ragusa)، من ثغور البحر الأدرياتيكي الشرقية في عام 234هـ (848م). وتوالت حملات البحارة الأغالبة بعد ذلك على الثغور الإيطالية، حتى اضطرَّ سكَّانها أن يُنشئوا على طول الشاطئ أبراجًا وقلاعًا وافرة المنعة، لكي تردَّ الهجوم المفاجئ. وقد تسببت هذه الحملات، بانتشار الذعر والخوف في ربوع إيطاليا في هذه الحقبة<sup>(2)</sup>.

وفي عام 235هـ (849م)، تمَّ إنهاء الخلافات الداخلية في الدولة اللومباردية بمعاهدة التقسيم؛ فتمَّ تقسيمها إلى دولتين مستقلتين، دوقية بينيفينتوم، ودوقية ساليرنو، وشملت الأخيرة معًا مع "لوكانيا Lucania"، وشمال كالابريا، وكابوا، ومعظم "لومبارد كامبانيا Lombard Campania"، لكن حكَّام كابوا رفضوا الاعتراف بسلطة دوق ساليرنو، فنشأت ثلاث دول مستقلة من اضطرَّاب دوقية بينيفينتوم القديمة<sup>(3)</sup>.

وفي مقابل الأغالبة، كانت مصالح الإمبراطوريتين الشرقية والغربية ما زالت مرتبطة ببعضها البعض، فعندما كرَّس الملك (لويس الثاني) نفسه مجددًا بجديَّة لمهمة استعادة مقاطعة "بولى Apulia"، دعا من جانبه إلى تعاونٍ مع القسطنطينية. ولغاية قبل منتصف القرن التاسع الميلادي، كانت جميع سواحل إيطاليا الجنوبية من "سبيونتو Siponto" في الشرق، إلى نهر التير في الغرب قد تعرَّضت لغزوات الأغالبة التي كانت تتجمَّع من نقاطٍ مختلفة في البحر

(1) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج. 6، ص 76؛ لوبون، حضارة العرب، ص 314؛ عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ص 91-92؛ Bury, op. cit. p. 314. ولزبدي من التفاصيل حول محاولات المسلمين الاستيلاء على روما، انظر: Gibbon, op. cit. Chapter LII: More Conquests by the Arabs, part IV, pp. 2292-2293.

(2) - عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ص 91-92؛ الكتاني، المسلمون في أوروبا وأمريكا، ج 1، ص 155.

(3) - Bury, op. cit. pp. 314-315.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

المتوسط. وقد أدت هذه الغزوات إلى إقامة مواقع ثابتة على السواحل، اتخذت كمراكزٍ للغزو البحري. وبالرغم من الجهود التي بذلها (لويس الثاني) والأمراء اللومبارديون؛ فإن مقاطعة بولوية بقيت تحت حكم الأغالبة بين عامي (235-252هـ / 849-866م)، وكان هذا الوجود يقوم على محور تارنت - بارة. وفي بارة أعلن (مفرج بن سالم) فيما بعد استقلاله، واحتلّ ثمانين وأربعين حصناً في مقاطعة بولوية، وشنّ غزواتٍ على أراضي نابولي<sup>(1)</sup>.

بينما يذكر (ابن الأثير) تحت أحداث عام 226هـ (841م)، أن (المفرج بن سالم) فتح أربعاً وعشرين حصناً واستولى عليها، فكتب إلى والي مصر يخبره بذلك، وطلب منه أن يولّيه إياها، وبني مسجداً جامعاً<sup>(2)</sup>. وبصرف النظر عن الاختلاف في عدد الحصون التي استولى عليها (المفرج)، لكن (ابن الأثير) لم يذكر العام الذي استولى فيه عليها. ومع ذلك، نرى بأن الاستيلاء على هذه الحصون قد تمّ في تاريخٍ لاحق لاستيلاء الأغالبة على بارة في عام 229هـ (843م)، كما أسلفنا الإشارة.

وبين عامي (237-238م / 851-852م)، عاث الأغالبة في مقاطعة قلورية، وهدّدوا دوقيتي بينيفينتوم وساليرنو، وباء بالفشل الحصار الأول الذي ضربه (لويس الثاني) على بارة. وقد توغّل الأغالبة في مقاطعة "كامبانيا Campagna"، ودمّروا ضواحي نابولي، واحتلّوا "فينافرو Venafro" ووادي "فولتورنو Volturrno". وفي عام 252هـ (866م)، قام (لويس) بمحاولة ثانية لاسترداد بارة لكنه أخفق في مهمّته<sup>(3)</sup>.

وكان الأمير الأغلبي (أبي الغرانيق) قد ولى (أحمد بن يعقوب) على صقلية، وولّى أخاه (عبد الله بن يعقوب) على ممتلكات الأغالبة في جنوب إيطاليا.

(1) - أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص 27؛ Bury, op. cit. p. 315-316.

(2) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 67.

(3) - أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص 27.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وعندما نزل (عبد الله) في تارنت في عام 258هـ (871م)، أرسل السرايا في جهاتٍ عدّة، وقام هو نفسه بمحاصرة ساليرنو، لكنّه مات في أثناء العمليّات الحربيّة، غير أن الحصار استمرَّ بعض الوقت بعد وفاته ولم يتم رفعه إلّا في العام نفسه، حينما أضطرتّ قوّات الأغالبة الانسحاب إلى مقاطعة قلورية. أمّا اللومبارديّون الذين كانوا قد أسروا الملك (لويس الثاني)، فإنهم خلّوا سبيله أمام الخطر الإسلامي. ومع أن (لويس) غادر جنوب إيطاليا، ومات في عام 262هـ (875م)؛ فإنه بفضل هجومه المضاد، حيل بين الأغالبة وبين افتتاح جزءٍ كبير من إيطاليا<sup>(1)</sup>.

وفي العام نفسه، أفلح أسطولٌ إسلاميٌ إمّا من صقلية وإمّا من إقريطش في البحر الأدرياتيكي، وبلغ مدينة "جراده" Grado. وقامت تعزيزاتٌ جديدة من مسلمي تارنت بغزو ناحية بينيفينتوم واحتلتّ مدينتي "تليس" Telesه، و"أليف" Alife في وادي فولتورنو، واستنجد اللومبارديّون بالبيزنطيّين، إلّا أنهم خشوا التبعيّة لبيزنطة فعقد بعضهم صلحًا مع المسلمين، ومع ذلك نجح البيزنطيّون في الاستيلاء على بارة<sup>(2)</sup>.

غير أنه حسب قول (أرشيبالد لويس Archibald Lewis)؛ فإن سقوط بارة قد تمّ في حياة الملك (لويس)، وتمحور روايته بأن الإمبراطور البيزنطي (باسيل الأول Basil I)، كان قد أرسل حملةً من مائة سفينة بقيادة البطريك (نيكيتاس أريفاس Nicetas Oryphas) لإنقاذ رغوس، وكانت تُحاصرها قوّاتٌ مشتركة من مسلمي إقريطش ومدينة تارنت، وأنه لما انتصرت القوّات البيزنطيّة في رغوس على المحاصرين، تحوّلت إلى إيطاليا، فظهر في عام 256هـ (870م) أمام بارة أسطول كبير، اشتمل على فرّقٍ بحريّة من: رغوس، و"دلماشيا Dalmatia"

(1)- أحمد، المرجع السابق، ص 28.

(2)- أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص 28.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

الواقعة في منطقة البلقان، وكانت قوَّات (لويس الثاني) تحاصر المدينة من البرّ، وظهر في هذا الموضع، أن تدخُّل العنصر البحري في الحصار كان حاسمًا، فسقطت مدينة بارة آخر الأمر في يد الملك (لويس)، غير أن النزاع نشب في تلك اللحظة ذاتها بينه وبين بيزنطة، بسبب ما أظهرته الأخيرة من عداءٍ لمطامعه في جنوب إيطاليا، وعاد (لويس) وقد حَبِطَتْ أعماله إلى شمال إيطاليا حيث مات، فنعم الإمبراطور (باسيل الأول) وحده بجيِّ ثمار تلك الجهود، ثمَّ إن قوات الإمبراطور البيزنطي نجحت في استعادة مدينة بارة في عام 262هـ (876م)<sup>(1)</sup>.

وعليه؛ فإنه ما كان للمسلمين ولا سيَّما الأغالبة أن ينجحوا في غزو السواحل الإيطاليَّة، لولا نجاحهم بالاستيلاء على جزيرة صقلية؛ بل والوقوف على أبواب روما، أهم المدن الأوروبيَّة وقتذاك، وتشكيل خطرٍ محتملاً في إمكانيَّة ضمِّها للعالم الإسلامي.

### سابعًا: غزو المسلمين للسواحل الفرنسيَّة وجزيرة "مالطة Malta"

ومهما يكن من أمر؛ فإن الحديث عن غزو الأغالبة لجنوب إيطاليا، يقودنا بالضرورة للحديث عن المحاولات الإسلاميَّة الدؤوبة لغزو السواحل الفرنسيَّة. ففي عام 190هـ (806م)، كان مسلمو الأندلس قد غزوا جزيرة قورسيقة (كورسيكا Corsica) في البحر المتوسِّط، غير أن (بيبين Pippin) ابن الإمبراطور (شارلمان) الذي كان يتولَّى أمر إيطاليا، أرغمهم على الانسحاب منها. وفي عام 192هـ (808م)، غزا الأندلسيُّون -أيضًا- جزيرة سردينيا الذي تمكَّن أهلها من صدِّهم، فاضطَّروا إلى النزول بجزيرة كورسيكا، حيث واجههم القائد الفرنسي (بورشارد Burchard)، فخسروا ثلاث عشر مركبًا وانهزموا، وفي العام التالي نزل الأغالبة في سردينيا. كما تمكَّن غزاة مسلمين آخرين، النزول في

(1) - لويس، القوى البحرية والتجارية، ص218-219.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

الجهة الشرقيّة لكورسيكا، وعاثوا فيها ولم يتمكن الفرنسيّون من طردهم إلّا بشقّ الأنفس. ثمّ عاد الأندلسيّين في عام 197هـ (813م) إلى كورسيكا، وأسروا وغنموا منها، وبينما هم قافلون إلى ديارهم، وقعوا في كمينٍ بالقرب من مدينة "Perpignan" من جانب قوّة بحريّة، غنمت منهم ثمانى مراكب كان فيها أكثر من خمسمائة أسير، فانتقم الأندلسيّون عن ذلك، باجتياح سواحل "نيس Nice"، و"بروفانس Provence"، و"سيفيتة فكشيا Civita-Vecchia" بالقرب من روما<sup>(1)</sup>. ويبدو أن هؤلاء الغزاة الأندلسيّين لم يكونوا جيشاً نظامياً تابعاً لحكّام الأندلس؛ بل مجرد مغامرين يغزون لحسابهم الخاص.

وفي ذلك الوقت، كان الأغالبة يتحاشون مدّة خلافة (هارون الرشيد) سواحل مملكة (شارلمان)، حرمةً للعهد الذي كان بينهما، ولكن عندما مات (الرشيد) في عام 193هـ (809م)، واندلع الصراع بين ولديه (الأمين) و(المأمون)، نقض الأمير الأغلبى ذلك العهد، وصارت مراسي تونس وسوسة بؤراً تنطلق منها الغارات البحريّة. وكان الأغالبة أكثر ما يتعرّضون للسفن التي تتردّد بالبضائع بين فرنسا وإيطاليا، فأمر (شارلمان) ببناء الأبراج والحصون في السواحل، وعند مَصَابِ الأنهار، وأنشأ الأساطيل لدفع هذا الخطر الداهم. ولمّا طالت هذه المساجلات البحريّة وتعب منها الفريقان، اتفقا في عام 194هـ (810م)، على عقد معاهدة سلميّة بينهما لتأمين السفن البحريّة من الهجمات، ثمّ تجددت هذه المعاهدة مجدّداً بعد سنتين<sup>(2)</sup>.

وفي عام 233هـ (848م)، عاد الأندلسيّون لغزو السواحل الفرنسيّة ابتداءً من مدينة "مرسيليا Marseille"، وجميع الساحل الفرنسي، وصولاً إلى "جنوة Genoa" في إيطاليا. وكان الأندلسيّون قد عادوا ونزلوا في سواحل "آرل"

(1) - أرسلان، شكيب (2012)، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، وندسور: مؤسسة هنداوي، ص131-132.

(2) - أرسلان، شكيب، المرجع السابق، ص132.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

"Arles" في إقليم "بوش دورون Bush du Rhone" بجنوب فرنسا، واضطروا نظرًا إلى معاكسة الريح أن يتأخروا في الساحل، ما أدى إلى القضاء عليهم، فزحف جيشٌ أندلسي من "سرقسطة Zaragoza"، توغل في الأراضي الفرنسيّة، وضرب عمليّات قتلٍ وسبي، ما أرغم الملك (شارل) لطلب الصلح منهم الذي لم ينله إلاّ بتقديم هدايا ثمينة<sup>(1)</sup>.

ومن نافلة القول، وبينما الأغالبة يمضون قُدماً في الاستيلاء على مدن صقلية، تمكّن الأمير الأموي في الأندلس (عبد الرحمن الأوسط) في عام 234هـ (848م)، من الاستيلاء على جزيرة ميورقة الواقعة غربي البحر المتوسّط، بمحاذاة ساحل الأندلس الشرقي. ثمّ تابع الأغالبة مسلسل فتوحاتهم، فبعد وفاة (زيادة الله)، تولّى أخوه (محمد) الملقّب بأبي الغرانيق الإمارة، حيث تمكّن في عام 255هـ (869م)، من فتح جزيرة مالطة. ويبدو أن استيلاء الأغالبة على مالطة، كان بسبب موقعها الاستراتيجي في البحر المتوسّط، ممّا جعلها قاعدة بحريّة مواتية. وبذلك؛ أصبح مسلمو الحوض الغربي للبحر المتوسّط سادةً له، وغدا المسلمون سلاطين البحر كما كانوا سلاطين البرّ<sup>(2)</sup>. وحسب قول (جورج مارسيه George Marcier)؛ فإن هذا الجزء من البحر الروماني القديم أصبح بحيرة إسلاميّة، كما أصبحت أوروبا النصرانيّة في متناول يد بحريّة بلاد المغرب الإسلامي<sup>(3)</sup>.

ويذكر عالم الأنثروبولوجيا "دودلي بوكستون Dudley Buxton"، أن الأغالبة عندما غزوا مالطة وجدوا فيها حامية بيزنطيّة، وأنهم لم يغزوها انطلاقًا من

(1) - المرجع نفسه، ص 137.

(2) - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 257؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 145؛ لوبون، حضارة العرب، ص 314؛ زيدان، جورجي (1902)، تاريخ التمدن الإسلامي، ج 1، القاهرة: مطبعة دار الهلال، ص 160.

(3) - مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي، ص 77.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

موطنهم؛ بل قديموا إليها من صقلية بعد استقرارهم فيها<sup>(1)</sup>. واستدلَّ (بوكستون) على ذلك، نتيجةً لوصف (وارن تريديجولد Warren Treadgold)، لغزاة مالطة بأنهم "عرب صقليّين" <sup>(2)</sup>. غير أن ثمة دراسات أخرى تمايزت مع ما أوردها، بأن غزو مالطة لا بدّ أن يكون قد حدث في تاريخ سابق لغزو صقلية، وذلك بحكم وجودها في منتصف الطريق بين القيروان وصقلية. فالمنطق والحنكة العسكريّة، كانت تقتضي من الأغالبة أن يكونوا قد آمنوا الطريق نحو صقلية، بالاستيلاء على مالطة أولاً، إذ لا يُعقل أن يكونوا قد تجاهلوا الأخيرة بشكل متعمّد، أو أنهم لم يدروا بوجودها أساساً <sup>(3)</sup>.

وكان مقام المسلمين الأغالبة بمالطة أطول من مقامهم بجزيرة صقلية؛ لذا نجد في اللغة المالطيّة أصولاً من اللغة العربيّة، وسعد أهلها في ظلّ الحكم الإسلامي، بسبب التسامح واللين الذين أظهرهما الفاتحون المسلمون، ولأن الضرائب التي فُرِضت عليهم كانت معتدلة جدّاً. وكان العلماء قد اختلفوا في أصل اللغة المالطيّة، فزعم بعضهم أنها من أصلٍ فينيقي، وذهب آخرون إلى أنها لهجة عربيّة، وهذا رأي الجمهور، أي أنها عضوٌ في مجموعة اللغات الساميّة. وعليه؛ فإن اللغة المالطيّة هي لغة عربيّة تشابه في كثيرٍ من الألفاظ لهجات العرب في بلاد الشام، وفي بلاد المغرب <sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> - Buxton (L. H. Dudley) (Jan. 1924), "Malta: An Anthropogeographical Study", Geographical Review, Vol. 14, No. 1, p. 83.

<sup>(2)</sup> - Treadgold (Warren) (1997), A History of the Byzantine State and Society. Stanford, California; Stanford University Press, p. 456.

<sup>(3)</sup> - بازامة، محمد مصطفى (1971)، تاريخ مالطا في العهد الإسلامي، بنغازي: مكتبة قورينا، ص56-60.

<sup>(4)</sup> - أبو خليل، شوقي (1998)، فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، ط2، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ص52؛ أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا، ص274.

Bovingdon (Roderick) and Angelo (Dalli) (2006), Statistical analysis of the source origin of Maltese, in Corpus linguistics around the world, edited by Andrew Wilson, Dawn Archer and Paul Rayson, Amsterdam – New York: Rodopi, pp. 63-64, 74.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

وبالإمكان القول: إن الفضل الأول في إعادة إحياء البحريّة الإسلاميّة، والوجود الإسلامي في البحر المتوسّط، يعود أولاً للمهاجرين الأندلسيّين الذين تمكّنوا من السيطرة على جزيرة إقريطش، ثمّ الأمراء الأغالبة في المغرب الأدنى، حيث سيطروا على جزيرة صقلية؛ لذا تمكّنت هاتين القوتين الإسلاميّتان من مهاجمة المدن الساحليّة الشرقيّة والغربيّة الإيطاليّة على حدّ سواء. وبسيطرة المسلمين على مياه البحر المتوسّط وسواحله، باتت البلاد الأوروبيّة المطلّة عليه ابتداءً من بيزنطة مروراً بإيطاليا وانتهاءً بفرنسا، ترهب قوّة الأساطيل الإسلاميّة، وتخشى من مهاجمتهم لسواحلها الطويلة، وخاصةً إيطاليا بعد استيلاء المسلمين على دُرّتها الثمينه (جزيرة صقلية)، التي كانت بمنزلة عينها الساهرة لحمايتها من ناحية البحر.

### نتائج الدراسة:

بعد الانتهاء من هذه الدراسة؛ بالإمكان التوقّف عند أهم النتائج المستخلصة، ومنها:

1. في نهاية القرن الثاني الهجري، أهملت بيزنطة نشاطها البحري، لتجاري بذلك المسلمين في انصرافهم عن البحر، إلّا أن منطقة بلاد المغرب الإسلامي، بعد أن استقلّت عن الخلافة العباسيّة اتجهت اتجاهاً بحريّاً، وعادت السيادة للمسلمين في البحر المتوسّط، نتيجة استغلالهم للظروف التي مرّت بها بيزنطة. وكان مسلمو المغرب والأندلس أفضل من استغلّ هذه الظروف التي جرت في بيزنطة لمصلحتهم

2. اكتفى العباسيّون بالإغارة فقط على مدن آسيا الصغرى ولم يحاولوا قط مهاجمة مدينة القسطنطينيّة، كي لا يُصابوا بخيبة أمل كالتي أبتلي بها الأمويّون؛ لذا لم يكثرثوا كثيرًا لشؤون البحريّة، وتركوا السواحل المصريّة والشاميّة عرضة للهجمات البيزنطيّة شبه الدوريّة. ولم يبرز الاهتمام الفعلي

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

للعباسيين بالغزو البحري إلا في عهد الخليفة (هارون الرشيد)، عندما قامت في عهده أول محاولة بحرية جادة، بإرساله حملةً لغزو جزيرة قبرص في عام 190هـ (806م).

3. كان للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة، الفضل الأول في إعادة الروح مجددًا للشأن البحري الإسلامي، بعد سنواتٍ طوالٍ من التقاعس الذي ألمّ بالبحرية الإسلامية، منذ فشل الأمويين في الاستيلاء على القسطنطينية في عام 99هـ (718م)، مرورًا بالضربات القاسية التي عصفت بالأسطولين الشامي والمصري، حتى عام 129هـ (747م).

4. إنه بدخول المهاجرين الأندلسيين إلى جزيرة إقريطش، وامتلاكهم لأسطولٍ قوي، أخذوا يهاجمون جزر بحر الأرخبيل، فدخل المسلمون بذلك طورًا جديدًا من أطوار المجد، كما أخذت السيطرة والسيادة في البحر المتوسط تعود لهم مجددًا، بعد أن فتح هؤلاء الأندلسيون صفحةً جديدة في تاريخ البحرية الإسلامية، ملأت الآفاق لأكثر من مائة عام.

5. بعد الانتصارات التي حققها المسلمون ضدّ الجزر البيزنطية، غدت إقريطش منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أهم وأعظم قاعدة بحرية يمتلكونها في الحوض الشرقي للبحر المتوسط. فكانت بمنزلة درع وقاية وأمان يحمي المسلمين من الهجمات البيزنطية، أو يقلل من خطورة الهجوم البيزنطي في الأقل.

6. كان لأسطول بلاد المغرب إسهامٌ واضح، عندما تمكّن في زمن حكم الأغالبة من فتح جزيرة صقلية ذات الأهمية القصوى لبيزنطة، وما تبعها من الاستيلاء على جزيرة مالطة، ومهاجمة المدن الساحلية الشرقية والغربية الإيطالية، ومهاجمة السواحل الفرنسية على حدٍ سواء.

7. إن عملية استحواذ الأغالبة على جزيرة صقلية لم تكن سهلة؛ بل واجهوا خلالها الكثير من الصعاب والعراقيل، غير أن أهمية صقلية لهم استحقت منهم دفع هذا الثمن الباهظ، وذلك لإبعاد الخطر البيزنطي عن

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

سواحل بلاد المغرب من ناحية، ولتسهّل لهم -لاحقًا- عملية غزو السواحل الإيطالية؛ بل والوقوف على أبواب روما، أهم المدن النصرانية وقتذاك من ناحية أخرى.

8. إن الحكم الإسلامي في صقلية كان متسامحًا تجاه سكّانها، إذ سمح المسلمون لهم بممارسة شعائرهم الدينيّة، كما سمحوا لهم بإصلاح كنائسهم القديمة، وتحسّنت أحوالهم، ولم يُفرض عليهم كذميّين سوى دفع الجزية.

9. إن إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط، غير خريطة المنطقة والبحر المتوسّط، إذ أخذت جزر هذا البحر تأخذ بسياسة استقطاب القوى، كما أصبح للمسلمين كلمةً مسموعةً ومدوّيةً في أوروبا؛ فأصبحت دولها تخشاهم، وتحسب لهم الكثير من الحساب.

### مصادر ومراجع الدراسة

#### أولاً: المراجع الأولى

- ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد (1407هـ (1987م))، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، مج4، 5، 6، بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن الأبار (1963)، الحُلّة السّيراء، تحقيق: د. حسين مؤنس، ج1، القاهرة: دار المعارف.

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1407هـ (1987م))، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطّباع، وعمر أنيس الطّباع، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

- بن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف (1963)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، 2، القاهرة: وزارة الثقافة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (1421هـ (2000م))، تاريخ ابن خلدون المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر، ج3، 4، ضبط المتن ووضع

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغلبية في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

- الحواشي والفهارس: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني (1286هـ)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، تونس: مطبعة الدولة التونسية.
- الطبري، محمد بن جرير (1975)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج8، القاهرة: دار المعارف.
- ابن عذارى المراكشي (1950)، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج1، 2، بيروت: مكتبة صادر.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل ابن علي (د.ت)، المختصر في أخبار البشر، ج2، القاهرة: مكتبة المتنبي.
- القلقشندي، أبي العباس أحمد (1915)، صبح الأعشى، ج5، القاهرة: المطبعة الأميرية.
- الكندي، محمد بن يوسف (1908)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين.
- المقري، أحمد بن محمد (1408هـ (1988م))، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، مج1، بيروت: دار صادر.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (1998)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج1، تحقيق: د. محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- هونكه، زيفريد (1993)، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون؛ وكمال دسوقي، ط8، بيروت: دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (1995)، تاريخ اليعقوبي، مج2، ط6، بيروت: دار صادر.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

### ثانيًا: المراجع العربية والمترجمة

- أحمد، عزيز (1980)، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: د. أمين توفيق الطيبي، طرابلس: الدار العربية للكتاب.
- أرسلان، شكيب (2012)، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، وندسور: مؤسسة هنداوي.
- بازامة، محمد مصطفى (1971)، تاريخ مالطا في العهد الإسلامي، بنغازي: مكتبة قورينا.
- تشرکوا، كليليا (1961)، مجاهد العامري: قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، القاهرة: لجنة البيان العربي.
- الحارثي، الشريف محمد بن حسين (فبراير 2020)، "جزيرة كريت "إقريطش" والفتح الإسلامي: دراسة تاريخية"، مكة المكرمة.
- حسن، إبراهيم حسن (1416هـ (1996م))، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج2، ط14، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- حلاق، حسان (1999)، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ط2، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- أبو خليل، شوقي (1998)، فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، ط2، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر.
- رمضان، أحمد (1967)، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط "العصر الوسيط"، القاهرة: هيئة الآثار المصرية.
- زيدان، جورج (1902)، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، القاهرة: مطبعة دار الهلال.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبية في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

- سالم، السيد عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار (1969)، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية.
- سالم، السيد عبد العزيز؛ العبادي، أحمد مختار (1981)، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت: دار النهضة العربية.
- أبو صوة، محمود أحمد (2000)، دراسات في تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الوسيط، فاليتا (مالطا): منشورات شركة ELGA.
- الطالب، محمد (1995)، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ / 800-909م، ترجمة: المنجي الصيادي، مراجعة وتدقيق: حمادي الساحلي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- عبد الواحد، ذنون طه؛ وآخرون (2004)، تاريخ المغرب العربي، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي.
- العدوي، إبراهيم (1951)، الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.
- العدوي، إبراهيم (1953)، الأمويون والبيزنطيون البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- العريني، السيد الباز (د.ت)، الدولة البيزنطية 323-1081م، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- عنان، محمد عبد الله (1417هـ / 1997م)، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام، ط5، نشره: حسين علوان عن ورثة المؤلف.
- فازيليف (د.ت)، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة: دار الفكر العربي.
- الفقي، عصام الدين (1990)، تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة.

## الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

- الكتاني، علي بن المنتصر (2005)، المسلمون في أوروبا وأمريكا، ج1، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- لقبال، موسى (1981)، المغرب الإسلامي، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- لوبون، جوستاف (2012)، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- لويس، أرشيبالد (1960)، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- مؤنس، حسين (2004)، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط1، القاهرة: مهرجان القراءة للجميع.
- ماجد، عبد المنعم (1966)، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت: مكتبة الجامعة العربية.
- المدني، أحمد توفيق (1969)، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، سيراكوزا: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- مارسية، جورج (1991)، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: هيكل محمود عبد الصمد، الإسكندرية: منشأة المعارف.

### ثالثاً: المراجع الأجنبية

- Bovingdon (Roderick) and Angelo (Dalli) (2006), Statistical analysis of the source origin of Maltese, in Corpus linguistics around the world, edited by Andrew Wilson, Dawn Archer and Paul Rayson, Amsterdam - New York: Rodopi.

الدور البحري للمهاجرين الأندلسيين والأغالبة في إعادة إحياء الوجود  
الإسلامي في البحر المتوسط (212-262هـ / 827-876م)

---

- Bury (J. B.) (1912), A history of the Eastern Roman empire from the fall of Irene to the accession of Basil I. (802-867 A.D.), London: MacMillan and Co.
- Buxton (L. H. Dudley) (Jan. 1924), "Malta: An Anthropogeographical Study", Geographical Review, Vol. 14, No. 1.
- Gibbon (Edward), History of the Decline and Fall of the Roman Empire, Chapter LII: More Conquests by the Arabs, part IV, Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library (pdf copy).
- Hare (Augustus J. C.) (no date), Cities of Southern Italy and Sicily, London.
- Lombard (Maurice) (1975), The Golden Age of Islam, Amsterdam – New York: North Holland; American Elsevier.
- Scott (S. P.) (1904), History of the Moorish Empire in Europe, Vol. II, London: J. B. Lippincott Co.
- Treadgold (Warren) (1997), A History of the Byzantine State and Society. Stanford, California: Stanford University Press.
- Waern (Secilia) (1910), Mediaeval Sicily Aspects of Life and Art in the Middle Ages, London: Duck Worth & Co.

غارات النورمان على الأندلس  
وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

---

غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية  
الأندلسية (229هـ/844م)

Norman raids on Andalusia and their impact on the  
establishment of the Andalusian Navy (229م 844/هـ)

د. فاطمة خريس / د. أحمد حمدي أبوضيف زيد

جامعة العلوم والتكنولوجيا بالصومال

abodifahmed6@gmail.com / kherrifatima8@gmail.com

---

ملخص البحث:

تهدف دراسة إلى معرفة دوافع هجمات النورمان المتكررة على بلاد الأندلس وتمكنهم من دخول حاضرة اشبيلية التي أغاروا عليها واستأصلوا أهلها قتلا وأسرا، كما تهدف الدراسة إلى إعطاء صورة واضحة عن الدور الكبير الذين مارسه الأندلسيين في بناء قوة بحرية لصد هجمات النورمان. حيث تتناول الدراسة المحاور التالية: النورمان وأصل تسميتهم، غزو النورمان على السواحل الأندلسية وسيطرتهم على اشبيلية، مقاومة الأندلسيين لغزوات النورمانيين وإخراجهم من الأندلس.

كلمات مفتاحية: الأندلس؛ عبد الرحمن الأوسط؛ سفن؛ اشبيلية؛ النورمان.

**Abstract:**

The study aims to know the motives of the repeated attacks of the Normans on Andalusia and to enable them to enter the metropolis of Seville, which they raided and uprooted its people by killing and

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

capturing. The study deals with the following topics: The Normans and the origin of their name, the invasion of the Normans on the Andalusian coasts and their control over Seville, the resistance of the Andalusians to the invasions of the Normans and their expulsion from Andalusia.

**key words:** Andalus; Abdul Rahman Al-Awsat; ships; Seville; Normans.

مقدمة:

إن دراسة تاريخ البحرية الإسلامية في بلاد الأندلس من الموضوعات الهامة الجديدة بالبحث، لما كان لها دور كبير في السيطرة الفعلية على النصف الغربي من حوض البحر المتوسط، وما تبع ذلك من بسط السيادة الإسلامية على هذه الجهات ونشر الإسلام بها، ويعود ذلك إلى تفوق القوى البحرية الإسلامية خلال القرنين الثالث والرابع هجري في بلاد الأندلس، من خلال اهتمام الحكام بإنشاء دور لصناعة وبناء المراكب الكبيرة بأعداد وفيرة وتجنيد رجال البحر من أبناء السواحل الأندلسية، كما أسهموا في تطوير فنون الحرب لاسيما الجوانب الإدارية والفكرية والإستراتيجية والعلمية.

كانت بلاد الأندلس عرضة لأطماع الكثير من القوى الخارجية ومن بينها النورمان الذين انطلقوا من السواحل الشمالية الغربية نحو أوروبا للإغارة على المدن ونهب ما يعثر عليه، لكن أمراء بني أمية تمكنوا من طردهم وأحبطوا كل غاراتهم، وساهموا في اتخاذ كل الإجراءات الأمنية والدفاعية تحسبا لأي هجوم طارئ على السواحل الأندلسية.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في التعرف على الجانب العسكري في بلاد الأندلس ويتجلى ذلك في النشاط البحري زمن الإمارة الأموية، خاصة وأن هذا النوع

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

من الدراسات قليلة نوعا ما، وإظهار دور الأمراء الأمويون في الأندلس في التصدي للغارات النورمان وردها، كما تهدف الدراسة إلى معرفة الدور الجهادي للأمير عبد الرحمن الأوسط في تطوير البحرية لحماية السواحل الأندلسية وصد الهجمات الخارجية.

### الإشكالية:

لمعرفة الأوضاع التي مرت بها البحرية الأندلسية من ضعف وقوة خلال عصر الإمارة الأموية قمنا بطرح الإشكالية التالية: كيف كانت البحرية الأندلسية قبل هجوم النورمان على السواحل الأندلسية؟ وماهي إستراتيجية عبد الرحمن الأوسط لدفع هذا الخطر والنهوض بالأسطول الأندلسي وتقويته؟.

### المنهج المتبع:

آثرنا أن نعتمد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي الذي يتلائم مع موضوع الدراسة من خلال سرد الأحداث التاريخية وإبراز القوى البحرية التي عرفتها بلاد الأندلس في عصر الإمارة الأموية ويقوم هذا المنهج على جمع المعلومات وتحليلها تحليلا عقليا ومناقشة الأحداث وتفسيرها، قصد التحلي بالدقة قدر الإمكان في دراسة الموضوع. كما اعتمدنا على المنهج الوصفي والذي يقوم على وصف المعارك البحرية بين النورمان والقادة الأندلسيين وصفا دقيقا، والدور الجهادي الذي قام به عبد الرحمن الأوسط لحماية سواحل الأندلس من خطر النورمان.

### النورمان وأصل تسميتهم:

ورد ذكر هؤلاء الأقوام في المراجع العربية الأردمانيين والمجوس وواضح من التسمية الأولى أنها تحريف لكلمة Norsemen الانجليزية أو Normandos الاسبانية وهي تعني سكان الشمال أي سكان الدول الاسكندنافية، أما تسميتهم بالمجوس فلأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحورون فيه بل

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

كانوا يحرقون بها جثث الموتى من زعمائهم بسفهم، فظن العرب أنهم يعبدون النار كزردشتية أو المجوس.<sup>(1)</sup>

وتشير بعض المصادر العربية إلى تسميتهم بالأردمانيين، على صيغة الجمع من لفظ أردماني، وهي تحريف لكلمة النرودمانيين، وقلب حرف النون إلى همزة في أوائل أسماء الأعلام ليس بالغريب على الأندلسيين، مثل: أربونة ونربونة،<sup>(2)</sup> ونجد ابن حيان يذكر هذا المصطلح في مناسبات عدة المجوس الأردمانيون، ويطلق عليهم الآن النورمان ويعرفون باللغة الإسبانية Normandos أو Wikingos يقابل ذلك بالإنجليزية Norsemen أو Vikings لعل التسمية الأولى أكثر استعمالاً في الإسبانية والثانية أكثر استعمالاً في الإنجليزية<sup>(3)</sup>، ويطلق عليهم ابن الأثير اسم المشركين.<sup>(4)</sup>

كذلك أطلق عليهم اسم الفايكنج svikungo وهي مشتقة من الكلمة النرويجية فيك Vik التي تعني ساكن الخليج، ولهذا أطلقوها على سكان شبه جزيرة إسكنديناوة<sup>(5)</sup> لكثرة خلعانها، وأن كانت قد وردت في المعاجم الإسبانية

(1) - ابن الأثير، أبو عبد الله محمد القضاعي، الحلة السرياء، تج: حسين مؤنس، ج2، القاهرة: دار المعارف، (1985م)، ط2، الهامش: 1، ص372.؛ محمد مرسى الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر ميلادي 755-976هـ/138-366هـ، القاهرة: مؤسسة الثقافة الجامعية، (1401هـ/1981م)، ص92.؛ عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، بيروت: دار النهضة العربية، (1986م)، ص221.؛ العيد بكري، "غارات النورمان على سواحل المغرب الأوسط خلال ق6هـ/12م"، مجلة عصور الجديدة، مج10، (2020م)، ص165.

(2) - عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، لبنان: دار النهضة العربية، (1969م)، ص152.؛ رياض أحمد عبيد العاني، "هجومات النورمانيين على الأندلس"، مجلة سرمن روى، مج7، (2011م)، ص136.

(3) - ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تج: عبد الرحمن علي حجي، بيروت: دار الثقافة، (1384هـ/1965م)، ص249.

(4) - ابن الأثير، أبو الحسن الشيباني، الكامل في التاريخ، مر: محمد الدقاق، ج6، بيروت: دار الكتب العلمية، (1407هـ/1987م)، ط1، ص83.

(5) - جزيرة إسكنديناوة: سميت بهذا الاسم نسبة إلى تسمية المؤرخ الروماني بليني Pliny لأرض السويديين باسم سكنديا Scandia ثم عمم هذا الاسم على شبه الجزيرة ونشأ منها لفظ إسكنديناوة الذي يشمل الأمم الثلاث

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

Vikingo بمعنى المحاربين<sup>(1)</sup>، وعرف النورمان في الأقاليم المجاورة للبحر البلطي باسم الورنك Varangins ويرجع هؤلاء إلى العنصر الجرمانى Germani الذي يعود إلى الجنس الهند أوروبى Indo- Europeene<sup>(2)</sup>.

سكن الفايكنج حوض بحر البلطيق Baltic وشبه جزيرة العرب إسكنديناوة Scandinavia وشبه جزيرة الدانمارك Danes<sup>(3)</sup>، وكانوا يعيشون في جبال ذات الغابات والأحراش والمستنقعات، والسهول الساحلية، والتي كانت لا تعدو في معظم الأحيان أشرطة ضيقة من الأرض الصعبة، وهكذا دفعت الطبيعة الفايكنج نحو البحر، فبرعوا في بناء السفن الصغيرة التي اتصفت بطولها وقلة عرضها وسارت بالمجداف أو الشراع الأسود، وكانوا يخرجون لغزو الشواطئ من مراكزهم في جنوب إسكنديناوة أو جنوبي انجلترا أو هو الأغلب من مراكز احتلوها على شاطئ فرنسا الشمالي في ناحية فريزيا<sup>(4)</sup> التي سميت بعد ذلك باسمهم La Normandie، بل قاموا برحلات بعيدة في المحيط الأطلسي، وكانوا

=

(السويد والنرويج والدانمارك). ينظر: ول ديورانت، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، م4، ج2، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (1968م)، ص308.

<sup>(1)</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (1976م)، ص173. : أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية، (دت)، ص138-139

<sup>(2)</sup> - والاس هادريل، أوربا في صدر العصور الوسطى(400-1000م)، تر: حياة ناصر الحجي، الكويت: مؤسسة الصباح، (1989م)، ط1، ص357. : الباز العريني، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص71.

<sup>(3)</sup> - Contor (N.F) : Medieval Hisotry. The Macmillan Companym, . New York (1964) P. 121

<sup>(4)</sup> - تقع فريزيا شمال غرب فرنسا على الساحل الجنوبي لبحر الشمال، ينظر: نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، (1414-1415هـ/1994-1995م)، ص56.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

وثنيين لا يفرقون في غزواتهم بين المسلمين وغير المسلمين، حتى أصبحوا أعظم الشعوب البحرية التي عرفت أوروبا في العصور الوسطى.<sup>(1)</sup>

وفي القرن التاسع صارت غارات النورمان تشمل شواطئ بلدان غرب أوروبا، ومع إطلالة كل ربيع يجبون البحار ويهاجمون الشواطئ ويحرقون المدن والقرى ويسرقون كل ما توصلت إليهم أيديهم ليعودوا إلى مواطنهم الأصلية قبل حلول فصل الأمطار والثلوج. وتمكنوا بذلك من التعرف على أكثر شواطئ أوروبا، وطيلة الثلث الأول من القرن التاسع للميلاد كانت غارات هؤلاء تصل إلى شواطئ بلاد الفرنجة وعبر مجاري أنهارها ناشره فيها الخراب والدمار<sup>(2)</sup>، وأيضا في هذه الفترة أقام هؤلاء لأنفسهم في هذه المناطق أكثر من قاعدة عند مصب الأنهار، تقيم فيها بعض جموعهم بصورة دائمة، حيث أقاموا عند مصب نهر السن وأخذت هذه الأراضي بعد ذلك تعرف باسم نورمانديا. ومع الوقت اتخذوا هذه المناطق منطلقا أساسية لتحركاتهم على شواطئ بلدان غرب أوروبا.<sup>(3)</sup>

وفي صيف سنة 228هـ/843م هجم النورمان على الشواطئ الواقعة عند مصب نهر اللوار في فرنسا، واستولوا على نانت في 33 يونيو من تلك السنة، وامتدت غاراتهم إلى مصب وادي جرونة (الجارون)، ووصلت سفنهم حتى مدينة برديل (بورديو) الفرنسية. ثم تابعوا تقدمهم على شواطئ إسبانيا المطلة على المحيط الأطلسي فنزلوا على الساحل بالقرب من مدينة خيخون،

(1) - سعيد عاشور، المرجع نفسه، ص 175. : ابن الأبار، المصدر السابق، ج 2، الهامش: 1، ص 372. : إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422م/711-1031م)، بيروت: دار النهضة العربية، (1406هـ/1986م)، ط 3، ص 245.

(2) - نعنعي، المرجع نفسه، ص 222.

(3) - نفسه، ص 222.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

ومنها تابعوا المسير على الشواطئ جيليقية غير أن ملك أستورياس تصدى لهم بقوة وهزمهم وأبعدهم عن شواطئه.<sup>(1)</sup>

تميز النورمان بخبرتهم العريقة في التعامل مع البحر وصناعته وتمرسوا فيها، وبرعوا في مغالبة العواصف البحرية وفي التعرف إلى الطرق والتيارات المائية. كما عرفوا بمهارتهم في القتال وقوة تسليحهم، فكان المحارب منهم مزودا ببيلطة وحرية طويلة، زيادة على درع واقي وخوذ من الحديد.<sup>(2)</sup>

نستنتج مما سبق أن النورمان يتصفون بالمغامرة وحميم للقتال والحياة الحرة، فكانوا يثورون غضبا تجاه أي سلطة، وكانوا وقتذاك وثنين فوجهاوا نشاطهم نحو القرصنة البحرية، كما أدت الطبيعة القاسية التي كانوا يعيشون فيها إلى صعوبة الحصول على لقمة العيش، وسدّ أدنى حاجيات هؤلاء الأقباط، مما دفعهم للخروج من أرضهم بحثا عن مناطق غنية بالثروات معتمدين على السلب والنهب والقرصنة.

وترجع أسباب خروج الفايكنج من بلادهم إلى:

1. الطمع في البلاد المتحضرة القريبة منها، والرغبة في الإغارة عليها لنهب ثرواتها أو ومشاركتها في حضارتها.
2. تزايد عدد الفايكنج في القرن التاسع حتى ذاقت عليهم بلادهم الفقيرة ولم تعد تتسع لهم الأشرطة الساحلية الضيقة الممتدة على شواطئ سكن سكنديناوة والدنمارك، مما دفعهم إلى الهجرة والإغارة على البلاد القريبة، بحثا عن العيش وتحقيق أسباب الحياة، ولذا تدفقوا على جيرانهم في غارات فجائية.<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup>-نعني، المرجع السابق، ص 222-223. : Levi-Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane, 3tomes (Paris 1950), l.p219.

<sup>(2)</sup>- سعيد عاشور، المرجع السابق، ص 175. : نعني، المرجع السابق، ص 222.

<sup>(3)</sup>- سعيد عاشور، المرجع السابق، ص 175-176. : إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، القاهرة: دار المعرفة، (1961م)، ط 1، 105.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

3. نشأت الملكية بين الفايكنج وخاصة في النرويج حيث تركزت السلطة قرابة منتصف القرن التاسع في يد هارولد الأشقر الأمر الذي جعل كثيرا من الزعماء يفضلون الهجرة إلى أوطان جديدة على الخضوع في ظل نظام لم يألفوه وهناك من الدلائل ما يشير إلى ان السويد والدانمارك شهدت أيضا تطورات سياسية داخلية أدت بكثير من جموع الفايكنج إلى الهجرة وهنا نلاحظ أن الفريزيين ظلوا منذ القرن السادس حتى منتصف القرن الثامن يمثلون أعظم قوة بحرية وتجارية في شمال غرب أوروبا حتى أن قوتهم كانت عاقبة في سبيل توسع الفايكنج جنوبا ولكن حدث عندما اصطدم الفرنجة بالفريزيين وحطموا قواتهم على أيدي شال مارتن سنة 116هـ/734م ثم شارلمان سنة 168هـ/785م، أن زلت هذه العقبة من طريق الفايكنج وأصبح طريق التوسع جنوبا مفتوحا أمامهم.<sup>(1)</sup>

4. يعتبر النورمان شعبًا أكثر ميالاً للمغامرة، وأضفى على حياتهم شيء من القسوة، فوجهوا نشاطهم نحو ركوب البحر والاعارة.<sup>(2)</sup>

5. اهتم النورمان بتعليم أبنائهم فنون السباحة والمصارعة والتزلق على الجليد والصيد والقتال والحرف اليدوية،<sup>(3)</sup> وذلك يعود إلى خبرتهم الكبيرة في القرصنة البحرية، وأصبحوا من أعظم الشعوب البحرية التي عرفتها أوروبا في العصور الوسطى.

6. طبيعة بلاد النورمان الجبلية التي تغطيها الغابات الكثيفة والمستنقعات المتصلة لم تترك لهم سوى شريط ساحلي بالغ الضيق لا تؤمن غلاته الزراعية

(1) - سعيد عاشور، المرجع السابق، ص176.

(2)2 - محمد مرسي الشيخ، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (1994م)، ص320-

321.

(3) - ول ديورانت، المرجع السابق، ص308.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

احتياجات السكان لذلك يمم الفايكنج وجوههم شطر البحر سعياً وراء لقمة العيش.<sup>(1)</sup>

7. الكوارث الطبيعية التي كانت غالباً ما تقضي على المحصولات الزراعية وتدفعهم للخروج والإغارة على السواحل المجاورة.<sup>(2)</sup>

8. الرغبة الملحة في ممارسة التجارة والبحث عن أسواق جديدة وعملاء آخرين لاستمرارها، ذلك أن النورمان كانوا عملاء تجاريين قدامى للفريزيين.<sup>(3)</sup>

9. تطور بناء سفن الفايكنج، حيث أصبحت قادرة على مواجهة العواصف، وتسير بسرعة عشر عقد في الساعة الواحد.<sup>(4)</sup>

10. كثرة الحروب القبلية وما نتج عنها من الانقسامات، وطموح الأبناء الصغار في ركوب البحر حتى يتسنى لهم تحقيق السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط.<sup>(5)</sup>

رغم تعدد الأسباب التي دفعت بالنورمان للخروج من أراضيهم في الشمال الغربي من أوروبا، إلى من البلاد المتحضرة القريبة منهم إلا أنها تصب في قالب واحد وهو طبيعة شعوب النورمان الذين غلب عليهم الطمع والحسد من البلاد المتحضرة القريبة منهم، مما تولدت لديهم الرغبة في الإغارة عليها لنهب ثرواتها أو على الأقل المشاركة في حضارتها.

(1) - فاطمة بنت حاي بن يحيى الحجي السفيني، غارات النورمان الدانيين على أراضي دولة الفرنجة وبلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة (138-399هـ/756-1009م)، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، (1422-1423هـ/2001-2002م)، ص58.

(2) - فاطمة السفيني، المرجع السابق، ص58.

(3) - المرجع نفسه، ص59.

(4) - نفسه، ص60.

(5) - الباز العربي، المرجع السابق، ص350/ وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، تر: محمد مصطفى زيادة، ج2.

القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (دت)، ص 466-467.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

2. غزو النورمان على السواحل الأندلسية وسيطرتهم على اشبيلية:  
تعرضت بلاد الأندلس على عهد عبد الرحمن الأوسط<sup>(1)</sup> (206-238هـ/  
822-852م) لغارات غير متوقعة اكتسحت شواطئها الغربية وجاءت فجأة من  
المحيط الاطلندي، قامت بها جماعات النورمان جاءت إلى شواطئ الأندلس في  
مراكب ذات حجم صغير<sup>(2)</sup>، وأهم تلك العمليات النورماندية هي التي قاموا  
بها على شواطئ مدينة أشبونة<sup>(3)</sup> في نحو ثمانين مركب، ومثلها من القوارب  
الصغيرة السريعة الحركة عند مصب نهر التاج<sup>(4)</sup>، ويذكر عبد العزيز سالم  
مجموع سفن النورمانديين "كانت 54 سفينة نورماندية وعدد آخر من المراكب  
الصغيرة عند مصب نهر التاجه"<sup>(5)»، (6)</sup>، وكان ذلك يوم الأربعاء أول ذي الحجة  
عام 229هـ/844م، حيث تصدى لهم عامل المدينة وهب الله بن حزام<sup>(7)</sup>، والذي  
كتب بذلك إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط يخبره بالأمر، فعمم الأمير هذه الرسالة

(1) - عبد الرحمن الأوسط : كنيته : أبو مطرف ، وكان ملكا بالأندلس، حكم أكثر من ثلاثين عاما، عرفت الأندلس خلاله تطورا سياسيا وثقافيا واقتصاديا. ينظر : ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الأعلام في من بوع قبيل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تح : ليفي بروفنسال ، بيروت: دارمكشوف، (1956م)، ص18-20.

(2) - محمد عبد الحميد عيسى، أندلسيات، القاهرة: جامعة عين الشمس، (1999م)، ص34.

(3) - أشبونة: تقع بالأندلس من كور باجة المختلطة بها، وهي مدينة قديمة على سيف البحر. ينظر: الحميري، محمد بن عبد المنعم ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إلابي بروفنسال، بيروت: دارالجيل ، ط2، (1408هـ/1988م)، ص16.

(4) - محمد عيسى، المرجع السابق، ص34-35. ؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، الهامش: 1، ص372. ؛ محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص92. ؛ عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص223. ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص83.

(5) - بحر تاجه (Rio Tajo): وهو أطول أنهار شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia، يشقها بين شرقها إلى غربها ومنابعه بالقرب من مدينة تطيلة Tudela ثم ينحدر نحو الجنوب الغربي ماراً بمدن وادي الحجارة Guadalajara ومجريط وطليلة ثم طلبيرة Talavera وشنترين Santarem ولشبونة حيث يصب في البحر المحيط. ينظر: جاسم ياسين الدرويش، حسين جبار العليايوي، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية من مدن وحصون طليلطة، دمشق: دارتموز تيموزي، (2018م)، ط1، ص19، 62.

(6) - عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العرب حتى سقوط الخلافة في قرطبة، لبنان: دارالمعارف، (1961م)، ص235.

(7) - وهب بن حزام: كان حاكم مدينة اشبونة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم. ينظر: فاطمة السفيناني، المرجع السابق، ص89.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

على ولايته وعماله في المدن والمناطق الساحلية ليأخذوا أسباب الحذر والحيطة، بقي هؤلاء أمام مدينة لشبونة 13 يوماً اصطدموا مع حاميتها أكثر من مرة.<sup>(1)</sup> ثم اتجهوا إلى الجنوب حيث مصب نهر الوادي الكبير في يوم الأربعاء 12 محرم 230هـ/844م، فدخلوا فيه بمراكبهم ودخلوا قادس<sup>(2)</sup> وشدوذة<sup>(3)</sup>، فأقاموا عليها يومين، وغنموا بعض الشيء<sup>(4)</sup>، وفي هذا الشأن يقول ابن العذارى المراكشي: "كأنما ملأت البحر طيراً جُوناً؛ كما ملأت القلوب شجواً وشَجُوناً. فخلوا بأشبونة؛ ثم أقبلوا إلى قادس، إلى شدوذة؛ ثم قدموا على اشبيلية<sup>(5)</sup>،<sup>(6)</sup>، ثم احتلوا قبطيل<sup>(7)</sup>، وهي جزيرة صغيرة في النهر وأقاموا فيها حوالي ثلاثة أيام ساروا بعدها إلى قرية صغيرة تدعى قورة وتقع على بعد 12 ميلاً على اشبيلية، نزلوا فيها بعد معركة حاميتها قتل فيها عدد كبير من المسلمين.<sup>(8)</sup>

(1) - محمد عيسى، المرجع السابق، ص 34-35؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 83.

(2) - قادس: جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن اشبيلية، وطول جزيرة قادس من القبلة إلى الجوف اثنا عشر ميلاً. ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تج: إحسان عباس، بيروت: مكتبة، (1984م)، ط 2، ص 448.

(3) - شدوذة: تقع بالأندلس، هي كورة متصلة بكورة مورور. ينظر: المصدر نفسه، ص 339.

(4) - المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تج: إحسان عباس، ج 1، بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م)، ص 346.؛ ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي، المغرب في حلي المغرب، تج: شوقي ضيف، ج 1، القاهرة: دار المعارف، ط 4، (1955م)، ص 49.؛ محمد عيسى، المرجع السابق، ص 34-35.

(5) - إشبيلية: مدينة كبيرة عامرة موجودة في الأندلس، وتسمى أيضاً حمص. ينظر: الإدريسي، أبو عبد الله محمد الحمودي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 2، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (1422هـ/2002م)، ص 541.؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، مج 1، بيروت: دار صادر، (1397هـ/1977م)، ص 195.

(6) - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تج: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ج 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (1406هـ/1985م) ط 1، ص 87.

(7) - قبطيل: تقع بالأندلس، وهي مفرغ وادي طرطوشة في البحر ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص 454.

(8) - ابن الدلائلي، أحمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الأندلس، تج: عبد العزيز الأهواني، مدريد: منشورات معهد الدراسات الإسلامية، (دت)، ص 98.؛ محمد عيسى، المرجع السابق، ص 34-35.؛ محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص 92.؛ عبد المجيد نعتي، المرجع السابق، ص 223.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

وفي يوم الثلاثاء 25 صفر 230هـ الموافق لـ 11 نوفمبر 844م حلوا في قرية طليباطة التي ما كانت تبعد عن اشبيلية سوى ميلين نزلوها ليلاً، مما أشعل الهلع والذعر بين سكانها، وانهمزم النورمانديون وقتل عدد كبير، واحرق من مراكبهم ثلاثون مركباً.<sup>(1)</sup>

ثم دخلوا إلى مدينة اشبيلية فدمروها تماما واستولوا عليها، وعاثوا فيها فساداً، وأكثروا فيها القتل والأسر والنهب والسلب، وأشعلوا النار في مسجد عرف بعد ذلك باسم مسجد الشهداء، ومع هذا فإن من أثر البقاء فيها على قتلهم تصدوا لنورمان حيث هاجموا المدينة<sup>(2)</sup>، وهي عورة، فدخلوها واستباحوها سبعة أيام<sup>(3)</sup>، وفي هذا الشأن يقول ابن الأثير: "ولم ترفع المجوس السيف عن أحد ولا عن دابة"<sup>(4)</sup>، انسحب بعدها النورمان إلى جزيرة قبطيل حيث أودعوا ما نهبه من أموال وغنائم ومتاع<sup>(5)</sup>، ورجعوا إلى اشبيلية مرة ثانية وفي هذه المرة كانت اشبيلية قد خلت تماما من سكانها وفروا منها إلى جرمونة وإلى جبال اشبيلية ولم يجد النورمان من يقتلونه من أهل اشبيلية سوى جماعة من شيوخها قد احتملوا في مسجد سمي منذ ذلك التاريخ مسجد الشهداء، وبدأوا في الاستعدادات لغزو العاصمة الأندلسية قرطبة<sup>(6)</sup> وذلك عام 230هـ/844م.<sup>(7)</sup>

كانت هذه الغزوة مفاجئة للمدن الإسلامية التي لم تكن لها أسوار تحميها، ولم يكن الأسطول الإسلامي في قوة تمكنه من الصمود أمام الغزاة، فضلا

(1) - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص87؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص236.

(2) - الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تج: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج8، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط11، (1417هـ/1996م)، ص261؛ محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص92؛ عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص224.

(3) - ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص49؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص236.

(4) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص83.

(5) - محمد الشيخ، المرجع السابق، ص92؛ عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص224.

(6) - قرطبة: قاعدة الأندلس، أم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها. ينظر: الحميري، صفة جزيرة، ص153.

(7) - محمد مرسى الشيخ، المرجع السابق، ص92؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص236.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

عن أن معظم السفن الأسطول الأندلسي كانت ترابط على الساحل الشرقي، الواقع أن المدينة كانت تفتقد لأسباب الدفاع القوية عنها، أمام تطور العدة الحربية للنورمان، الذين كانوا يقومون بغارات خاطفة، مما جعل الناس الأندلسيين يتراجعون خوفاً منه.

لما بلغت الأخبار عبد الرحمن الأوسط أسرع بإرسال قواته إلى اشبيلية، واستنجد بعماله وولاته وأمراء المقاطعات البعيدة، وهرع الناس من كل مكان للجهاد ورد الغزاة، ووصلت بعض وحدات الأسطول الأندلسي إلى مكان المعركة، واشتبكت مع النورمان الذين دعمتهم إمدادات جديدة، بظاهر اشبيلية، وكان من بين قادة الأسطول الأندلسي عبد الله بن كليب، وعبد الواحد الاسكندراني، ومحمد بن رستم الذي كان له دور بارز في التصدي لتلك الغارات المفاجئة على القرى والبلاد الواقعة على ضفاف نهر الوادي الكبير<sup>(1)</sup>، تمركز هذا الجيش في تل مشرف على اشبيلية يدعى الشرف، ويصف هذا المنظر ابن عذارى قائلاً: "وتوافت للمجوس مراكب على مراكب، وجعلوا يقتلون الرجال، ويسبون النساء، ويأخذون الصبيان وذلك بطول ثلاثة عشر يوماً"<sup>(2)</sup>، وما لبث أن وصل جيش آخر بقياده الفتى نصر ولما أيقن النورمانديون أن المسلمين عازمون على قتالهم تراجعوا إلى قرية طلياطة، الحصينة وتمركزوا فيها، وكانت الواقعة الكبيرة حوصر فيها نورمانديون من جانبي النهر وقطع أسطولي يتألف من 15 سفينة مشحونة بالمقاتلة والعدة أرسلها الأمير عن طريق الشاطئ لمنعهم من الهرب.<sup>(3)</sup>

(1) - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص 87؛ محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 93.

(2) - ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص 87.

(3) - المصدر نفسه، ج 2، ص 87؛ محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 93؛ عبد المجيد نعنعي، المرجع

السابق، ص 224/ سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين، ص 236.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

نجحت الجيوش الإسلامية في مطاردة الغزوات وأنزلت بهم هزيمة مروعة عند قرية طلياطة، وبعد قتال مرير انهزم النورمان وقتل منهم ألف قتيل، وجرى إحراق نحو ثلاثين سفينة من سفنهم، كما تركوا بين أيدي المسلمين عددا كبيرا من الأسرى قتل بعضهم وأمر القائد بصلب البقية على جذوع النخلة أمام أعين بعض من نجوا<sup>(1)</sup>، ولهذا بادر النورمان بالتراجع نحو الجنوب، والمسلمون في أثرهم، فوصلوا إلى أشبونة من جديد، ثم غادروا الأندلس في النهاية<sup>(2)</sup>، وفي ذلك يقول عثمان بن المثنى:

يقولون إن الازدمانين أقبلوا ... فقلت إذا جاءوا بعثنا لهم نصرا.<sup>3</sup>

### 3. اهتمام عبد الرحمن الأوسط ببناء الأسطول:

هذه المحنة كانت نقطة تحول كبرى في سياسة إمارة بني أمية البحرية لحماية السواحل الأندلسية ومنع تكرار هذه الغارات المدمرة، لذلك بذل عبد الرحمن جهود مناسبة في إقامة سلسلة من الحصون والقلاع على المصببات الأنهار والاهتمام بالأسطول وإقامة تحصينات بحرية وأسوار المدن المعرضة للغزو<sup>(4)</sup>، ويذكر ابن حيان نقلا عن كتاب مفقود لمعاوية بن هشام الشيبينسي: "كتب عبد الملك بن حبيب إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم إثر محنه أهل اشبيلية وتحصينها، ووفق ذلك أيام الشروع الأمير عبد الرحمن في بنیان زيادته بالجامع بقرطبة المشهور بها، وذكر له في كتابه أن بنیان سور مدينة اشبيلية وتحصينها اوكداه عليه من بنیان الزيادة في المسجد الجامع، فعمل برأيه في

(1) - محمد مرسي الشيخ، المرجع السابق، ص 93؛ عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 225.

(2) - محمد عيسى، المرجع السابق، ص 35؛ ابن الأبار، ج 2، الهامش: 1، ص 372؛ محمد مرسي الشيخ،

المرجع السابق، ص 93.

(3) - ابن سعيد، المصدر السابق، ص 1، ص 49.

(4) - محمد عيسى، المرجع السابق، ص 35.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

بنيان سور اشبيلية، ولم يثن ذلك عزمه عن بنيان الزيادة، فأعطى كلا منهما بقسه من إرهاب العزيمة والسخو بالنفقة إلى أن كمالا معا كما أرادته<sup>(1)</sup>.  
فأمر رجلا من الموالي الشاميين يدعى عبد الله بن السنان ببناء الصور للمدينة من الحجارة وأيضا بتحصينها من ناحية النهر. وجرى إنشاء دار للصناعة كبيرة توضع فيها السفن الكبيرة، وحشد بها الجند المدربين من شواطئ الأندلس وزودها بالآلات والقوارير النفط التي تقذف على سفن الأعداء<sup>(2)</sup>.  
فضلا عن المحارس والرباطات التي أقامها على طول الساحل المطل على المحيط الأطلسي يقيم فيها المرابطون والحراس الليليون، المعروفون باسم السمار، وكانت هذه المراقب أو الربط مزوده بالمنائر أو المنارات، التي عرفت أيضا باسم الطواع أو الطلائع جمع طالعه أو طليعة Atalaya، فكان على أولئك السمار أو المرابطين إذ ما كشفوا عدو في البحر مقبلا من بعيد، أشعلوا النار على قمم المناور أو الطلائع إذ كان الوقت ليلا، أو آثارا منها الدخان إن كان الوقت نهارا. هذا إلى جانب استخدام الطبل والنفير لتحضير أهالي المدن المجاورة من غاره العدو مثل صفارات الإنذار<sup>(3)</sup>، كان لهذه السياسة الفضل في حماية بلاد الأندلس من خطر المجوس النورمان، فلم يستطيع تثبيت أقدامهم فيها، ويذكر للأمير عبد الرحمن الأوسط هذا الجهود في هذا الميدان، فقد كان بحق المؤسس الحقيقي للبحرية الأندلسية.

اتخذ عبد الرحمن الأوسط للأندلس دور الصناعة والقواعد في اشبونة واشبيلية ولبلة<sup>(4)</sup> وألمرية<sup>(1)</sup> وبلنسية<sup>(2)</sup> ومالقة<sup>(3)</sup>، ولم تنقض سنوات

(1) - عبد الرحمن علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، بيروت: دار القلم، 1402هـ-1981م، ط2، ص 234-235.

(2) - محمد الشيخ، المرجع السابق، ص93.

(3) - المرجع نفسه، ص94؛ أحمد العبادي، المرجع السابق، ص140.

(4) - لبلة: لبلة أو لبلة: مدينة قديمة تقع غرب بالأندلس. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص168. ووردت في نفح الطيب: لبلة، ج1، ص168.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

حتى كان للأندلس أسطولان قويان أحدهما في المحيط الأطلسي ومركزه اشبونة، والثاني في البحر المتوسط وقاعدته مالقة، ومنذ منتصف القرن التاسع ميلادي يظهر الأندلس كقوة بحرية كبرى، وتبدأ أهميه البحرية الأندلسية كعماد لقوة إمارة قرطبة.<sup>(4)</sup>

والواقع أن سياسة الأمير عبد الرحمن الثاني هذه قد أعطت ثمارها حتى في نهاية المدى القريب مما سمح له بأن يرسل 300 مركب بعد ثلاث سنوات فقط لتأديب أهالي جزيرة ميورغا، وكذلك نرى هذا الأسطول في نمو متزايد مما جعله في أيام ولده الأمير محمد ينجح في طرد الغازات النورمان حين حاولوا مهاجمة سواحل الأندلس مجددا وظل هذا الأسطول نظرا لما أظهره من فائدة وجدية موضع عناية واهتمام أمراء الأندلس حتى بات الأندلسيين أيام الخليفة عبد الرحمن ناصر واحد من أحسن أساطيل العالم القرن العاشر ميلادي.<sup>(5)</sup> إن استمرار الاهتمام بتطوير العسكرية الأندلسية سواء البحرية أو البرية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وخليفته الحكم المستنصر، جعل من الأندلس قوة في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية، توصلنا إلى النتائج التالية:

(1) - ألمرية: ألمرية: تقع بالأندلس، وهي مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين، الناصر لدين الله، عبد الرحمن ابن محمد سنة 344هـ/955م. ينظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص183.

(2) - بلنسية: تقع في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما، وهي قاعدة من قواعد الأندلس. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص97.

(3) - مالقة: تقع بالأندلس، على شاطئ البحر، لها سور صخر، والبحر في قلبها. ينظر: المصدر نفسه، ص517.

(4) - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: داررشاد، (دت)، ص225.

(5) - عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص226.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

1. طمع شعوب النورمان في غزو بلاد الأندلس وذلك لحسنها وفضلها وخيراتها، فكلما دخلوا على مدينة أغاروا عليها ونهبوها وسلبوا كل المناطق التي مروا عليها.
2. تركزت غارات النورمان على المناطق الساحلية أو القريبة منها خاصة اشبيلية التي كانت حاضرة الأندلس آنذاك، وذلك لقربها من الشاطئ المغربي حيث توجد قواعد الجيوش الإسلامية.
3. اهتمام عبد الرحمن الأوسط في تشييد القلاع والحصون، واختياره لها أهم المواقع الإستراتيجية، وإنشاء أسطول حربي على درجة عالية من الكفاءة والمنعة لرد الإخطار من السواحل.
4. بلغت البحرية الأندلسية درجة كبيرة من التقدم والازدهار، ووصلت في عصر الإمارة الأموية إلى أوج قوتها، ويعود ذلك إلى اهتمام الأمراء والقادة بأمور البحر وفق خطوات منظمة ومدروسة بعيدة عن الارتجال، معتمدين على شبكة واسعة من القواعد البحرية ودور صناعة السفن للأساطيل البحرية، وعلى طبقة ممتازة من الرجال البحريين الذين قادوا تلك الأساطيل ببراعة ومهارة.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: قائمة المصادر:

1. ابن الأثير، أبو عبد الله محمد القضاعي (ت658هـ/1260م)، الحلة السرياء، تح: حسين مؤنس، ج2، القاهرة: دار المعارف، ط2، (1985م).
2. ابن الأثير، أبو الحسن الشيباني (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، مر: محمد الدقاق، ج6، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، (1407هـ/1987م).
3. ابن الخطيب، لسان الدين، أعمال الأعلام في من بوع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، بيروت: دار مكشوف، (1956م).
4. ابن الدلائلي، أحمد بن عمر بن أنس العذري، نصوص عن الأندلس، تح: عبد العزيز الأهواني، مدريد: منشورات معهد الدراسات الإسلامية، (دت).
5. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت469هـ/1076م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمن علي حجي، بيروت: دار الثقافة، (1384هـ/1965م).
6. ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت685هـ/1286م)، المغرب في حُلِّي المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، القاهرة: دار المعارف، ط4، (1955م).
7. ابن عذارى المراكشي (كان حيا 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تح: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، (1406هـ/1985م).
8. الإدريسي، أبو عبد الله محمد الحمودي الحسني (ت560هـ/1165م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج2، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، (1422هـ/2002م).

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

9. جاسم ياسين الدرويش، حسين جبار العلياي، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية من مدن وحصون طليطلة، دمشق: دار تموز تيموزي، ط1، (2018م).
10. الحميري، محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إ. لافي بروفنصال، بيروت: دار الجيل، ط2، (1408هـ/1988م).
11. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت نحو750هـ/1349م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، بيروت: مكتبة، (1984م)، ط2.
12. الذّهي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748هـ/1348م)، سير أعلام الثّباء، تح: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج8، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط11، (1417هـ/1996م).
13. المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م)، نفح الطّيب من غصن الأندلس الرطّيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، ج1، بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م).
14. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، بيروت: دار صادر، (1397هـ/1977م).

### ثانيا: قائمة المراجع العربية :

1. بيضون إبراهيم، الدولة العربية في أسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422م/711-1031م)، بيروت: دار النهضة العربية، ط3، (1406هـ/1986م).
2. حيي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، بيروت: دار القلم، 1402هـ-1981م، ط2.
3. الدرويش جاسم ياسين، حسين جبار العلياي، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية من مدن وحصون طليطلة، دمشق: دار تموز تيموزي، (2018م)، ط1.

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

4. سالم عبد العزيز، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، لبنان: دار النهضة العربية، (1969م).
5. سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العرب حتى سقوط الخلافة في قرطبة، لبنان: دار المعارف، (1961م).
6. الشيخ محمد مرسى، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر ميلادي 755-976م/138هـ-366هـ، القاهرة: مؤسسة الثقافة الجامعية، (1401هـ/1981م).
7. الشيخ محمد مرسى، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (1994م).
8. عاشور سعيد عبد الفتاح، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (1976م).
9. العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: دار النهضة العربية، (دت).
10. العدوى إبراهيم أحمد، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، القاهرة: دار المعرفة، (1961م)، ط1.
11. العريفي الباز، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م.
12. محمد عبد الحميد عيسى، أندلسيات، القاهرة: جامعة عين الشمس، (1999م).
13. مؤنس حسين معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: دار رشاد، (دت).
14. نعنعي عبد المجيد، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي، بيروت: دار النهضة العربية، (1986م).

## غارات النورمان على الأندلس وأثرها في قيام البحرية الأندلسية (229هـ-844م)

15. نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، (1414-1415هـ/1994-1995م)، ص56.

### ثالثا: قائمة المراجع المعرّبة :

1. وليم لانجر، موسوعة تاريخ العالم، تر: محمد مصطفى زيادة، ج2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، (دت).
2. ول ديورانت، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، م4، ج2، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (1968م).
3. والاس هادريل، أوروبا في صدر العصور الوسطى (400-1000م)، تر: حياة ناصر الحجى، الكويت: مؤسسة الصباح، ط1، (1989م).

### رابعا: قائمة المراجع الأجنبية:

1. Levi-Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane, 3tomes (Paris 1950)  
Contor (N.F) : Medieval Hisotry. The Macmillan Companym, . New York (1964).

### خامسا: قائمة المقالات:

1. بكري العيد، "غارات النورمان على سواحل المغرب الأوسط خلال ق6هـ/12م"، مجلة عصور الجديدة، مج10، (2020م). ص162-184.
2. العاني رياض أحمد عبيد، "هجومات النورمانيين على الأندلس"، مجلة سرمن رأى، مج7، (2011م). ص136-160.

### قائمة الرسائل الجامعية :

1. فاطمة بنت حاي بن يحيى الحجى السفىاني، غارات النورمان الدانيين على أراضي دولة الفرنجة وبلاد الأندلس في عصري الإمارة والخلافة(138-399هـ/756-1009م)، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، (1422-1423هـ/2001-2002م).

الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط  
خلال القرن 6هـ/12م

---

الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط  
خلال القرن 6هـ/12م

Norman naval campaigns in the countries  
of the lower and Central Maghreb during the 6th  
century AH/12th century AD

د. مرزاق بومداح (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة)  
merzak.boumedah@ensb.dz

---

ملخص:

إن المتتبع لتاريخ المغربين الأدنى والأوسط مع أواخر القرن 5هـ/11م وبداية القرن 6هـ/12م يلحظ أنه كان يعاني ظروفًا سياسية واجتماعية واقتصادية صعبة للغاية؛ مما أتاح الفرصة للقوى الخارجية كالنورمان من شن عدوانهم على المنطقة، حيث تمكنوا من احتلال العديد من مدنه الساحلية كشرشال وجيجل وبونة والمهدية وشفاقس وسوسة وطرابلس، بالإضافة إلى احتلال بعض جزره كجربة وقرقنة، وكان للاحتلال النورماني انعكاسات خطيرة على بلاد المغرب الأدنى والأوسط كسفك دماء المسلمين وهتك أعراضهم، ونهب المحاصيل الزراعية، وتدمير وحرق بعض المدن، وهجرة السكان نحو المناطق الجبلية.

كلمات مفتاحية: المغرب الأدنى؛ المغرب الأوسط؛ النورمان؛ الدولة الزييرية؛ الدولة الحمادية؛ القرن 6هـ/12م.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

---

### Abstract:

Anyone who follows the history of the lower and; Central Maghreb in the late 5th century AH/11th century AD and the beginning of the 6th century AH/12th century AD will notice that it was suffering from very difficult political, social and economic conditions; which gave the opportunity to external powers such as the Normans to launch their aggression against the region, where they were able to occupy many of its coastal cities such as Cherchell, Jijel, Bona, Mahdia, Sfax, Sousse and Tripoli, in addition to occupying some of its islands such as Djerba and Kerkennah. The Norman occupation had serious repercussions on the countries of the lower and Central Maghreb, such as shedding the blood of Muslims and violating their honor, looting agricultural crops, destroying and burning some cities, and migration of the population towards mountainous areas.

**Keywords:** lower Maghreb; Central Maghreb; Normans; Zirid State; Hammadid State; 6th century AH/12th century AD.

### مقدمة:

قام النورمان منذ بداية القرن 6هـ/12م بشن عدة حملات بحرية عسكرية على طول سواحل المغربين الأدنى والأوسط، وتمكنوا في غضون سنوات قليلة من الاحتلال والسيطرة على الكثير من مدنه وجزره.

ومن هنا يتبادر إلى الذهن التساؤلات التالية:

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

من هم النورمان؟ وأين كانوا يستقرون قبل نزوحهم إلى جنوب إيطاليا؟ وكيف كانت أوضاع المغرّبين الأدنى والأوسط قبيل العدوان النورماني؟ وما هي أهم الحملات العسكرية التي شنها النورمان على المنطقة السالفة الذكر؟ وإلى أي مدى ساهمت حملاتهم العدوانية في تحقيق أطماعهم وأهدافهم التوسعية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع الإسلامية والأوروبية، مع عرض ما ذكرته هذه المصادر والمراجع للمنهج السردى التحليلي، والمنهج الاستقرائي من خلال تتبع كل ما كتب عن جزئيات موضوع الدراسة، بالإضافة إلى الاعتماد على المنهج المقارن من خلال عرض مختلف الروايات، وترجيح ما أراه صواباً. وهذا وفق منظور إسلامي أصيل.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، ومن أهمها إدراك التغير الحاصل في موازين القوى مع أواخر القرن 5هـ/11م وبداية القرن 6هـ/12م، وهذا بظهور النورمان كقوة بحرية جديدة تمكنت من السيطرة على جنوب إيطاليا، واحتلال جزيرتي صقلية ومالطة الخاضعتان للحكم الإسلامي لأكثر من قرنين ونصف، وبداية فقدان دول المغرب الإسلامي لمكانتها السابقة كقوة مهيمنة على الحوض الغربي لبحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، والعمل على الاستفادة من أخطاء من سبقنا، وعدم تكرارها في المستقبل، لأن سنن الله في الأرض لا تتغير ولا تتبدل.

أولاً: أصل النورمان وتاريخ هجرتهم إلى فرنسا وجنوب إيطاليا

إن لفظ النورمان ينقسم إلى جزءين الأول: (Nord أو North) وتعني الشمال، ولفظة: (Men أو Manni) وتعني رجال. إذن فلفظ النورمان يعني

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

رجال الشمال، وهذا نسبة إلى بلادهم الأصلية في شبه جزيرة إسكندناوة<sup>(1)</sup> وحوض بحر البلطيق في غرب أوروبا، ويُطلق عليهم أيضا اسم الفيكنج (Viking) وهي مشتقة من الكلمة النرويجية فيك (Vik)، أو من الكلمة الأيسلندية القديمة (Vika)، وتعني سكان الفيوردات (Fjords) أي سكان الخليج أو الخلجان الصغيرة، لذلك أطلقوا لفظ الفيكنج على سكان شبه جزيرة إسكندناوة لكثرة خلجانها، وإن كانت قد وردت في المعاجم الإسبانية (Vikings) بمعنى المحاربين. ويمكننا القول أنه يُقصد بالفيكنج أولئك القراصنة الملاحين الذين يؤوون إلى الخلجان، ويستخدمونها كمراكز يشنون منها الغارات على من يجاورونهم<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> - إسكندناوة: كلمة إسكندناوة أو (Scandinavia) من أصل نوردي، وتعني أرض الضباب، ويذكر ويل ديورانت أن لفظ سكاني (Scan) هو الاسم الذي أطلقه بليبي (Pliny) الأكبر على بلاد السويد اسكانديا (Scandia) في اللغة اللاتينية. ونشأ منه لفظ إسكنديناوة (Scandinavia). وتُمثل شبه جزيرة إسكندناوة هضبة مستطيلة الشكل تمتد ما بين الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي في انحدار شديد نحو بحر الظلمات (المحيط الأطلسي). وانحدار تدريجي أمام بحر البلطيق، وقد قُطعت بعدد من الخلجان المتعمقة التي تسمى فيوردات. وتشمل شبه جزيرة إسكندناوة كل من دولتي النرويج والسويد، أما إسكندناوة لوحدها فهو يعبر عن أراضي ثلاث دول وهي السويد، النرويج، الدانمارك. كما أنه كثيرا ما يُستخدم تعبير فينو سكانيا كمفهوم جيولوجي وجغرافي في أن واحد للدلالة على أراضي النرويج والسويد وفنلندا وشبه جزيرة كولا ومنطقة أونيجا وكاريليا الروسية. أنظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي محمود وآخرون، المجمع الثقافي، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ/2002م، ج14، ص308؛ محمد إبراهيم حسن، جغرافية أوروبا وحوض البحر المتوسط، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية-مصر، 1999م، ص ص31، 182؛ علي موسى ومحمد الحمادي، جغرافية القارات، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، 1422هـ/2001م، ص121.

<sup>(2)</sup> - رشيد تومي، العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية ما بين 1017 و1154م، رسالة ماجستير في تاريخ العصور الوسطى، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987-1988م، ص ص2-3؛ أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، د. ت. ط. ص ص348-349؛ يوسف عبد الحميد بن ناجي، "تأثر النورمان-قراصنة الفايكنج- بالحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية (444-591هـ/1052-1194م)"، مجلة الدراسات العربية، كلية دارالعلوم، جامعة المنيا، مصر، ص3442.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

وقد ورد ذكر النورمان في المراجع العربية والإسلامية باسم الأردمانيين والمجوس، كما ورد ذلك عند ابن القوطية (ت.367هـ/977م)، وابن الأثير (ت.630هـ/1233م)، وابن عذاري (ت. نحو 712هـ/1312م)، والحميري (ت. 900هـ/1495م) وغيرهم. وواضح من التسمية الأولى أنها تحريف للكلمة الإنجليزية (Norsemen) أو الكلمة الإسبانية (Normandos)، أما تسميتهم بالمجوس فلأنهم كانوا يشعلون النار في كل مكان يحلون فيه، بل كانوا يحرقون بها جثث الموتى من زعمائهم بسفهم، فظن المسلمون أنهم يعبدون النار كالزرادشتيين أو المجوس<sup>(1)</sup>.

وينقسم النورمان أو الفيكنج إلى ثلاثة فروع بشرية رئيسية وهي: النرويجيون، والسويديون، والدانيون (الدانماركيون)، فسكن النرويجيون في المنطقة الواقعة على طول الشاطئ الغربي لشبه جزيرة إسكندناوة، وأما السويديون فقد سكنوا في بلاد السويد الوسطى الحالية في المنطقة التي يتألف وسطها من بحيرة مالار (Malar)، وأما الدانيون (الدانماركيون) فقد قطنوا في جزر غرب البلطيق وجوتلاند (Jutland)، وجنوب السويد الحالية هالند (Halland) ومنطقة سكانيا (Scanie) وبليكنغ (Blevinge). وفي الواقع فإن هذا التقسيم لا يعني وجود فوارق عرقية بين هذه الجماعات، وإنما وُضع لتبيين المواقع الجغرافية التي انطلقت منها هذه المجموعات البشرية. هذا ونشير إلى أن الموقع الجغرافي أدى دوراً أساسياً في توزيع غارات الفيكنج،

(1) - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، 1410هـ/1989م، ص78؛ علي بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/1997م، ج6، ص93، 94؛ أحمد بن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ط3، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1983م، ج1، ص232؛ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، ط2، دار القلم، دمشق-سوريا، 1402هـ/1981م، ص227؛ العبادي، المرجع السابق، ص349.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن الأوربيين لم يميزوا بسهولة بين مختلف فروع الفيكنج، وكان الكارولنجيون (الفرنجة) على سبيل المثال لم يفرقوا تماما بين هذه العناصر، مما جعلهم يُطلقون على جميعها اسم "النورمان"<sup>(1)</sup>.

ويذكر لنا العبادي والحجي أن أصل النورمان جرمانى أو تيوتونى، ويُعلمنا فيشر أن النورمان والجرمان من الجنس النوردي غير أنهم على خلاف الجرمان لم يتأثروا بالمؤثرات اللاتينية، بل ظلوا بعيدين عنها بحكم وضعهم الجغرافى بأقصى الشمال الغربى من أوروبا، وهو الوضع الذى جاءت منه تسميتهم بالشماليين. ويضيف لنا فيشر أن العامل الجغرافى دون غيره من العوامل المزعومة كان له دور كبير فى تحديد الاتجاهات المختلفة لغارات النورمان، وجعله ميدانا لنشاطهم وقرصنتهم<sup>(2)</sup>. وأما الأستاذ تومى فيذكر لنا أن حركة توسع النورمان قد ارتبطت بالعوامل التالية:

أ. تكاثر عدد النورمان، وعجز بلادهم عن سد حاجياتهم الضرورية. كما أن وجود بعض العادات فى النورمان كان تقضى بطرد الشبان الراشدين من البيت، بل من البلد كله (إسكندناوة) للبحث عن مستقبل أكثر إشراقا خارج قارتهم، بسبب فقرها وعجزها عن سد حاجياتهم. وفى الحقيقة ليس ثمة دليل ساطع يثبت أن إسكندناوة كانت تُعاني من ضيق سكانى خانق فى تلك الفترة الزمنية.

(1) - تومى، المرجع السابق، ص3.

(2) - العبادى، المرجع السابق، ص349؛ الحجي، المرجع السابق، 227؛ ه. أ. ل. فيشر، تاريخ أوروبا العصور الوسطى، نقله إلى العربية: محمد زيادة والياز العريبي، ط6، دار المعارف، مصر، 1979م، ص ص115، 119؛ سميرة يونس عبد القادر، النورمان والدولة البيزنطية فى القرن الحادى عشر الميلادى، ط1، دار الكتاب الجامعى، القاهرة-مصر، 1416هـ/1995م، ص13.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

ب. نشأة الملكية بين النورمان، كنظام سياسي، ونمو سلطتها، وخاصة في النرويج، مما أدى بالكثير من النورمان إلى رفض الخضوع لها، مُفضلين الهجرة، والبحث عن مواطن أخرى يستقرون فيها.

ج. احتلال الفرنجة لمنطقتي فريزيا (Frise) في الأراضي المنخفضة وسكسونيا، إذ كانت نتيجته انسداد أحد المنافذ الحساسة لتجارة النورمان، مما أدى بها إلى الركود والتدهور، وكذلك إثارة خشية الدانينين (الدانماركيين) مما قد يعمد إليه الفرنجة من التوسع على حساب أراضيهم بحكم متاخمتها للدولة الكارولنجية.

د. تحطيم الفرنجة في عهد شارل مارتل في عام 116هـ/734م وفي عهد شارلمان (151-192هـ/768م/814م) لقوة الفريزيين التي كانت تُمثل العقبة الكؤود لتوسع النورمان جنوبا.

هـ. حب النورمان الطبيعي للمغامرة والمشاركة في حملات النهب والقرصنة.

و. رغبتهم الملحة لكسب المزيد من الثروات التي ذاقوا حلاوتها من جراء ما حققوه من أرباح في معاملاتهم التجارية مع الدول الأوروبية الشرقية منها والغربية.

ز. إرادة النورمان في غزو البلاد المتحضرة والمجاورة لهم، قصد نهب ثرواتها أو على الأقل المشاركة في التمتع بمباهج حضارتها.

ح. تطور صناعة السفن وتقدم علم الفلك لدى النورمان شجعهم على التنظيم بنجاح لرحلات بعيدة في مجاهل البحار.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

وعلى كل فإنه لا يمكن القول أن غزوات النورمان هي نتيجة لأحد هذه العوامل المذكورة، وإنما هي وليدة تفاعل وتداخل هذه الأسباب كلها<sup>(1)</sup>.

وفي أوائل القرن 2هـ/8م اتجه السويديون شرقاً، ونشطوا في سهول روسيا القريبة من بلادهم، وتحرك النرويجيون صوب الغرب، وأغاروا على جزر أوركني وشتلاند وفاروا وهيريديز، وجزيرة مان، وأسسوا مستعمرات في اسكتلندا، وشمال إنجلترا وإيرلندا وأيسلندا، ووصل النرويجيون حتى إلى جزر جريلاند، وجزء من شمال القارة الأمريكية. أما الدانيون أو الدنماركيون فقد اتجهوا بحكم قربهم من بحر المانش إلى جزر فرينزيا وإنجلترا وفرنسا. وفي الوقت الذي عمل فيه السويديون بالتجارة، احترف النرويجيون والدانماركيون القرصنة، والعمل في البحار<sup>(2)</sup>.

وفي أوائل القرن 4هـ/10م استقر النورمان في منطقة واسعة في شمال غرب فرنسا، وأعطوها اسم (Normans) الذي هو مُحرّف عن كلمة (Northmen) فعُرفت المنطقة بنورمانديا. إذ وجد زعيمهم رولو (Rollo) في فرنسا الإقطاعية مجالاً خصباً لتحقيق طموحاته، والحصول على أراضي واسعة للمغامرين النورمان؛ فتزح مع أتباعه إلى نهر السين في سنة 299هـ/911م، ودخل في تبعية ملك فرنسا، الذي منحه لقب دوق، واتخذوا كما يذكر ماريو مورينو اللغة الفرنسية في تعاملاتهم، ولكنهم لم يفقدوا حب المغامرة. وكان النورمان على الديانة الوثنية الشركية حيث عبدوا من دون الله سبحانه وتعالى الكثير من الآلهة الباطلة؛ كإله الرعد ثور (Thor)، وإله الحروب والملاحم أودن (Odin)، وإله الخصب فراي (Frey)، ولذلك على حد تعبير فيشر لم يكن في

(1) - تومي، المرجع السابق، ص 4-5.

(2) - فيشر، المرجع السابق، ص 116-121؛ يونس عبد القادر، المرجع السابق، ص 13.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

تفكير النورمان متسع لأي لشيء من وازع الضمير أو الذمة أو الإحساس بالخطيئة أو الفضيلة. لأنه لم يكن من صفات هذه الآلهة المزعومة ما يردع القاتل منهم أو الزاني أو السارق، أو يعاقبه على ذنبه. وباستقرار النورمان في مقاطعة نورمانديا تحول القائد النورماني رولو، ومن معه إلى الديانة النصرانية الكاثوليكية. ومن ذلك الوقت تكونت في نورمانديا دوقية إقطاعية صغيرة عمل النورمان على توسيعها وتقويتها شيئاً فشيئاً<sup>1</sup>.

ولم يتوقف النورمان عند حدود مقاطعة نورمانديا بالشمال الغربي من فرنسا، فاتجهوا جنوباً، وكان أول ظهور لهم في جنوب إيطاليا كما يذكر لنا أرشيبالد في سنة 407هـ/1016م، وفي سنة 432هـ/1040م أقاموا لأنفسهم مركزاً لأعمال النهب والسلب في شمال أبوليا، وشاركوا في الحروب المحلية الناشئة في جنوب إيطاليا، وكان نشاطهم في إيطاليا وراء فرق منياس الزاحفة أحد الأسباب التي انتهت بفشله بين عامي 430هـ/1038م و435هـ/1043م،

وكان لانتقال الزعامة إلى روبرت جيسكارد سليل أسرة هوتفيل<sup>(2)</sup> بعد سنة 435هـ/1043م، ويرجع العريبي أنه وصل إلى إيطاليا في سنة 438هـ/1046م، وقد حاول جيسكارد أن يبني دولة قوية، وذلك بالتوسع على حساب ممتلكات البيزنطيين، وأمراء إيطاليا المحليين، فحاول البابا ليو التاسع (441هـ/1049م-446هـ/1054م) التصدي للنورمان، لكنهم تمكنوا من هزيمة الجيش البابوي،

(1) - فيشر، المرجع السابق، ص115: مارتينو ماريو مورينو، المسلمون في صقلية، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت-لبنان، 1968م، ص17: يونس عبد القادر، المرجع السابق، ص14-15.

(2) - وصف فيشر روبرت جيسكارد بقوله: "ومن أولئك الأبناء روبرت جوسكارد الذي بدأ حياته لصاً من لصوص المشية، ثم غدا فارساً من فرسان الليل والخيال...". ويعلق العريبي على ذلك بقوله: "على أن روبرت لم يكن مجرد لص، أو قاطع طارق، فإن ما اشتهر به من الدهاء، والمكر، وسعة الحيلة، أكسبه منذ زمن متقدم اسم جويسكارد ومعناه: "الحذر اليقظ". أنظر: فيشر، المرجع السابق، ص134: العريبي، المرجع السابق، ص813.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

ووقع البابا ليو التاسع نفسه أسيرا بيد النورمان في سنة 445هـ/1053م، وأدركت البابوية أهمية التحالف مع النورمان عساهم يتمكنوا من تخليص إيطاليا من سيطرة البيزنطيين، وإعادة جزيرة صقلية إلى النصرانية وتخليصها من حكم المسلمين، وبالتالي عقد البابا نقولا الثاني (450هـ/1058م-453هـ/1061م) مع النورمان معاهدة في سنة 451هـ/1059م، واستنادا إلى الوثيقة المزيفة التي تُنسب إليها هبة الإمبراطور قسطنطين (306-337م) أقطعت البابوية دوقية أبولية إلى روبرت جيسكارد، وعينت أخاه روجر الأول نائبا بابويا لجزيرة صقلية مكافأة له -ولأعقابه من بعده -على طرد المسلمين من الجزيرة. وبالتالي تم وضع حجر الأساس لقيام دولة النورمان في جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية<sup>(1)</sup>.

ثانيا: أوضاع بلاد المغرب الأدنى والأوسط قبيل الحملات النورمانية

كانت بلاد المغربيين الأدنى والأوسط قبيل الحملات النورمانية على سواحلها ومدنها، تعاني أوضاعا سيئة للغاية، وفي جميع المجالات، وسنتطرق إلى ذلك بشيء من التفصيل.

1. انقسام الدولة الزيرية وعجزهما عن التصدي للأخطار الداخلية والخارجية:

تمكن الزيريون بعد رحيل العبيديين (الفاطميين) إلى مصر في سنة 361هـ/972م من تأسيس دولتهم، واتخذوا من القيروان عاصمة لدولتهم الجديدة، ولكن أدى ذلك إلى دخول بني زيري وهم من قبيلة صنهاجة البرنسية

(1) - أرشيبالد. ر. لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة-مصر، 1951م، صص 373-374؛ فيشر، المرجع السابق، صص 131، 133، 134؛ العربي، المرجع السابق، صص 812، 815.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

في صراع عنيف مع إخوانهم من قبيلة زناتة البترية، حيث كانت ترى كل قبيلة أن أولى من غيرها في تولي زعامة بلاد المغرب، فقامت العديد من الحروب والمعارك بين القبيلتين، وكان للمساعدات التي قدمها حماد بن بلكين (405-419هـ/1015-1029م) لابن أخيه السلطان الزييري باديس بن أبي الفتوح المنصور (386-406هـ/996-1045م) ثم لابنه المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062م) في مواجهة القبائل الزناتية، واحرازه للكثير من الانتصارات، الأثر الكبير في تثبيت سلطانه ببلاد المغرب الأوسط، وجعله في النهاية يُعلن استقلاله عن الدولة الزييرية، وينشئ دولة جديدة اتخذت من القلعة عاصمة لدولته الجديدة<sup>(1)</sup>.

وبالتالي انقسمت الدولة الزييرية إلى دولتين الأولى: الدولة الزييرية في المغرب الأدنى، وعاصمتها القيروان، والثانية: الدولة الحمادية في المغرب الأوسط، وعاصمتها القلعة ثم بعد ذلك بجاية. وأعلنت الدولتان انفصالهما النهائي عن الدولة العبيدية (الفاطمية)، وإعلان التبعية للخلافة العباسية، وقد تم ذلك في عهد السلطان الزييري المعز بن باديس حينما أعلن في القيروان في عام 440هـ/1048م عودته إلى المذهب السني المالكي -وهو مذهب أهل السنة والجماعة- وأعلن أيضا التبرؤ من المذهب الشيعي الإسماعيلي<sup>(2)</sup>، وعلى إثر

(1) - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط5، دار الرشاد، القاهرة-مصر، 1421هـ-2000م، ص 157، 161، 162؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م، ج2، ص ص 328-329؛ عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط1 دار الفكر، بيروت-لبنان، 1408هـ-1988م، ج6، ص 206؛ رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر، 1397هـ-1977م، ص ص 18-20.

(2) - المذهب الإسماعيلي: هم أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق، ويزعمون أن لكل نص ظاهرا وباطنا، وقد خالفوا الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة. ولزيد من التفصيل عن هذا المذهب أنظر: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دراسة وتحقيق: محمد الخشت، مكتبة ابن سينا،

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

ذلك بعث إلى الخليفة العباسي آنذاك، وهو القائم بأمر الله (422-467هـ/1031-1075م) يطلب منه عهدا بتوليته على بلاد إفريقية والمغرب، فأرسل له الخليفة العباسي رايات سودا وخلعا سودا، وعهدا بالولاية. وأما الدولة الحمادية فإنه قد شهد في سنة 405هـ/1014م أول خروج رسمي ضد زعامة الدولة العبيدية (الفاطمية)، بقيادة حماد بن بلكين، وأعلن في المساجد الولاء للخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/991-1031م)<sup>(1)</sup>.

وقد أثار هذا الأمر غضب الحاكم العبيدي (الفاطمي) بمصر المستنصر بالله (427-487هـ/1036-1094م)، فقرر توجيه القبائل العربية البدوية من بني هلال وبني سليم نحو بلاد المغرب، لتدمير الدولة الزييرية، وذلك بناء على خطة وضعها له وزيره محمد الحسن بن علي اليازوري، والتي كانت تهدف إلى ضرورة ترحيل أعراب بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب الإسلامي. وحسب رواية ابن خلدون قال لهم: "قد أعطيتكم المغرب، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون"، ووجه الوزير اليازوري رسالة أخيرة إلى المعز بن باديس قائلا له: "أما بعد فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا، وأرسلنا عليها رجالا كهولا، ليقضي الله أمرا كان مفعولا"<sup>(2)</sup>.

القاهرة-مصر، د، ت، ط، ص ص 247-270؛ إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، إدارة ترجمان السنة، لاهور-باكستان، د. ت، ط، ص ص 31-751.

<sup>(1)</sup> ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص19؛ محمد بن علي بن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحلیم عويس، دار الصحوة، القاهرة-مصر، د. ت، ط، ص ص 104، 167، 168؛ الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10هـ إلى القرن 12م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م، ج1، ص ص 233-234؛

L.de Beylie, La Kalaa des Beni-Hammad Une capitale berbère de l'Afrique du Nord au XI<sup>e</sup> Siècle, éditeur 28 rue Bonapart, Paris(vi<sup>e</sup>), 1909, p7.

<sup>(2)</sup> - ابن حماد، المصدر السابق، ص104؛ ابن خلدون، ج6، ص20.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

وقد أدى ذلك إلى دخول القبائل العربية من بني هلال وبني سليم إلى أراضي الدولة الزييرية، فأحدثوا فيها خرابا كبيرا، وعلى حد وصف توفيق المدني فإن القبائل الهلالية قد ألحقوا بالقيروان نكبة من أكبر نكبات التاريخ الإسلامي، فاندكت معالم مدينة من أزهي وأزهر مدنيات هذه البلاد. وقد حاول المعز بن باديس التصدي لهم، لكنه انهزم أمامهم في معركة حيدران في سنة 443هـ/1052م، وازداد تعرض سكان القرى والمدن للنهب والتخريب، وأمام ضعف الدولة الزييرية تحولت أغلب المدن الزييرية إلى دويلات مستقلة، أو سقطت بيد القبائل الهلالية الذين تقاسموا معهم حكم البلاد، فظهرت إمارة بني خراسان بمدينة تونس وما حوالها، وإمارة بني جبارة بن مكي التي استقلت بسوسة، وإمارة بني مدافع بن جامع الهلالي التي استبدت بناحية قابس وما إليها من بلاد الجنوب، أما ناحية الجريد فقد استقرت بها عائلة بني الرند، واضطر المعز بن باديس إلى التخلي عن عاصمته في القيروان، والتوجه إلى المهديّة في سنة 449هـ/1057م، حيث ثبت إمارته هناك بالمهديّة وما حوالها من ناحية الغرب والجنوب، وبالتالي عمت الفوضى والاضطرابات في ربوع الدولة الزييرية<sup>(1)</sup>.

وأما الدولة الحمادية فقد عجزوا عن مواجهة القبائل الهلالية المتوجهة نحو أراضيهم، وقد اضطروا إلى التفاهم معهم عن طريق التحالف مع قبائل الأثبيج، والتنازل عن البوادي لفائدتهم. وقد أملى عليهم هذا الاختيار اعتماد خصومهم بني زيري على قبائل بني رياح وزغبة. ودخلت الدولة الحمادية في مرحلة الضعف والانهيار منذ عهد الأمير الحمادي يعي بن العزيز (515-547هـ/1121-1152م) حيث وصفه ابن خلدون بقوله: "مستضعفا مغلبا للنساء مولعا بالصيد على حين انقراض الدولة وذهاب الأيام بقبائل صنهاجة"، وأما

(1) - روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص ص245؛ أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المطبعة العربية، الجزائر، 1365هـ، ص ص182-184.

## الحمالات البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

ابن الخطيب فقد نعته بقوله: " وكان مولعا بالصيد، مُغرما به، كلفا بالملمين، يحضر منهم عنده نحو العشرين، بين رجل وامرأة، من شيوخ وعجائز وحمقى، فكان يستلقي في بيته على الفرش الوثيرة الحشايا، ويستدعي المضحكين وجوارح الصيد، فيختبر هذا البازي ويتفقد هذا الكلب، ويستنهض هذا المضحك في النوع الذي سلكه فيلبيه ويُضحكه... ثم يغتدي إلى الصيد. هكذا انقضت أيامه...". والحقيقة فإن الزيريين والحماديين قد فشلوا معا في أن يُشكلا صفا واحدا في مواجهة القبائل الهلالية. ولم يشعر الطرفان بأن تعاونهما معا يمثل ضرورة حياتية لمواجهة الخطر الذي يهددهما، فوقف الطرفان ضد بعضهم البعض، فتمالاً الحماديون مع القبائل الهلالية من أجل الحصول على بلدان أبناء عموماتهم، وكذلك وقف الزيريون وراء ثورة أبي يكنى ضد المنصور الحمادي. وقد ذلك إلى ضعف الدولتين معا، وأصبحتا عرضة للخطر الخارجي. وبالأخص الخطر النورماني<sup>(1)</sup>.

### 2. الصراع بين الدولة الحمادية والدولة والزيرية:

واجه الزيريون أبناء عموماتهم بني حماد، ودخلوا معهم في عدة صراعات وخلافات لإخضاع بعض المدن لسيطرتهم، وكانت مدينة تونس ومنطقتنا صفاقس وجربة، تُمثل مناطق نزاع بين الدولتين، وقد تبادلوا إخضاع هذه المناطق لسيادتهما، كما خضعت القيروان إلى حد ما لنفس الصراع، ويذكر عبد الحليم عويس عامل آخر كان يتحكم في سياسة الحماديين نحو أبناء عموماتهم، ويتلخص هذا العامل في أن الحماديين قد أحسوا بأن دولة الزيريين

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص235؛ ص ص99-100؛ لسان الدين الخطيب، اعمال الأعلام، تحقيق وتعليق: أحمد العبادي ومحمد الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء-المملكة المغربية، 1964م، ص ص99-100؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص289؛ عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1411هـ/1991م، ص ص170-171.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

هي المتصدرة للسياسة الخارجية لبلاد المغرب، وقد استمر هذا الأمر إلى غاية قدوم القبائل الهلالية، وكان حماد وابنه القائد يخضعان للدولة الزييرية، وقد جرّ هذا إلى رد فعل عنيف؛ إذ رأى الحماديون في الغارات الهلالية فرصة ليتصدروا بلاد المغرب، وليرسموا سياستهم الخارجية التي فشلوا في الاستقلال بها قبل الهلاليين، وقد ورطهم تحقيق هذا الأمل في خطأ التخلي عن أبناء عموماتهم دون تبصر بالعواقب التي تضر بالمغرب الإسلامي كله، ويصور لنا ابن الأثير ذلك بقوله: "وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز، وكان القائد يُضمر الغدر وخلق طاعة المعز، والعجز يمنعه من ذلك، فلما رأى القائد قوة العرب، وما نال المعز منهم، خلع الطاعة، واستبد بالبلاد، وبعده ولده محسن..."<sup>(1)</sup>.

وحدثت عدة معارك بين الدولة الوزيرية والدولة الحمادية، ومن أهمها معركة سبية التي وقعت في سنة 457هـ/1065م بين الأمير الحمادي الناصر بن علناس والأمير الزييري تميم بن المعز (454-501هـ/1062-1108م)، وانتهت بهزيمة الدولة الحمادية، وكان خسائر المعركة مُروعة، حيث يذكر لنا النويري أن عدد القتلى بلغ 24 ألفا. وأما ابن خلدون فيذكر أن الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م) بعد خروجه من القلعة نزل الأريس، وأنه بعد معركة سبية لجأ إلى قسنطينة في أتباعه، ثم لحق بالقلعة في فل من عسكره لم يبلغوا مائتين. وحاول يحي بن العزيز الحمادي (515-547هـ/1121-1152م) في سنة 529هـ/1135م احتلال المهديّة عاصمة الزييرية، وقام بحصارها برا وبحرا، فوصلت الزييريين نجدة من ملك صقلية النورماني روجر الثاني، واستولى هذا الأخير على بعض سفن الحماديين، فأمر الأمير الزييري الحسن بن علي

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص200؛ عويس، المرجع السابق، ص171.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

بإطلاقها، ثم وصل ميمون بن زياد في جمع من القبائل العربية لنصرة الأمير الزيري، فأدرك الحماديون أنه لا طاقة لهم بهم، فرحلوا عن المهديّة خائبين<sup>(1)</sup>.

وفي الحقيقة فإن كلا الطرفين الزيري أو الحمادي كان عليهما أن يترك خلافاتهما جانبا، وأن يُحسن العلاقات فيما بينهما، ويتنازلا عن مصالحهما الضيقة، ويُنظرا إلى عواقب الأمور، وما قد يحدثه هذا الخلاف من نقاط ضعف يستغله العدو الخارجي لتحقيق أطماعه التوسعية في المنطقة، وهذا ما حدث للأسف عندما هاجم النورمان أراضي الدولتين فواجه الزيريون والحماديون الخطر النورماني لوحدهما دون أن يُشكلا حلفا مشتركا لمواجهة.

### 3. الصراع الحمادي المرابطي:

في الوقت الذي كان فيه النورمان يشنون غاراتهم على مدن صقلية الإسلامية، ويحولون المدينة تلو الأخرى إلى الحكم النورماني، شن المرابطون في سنة 474هـ/1081م بقيادة يوسف بن تاشفين حملاتهم العسكرية نحو الحدود الغربية للدولة الحمادية، فابتنى محلته الشهيرة بتكرارات في ضواحي تلمسان، ليجمع فيها جنوده وعتاده، ومنها توجه إلى وهران فدخلها، ثم توجه إلى تنس وجبال الونشريس وأعمال شلف متتبعا مواطن زناتة حيثما كانوا، حتى أتى على جميع أماكن مغراوة، فبلغ جدران مدينة جزائر بني مزغنة، وتوقف هناك<sup>(2)</sup>.

(1) - أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423هـ ج4، ص222؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص230؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص ص67-68.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص247؛ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1385هـ/1965م، ج1، ص373؛ حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

وقد أدى التوسع المرابطي من أجل السيطرة على بلاد المغرب الأوسط، إلى اصطدامهم بالدولة الحمادية، الذين لم ينظروا إلى هذا التوسع نظرة الارتياح والرضا، ثم واصل المرابطون حملاتهم العسكرية على أراضي الدولة الحمادية، وقد أدى ذلك إلى قيام الأمير الحمادي المنصور بن الناصر بإصدار أوامره بالتوجه بجيوشه لقتال المرابطين تحت إمرة ابنه عبد الله إلى تلمسان، وكان ذلك في شوال من سنة 476هـ/يوليو وأغسطس 1083م، وقد بلغ تعداد جيشه عشرون ألف عسكري، فوصل إلى نهر أسطسيف (وادي صفصاف) على حوالي 4 كيلومتر غربي تلمسان، وبعث بمقدمته إلى عاصمة تاشفين بن تينعمر، وكان الوالي المرابطي قد غادر مدينة تلمسان، فلقى المنصور بتسالة وهزمه، فلجأ تاشفين حينئذ إلى جبل الصخرة، وقام المنصور بن الناصر الحمادي (481-498هـ/1088-1105م) بدخول مدينة تلمسان. وكان تاريخ هذه الحملة العسكرية في سنة 486هـ/1093م<sup>(1)</sup>.

وقد أدى الصراع العسكري المرابطي الحمادي إلى نتائج خطيرة على الدولتين؛ حيث أدى إلى سقوط عدد كبير من المسلمين قتلى وأسرى، وإلى

تاشفين، مكتبة الصحابة، الشارقة-الإمارات العربية المتحدة، 1425هـ-2005م، ص75؛ بومداح مرزاق، "العلاقات الحمادية المرابطية"، مجلة الباحث، المجلد 12، العدد 01، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة، 2020م، ص160؛ وأنظر:

, 2012 siècle, Armand colin, Paris, VII<sup>e</sup>-XI<sup>e</sup> P. Sénac et P. cressier, Histoire du Maghreb médiéval pp113-114.

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص234؛ بورويبة، المرجع السابق، ص77؛ بومداح، المرجع السابق، ص161. <sup>1</sup> شوقي شحاتة، "حملات النورمان على المغرب الأدنى وموقف الموحدين منها (543-558هـ/1148-1160م)", مجلة اللغة العربية، د. م. ط. د. ت. ط. ص ص27-31؛ رشيد تومي، "الحوض الغربي للبحر المتوسط في عهد روجر الثاني (1101-1154م) بين أطماع النورمان وضعف القوى الإسلامية"، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 13، العدد 01. جامعة الجزائر 02. 2021م، ص71؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، 1417هـ/1997م، ج3، ص ص225-250.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

استنزاف الكثير من القوى والعتاد، والذي كان من المفروض أن يُوجه لمساعدة مسلمي صقلية، وحماتهم من الاحتلال النورماني، وهذا باعتبار أن صقلية تُمثل القاعدة الأمامية للمسلمين، وبسقوطها يتعرض المغرب الإسلامي لخطر الاحتلال النورماني الزاحف، وهذا ما حدث بالفعل.

### 4. الصراع المرابطي الموحدية:

ووصول القوات المرابطية لانجدهم، حيث قام الأسطول المرابطي بقيادة أمير البحر أبو عبد الله بن ميمون بالإغارة على جزيرة صقلية في سنة 516هـ/1122م، واستيلائه على مدينة نقوطرة، بالإضافة إلى قيام المرابطين بغزو مدينة باتي (Patti)، وسرقوسة بصقلية في سنة 521هـ/1127م، أن الفرصة غير مناسبة للاستيلاء على بعض مدن المغرب الإسلامي، فانتظر النورمان إلى غاية قيام الموحدين بخوض عدة معارك ضد المرابطين، والتي أدت إلى مقتل الآلاف من المسلمين، وتدمير العديد من المدن، وقد أسفر هذا الصراع عن انهيار الدولة المرابطية في سنة 539هـ/1144م، وانشغال الموحدين في إخماد الثورات الداخلية، وإخضاع ما تبقى من مدن بقيت على ولائها للمرابطين، وبذلك تمكن النورمان من شن حملاتهم البحرية بكل حرية دون التعرض لأي خطر، وخاصة وهم يعلمون مدى ضعف الدولتين الزيرية والحمادية<sup>(1)</sup>.

وقد وصف لنا ابن عذاري الصراع المرابطي الموحدية عند حديثه عن حركة عبد المؤمن بن علي الموحدية الطويلة الأعوام ومقتل الأمير المرابطي تاشفين بن علي بقوله: "وفي أثناء مدة هذه الحركة الطويلة الأعوام اتصلت الحروب ببلاد أهل اللثام وغلت الأسعار بمراكش... وتولاها الجذب حتى جفت

(1) - شحاتة، المرجع السابق، ص 27-31؛ تومي، المرجع السابق، ص 71؛ عنان، المرجع السابق، ج 3، ص 225-250.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

الأرض مذانها، واغبرت جوانها، وقلت المجابي، وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين، وألح العدو النصراني بالضربات على جميع جهات الأندلس حين علموا عجز الإمارة بالمغرب واشتغالها بحرب الثائرين المهيجين للفتن أخذ الله الحق منهم. واستولى الروم في هذا الوقت على كثير من البلاد والحصون وكثير من الثغر". وفي خلال ذلك الصراع المير الذي استغرق قوى المرابطين، وصل الأمر بالنورمان إلى أن يهاجموا مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، محاولين اقتحامها بأسطول ضخم قوامه مائة وخمسون سفينة في سنة 538هـ/1143م، لولا أن تصدى لهم أمير البحراين ميمون. وبالتالي ندرك أن القوات البحرية المرابطية كانت ما تزال، بالرغم مما حدث في داخل المغرب من حروب دموية مع الموحدين، يقظة ساهرة، على حراسة الشواطئ والثغور المغربية المرابطية<sup>(1)</sup>.

5. سقوط مملكة طليطلة في سنة 478هـ/1085م تحت الاحتلال القشتالي:

كان لسقوط الخلافة الأموية بالأندلس في سنة 422هـ/1031م أن انقسمت الأندلس إلى حوالي 22 دويلة متناحرة ومتنازعة<sup>(2)</sup>، وقد تمكنت الممالك النصرانية الواقعة بشمال الأندلس خلال فترة ملوك الطوائف من الاستيلاء على الكثير من المدن والحصون، وكانت مملكة طليطلة في ستينات القرن 5هـ/11م، وهي إحدى دول الطوائف تحت حكم يحيى حفيد المأمون، وكان يلقب بالقادر الذي تولى حكم طليطلة في سنة 467هـ/1075م بعد وفاة جده المأمون بن ذي النون. وقد ورث يحيى القادر حكم طليطلة، وهي تستند الحماية من ملك قشتالة ألفونسو السادس، أو كما تسميه المصادر الإسلامية أذفونش، وكانت العلاقة بين يحيى القادر وشعبه تتصف بالعداء والخلاف، وخاصة بعد

(1) - ابن عذاري، المصدر السابق، ج5، ص16؛ عنان، المرجع السابق، ج3، صص246-247.

(2) - أنظر: الحجي، المرجع السابق، صص323-324.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

قيام جده المأمون بسجن علماء طليطلة في حصن وبذة، ونشب خلاف كبير بين يحيى القادر منذ تسلمه للحكم مع وزيره ابن الحديدي، وانتهى الأمر بمقتل هذا الوزير في 10 محرم 468هـ/25 آب 1075م<sup>(1)</sup>.

واستغل ملك قشتالة ألفونسو السادس اضطراب الجبهة الداخلية في مملكة طليطلة، وقام بالاستيلاء على بعض حصونها. وفي تلك الأثناء أرسل سكان طليطلة إلى عمر المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس ليتولى حكم طليطلة، فتوجه هذا الأخير بقواته للاستيلاء عليها، لكن يحيى القادر استعان بالقوات القشتالية التي دخلت المدينة في ذي الحجة من سنة 473هـ/22 أيار 1081م، وفرّ عمر المتوكل من طليطلة تاركا المدينة تحت سيطرة القوات القشتالية، وقام يحيى القادر بجمع الأموال من سكان المدينة، وقام بتسليمها لملك قشتالة ألفونسو السادس، وعاشت طليطلة مدة ثلاثة سنوات في ظل الحصار القشتالي المنقطع من شهر شوال 474هـ/1081م إلى محرم 478هـ/ماي 1075م، وفي تلك الأثناء كانت طليطلة تتعرض لهجمات أمير إشبيلية المعتمد بن عباد من الغرب، وأمير سرقسطة المقتدر بن هود من الشرق. وأدرك يحيى القادر أنه لا طاقة له بالدفاع عن مملكته، فكتب إلى ألفونسو السادس يعرض عليه تسليم طليطلة، مقابل تأمين المسلمين على أنفسهم وأموالهم، فتظاهر ألفونسو السادس بقبول ذلك، فدخلت القوات القشتالية ومعه قوات من مملكة ليون وأراغون، ومرتزقة من فرنسا إلى المدينة، وكان ذلك في شهر محرم من سنة 478هـ/1075م<sup>(2)</sup>.

(1) - علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط1، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 1399هـ/1979م، ص ص156-150؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس 91-897هـ/710-1492م، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1431هـ/2010م، ص ص466-467.

(2) - ابن بسام، المصدر السابق، ج4، ص ص157-167؛ عنان، المرجع السابق، ج2، ص ص108؛ طقوش، المرجع السابق، ص ص468-469.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

والجدير بالذكر أن ملوك الطوائف جميعهم كانوا مسؤولين عن ضياع طليطلة، وهنا تكمن مسؤولية الجد وهو المأمون أفدح من مسؤولية الحفيد وهو يحيى القادر، فالأول هو الذي تعاون مع ألفونسو السادس وصادقه وأواه في طليطلة -بعد أن استولى أخويه شانجة وغرسيه على ملك قشتالة ثم عاد واسترجع ملكه- الأمر الذي ساعده على التعرف على عورات المدينة ونقاط ضعفها، كما أنه يُعد مسؤولاً عن تدهور العلاقة بينه وبين سكان طليطلة، وهذا من خلال القبض على علمائها وسجنهم. كما أن الموقف المتخاذل للملوك الطوائف قد ساهم بقسط كبير في سقوط طليطلة؛ فالمعتمد بن عباد عقد حلفاً مع ألفونسو السادس تعهد فيه بدفع الجزية، وإطلاق يده في طليطلة على أن يساعده ضد خصومه المسلمين، وكان المقتدر بن هود منهمكا بنزاعه مع ملوك أراغون وأمراء إشبيلية، فعجز عن تقديم يد المساعدة لمملكة طليطلة، وانشغلت إمارة بطليوس بمواجهة أطماع المعتمد بن عباد؛ فلم تتمكن من تقديم مساعدة جديدة لمسلمي طليطلة، حيث أرسل ابن الأفطس ابنه علي الفضل على رأس قوة عسكرية، لكنه هُزم أمام تفوق القوات النصرانية، وعاد إلى بطليوس تاركاً طليطلة تحت بطش القوات القشتالية. وعزم ملك قشتالة ألفونسو السادس بعد دخوله طليطلة على احتلال كل بلاد الأندلس وفي هذا الأمر يصف لنا ابن بسام ما نصه: "وعتا الطاغية أذفونش -ألفونسو السادس- قصمه الله- لحين استقراره بطليطلة واستكبر، وأخلّ بملوك الطوائف في الجزيرة وقصر، وأخذ يتجنى ويتعتب، وطفق يتشوف إلى انتزاع سلطانهم والفراغ من شأنهم ويتسبب، ورأى أنهم وقفوا دون مداه، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه"<sup>(1)</sup>.

(1)- ابن بسام، المصدر السابق، ج. 4، 167؛ عنان، المرجع السابق، ج. 2، ص 109؛ طقوش، المرجع السابق، ص ص 469-472؛ Ernset Mercier, l'Afrique septentrionale (Bérbérie) depuis les temps les plus reculés

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

6. سقوط صقلية ومالطة تحت الاحتلال النورماني في سنة (484هـ/1091م):

كانت صقلية قبيل الاحتلال النورماني مقسمة إلى عدة إمارات (عصر ملوك الطوائف) بعد ضعف الدولة الكلبية، وكانت أحوال الجزيرة تشبه أحوال الأندلس، حيث نشبت الكثير من الخلافات والنزاعات بين حكام الجزيرة، وخاصة الصراع بين ابن الثمينة وابن الحواس حيث عزم ابن الثمينة على الاستعانة بالنورمان في سنة 444هـ/1052م، وهان عليه أمر الإسلام والمسلمين وبلادهم قائلاً للنورمان كما يذكر ابن الأثير أنا أُمَلِكُكُمْ الجزيرة، وقد استغل العدو الخارجي هذه الصراعات لتحقيق أهدافه التوسعية، وكاد البيزنطيون أن يستولوا على الجزيرة بين سنتي 430هـ/1038م و435هـ/1043م. وفي سنة 444هـ/1052م أرسل الأمير الزيري المعز بن باديس أسطولاً ليقوي به دفاع مدينة بلرم، وكان خروج الأسطول الإسلامي في فصل الشتاء، وقد أدى هبوب عاصفة بحرية إلى تحطم معظم هذا الأسطول قرب جزر قوصرة. ثم حدثت غارات القبائل الهلالية على الدولة الزيرية، فحدت من المساعدات المبذولة من قبل الزيريين، حيث كان الزيريون أحوج ما يكونون لجميع مواردهم، وتركت صقلية لوحدها تُدبر أمور دفاعاتها بما لديها من وسائل. ولم يجد النورمان آنذاك أية قوة إسلامية تمنعهم من احتلال الجزيرة<sup>(1)</sup>.

وقام الأمير النورماني روجر الأول في سنة 453هـ/1061م بالاستيلاء على مدينة مسينا، وهذا بدعوة من الأمير ابن الثمينة، وتمكنوا في سنة 454هـ/1062م، وبالتعاون مع ابن الثمينة من احتلال بطرلييه، ثم توغل النورمان في صقلية،

jusqu' à la conquête française 1830, Ernest Leroux éditeur, paris, 1988, Partie 3, p44.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص348: أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المطبعة العربية، الجزائر، 1365هـ، صص179، 188: أرشيبالد، المرجع السابق، 373.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

وهزموا القوات الإسلامية عند قصر يانة، واستنجد مسلمو صقلية بالأمير الزيري تميم بن المعز، فوصلهم بعض المدد في عام 456هـ/1064م، وكان في وقتها قد انتصر على منافسيه من بني حماد في معركة سبية، وبقيت القوات الزيرية في جزيرة صقلية أربع سنوات، على أن هناك خلافا وقع بين مسلمي صقلية والقوات الزيرية؛ فانسحب الجيش الزيري من الجزيرة بقواته في سنة 460هـ/1068م مستصحبين معهم الكثير من أعيان صقلية<sup>(1)</sup>.

جهز النورمان بقيادة روجر الأول أسطولا بحريا مكونا من ست وخمسين سفينة، مع عدد كبير من القوات البرية، وتمت مهاجمة بلرم عاصمة المسلمين في صقلية، وفي الطريق إلى بلرم احتل النورمان غدرا مقر خلفاء ابن الثمينة الذين كانوا ما يزالون حلفاء لهم. وتم حصار بلرم برا وبحرا، فسقطت المدينة بيد النورمان في سنة 464هـ/1072م، وتحولت بلرم إلى قاعدة حربية كبرى للنورمان، وفي سنة 469هـ/1077م سقطت مدينة طرابنش، وفي سنة 470هـ/1078م وقعت طبرمين في أيدي القوات النورمانية، وفي سنة 479هـ/1086م استولى النورمان على جرجنت، وعلى سرقوسة في سنة 480هـ/1087م. وباستسلام قصر يانة في سنة 484هـ/1091م تمكن النورمان بقيادة روجر الأول من احتلال كامل الجزيرة بعد أقل من ثلاثين عاما، واتخذوا من بلرم عاصمة لدولتهم<sup>2</sup>.

واصل النورمان في سنة 483هـ/1090م ضغوطهم للاستيلاء على جزيرة مالطة، والتي كانت تحت الحكم المسلمين منذ عهد الأغالبية أي منذ سنة

(1) - أرشيبالد، المرجع السابق، ص 374-375؛ أحمد عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، نقله إلى العربية: أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، 1389هـ/1980م، طرابلس-ليبيا، ص 59-60.

(2) - عزيز، المرجع السابق، ص 61-63؛ أرشيبالد، المرجع السابق، ص 375.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

255هـ/869م<sup>(1)</sup>؛ فبعد أن قام روجر الأول بإرسال حملة كبيرة ضد مدينة المهديّة في سنة 480هـ/1087م، والتي يبدو أنها قد قضت على وسائل دفاعاتها، بعدها توجه في صيف 484هـ/1091م بقواته نحو جزيرة مالطة، وتمكن من احتلالها دون أية مقاومة من سكانها، وبسقوط مالطة تمكن النورمان من السيطرة على المضائق الحيوية بين إفريقية وصقلية إلى جانب استيلائهم على صقلية ذاتها<sup>(2)</sup>.

والجدير بالذكر فإن سوء أوضاع المغرب الإسلامي كان يقابله أيضا تدهور كبير في أوضاع المشرق الإسلامي الذي كان يعاني من الانقسام والتفرق، والذي كان نتيجته وقوع بلاد الشام وشمال العراق تحت الاحتلال الصليبي، وقد وصف لنا ابن الأثير الأوضاع العامة للعالم الإسلامي في أواخر القرن 5هـ/11م بقوله: " كان ابتداء ظهور دولة الإفرنج واشتداد أمرهم وخروجهم على بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها، عام ثمان وسبعين وأربعمائة فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس ... ثم قصدوا عام أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صقلية وملكوها ... وتطرقوا إلى أطراف أفريقية، فملكوها منها شيئاً وأخذ منهم، ثم ملكوا غيره على ما نراه، فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام<sup>(3)</sup> .

(1) - فتح المسلمون جزيرة مالطة التي تعتبر أهم جزر الأرخيبيل المالطي مثل جزيرة غودش وكمونة ونموشة باعتبارها أكبر هذه الجزر، وقد تم فتح الجزيرة في عهد دولة الأغالبية في سنة 255هـ/869م في إمارة أبي الغرائق محمد بن أبي إبراهيم، وأنشأ بها الأغالبية دار لصناعة السفن، وأصبحت مالطة قاعدة بحرية هامة للأغالبية في بحر الروم (البحر المتوسط). أنظر: عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1969م، ص121م.

(2) - رشيد تومي، "النورمان والحوض الغربي للمتوسط في عهد الكونت روجر الأول (توفي عام 484هـ/1101م)"،

مجلة البحوث والدراسات، العدد 15، السنة 15، 2013م، ص305؛ أرشيبالد، المرجع السابق، ص376.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص415.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

ثالثا: الحملات النورمانية على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

شن النورمان حملاتهم العدوانية على مدن وسواحل المغربين الأدنى والأوسط منذ سنة 511هـ/1107م إلى غاية سنة 571هـ/1175م.

### 1. الحملات النورمانية على بلاد المغرب الأدنى:

بعد أن ثبت النورمان أقدامهم في جزيرة صقلية بدأوا يتطلعون إلى احتلال سواحل المغرب الأدنى مستغلين بذلك الأوضاع الصعبة التي كانت تمر بها الدولة الزييرية آنذاك.

أ. الحملة النورمانية على مدينة قابس في سنة 511هـ/1107م: حدثت بين الحاكم النورماني روجر الثاني والأمير الزييري علي بن يحيى (509-515هـ/1108-1116م) جفوة شديدة سادت بينهما بسبب خلاف قام بين الأمير الزييري ورافع بن مكي المتغلب على مدينة قابس منذ سنة 500هـ/1096، ومرجعته رغبة هذا الأخير في احتكار التجارة البحرية، وقد أدى هذا الخلاف إلى خروج الأمير الزييري لحصار قابس، فاستعان رافع بن مكي بالنورمان المتربصين لاحتلال المغرب الأدنى، فأرسل روجر الثاني أسطولاً بحرياً ضخماً يتألف من 24 شينياً لمساندة رافع بن مكي، ووصل الأسطول النورماني إلى قابس، ولكن الأمير الزييري أرسل ابنه علي بأسطول بحري كبير، تمكن من هزيمة النورمان في مياه قابس، وقتل عدد من رجالهم، ومن سلم من القتل أو الأسر فرّ هارباً، واستولى على بعض قطعهم البحرية. وبالتالي فشلت الحملة النورمانية على قابس<sup>(1)</sup>.

(1) - عبد الله بن محمد التجاني، رحلة التجاني، دار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981م، ص 98-99؛ سالم وآخر، المرجع السابق، ص 211؛ فراس سليم حياوي ومحمد عبد الله عبد، الدولة النورمانية في صقلية

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

ب. الهجوم على المهديّة ومحاولة احتلالها في سنة 517هـ/1123م: أخذ النورمان بقيادة روجر الثاني ينتظرون الفرصة المناسبة للهجوم على المهديّة عاصمة الدولة الزييرية آنذاك واحتلالها، وما لبث أن قام المرابطون بغزو مدينة نوقطرة (Nicotera) بمقاطعة قلورية بجنوب إيطاليا في عام 516هـ/1122م، وقد أوجدت هذه الغزوة التي قام بها المرابطون المبرر لروجر الثاني لاحتلال المهديّة. حيث ظن هذا الأخير أن الأمير الزييري الحسن بن علي (515-543هـ/1121-1148م) هو من حرض المرابطين للقيام بهذا الغزو، فسير أسطوله البحري بقيادة جورج الأنطاكي نحو المهديّة، وكان ذلك في شهر جمادى الأولى من سنة 517هـ/1123م، وقدرت المصادر الإسلاميّة كالتجاني قوام هذا الأسطول بحوالي ثلاثمائة مركب وثلاثين ألف مقاتل وألف فارس<sup>(1)</sup>.

ولإتمام نجاح الحملة النورمانية في احتلال المهديّة أمر ملك صقلية روجر الثاني إخفاء تحركات أسطوله عن أعين المسلمين، حتى يُباغتهم في عقر دارهم ويسهل عليه التغلب عليهم، ولكن هبوب الرياح دفعت إحدى سفنه إلى الساحل، فانكشفت خطة روجر الثاني، وتأهب الأمير الزييري الحسن بن علي لمواجهة النورمان، واستعان بالقبائل العربيّة، ونزل الأسطول النورماني في آخر جمادى الأولى من سنة 517هـ/1123م على الساحل الإفريقي، وتمكن جورج الأنطاكي من دخول جزيرة قوصرة، ثم استولى على جزيرة الأحاسي التي تبعد نحو عشرة أميال من المهديّة، ثم استولى النورمان على قصر الديماس في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة، ومن قصر الديماس توجه النورمان بجيوشهم

=

دراسة في تاريخها السياسي وعلاقتها بالمغرب العربي. مجلة العلوم الإنسانية. كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 22، العدد 01، 2015م، ص 231.

(1) - ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 308؛ التجاني، المرجع السابق، ص 337؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص 70-71.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

لاحتلال المهديّة. فخرج إليهم الجيش الزيري من المدينة، وتمكن من إنزال هزيمة ساحقة بالقوات النورمانية الذين تراجعوا إلى سفنهم، وتمكن المسلمون من دخول جزيرة الأحاسي، وغنموا غنائم هائلة، ثم حاصروا قصر الديماس فاضطر النورمان إلى طلب الصلح لكن زعماء القبائل العربية رفضوا ذلك، فخرج النورمان وقد أبيدوا عن آخرهم، وأما النورمان الذين فروا من جزيرة الأحاسي فقد أقبلوا بما تبقى لديهم من سفن، والتي قدرت بنحو مائة، وتوجهوا إلى صقلية<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن الأمير الزيري الحسن بن علي قد أرسل أثناء الحصار البحري الذي فرضه النورمان على المهديّة في طلب المساعدة والعون من أمير المسلمين علي بن تاشفين، فلبى المرابطون الطلب، وقاموا بإرسال أسطولهم البحري بقيادة محمد بن ميمون، ولكن هذه النجدة وصلت إلى سواحل المهديّة بعد هزيمة النورمان وفرارهم إلى صقلية. غير أن محمد بن ميمون لم يشأ أن يعود إلى بلاده خالي الوفاض، فقام بالإغارة على جزيرة صقلية، فهجم على سرقوسة وعاث فيها، وقام بنهبها، وكادت مدينة قطنية تلقى نفس المصير لولا يقظة أهلها واستعدادتهم للدفاع عنها، وبعد ذلك عاد محمد بن ميمون إلى بلاده محملاً بالكثير من الغنائم<sup>(2)</sup>.

وقد أدرك النورمان بعد حملتهم الفاشلة على المهديّة، وما أعقبها من إغارة الأسطول المرابطي على صقلية، أن الفرصة غير مناسبة للاستيلاء على

<sup>1</sup> - التجاني، المرجع السابق، سالم وآخر، المرجع السابق، ص ص213-214؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص71.

<sup>(2)</sup> - التجاني، المرجع السابق، ص339؛ شحاتة، المرجع السابق، ص ص30-31؛ سالم وآخر، المرجع السابق، ص214.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

المهدية، وتقويض دعائم الدولة الزييرية في ذلك الوقت، فاستكانوا للهدوء وأخذوا يعدون العدة للقيام بحملة جديدة<sup>(1)</sup>.

ج. احتلال جزيرة جربة في سنة 529هـ/1135م: بعد أن وطد النورمان بقيادة روجر الثاني سلطانهم في إيطاليا، واستكملوا التحضيرات العسكرية، قرروا مواصلة حملاتهم العدوانية على أراضي الدولة الزييرية، وقرروا أن يختاروا وجهتهم جزيرة جربة الواقعة بخليج قابس، ففي آخر سنة 529هـ/1135م كما يذكر لنا الإدريسي سير النورمان أسطولا كبيرا نحو جزيرة جربة، وللأسف شارك في هذا الأسطول فرق من جنود المسلمين من سكان صقلية، ودارت معركة كبيرة بين الجيش النورماني ومسلمي جزيرة جربة، واستخدم رجال الأسطول النورماني العنف والنهب والقتل مع أهالي الجزيرة، بعد أن أبدوا استبسالا كبيرا في مقاومة هذا الاحتلال، وبعدها سقطت الجزيرة بيد النورمان، وقد وصف لنا ابن الأثير ما وقع في جزيرة جربة بقوله: "ووقع بين الفريقين حرب شديدة، فثبت أهل جربة، فقتل منهم بشر كثير، فانهزموا وملك الفرنج الجزيرة، وغنموا أموالها وسبوا نساءها وأطفالها، وهلك أكثر رجالها". ولم يتحرك السلطان الزييري الحسن بن علي لنجدة جزيرة جربة على الرغم من تبعيتها له، وكان احتلالها بات أمرا مشروعاً<sup>(2)</sup>.

د. إغارة الأسطول النورماني على ميناء المهدية في سنة 536هـ/1142م: عقد النورمان مع الزييريين معاهدة صلح، ولذلك فإن ملك صقلية روجر الثاني لم يفصح صراحة عن نيته العدوانية تجاه الأمير الزييري، لكنه لم يتوان في خرق هذه المعاهدة والتحرش بالزييريين كلما وجد سبيلا إلى ذلك، وتلبية

(1) -شحاتة، المرجع السابق، ص31؛ سالم وآخر، المرجع السابق، ص215؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص71.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص68؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص305؛ حياوي وآخر، المرجع السابق، ص234؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص73-74.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

لهذه السياسة الاستفزازية أرسل روجر الثاني أسطولا بحريا بقيادة جورج الأنطاكي بدعوى استخلاص حقوقه من الأمير الزيري الحسن بن علي الذي تأخر عن تسديد الديون التي أقرضها إياه، فقام النورمان بالإغارة على مرسى المهديّة في أسطول يتكون من 25 غرابا كما ذكر لنا ابن عذاري، واستولى على ما كان راسيا بها من السفن، ومن بينها مركب ضخم كان قد صنعه الأمير الحمادي العزيز بن المنصور، وبعثه بهدية إلى الحافظ العبيدي (الفاطمي) بمصر، وكان في المركب الحمادي بضائع عظيمة لها شأن وأثمان للتجار، فاستولى عليه الأمير الزيري، وهذا حسب رواية ابن عذاري، وأما التجاني فيذكر لنا أن الأمير الزيري الحسن بن علي كان قد احتفل بمركب شحنه بذخائر ملوكية ليرسله إلى الحافظ العبيدي صاحب مصر، وكان ذلك المركب يسمى نصف الدنيا، فاستولى عليه النورمان. وأما ابن الأثير فيعلمنا بأن النورمان توجهوا إلى المهديّة فأخذوا مراكب سُيرت من مصر إلى الأمير الزيري الحسن بن علي صاحب إفريقية<sup>(1)</sup>.

وتركت هذه الإغارة النورمانية المفاجئة والجريئة على مرسى المهديّة أثرا واخزا في نفس الأمير الزيري الحسن بن علي، ومع ذلك فإنه لم يجنح إلى معاداة النورمان لعدم استعداده لأية مواجهة عسكرية، بل سعى إلى تلطيف أجواء العلاقة بينهما، فقام كما يذكر ابن الأثير بتجديد الهدنة مع النورمان في سنة 536هـ/1141م لأجل حمل الغلات إلى إفريقية، لأن الغلاء كان شديدا والموت كثيرا<sup>(2)</sup>.

(1) - التجاني، المصدر السابق، ص 340: ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 312-313: ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 122: تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص 75: سالم وآخر، المرجع السابق، ص 216-217.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 122-123: تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص 76.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

هـ. محاولة النورمان احتلال طرابلس الغرب في سنة 537هـ/1142م: تذكر لنا المصادر التاريخية أنه رغم تجديد الهدنة بين الزييين والنورمان فإن ذلك لم يمنع ملك صقلية روجر الثاني من الهجوم على المدن الساحلية التي كانت تابعة للدولة الزييرية؛ ففي أواخر سنة 537هـ/1142م هاجم روجر الثاني مدينة طرابلس، وقام بحصارها بأسطوله، واستمر الحصار مدة من الزمن، وأعملوا في ضواحيها قتلا ونهباً، ولكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها لحصانتها وشدة دفاع أهلها عنها، ففرّ من بقي من النورمان إلى سفنهم تاركين خلفهم الأسلحة والأثقال، حتى وصلوا إلى صقلية<sup>(1)</sup>.

وفي رواية ابن الأثير أن سبب هجوم النورمان على طرابلس هو: "أن أهلها في أيام الأمير الحسن صاحب إفريقية، لم يدخلوا يدا في طاعته، ولم يزالوا مخالفين مشاقين له، قد قدموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم، فلما رأهم ملك صقلية (النورماني)، كذلك جهز إليهم في البحر، فوصلوا إليهم تاسع ذي الحجة، فنازلوا البلد وقتلوه، وعلقوا الكلاب في سوره، ونقبوه. فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد، فقوي أهل طرابلس بهم، فخرجوا إلى الأسطولية، فحملوا عليهم حملة منكراً، فانهزموا هزيمة فاحشة، وقتل منهم خلق كثير، ولحق الباقون بالأسطول، وتركوا الأسلحة والأثقال والدواب، فنهبها العرب وأهل البلد"<sup>(2)</sup>.

و. احتلال قرقنة في سنة 540هـ/1144م: بعد فشل النورمان في احتلال طرابلس في سنة 537هـ/1143م، قام النورمان بمهاجمة جزيرة قرقنة في سنة

(1) - ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 313؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص 76؛ سالم وآخر، المرجع السابق، ص 216.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 124-125.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

540هـ/1144م، وتمكنوا من احتلالها، فقاموا بسبي أهلها وبيعهم في أسواق صقلية كما يُباع العبيد، ومن سلم منهم ورجع دخل تحت حماية النورمان. وأدت التصرفات العدوانية لملك صقلية روجر الثاني إلى غضب الأمير الزيري علي بن الحسن، فقدم له احتجاجاته، ومذكرا له بالعهد المبرمة بين الطرفين، لكن ملك صقلية روجر الثاني كما يذكر ابن الأثير أعلمه بأن الأسطول النورماني يُهاجم المدن المتمردة على حكم الزييين، ولهذا اقتنع الأمير الزيري بكلام الكونت روجر الثاني فلم يُحرِّك ساكنا<sup>(1)</sup>.

ز. احتلال طرابلس في سنة 541هـ/1146م: عزم ملك صقلية روجر الثاني على محو آثار هزيمته في طرابلس، والتي حدثت في سنة 537هـ/1142م، وظل يترصد بها الدوائر إلى أن حلت سنة 540هـ/1140م حيث أصاب إفريقية قحط شديد فعرفت جراه مجاعة فظيعة، وقد صور لنا ابن أبي دينار هذا الحال بقوله: "وفي هذه السنة كان القحط بإفريقية حتى فرَّ غالب الناس إلى صقلية". وأما أبو الفداء فذكر هذه المجاعة بقوله: "كان قد حصل بإفريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضا، ودام من سنة سبع وثلاثين وخمسائة إلى هذه السنة (يعني سنة 543هـ/1147م)، ففارق الناس القرى، ودخل أكثرهم إلى جزيرة صقلية<sup>2</sup>.

وكان ملك صقلية روجر الثاني قد عزم بعد سنتين من محاولة احتلاله طرابلس أي في سنة 539هـ/1143م بالإغارة عليها مرة أخرى في قوة صغيرة للتمويه، وأعمل فيها وفي ضواحيها القتل والنهب. ثم أعاد النورمان الكرة في

(1) - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص91: روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص410: حياوي وآخر، المرجع السابق، ص234.

(2) - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص91: أبو الفداء إسماعيل بن أيوب، المختصر في أخبار البشر، الطبعة الحسينية المصرية، مصر، د. ت. ط، ج3، ص19: تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص77.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

سنة 541هـ/1146م، -وهذا هو التاريخ الصحيح الذي ذكرته المصادر خلافا لما ذكره ماريو مورينو أن الاستيلاء على طرابلس كان في سنة 1143م-، حيث سيروا أسطولا ضخما عدته مائتا سفينة بقيادة جورج الأنطاكي، وفي اليوم الثالث من شهر محرم من سنة 541هـ/15 جوان 1146م ضرب النورمان الحصار على طرابلس، وكان باستطاعة أهلها الصمود طويلا، لولا وقوع خلل في عملية الدفاع، بسبب فتنة دبت بين طائفتين في المدينة<sup>(1)</sup>، فاشتغل الجيش النورماني هذه الفجوة وتمكن من اقتحام المدينة، واحتلالها بعد ثلاثة أيام من الحصار، أي في يوم الثلاثاء السادس من شهر محرم، وبعد دخول النورمان إلى المدينة قاموا بسفك دماء أهلها، ونهب أموالهم، وتخريب ممتلكاتهم، وبعدها أمر جورج الأنطاكي بإيقاف كل أشكال العنف، ثم أمّن سكانها على أموالهم وأنفسهم، فعاد الهاربون حينئذ إلى ديارهم<sup>(2)</sup>.

ومكث النورمان في طرابلس مدة ستة أشهر، انكب خلالها جورج الأنطاكي على تعزيز استحكامات المدينة، وتثبيت نفوذ النورمان بها، وكذا تنظيم شؤونها الداخلية، حيث أقرّ الجزية على أهلها، وولى على البلد الشيخ أبا يحيى بن مطروح التميمي، وجعل قاضيهم رجلا منهم يعرف بأبي الحجاج يوسف بن زيري،

(1) - ثار سكان طرابلس ضد حكامهم من بني مطروح وأخرجوهم من البلاد، وولوا عليهم رجلا من المرابطين، ولم يذكر لنا ابن الأثير تفاصيل عن اسم هذا الرجل أو عمله، ويكتفي أنه كان ضمن رهائن المدينة الذين حملهم النورمان، وعندما حاصر النورمان مدينة طرابلس اجتمعت جماعة من مؤيدي ابن مطروح وأعادوا تنظيمهم ودخلوا المدينة، ولهذا تصدى لهم أهلها، ورفضوا تولية بني مطروح كحكام على طرابلس، ووقعت بينهم معركة جعلت أهل الأسوار دون حماية، ولهذا بادر النورمان إلى وضع السلالم على الأسوار واستطاعوا دخول المدينة عنوة. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص140؛ حياوي وآخر، المرجع السابق، صص235-236.

(2) - سالم وآخر، المرجع السابق، ص216؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، صص76-77.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

وأخذ رهائن من بني مطروح، ولم يلبث بعد مرور ربح من الوقت أن أعاد هؤلاء الرهائن بعد استقرار الأمور في المدينة<sup>(1)</sup>.

وهكذا وقعت طرابلس بيد النورمان نتيجة الخلافات والصراعات حول السلطة، ولو كان ذلك على حساب دينهم ووطنهم، كما يتضح أن المدينة تعرضت للتخريب والتدمير الشامل، بدليل أن النورمان استغرقوا ستة أشهر لإصلاح أسوارها وخنادقها، ويبدو كذلك أن وضع طرابلس لم يكن مستقرا، ولهذا أقدم النورمان على أخذ رهائن من أهلها، ولم يتم إرجاعهم إلا بعد استقرار المدينة. كما حاول النورمان تغيير هوية المدينة، وذلك بتشجيع الهجرة إليها، فهاجر إلى طرابلس عدد من أصحاب الأموال بغرض الاستيطان، كما منح روجر الثاني مساكن وأراضي زراعية وقروضا مالية، وذلك تشجيعا منه للصقلين على الهجرة والاستيطان في طرابلس، وكانت ربما هي بداية الطريق لدى روجر الثاني لتأسيس إمبراطورية نورمانية تشمل صقلية وبلاد المغرب الإسلامي<sup>(2)</sup>.

ح. احتلال المهديّة في سنة 543هـ/1148م: كان لاحتلال مدينة طرابلس في سنة 541هـ/1146م، وعدم وجود أية قوة إسلامية تمنعه من مواصلة مشروعه التوسعي أن اتجهت أطماعه إلى احتلال المهديّة عاصمة الدولة الزيرية آنذاك، ومما لا شك فيه أن احتلال هذه المدينة تُشكل هدفا استراتيجيا هاما في أعقاب هذه الحركة التوسعية، لكونها حاضرة للإمارة الزيرية، كما أنها تحظى بقدرات دفاعية حصينة تحول دون سهولة اختراقها<sup>(3)</sup>.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9؛ ص140؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص78.

(2) - حياوي، المرجع السابق، ص236؛ ماريو مورينو، المرجع السابق، ص21.

(3) - تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص ص78-79.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

وانتظر روجر الثاني الفرصة المناسبة لاحتلال المهديّة، وهذا حين عرض عليه صاحب مدينة قابس رُشيد بن كامل مدينته إلى النورمان، وكان ذلك في سنة 542هـ/1147م، وأن يكون أحد عماله عليها، فقبل روجر الثاني العرض، في حين رفضه الأمير الزيري الحسن بن علي، ومع هذا استمر محمد بن رُشيد صاحب قابس بنفس سياسة والده الذي توفي في سنة 542هـ/1147م، ويبدو أنه كان ضعيفا، لأنه قام بتسليم أمور إمارة قابس لمولاه يوسف الذي استبد بالأمر، وتناول على الناس. واتصل يوسف بروجر الثاني يطلب منه خلعة وعهدا لولاية قابس، مقابل أن يكون نائبا عنه، كما فعل مع بني مطروح في طرابلس، فسير إليه روجر الثاني الخلعة والعهد، فلبسها، وقرئ العهد بمجمع من الناس، فجهز الأمير الزيري حملة عسكرية هاجم بها قابس، وتمكن من إلقاء القبض على يوسف، وقتله، وعين معمر بن رُشيد واليا على المدينة. وقد فسّر لنا ابن أبي دينار ما قام به يوسف والي قابس مع النورمان بقوله: "لكن حب الدنيا والرياسة ألجأهم إلى هذه الرذائل وحبك الشيء يعمي ويصم"<sup>(1)</sup>.

وبالإضافة إلى ما حدث في قابس، وتفكك الجهة الداخلية للإمارة الزيرية؛ فإن الحملة النورمانية على المهديّة كانت تنعم بطابع خاص، لأنها ستضرب القلب النابض للإمارة الزيرية، كما أنها ستجري في ظروف متميزة على الصعيدين الأوروبي والإفريقي على حد سواء، وهي تصب كلها في مصلحة ملك صقلية روجر الثاني، فمن جانب أوروبا اللاتينية فإنها باتت تعيش تحت تأثير الدعوة إلى الحملة الصليبية الثانية، إثر سقوط إمارة الرها الصليبية في شمال العراق بيد المسلمين في عام 539هـ/1144م، وشكلت هذه الحملة فرصة ثمينة لروجر الثاني لتعزيز مركزه في العالم النصراني، وذلك بالمشاركة في محاربة المسلمين عن طريق الاجهاز على أحد معاقلهم بإفريقية، هذا دون أن يحيد قيد أنملة

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص91؛ حياوي، المرجع السابق، ص236.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

عن مشروعه التوسعي بالساحل الجنوبي للمتوسط، ومما ساهم في نجاح هذه الحملة هو تعرض إفريقية لمجاعة كبيرة بدأت من سنة 537هـ/1141م-1142م، وبلغت ذروتها في سنة 542هـ/1146-1147م، ومما زاد في تفاقم الوضع هو إقبال روجر الثاني تحضيراً لغزو المهديّة على قطع تصدير الحبوب إليها، باعتباره المزود الأول للزيريين بهذه المادة الأساسية، فأكل الناس بعضهم البعض، وكثر الموت في الناس بسبب تفشي الجوع والوباء حتى خلت البلاد من العباد، وتوجه الكثير منهم إلى صقلية كما أشار إلى ذلك ابن الأثير<sup>(1)</sup>.

وتوجه عيسى أخو يوسف والي قابس المقتول على يد الزيريين إلى صقلية وأما ابن الأثير فيذكر أن عيسى توجه مع ابن أخيه المقتول، واستجاروا بملك صقلية روجر الثاني، وأعلموه أن الأمير الزيري هو من أعان على قتل يوسف والي قابس بسبب ولائه للنورمان، فأمر روجر الثاني بتجهيز الأسطول في سنة 543هـ/ربيع 1148م فبلغ عدده مائة وخمسين شينا مملوءة بالرجال والسلاح، فانطلق هذا الأسطول من صقلية قاصدا مدينة المهديّة، وفي الثاني من شهر صفر/ 22 جوان وصل الأسطول النورماني إلى عرض المدينة، على حين غفلة من أهلها حيث سار بأسطوله في وقت السحر، فقدر الله تعالى هبوب ريح هائلة عكستهم فلم يقدرُوا على المسير إلا بالمجاديف، فطلع النهار فرأهم الناس، ولما رأى جورج الأنطاكي أن الخديعة فاتته، وإلضفاء طابع التمويه على هذه الحملة راسل الأمير الزيري الحسن بن علي يلتمس منه مساعدة عسكرية لاسترجاع مدينة قابس، وتأديب قتلة يوسف حليف النورمان، وهذا بموجب اتفاق الصلح المبرم بينهما، والذي تدوم صلاحياته عشر سنوات<sup>(2)</sup>.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص151، 154؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص19.

(2) - التجاني، المرجع السابق، ص216؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص156؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص80.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

وقبل أن يُلي الأمير الزيري طلب النورمان، استشار فقهاء وأعيان المدينة فيما ينبغي اتخاذه من موقف ملائم حيال طلب جورج الأنطاكي، فأجمعوا أمرهم على ضرورة قتال النورمان، واثقين بما تملكه المدينة من قدرات لتحقيق النصر، لكن نظرة الأمير الزيري اختلفت عن هذا الموقف، فبناء على رؤيته الموضوعية لأوضاع إمارته الاقتصادية والعسكرية أدرك يقينا عجز المدينة عن مقاومة مثل هذه الحملة العسكرية الكاسحة، لأن عساكره قليلة العدد، بالإضافة إلى خشيته من قيام النورمان بحصار المهديّة برا وبحرا، وليس في مخزون المدينة من الطعام ما يُقارب الشهر، ومن ثم آثر الأمير الزيري مغادرة المهديّة بمعية أفراد عائلته وحمل من أمتعته ما خفّ وزنه. وقد أدى فرار الأمير الزيري إلى اضطراب أوضاع المدينة، بسبب انتشار الهول والفرع، وهجرة الكثير من السكان إلى خارج المدينة، وفي ظل هذا المشهد الرهيب دخل جورج الأنطاكي المدينة في الثاني من شهر صفر من سنة 543هـ/ 22 جوان من سنة 1148م، واستولى عليها بغير مقاومة تُذكر<sup>(1)</sup>.

ودخل جورج الأنطاكي قصر الأمير الزيري فرأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة، وكل شيء غريب يقل وجود مثله، فختم عليه، وتعرضت المدينة للنهب لمدة ساعتين، نودي بعدها بالأمان للناس، وخرج من كان متخفيا، ورجع من كان خارج المدينة. وأما الأمير الزيري الحسن بن علي فتوجه إلى محرز بن زياد أحد أمراء العرب من بني رياح، فأقام عنده بقلعة المعلقة المجاورة لتونس، ثم ارتحل إلى قسنطينة، ثم منها توجه إلى جزائر بني مزغنة وبقي هناك إلى أن نزل أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي على بلاد المغرب

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص156؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص ص80-81.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

الأوسط في سنة 547هـ/1152م، فاصطحبه معه، وشارك معه في تحرير المهديّة من النورمان في 10 محرم من سنة 555هـ/1160م<sup>(1)</sup>.

وبعد احتلال المهديّة سيطر النورمان على السواحل الممتدة من طرابلس إلى ضواحي مدينة تونس، وأكد ذلك ابن الأثير بقوله: "وصار للفرنج من طرابلس الغرب إلى قريب تونس، ومن المغرب إلى دون القيروان، والله أعلم". واعتباراً من سنة 544هـ/1149-1150م عاد الصراع بين النورمان والبيزنطيين وجرت بينهما حروب كثيرة، ودامت عدة سنوات، فاشتغل بعضهم ببعض عن المسلمين، ولولا حدوث هذا الخلاف لملك النورمان جميع بلاد إفريقية على حد تعبير ابن الأثير<sup>(2)</sup>.

ط. دخول النورمان إلى مدينة سوسة 12 صفر 543هـ/2 جويلية

1148م: بعد أن أكمل النورمان احتلالهم للمهديّة، وبعد مرور أسبوع سيّر جورج الأنطاكي أسطولاً إلى مدينة سوسة، وكان ذلك بتاريخ 12 صفر 543هـ/2 جويلية 1148م، ولما سمع سكان المدينة بقدوم النورمان، وكان واليها آنذاك علي بن الحسن الزيري فأثر الالتحاق بأبيه الفار من المهديّة، ولم يبد أية مقاومة، مما جعل الأهالي يقتدون به، فدخل النورمان المدينة بدون قتال، وقاموا بنهبها<sup>(3)</sup>.

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص ص156-157؛ التجاني، المصدر السابق، ص343؛ حيوي، المرجع السابق، ص239؛ سالم وآخر، المرجع السابق، ص217؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص ص422-424.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص158؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص234؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص ص420-421.

(3) - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص92؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص ص157-158؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص419.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

ك. احتلال النورمان لمدينة صفاقس 23 صفر 543هـ/13 جويلية 1148م: قام جورج الأنطاكي وفي نفس الشهر من دخولهم مدينة سوسة بإرسال أسطول إلى مدينة صفاقس، وعلى خلاف ما فعله سكان سوسة، فإن سكان صفاقس قاوموا النورمان بكل قوة، ودارت معركة بين الطرفين أظهر خلالها النورمان الهزيمة، فتبعهم المسلمون حتى أبعدها عن البلد، ثم عطف عليهم النورمان فانهزم المسلمون وفرّ البعض، وقُتل البعض الآخر، وأُسر من بقي من الرجال، وتم سبي النساء، وكان ذلك في 23 صفر من سنة 543هـ/13 جويلية من سنة 1148م. ثم نُودي بالأمان فعاد سكان صفاقس، وافتكوا حرمهم وأولادهم. وبعد ذلك وصلت كتب ملك صقلية روجر الثاني بالأمان والمواعيد الحسنة لجميع أهل إفريقية. وقام بإسكان جماعة من النصارى في مدينة صفاقس<sup>(1)</sup>.

ل. محاولة احتلال إقليبية 543هـ/1148م: يذكر ابن الأثير في حوادث سنة 543هـ/1148م أنه بعد أن استقرت الأحوال في بلاد المغرب الأدنى، قام النورمان بتحريك أسطولهم الحربي والتوجه لاحتلال إقليبية، وهي قلعة حصينة من سواحل المغرب الأدنى، فلما وصل الخبر إلى سكانها، خرجت القبائل العربية فنزل إليهم النورمان، ودارت معركة كبيرة بين الطرفين، انهزم فيها النورمان، وقُتل منهم أعداد كبيرة، فانسحبوا إلى المهديّة<sup>(2)</sup>.

م. إعادة احتلال جزيرة جربة وجزر قرقنة في سنة 548هـ/1153م: انهزم النورمان في حروبهم مع الإمبراطورية البيزنطية، مما أدى بروجر الثاني إلى تجنيد مظم قواته البحرية إلى الجبهة البيزنطية، بالإضافة إلى وفاة جورج

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص158؛ روجي إدريس، المرجع السابق، ج1، ص418-420.

(2) - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص92؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص83.

## الحمالات البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

الأنطاكي في سنة 546هـ/1151-1152م، فاستغل سكان جزيرة جربة هذه الظروف وإعلان الثورة ضد الاحتلال النورماني، في سنة 548هـ/1153م، فقام روجر الثاني بقمع الثورة بكل عنف ووحشية. ونقلوا أكثر أهلها سبايا إلى صقلية. وأما جزر قرقنة فبعد احتلال بونة اتجهت حملة نورمانية إلى جزر قرقنة فأعادوا احتلالها، مما يظهر لنا أن هذه الجزر التي احتلها جورج الأنطاكي في سنة 540هـ/1144م كما سبق ذكره قد خرجت عن طاعة النورمان لكننا لا نعرف كيف ومتى وقع هذا الحدث<sup>(1)</sup>.

### 2. الحملات النورمانية على بلاد المغرب الأوسط:

كان للنجاحات التي حققها النورمان في احتلال بعض مدن وجزر المغرب الأدنى أن واصلوا حملاتهم العدوانية نحو المناطق الشرقية من بلاد المغرب الأوسط.

أ. احتلال جيجل في سنة 537هـ/1143م: اتخذ النورمان من جزيرة جربة بعد احتلالها في سنة 537هـ/1143م كقاعدة عسكرية لاحتلال السواحل الشرقية لبلاد المغرب الأوسط، حيث أرسل ملك صقلية روجر الثاني أسطول بحري من جزيرة جربة في سنة 537هـ/1143م، وتمكن هذا الأسطول من النزول بميناء جيجل، وقاموا بالهجوم على المدينة، مما أدى بسكانها إلى الفرار نحو الأرياف والاعتصام بقمم الجبال، فيذكر ابن الأثير ذلك بقوله: "فدخلها الفرنج، وسبوا من أدركوا فيها، وهدموها وأحرقوها، وأحرقوا القصر الذي بناه الأمير الحمادي يحيى بن عبد العزيز بن حماد (515-541هـ/1121-1152م) للزهة،

(1) - الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 304-305؛ حسنين محمد ربيع، تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة-مصر، 1403هـ/1983م، ص 223؛ روجي 'دريس، المرجع السابق، ج1، ص 438؛ تومي، الحوض الغربي للبحر المتوسط، ص 84، 86.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

ورجع الفرنجة إلى صقلية". وأعاد النورمان الهجوم على مدينة جيجل للمرة الثانية في سنة 538هـ/1144م وقاموا باحتلالها. ولم تذكر لنا المصادر والمراجع في حدود ما اطلعت عليه تفاصيل ما قام به الاحتلال النورماني في المرة الثانية عند دخوله لمدينة جيجل<sup>(1)</sup>.

ب. احتلال مدينة شرشال في سنة 538هـ/1143م: مدينة شرشال حيث قام النورمان في سنة 538هـ/1143م بالهجوم عليها، وذكر المستشرق الفرنسي شارل أندري جوليان أن النورمان اتخذوا من مدينة جربة كقاعدة عسكرية لتسديد ضربات أسطولهم الحربي على الموانئ الصغيرة الموجودة بين شرشال وتنس، ولم يذكر لنا أندري جوليان السنة التي تمت فيها الحملات النورمانية على تلك الموانئ، وأما ممدوح حسين فذكر لنا أن تاريخ احتلال مدينة شرشال كان في سنة 538هـ/1143م<sup>2</sup>. ولم تذكر لنا المصادر والمراجع في حدود ما اطلعت عليه تفاصيل الاحتلال النورماني لمدينة شرشال.

ج. احتلال مدينة برشك في سنة 539هـ/1144م: واصل النورمان عدوانهم على سواحل المغرب الأوسط؛ فبعد احتلال مدينة شرشال في سنة 538هـ/1143م وفي ظل ضعف الدولة الحمادية، وانهارت دولة المرابطين على يد الموحدين، جهز النورمان أسطولاً عسكرياً انطلق من جزيرة صقلية، واتجهوا في سنة 539هـ/1144م إلى مدينة برشك التي تقع غرب مدينة شرشال (تقع بالقرب من قوراية بولاية تيبازة)، وتمكنوا من دخول المدينة وارتكبوا

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص135؛ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقية الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ج2، ص141؛ الجبالي، المرجع السابق، ج1، ص381.

(2) - الجبالي، المرجع السابق، ج1، ص381؛ جوليان، المرجع السابق، ج2، ص141؛ حسين، المرجع السابق، ص210.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص135؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م؛ ج1، ص257-258.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

فيها أشبع الجرائم وأشنع الفظائع من قتل للرجال وسبي للنساء وتهدب لثروات المدينة<sup>(1)</sup>.

د. احتلال مدينة بونة في سنة 548هـ/1152م: قام ملك صقلية روجر الثاني بتجهيز أسطول حربي من جزيرة صقلية في سنة 548هـ/1153م، وأسند قيادته إلى فيليب المهداوي بعد وفاة جورج الأنطاكي، وبعد حصار شديد وللأسف بمساعدة بعض القبائل العربية تمكن النورمان من دخول مدينة بونة واحتلالها، وكان ذلك في شهر رجب 548هـ/21 أكتوبر 1153م، وقام النورمان كعادتهم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال، ولكنه عفا عن جماعة من العلماء والصالحين؛ حيث سمح لهم بالخروج من المدينة مصطحبين معهم أهاليهم وأموالهم، وتم تعيين الحارث بن العزيز الحمادي من قبل روجر الثاني وكان أخا ليحيى بن العزيز الأمير الحمادي-واليا على بونة<sup>(2)</sup>.

ولبت فيليب المهداوي عشرة أيام في مدينة بونة ثم عاد إلى صقلية مصطحبا معه الأسرى، فقام الكونت روجر الثاني بالقبض عليه، بسبب تساهله مع المسلمين والسماح لبعضهم بالفرار، واتهامه باعتناق الدين الإسلامي. فأمر بمقاضاته أمام محكمة كنسية، فأصدر في حقه الإعدام حرقا، ونفذ هذا العقاب في شهر رمضان 548هـ/19 ديسمبر 1153م<sup>(3)</sup>.

ولم يُظهر سكان مدينة بونة أية مقاومة ضد الاحتلال النورماني، رغم أن أهلها كانوا كما وصفهم المؤرخون يصنعون المراكب الحربية التي تُوجه

<sup>(1)</sup>- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 135؛ عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م: ج 1، ص ص 257-258.

<sup>(2)</sup>- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 208؛ الإدريسي، محمد بن محمد، 1409هـ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت-لبنان، عالم الكتب، ط 1، ج 1، ص 291؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 313؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص ص 235-236.

<sup>(3)</sup>- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 208؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 5، ص 236؛ تومي، المرجع السابق، ص 85.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

لغزو الروم، والظاهر أن ذلك راجع إلى الضعف والوهن الذي أصاب المسلمين في ذلك الوقت. واستمرت بونة تابعة للاحتلال النورماني إلى غاية سنة 551هـ/1156م حيث أعاد الموحدون كرتهم عليها ففتحوها عنوة، وقتلوا صاحبها الحارث بن العزيز الحمادي صبرا، وأصبحت بونة منذ ذلك الوقت تابعة للدولة الموحدية<sup>(1)</sup>.

هـ. الإغارة على تنس ما بين سنتي 548هـ/1153م و571هـ/1174-1175م: اختلف المؤرخون حول المقصود من مدينة تنس التي تعرضت لهجمات النورمان الصليبية: فابن الأثير يرى أن النورمان في عهد روجر الثاني قاموا بإعداد أسطول حربي انطلقوا به من جزيرة صقلية، وتوجهوا به في سنة 548هـ/1153م إلى مدينة تنيس بالديار المصرية، وقاموا بنهبها، ووافق ابن الأثير أبو الفداء في أن المقصود من المدينة هي مدينة تنيس المصرية، وذلك بقوله: "وفيها وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية"، وخالف المستشرق الإيطالي ميخائيل أماري رأي ابن الأثير وأبي الفداء حيث يرى أن المدينة المقصودة هي تنيس (تنس) (Ténés) وليست تنيس (Tinnis) المصرية، مع العلم أن مدينة تنس تقع غرب الجزائر العاصمة، وتبعد عنها بحوالي 200 كيلومتر، والخطأ وقع على أساس الخلط بين الاسمين من قبل الناسخين، كما أن أماري يستبعد سعي ملك صقلية روجر الثاني إلى فتح جهة أخرى على نفسه في المشرق الإسلامي في ظل صراعه مع الإمبراطورية البيزنطية، فضلا عن كونه تربطه علاقات ودية مع الدولة العبيدية (الفاطمية) بمصر<sup>(2)</sup>.

(1) - البكري، المصدر السابق، ج2، ص718؛ الجليلي، المرجع السابق، ج2، ص300.

(2) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص210؛ عماد الدين أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، د. ت. ط، ج3، ميخائيل أماري، المكتبة الصقلية، دار صادر، بيروت-لبنان، د. ت. ط، ص417؛ ص27؛ تومي، المرجع السابق، ص86.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

وقام النورمان بهجوم آخر على مدينة تنس، وكان ذلك في سنة 571هـ/1174-1175م، وغير بعيد عن هذه السنة أن أصبحت مدينة تنس ضمن ممتلكات الدولة الموحدية، بعد أن تمكن عبد المؤمن بن علي الموحي من ضم المناطق الشرقية التي كانت خاضعة للدولة الحمادية في الفترة الممتدة من سنة 546هـ/1152م إلى سنة 547هـ/1179م. ولم أجد في حدود ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع تفاصيل عن الحملة النورمانية الأولى والثانية على مدينة تنس<sup>(1)</sup>.

أهم الحملات النورمانية على سواحل بلاد المغربين الأدنى والأوسط:



المصدر: ناجي يحي، أطلس تاريخ الجزائر، دار العزة والكرامة، وهران-الجزائر، 1437هـ/2016م، ص80، بتصرف.

<sup>(1)</sup> - إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية (القرون 3-13هـ/9-19م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الآثار، تخصص: آثار إسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص32.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط

خلال القرن 6هـ/12م

الخاتمة:

من خلال ما سبق نستنتج أن الحملات البحرية العدوانية التي قام بها النورمان على سواحل ومدن المغربين الأدنى والأوسط قد تكلفت في معظمها بالنجاح، حيث تمكن النورمان وفي وقت قصير من السيطرة على العديد من الجزر والمدن المطلة على السواحل الممتدة من طرابلس شرقا إلى تنس غربا، وهذا في غياب وضعف القوى الإسلامية التي كانت تعاني الضعف والتفريق والانقسام، بالإضافة إلى سوء الأوضاع الاقتصادية وانتشار المجاعة والوباء، ولم يتم تحرير سواحل المغربين الأدنى والأوسط إلا في عهد عبد المؤمن بن علي الموحي الذي تمكن من اتباع استراتيجية عسكرية فذة مكنته من طرد المحتل النورماني، وتوحيد بلاد المغرب الإسلامي مرة أخرى من طرابلس شرقا إلى طنجة غربا.

ويجدر بنا في هذا المقام ذكر بعض التوصيات، وهي كالتالي:

1. خطورة التفريق والانقسام الذي يستغله الأعداء لتحقيق مشاريعهم الاحتلالية؛ فالاحتلال النورماني لم يجرؤ على العدوان على بلاد المغربين الأدنى والأوسط إلا في وقت كان فيه مقسما إلى دولتين متناحرتين ومتنازعتين، بالإضافة إلى أن الدولة الزيرية في حد ذاتها كانت في أواخر عهدها مفككة إلى عدة إمارات مستقلة، وتُعاني أوضاعا اجتماعية واقتصادية سيئة للغاية.

2. ضرورة تحقيق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي للمواد الأساسية التي تحتاجها الأمة، ونلاحظ أن النورمان كانوا يزودون الدولة الزيرية بالحبوب، فاستعملوه كسلاح اقتصادي عند عزمهم على احتلال المهديّة، وقد برر الأمير الزيري فراره من الحصار النورماني بأنه لا يوجد في عاصمته المهديّة من المؤن الغذائية ما يكفي ولو لشهر واحد لمقاومة هذا الحصار.

## الحملة البحرية للنورمان على بلاد المغرب الأدنى والأوسط خلال القرن 6هـ/12م

---

3. إجراء دراسة مقارنة بين الحملات النورمانية التي حدثت في أوائل القرن 6هـ/12م على سواحل المغرب الأدنى والأوسط والحملات التي قادتها مملكة أراغون في أواخر القرن 7هـ/13م أيضا على سواحل المغرب الأدنى والأوسط مع الحملات الإسبانية والبرتغالية التي وقعت في بداية القرن 10هـ/16م، والتي شملت كل سواحل المغرب الإسلامي؛ وهذا لاستخلاص أهم الدروس والعبر، والاستفادة من أخطاء الماضي، والعمل على تجنبها في المستقبل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبي "فتح صقلية أنموذجا"

حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبي "فتح  
صقلية انموذجا"

The wars of the Islamic conquest of the Mediterranean islands  
during the Aghlabid period "The conquest of Sicily as a model

أ.د البشير بوقاعدة (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة)  
bachir.bougaada@ensb.dz

### ملخص:

تهدف هذه الدراسة لمعالجة اشكالية ذات صلة بجهود الدولة الأغلبية لفتح جزيرة صقلية التي تكتسي أهمية استراتيجية وحيوية بموقعها الجغرافي ومقوماتها الطبيعية، وكان جهدنا في هذا المسعى منصبًا بشكل مركّز على نسج مقاربات بحثية تُجَلِّي طبيعة تلك الجهود المبذولة من طرف القيادة الأغلبية (184-296هـ/800-909م)؛ من حيث الإعداد والتعبئة المعنوية والمادية لهذه الحرب البحرية الفاصلة في تاريخ الدولة الاسلامية؛ أي حجم الأسطول البحري وقوته، وكذا معاينة طبيعة الفنون المنتهجة في هذه الحرب البحرية لملاسة مبتغى الفتح الاسلامي للجزيرة المنشودة، ومفاحصة ردود فعل حاكم صقلية الخاضع للإمبراطورية البيزنطية وموقف الامبراطور البيزنطي بايظاليا من حملات الفتح، ثم التوقف عند فصول الصراع العسكري البحري بين المسلمين والبيزنطيين، وتسجيل النتائج التي أفضى إليها بعد أن فتح أسد ابن الفرات صقلية وصيرها تحت حكم المسلمين.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبي "فتح صقلية أنموذجا"

---

كلمات مفتاحية: الدولة الأغلبية؛ جزيرة صقلية؛ البحر المتوسط؛ الفتوح الإسلامية.

### Summary:

This study aims to address a problem related to the efforts of the majority state to conquer the island of Sicily, which is of strategic and vital importance due to its geographical location and natural components. -909 AD); In terms of preparation and moral and material mobilization for this decisive naval war in the history of the Islamic State; That is, the size and strength of the naval fleet, As well as examining the nature of the arts used in this naval war to touch the goal of the Islamic conquest of the desired island, and examining the reactions of the ruler of Sicily subject to the Byzantine Empire and the position of the Byzantine emperor in Italy regarding the campaigns of conquest, then stopping at the chapters of the naval military conflict between Muslims and the Byzantines, and recording the results that led to it after he Asad ibn al-Furat conquered Sicily and made it under Muslim rule.

**Keywords:** majority state; Sicily; Mediterranean sea; Islamic conquests.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبي "فتح صقلية أنموذجا"

مقدمة:

تؤكد مظان الأدب الجغرافي الاسلامية بأن صقلية هي إحدى أهم جزر البحر المتوسط ذات الموقع الجغرافي الحيوي؛ باعتبارها همزة وصل بين ضفتي المتوسط: الجنوبية (بلاد المغرب الاسلامي)، والشمالية (إيطاليا). لذلك لم تغمض الدولة الاسلامية عينها عليها بل ظلّ قادتها يتحينون الفرص لفتحها، وضمّتها لحظيرة الدولة الاسلامية؛ منذ عهد دولة الخلافة الراشدة وإلى عهد الأغالبة بافريقية الذين تمكنوا من الفتح التام للجزيرة، ووضع حدّ نهائي للحكم البيزنطي بها.

وفي الوقت الذي كان الموقع الجغرافي لهذه الجزيرة يفرض على القيادة العسكرية الاسلامية عناية مركزة بفنون الحرب البحرية، وإيلاء مقوماتها اهتماما لامعا، فقد تم اقتطاع مبالغ مالية معتبرة من خزينة الدولة لإعداد العدة الحربية لفتح هذه الجزيرة بشكل تام وحتى الجزر التي تقع على مسار الطريق إليها في عرض البحر المتوسط بحكم أنّها تعين على تذليل الصعاب لبلوغ الغرض؛ سواء ما تعلّق ببناء الأسطول البحري، أو تجهيز معدات الحرب البحرية وأدواتها، أو التدريب على فنونها وتكتيكاتها.

تأسيسا على كاهل هذه الأرضية البحثية، وتناغما مع طبيعة الاشكالية التي يطرحها القائمون على الكتاب الجماعي بعنوان: الحروب البحرية الفاصلة في التاريخ على مر العصور، تكريما البروفيسور عبد العزيز شهري، والذي يشرف عليه مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر، لا نلجم أنفسنا عن التصريح: بأنّ اهتمامنا للإسهام في اثراء هذه الاشكالية -إن كان لنا إلى ذلك سبيل أو فرصة- قد توجّه نحو التصدّي لمعالجة اشكالية ذات صلة بجهود الدولة الأغلبية لفتح جزيرة

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

صقلية "درة البحر المتوسط" كما قيل عنها نظير أهميتها الاستراتيجية وحيوية موقعها الجغرافي، وكان جهدها في هذا المسعى منصبًا بشكل مركّز على نسج مقاربات بحثية تُجَلِّي طبيعة تلك الجهود المبذولة من طرف القيادة الأغلبية (184-296هـ/800-909م)؛ من حيث الإعداد والتعبئة المعنوية لهذه الحرب البحرية الفاصلة في تاريخ الدولة الاسلامية، والمادية لها؛ أي حجم الأسطول البحري وقوته، وكذا معاينة طبيعة الفنون المنتهجة في هذه الحرب البحرية لملاسة مبتغى الفتح الاسلامي للجزيرة المنشودة، ومفاحصة ردود فعل حاكم صقلية الخاضع للإمبراطورية البيزنطية وموقف الامبراطور البيزنطي بايظاليا من حملات الفتح، ثمّ التوقف عند فصول الصراع العسكري البحري بين المسلمين والبيزنطيين، وتسجيل النتائج التي أفضى إليها بعد أن فتح أسد ابن الفرات صقلية وصيّرهما تحت حكم المسلمين. وعليه، فإنّ أهمية هذه الدراسة تتجلى في كونها تفاحص اشكالية متعلقة بخوض المسلمين بقيادة الدولة الأغلبية لحرب من الحروب البحرية التي كان لها صدى عميقا في تاريخ الحضارة الاسلامية، كيف لا، والأمر يتعلّق بضمّ جزيرة من أهم جزر الحوض المتوسط لحظيرة الدولة الاسلامية، ونشر الاسلام على جغرافيتها، وتصويرها ولاية اسلامية في عمق المتوسط، أضحت كشوكة في حلق الامبراطورية البيزنطية بايظاليا؛ تنغص عليها وتهدّد حدودها الجنوبية، إلى درجة أنّ قيادة هذه الامبراطورية اضطرت إلى مهادنة المسلمين والقبول حتى بشروطهم في الكثير من الأحيان.

أمّا بالنسبة للمنهج العلمي المتبع في معالجة مادة هذه الدراسة، فقد استندنا إلى جملة من المناهج، كان على رأسها المنهج التاريخي الوصفي الاستردادي، وشددنا عضده بالمنهج التحليلي في مواطن متفرقة من جسم

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

هذه الدراسة حسبما يقتضيه الموقف وتستوعبه الحاجة البحثية عند كل محطة من محطات البحث.

### 1. الأهمية الاستراتيجية لجغرافية صقلية:

صقلية: هي إحدى الجزر المتناثرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط بالجهة الشمالية المقابلة لبلاد افريقية (تونس)<sup>(1)</sup>، تمثل امتداد جغرافي لشبه الجزيرة الايطالية لا يفصلها عنها إلا مضيق محدود المساحة المائية<sup>(2)</sup>. وهي -كما هو منبث في جسم النص المصدري- جزيرة ذات أهمية استراتيجية قصوى في شتى المناحي لذلك حظيت باهتمام بالغ من طرف المسلمين وعناية مركزة من طرفهم لضمتها إلى ممتلكات الدولة الاسلامية في مسار حركة الفتوح التي تتطلع لها كياناتها السياسية ببلاد الغرب الاسلامي وفي طبيعتها دولة الأغلبية أصحاب الفضل الأكبر في أسلمة أهلها وفتح جغرافيتها<sup>(3)</sup>. ولعل من بين ما يكشف أهمية هذه الجزيرة الاستراتيجية بالنسبة للدولة الاسلامية ببلاد المغرب خلال العهد الأغلي، ما نوردته بشكل مقتضب في النقاط الموالية:

(1) - وهي كما أفاد به أحد الباحثين، ترد في الأدب الجغرافي العربي كأكبر الجزر المترامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط. للمزيد من التفصيل في هذا السياق، ينظر: بوتشيش ابراهيم القادري، الأقلية الاسلامية في صقلية بين الاندماج والصدام وصراع الهوية (484-591هـ/1091-1194م) مساهمة في دراسة تاريخ الأقليات، مكناس، المغرب: كلية الآداب والعلوم الانسانية، (2016)، ص30.

(2) - وهي جزيرة مثلثة الشكل، تكتسح جغرافيتها الجبال والأودية، وتمتاز بكثرة المدن والأحصار. حول خصائص هذه الجزيرة وأهمية موقعها الجغرافي، ينظر: الزيدي مصعب حمادي نجم، "صقلية ودورها في الحروب الصليبية"، مجلة علوم التربية، مج20، ع04، العراق، (2013)، ص35.

(3) - بوتشيش ابراهيم القادري، المرجع السابق، ص30، الجهنبي محمد، صقلية وعمارتها الاسلامية في العصر الفاطمي، القاهرة، مصر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، (1428هـ/2007م)، ص07، الفعالي عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق، أحمد بن ميلاد ومحمد ادريس، تقديم ومراجعة، حمادي الساحلي، بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي، ط1، (1407هـ/1987م)، ص212.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

1.1 البوابة الشرقية لفتح البلاد الأوروبية: إذا كانت الأندلس هي البوابة الغربية للدولة الاسلامية القائمة ببلاد الغرب الاسلامي على بلاد أوروبا بالضفة الشمالية للبحر المتوسط، فإنّ جزيرة صقلية هي بوابتها الشرقية إليها، ومنفذاها إليها بالجهة المقابلة (الشرقية). فصقلية من جزر البحر المتوسط التي تمثل همزة وصل بين بلاد المغرب وايطالية<sup>(1)</sup>، أو بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي وبلدان الشمال افريقي (خاصة بلاد افريقية) كما راق لأحدهم الاصطلاح عليه<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا الأساس، تشكل الجغرافية الصقلية معبرا مهما لنقل الديانة الاسلامية والمنتوج الثقافي والحضاري الاسلامي إلى أقاليمها، والأقاليم التي تليها؛ أي بلاد أوروبا. فلطالما كان فتح القسطنطينية من أهداف المسلمين المنشودة ومطامحهم الاستراتيجية لتوسيع رقعة الاسلام ومدّ نفوذه إلى أقصى حد ممكن.

ولئن كان هذا المسعى لم يتحقق على يد قادة الفتح الذين انتخبهم الدولة الاسلامية لرفع راية الاسلام فوق سماء جزيرة صقلية قبل العهد الأغلي، فإنّ زيادة الله الأول (201-223هـ/817-838م) ثالث أمراء بني الأغلب على افريقية قد شمرّ لإعادة الكرة، واتخاذ القرار بتسيير الجيوش لفتح صقلية<sup>(3)</sup>، ولما لا التطلع مواصلة فتح أوروبا ومد نفوذ الاسلام إلى عاصمة الروم

(1) - أبو خليل شوقي، فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، دمشق، سوريا: دار الفكر، (1418هـ/1998م)، ص59، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص07.

(2) - الزيدي مصعب، المرجع السابق، ص36، بوتشيش، المرجع السابق، ص32.

(3) - ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1421هـ-2000م)، ص149، بوتشيش، المرجع السابق، ص32.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغربي "فتح صقلية أنموذجا"

القسطنطينية، انطلاقا من جغرافية هذه الجزيرة بعد فتحها واتخاذها قاعدة من قواعد الاسلام بالضفة الشمالية للحوض المتوسط.

إن محاولات فتح صقلية -كما هو معلوم تاريخيا- كانت قبل العهد الأغربي؛ فقد خرجت حملات الفتوح باتجاه صقلية في عهد الخليفة عثمان بن عفان بإشراف واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) سنة 36هـ/656م، حيث وصل الأسطول الاسلامي إلى الجزيرة فغنم وعاد<sup>(1)</sup>. ثم واصل مسلمو بلاد المغرب حركة الفتوح إلى جزر حوض المتوسط ومنها صقلية خاصة انطلاقا من افريقية عاصمة البلاد في عصر الولاة<sup>(2)</sup>، أما الجهد الأكبر في مواصلة حركة الفتح لهذه الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجي الهام كما سلف التأكيد عليه، والنصيب الأعظم من عمليات استكماله فقد كان للقائمين على دولة الأغالبة؛ أصحاب القرار الفعلي والفاصل بضرورة تسيير الجيوش لفتح هذه الجزيرة، وصرف الامكانيات العسكرية لوجه ذلك المبتغى<sup>(3)</sup>.

1. 2 قرب موقعها: على اعتبار أن موقع الجزيرة الصقلية قريب من مجال الدولة الأغلبية كان ذلك من الحوافز التي شجعت ساستها على فتح

(1) - راجع ما أورده: الطالبي محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م، تعريب، المنجي الصيادي، مراجعة وتدقيق، حمادي الساحلي، بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي، ط2، (1415هـ/1995م)، ص435.

(2) - وذلك سواء في عهد ولاية موسى بن نصير، أو ولاية محمد بن يزيد الأنصاري (97-99هـ/715-717م)، وولاية عبد الرحمن بن حبيب وذلك عام 135هـ/752م أو خلال السنة الموالية لها. راجع: النويري شهاب الدين (ت733هـ/1332م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج24، تح، عبد المجيد ترحيني، بيروت، لبنان: منشورات دار الكتب العلمية، (1424هـ/2004م)، ص194. راجع أيضا: ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق، محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي، ط1، (1408هـ/1988م)، ص06، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص440، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص60-61.

(3) - الطالبي محمد، المرجع السابق، ص440، بوتشيش، المرجع السابق، ص30، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص61.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

مجالها، ونشر الاسلام في أوساط أهلها. فحين تكون المسافة البحرية التي تقطع للوصول إلى موضع الجزيرة الهدف، قصيرة؛ لا تتطلب من الإمكانيات العسكرية ذلك الحجم الذي تفرضه إن كانت طويلة، ومن ثمَّ يسهل عبور البحر إليها بالقوة العسكرية الكافية لفتحها وخوض المعارك بمجالها<sup>(1)</sup>.

بالنظر إلى هذا المعطى، من ناحية أخرى، يحيلنا موقع صقلية الجغرافي إلى نقطة مفصلية في هذا المسعى البحثي، وذلك أنّ موقعها كان محل تنافس القوى السياسية الاسلامية والمسيحية؛ بحكم أنّ المسيطر عليها يمكنه التحكم في زمام الأمور السياسية والدينية والاقتصادية بالمجال الجغرافي المحاذي لها بسهولة أكثر من غيره. ومن ثمَّ كان السباق للظفر بتبعتها والسيطرة عليها قائما على أشده حتى قبل الفترة الاسلامية وبداية نشاط الفتوح الاسلامية. وبظهور الاسلام انضمت القيادات السياسية الاسلامية لحظيرة المتسابقين لوعيمها الكبير بحيوية ذلك الموقع وأهميته الاستراتيجية في مسار الفتح، ومسعى إحكام القبضة السياسية على المجالات والمراكز البحرية الحيوية في حوض المتوسط، والسيطرة على شرايينه، والإمساك بالخيوط الناظمة لتجارة البحر وأسواقها على ضفافه وبضائعها<sup>(2)</sup>.

1. 3 تأمين الممتلكات الاسلامية: انطلاقا من كون جزيرة صقلية إحدى المراكز البحرية للإمبراطورية البيزنطية التي تمتلك أسطولا بحريا كبيرا، كثيرا ما كان يخرج في حملات عسكرية لمهاجمة المراكز الاسلامية خاصة المتواجدة على سواحل الحوض المتوسط وجزائره، شكّل موقعها خطرا مهيدا لممتلكات

(1) - الجيهني محمد، المرجع السابق، ص 07، الزيدي مصعب، المرجع السابق، ص 35.

(2) - بوتشيش، المرجع السابق، ص 32.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

الدولة الاسلامية خاصة بالصفة الجنوبية المقابلة لها (بلاد افريقية)<sup>(1)</sup>. وبذلك أدركت القيادة الأغلبية في مرحلة من تاريخها ببلاد افريقية، ضرورة فتح هذه الجزيرة، واستثمار قدراتها لصالحها، وبالأخص حين لا يغيب عن ناظرنا حصانة الموقع الجغرافي الذي تفتشه والمناعة التي تتمتع بها<sup>(2)</sup>. وبذلك تتجلى لنا قيمة هذه الجزيرة إذا ما أفلحت جهود الفتح في مسعاها، وتوّجت بضمها إلى أملاك الدولة الاسلامية. إذ بالإضافة إلى بلوغ غرض كفّ شرّ البيزنطيين المترصين بأمالك المسلمين المتناثرة في مياه الحوض الغربي للبحر المتوسط إن أذعنت الجزيرة للديانة الاسلامية ودخلت في طاعة الدولة الأغلبية، تتخذها القيادة الأغلبية قاعدة اسلامية لتأمين الممتلكات، ومواصلة حركة الفتوح نحو الشمال، لاسيما انطلاقا من موانئها الهامة والحيوية على غرار: ميناء "مسينة"، و"بلرم" (باليرمو)، و"جلفودي"، و"قطانية"، وغيرها<sup>(3)</sup>.

### 2. مقومات الحرب البحرية الأغلبية:

تعود البدايات الأولى لبناء الأسطول الاسلامي ومعرفة المسلمين بحروب البحر إلى عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان (رضي الله عنه). ومع اتساع رقعة جغرافية الخلافة الاسلامية، أضحى تنظيم وتطوير الأسطول البحري ضرورة حتمية للحفاظ على الممتلكات الاسلامية وتأمين سواحلها البحرية الواسعة وضمان الذود عن حياضها الساحلية، ومواصلة مسار حركة الفتح

(1) - الجهيني محمد، المرجع السابق، ص 07، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص 10 مع إنه لا يمكن أن يغيب عنا؛ بأن من أسباب إذن السلطة العباسية لإبراهيم بن الأغلب تأسيس كيان سياسي ببلاد افريقية وتقلد أمورها باسمهم، هو تأمين ولاية افريقية؛ باعتبارها الجزء المتبقي من بلاد الغربي الاسلامي على ولاته لسلطة بني العباس. للمزيد من التفصيل، راجع: ابن وردان، المرجع السابق، ص 32.

(2) - الطالب محمد، المرجع السابق، ص 472.

(3) - بوتشيش، المرجع السابق، ص 33. ينظر كذلك في هذا الشأن: الزيدي مصعب، المرجع السابق، ص 35.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

للجزر الاستراتيجية خاصة في البحر المتوسط<sup>(1)</sup>. وهو الطرح الذي يشفع له الرأي الخلدوني القائم على إنَّ قيادة الأساطيل "هي من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب وافريقية ومروسة لصاحب السيف وتحت حكمه... لأنهما جميعا على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب"<sup>(2)</sup>، كما أكد بأنَّ المسلمين "العهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه، فلم يكن للأمم النصرانية قبَل بأساطيله بشيء من جوانبه، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم... وملكوا سائر الجزائر المتقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومينورقة ويابسة وسردانية وصقلية"<sup>(3)</sup>.

2.1 الأسطول البحري: اهتمت دولة الأغالبة كغيرها من الدول الإسلامية ببناء أسطول بحري قوي يستجيب لطموحات الدولة ويلبي حاجتها التوسعية، فحسب ما يذكر ابن خلدون فإنَّ القيادة العسكرية ببلاد المغرب وافريقية ما إنَّ تحسست الخطر القادم من الشمال عبر البحر الرومي حتى أعدت العدة العسكرية الكافية لمواجهته، كما سعت على كاهله لتوسيع حدود جغرافية الدولة الاسلامية ورقعة الديانة الاسلامية إلى ما وراء البحر الرومي، إذ يقول: "ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول ابن ابراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيا"<sup>(4)</sup>.

وطبيعي أنَّ بناء الأسطول يقتضي العناية المركزة بتشديد دور الصناعة، وتزويدها بالمواد الأولية اللازمة<sup>(5)</sup>. واستجابة لذلك، فقد كانت عدّة الأسطول

(1) - أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص 06.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 312-313.

(3) - المصدر نفسه، ج 1، ص 312-313.

(4) - المصدر نفسه، ج 1، ص 314.

(5) - مامي محمد ورفاد عماد، الجيش في الإمارة الأغلبية 168-296هـ/800-909م، برج بوعريبيج، الجزائر: دار

خيال للنشر والترجمة، (2021)، ص 51.

## حروب الفتح الإسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

البحري الأغلي تتألف إلى جانب القوات البحرية البشرية من القوة المادية المتمثلة في المراكب والسفن الحربية ذات الأشكال المتلونة، والأحجام المختلفة، والوظائف الحربية المتعددة. بالإضافة إلى منظومة الأسلحة المستخدمة في حروب البحر بنوعها: الخفيفة والثقيلة.

بالنسبة لطبيعة المراكب ونوعية السفن الحربية التي شاع استخدامها من طرف قوات الأسطول الأغلي، فقد تنوعت مركباته من حيث الحجم، والأهمية، والغاية. ومنها:

- الشواني: الشيني أو الشينية: وهو مركب بحري ضخم يمتاز بالطول والصلابة، ومزود بأبراج عالية ومجاديف عديدة قد يبلغ عددها في بعضها بـ 143 مجدافا. وهي من الأسلحة البحرية التي حرص قادة الجيوش الأغلية على صناعتها في تونس وسوسة، ودعمت بها صفوف أساطيلها التي خاضت حروبها ضد مراكب الأعداء ومدنهم المفتوحة على البحر بعدما زودوها بالسلالم والأبراج والمجانيق والقذائف، والمؤن الضرورية، ومن ذلك حركة الفتوح التي انتصبوا لها بجزيرة صقلية<sup>(1)</sup>.

- الحراريق: وهي من الأسلحة البحرية الفتاكة المزودة بأنابيب النفط والمجانيق لقذف النار المحرقة. وهذا النوع من السفن الحربية يوظف كذلك في حمل الشجعان من الرماة والقادة الحربيين المهرة، الذين يقاتلون العدو على ظهرها كما يقاتلون عدوهم في ميدان المعركة<sup>(2)</sup>.

(1) - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. ج. س. كولان وإ. ليثي بروفنسال، ج1، بيروت، لبنان: دار الثقافة، ط3. (1983)، ص302، هيصام موسى، الجيش الجزائري في العهد الحمادي (405-547هـ/ 1014-1152م)، المدية، الجزائر: منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، (2008)، ص73. راجع كذلك: مامي ورقاد، المرجع السابق، ص55.

(2) - القلقشندي أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، القاهرة: المطبعة الأميرية، (1333هـ/ 1915م)، ص272، هيصام، المرجع السابق، ص73. راجع كذلك: مامي ورقاد، المرجع السابق، ص55.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

- الطرائد: وهي من أهم الوسائل الحربية التي استخدمها الأغالبية في حروبهم البحرية وذلك لما تمتاز به من قدرة حربية عالية؛ فإلى جانب كونها من القطع الحربية السريعة الحركة، كان سطحها الواسع قاعدة لرمي المحصور بقذائف النفط لحرق أسواره وأبراجه ومختلف تحصيناته الدفاعية<sup>(1)</sup>.

- الحرابي: هي قطع حربية صغيرة تشبه الزورق، تستخدم في غالب الأحيان كوسيلة للفرق البحرية لرصد تحركات العدو وكشف طلائعه، ممّا يسمح بإحداث فعل مفاجأة العدو وتفادي أي حركة عدائية تعيق سبيلهم إلى الهدف. ولم يغفل قادة الدولة الأغلبية عن دعم أسطولهم البحري بهذا النوع من المراكب لخوض حروبهم البحرية دفاعا وهجومًا<sup>(2)</sup>.

- الشلنديات: الشلندي مركبة مسطحة ضخمة الحجم واسعة السطح تُستخدم لحمل المقاتلين والذخيرة والخيول. وتكتسي هذه المركبة أهمية حربية بالغة هي الأخرى في تدعيم عتاد حروب البحر؛ إذ تكاد تماثل من حيث الأهمية الحربية ومجالات الاستخدام عمل الشواني والحراريق<sup>(3)</sup>. وهي من المراكب التي شاع استخدامها ضمن الاسطول الأغلي أيضا<sup>(4)</sup>.

وبديهي أن تزداد فعالية هذه المراكب كسلاح بحري، وقوته الهجومية فتكا بالخصم؛ حين تزوّد بالنار الإغريقية والنفط، باعتبارهما من الأسلحة النارية المدمّرة<sup>(5)</sup>.

(1) - هيصام، المرجع السابق، ص72، مامي ورقاد، المرجع السابق، ص98.

(2) - هيصام، المرجع السابق، ص71، مامي ورقاد، المرجع السابق، ص98.

(3) - هيصام، المرجع السابق، ص73.

(4) - مامي ورقاد، المرجع السابق، ص97.

(5) - وهذه المواد الحارقة: عبارة عن مخلوط كيميائي أو مزيج من الكبريت وبعض المواد العضوية والدهنية والنفطية القابلة للاحتراق، يُقذف به من اسطوانة نحاسية على هيئة سائل أو كُرَاتٍ مشتعلة. انظر بشأنها: بركات وبيق، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي، جامعة حلب، سوريا: منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي، 1416هـ/1995م، ص143.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي

### "فتح صقلية أنموذجا"

أمّا بشأن الأسلحة الخفيفة فقد زوّدت القيادة العسكرية الأغلبية قوات أسطولها البحري بترسانة من الأسلحة الخفيفة على غرار: السيوف، والرماح، والحرايب، والأقواس، والدروع، واللجام، والكلاليب، والخطاطيف، والتواييت. وفي الوقت الذي كانت الحرب البحرية تتطلب عتادا حربيا ثقيلًا يتماشى ونمط هذا الفن الحربي ويقتضيه أسلوبه، فقد نوّع الأغلبة من مكوناتها، ومن ذلك: الدبابة، والكبش، والمنجنيق والعرادة<sup>(1)</sup>.

2.2 القوات البحرية: اهتمت القيادة الأغلبية في عهد مبكر من تاريخ وجودها ببلاد إفريقية بتكوين قوة بحرية هامة، فيذكر أنّ ابراهيم بن الأغلب اعتنى بشكل لافت بإنشاء أسطول بحري قوي، مكّن دولته في عهد من خلفه من غزو صقلية وفتح مدنها ونشر الاسلام بها<sup>(2)</sup>. ولم يقلّ اهتمام القائمين على دولته من بعده في مجال التحصين بأمر ضبط الأطراف والثغور، وتحصينها، ومهمة وحراستها<sup>(3)</sup>. كما اهتمت القيادة الأغلبية إلى جانب توفير الأسلحة المناسبة لخوض غمار البحرية الثقيلة والخفيفة، بالمقوم البشري من حيث تكوين جنود البحرية وقوات الأسطول وتدريبهم وضمان دخلهم ومعاشاتهم<sup>(4)</sup>؛ حيث خصصت لهم رواتب عالية ومكافآت وعطايا معتبرة تحفيزًا لهم<sup>(5)</sup>، بل منحهم مكانة مرموقة ضمن صفوف التشكيلات الحربية

(1) - مامي ورقاد، المرجع السابق، ص55.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص55، ابن وردان، المرجع السابق، ص33.

(3) - ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999، ص130.

(4) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص56.

(5) - مامي ورقاد، المرجع السابق، ص50.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

المكونة للجيش الأغلي شأن ما هو معمول به في السياسة العسكرية للدولة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

2.3 القواعد العسكرية الساحلية: تعدّ القواعد العسكرية الساحلية بما تنطوي عليه من منشآت وموانع وقوات بحرية من الأساليب الدفاعية الهامة التي لا بدّ من القيادة الأغلبية قصد حماية الممتلكات، وتأمين الرعية من مجمل الأخطار العسكرية الخارجية المحتملة. بيد أنّ فعالية التحصين، وقوة منشآته ومظاهره، ومناعتها، مرهون إلى حدّ كبير بحسن اختيار المواضع التي تُثبّت فيها هذه التحصينات على الشريط الساحلي، والأسس الفنية والمعمارية التي تُفصّل على أساسها أو مواصفاتها الدفاعية، وقوة الأسلحة الدفاعية التي تُلحق بها<sup>(2)</sup>.

ومن بين القواعد العسكرية التي ثبتتها هذه القيادة على ساحل البحر المتوسط أو سهرت على تحيين مقوماتها الدفاعية على مساره، نذكر وبشكل مقتضب:

- رباطات تونس: اضطلعت هذه المدينة (تونس) بدورها العسكري منذ البدايات الأولى للوجود الاسلامي بافريقية، حيث أقام بها المسلمون دارا لصناعة السفن والمراكب الحربية متصلة بالبحر المتوسط. وكان الشريط الساحلي لهذه المدينة مرصوصا بقصور ورباطات محصنة لحمايته والمنافحة عنه من أي خطر محتمل<sup>(3)</sup>. ومن بين هذه الرباطات التي شيدها الأغالبة:

(1) - ففي بلاد الأندلس جعل بنو أمية من أمير البحر أحد الأربعة الكبار الذين تشرّكهم الدولة في إدارة أمورها واستشارتهم. بل ولقبوه بقسيم الخليفة في السلطة؛ حيث يكون للخليفة حكم البر، ولذلك الأمير حكم البحر. راجع ما تفضل به في هذا السياق: أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص 07.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج 24، ص 61.

(3) - انظر بشأن تاريخ وحصانة هذه المدينة الساحلية: ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 54، الحموي ياقوت (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، بيروت، لبنان: دار صادر، (1397هـ-1977م)، ص 60-61، ابن بطوطة

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

قصر رباط المنار الذي شيّدوه في منطقة استراتيجية على الساحل التونسي، يعلوه برج خاص بالمراقبة والاستطلاع. ورباط صطفورة بمنطقة بنزرت. ورباط قصر درنة الذي أقامه الأغلبة بإحدى القرى الرومانية. ورباط الحمامات الذي دَعّمه القائمون على الدولة الأغلبية بسور حجري حصين لتقوية دفاعاته والرفع من مفعوله الوقائي. ورباط قصر لبنة الذي يكشف نمط بناء أبراجه عن الطراز المعماري الأغلي<sup>(1)</sup>.

- رباطات جزيرة شريك: أقامت دولة الأغلبة العديد من الرباطات بجزيرة شريك للحماية والتأمين وزوّدتها بكل مقومات الحصانة الصناعية والبشرية<sup>(2)</sup>.  
- رباط مدينة قليبية: الذي يبعد عن جزيرة قوصرة بحوالي 83 كلم، وتفصله عن سواحل صقلية مسافة 120 كلم. وعدّت هذه المدينة برباطها من أهم المدن التي حظيت بعناية فائقة من لدن القيادة الأغلبية نظير موقعها الاستراتيجي ومحوريتها في خطوط الدفاع عن مجال الدولة السياسي<sup>(3)</sup>.

- رباطات سوسة: تؤكد إحدى الدراسات التي استرعى انتباه أصحابها التاريخ لرباطات افريقية، بأنّ مدينة سوسة الأغلبية تعتبر في حدّ ذاتها رباطا بحريا حصينا<sup>(4)</sup>. ومن أمراء بني الأغلب الذين أولوا موضعها الجغرافي باعتباره أحد الثغور الحصينة، عناية مركزة: الأمير الأغلي زيادة الله الأول سنة 206هـ /822م الذي أمر بإقامة دار لصناعة الأسلحة بهذا الرباط، وتدعيمه بكل

محمد، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، المطبعة الخيرية، (1322هـ-1903م)، ص216. انظر كذلك: ابن وردان، المرجع السابق، ص37-38، ناجي جلول، المرجع السابق، ص43، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص08، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص09.

(1) - ناجي جلول، المرجع السابق، ص43-48، 55، 56.

(2) - المرجع نفسه، ص50.

(3) - المرجع نفسه، ص50.

(4) - المرجع نفسه، ص69.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

مقومات الحصانة الصناعية. وبهذا الحصن تجمعت جيوش الأغالبة بقيادة أسد بن الفرات تتأهب للإقلاع إلى فتح جزيرة صقلية، ومنه انطلقت تتشوف بلوغ الغرض<sup>(1)</sup>.

- رباط المنستير: وهو رباط ساحلي حصين بموقعه الطبيعي الذي يعدّ محرسا من محارس مدينة سوسة<sup>(2)</sup>، مزوّد بكل المرافق الضرورية للإقامة والدفاع والهجوم، على غرار: قاعات النوم، والمطعم، والحمام، والمراحيض، فضلا عن حاميات الحراسة والأجهزة الدفاعية والهجومية الصناعية التي يثوبها الرباط<sup>(3)</sup>. ويجدر التنويه بجهود القائمين على السياسة الحربية بدولة الأغالبة الذين دعموا تلك المدن والحصون والرباطات الساحلية بالأسوار الحصينة والأبراج العالية، فطول ضلع سور رباط سوسة على سبيل المثال يبلغ حوالي أربعين (40) مترا<sup>(4)</sup>. كما زوّدوا هذه المدن والحصون والأريطة

(1) ناجي جلول، المرجع السابق، ص77. وبشأن حصانة رباط هذه المدينة، ينظر: البكري أبو عبيد الله بن عبد الله الأندلسي (ت 487هـ/1097م)، المسالك والممالك، مج2، تج، جمال طلبة، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، (1424هـ-2003م)، ص207، التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد، رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا-تونس: الدار العربية للكتاب، (1981)، ص324، الزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حيي ومحمد الأخضر، ج2، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط2، (1983)، ص84. وللمزيد من التفصيل، راجع: ابن وردان، المرجع السابق، ص37-38، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص09.

(2) - التجاني، المصدر السابق، ص30، ناجي جلول، المرجع السابق، ص87، فرحات الدشراوي، "دور الرباط في الحرب البحرية أثناء العهد الوسيط"، أعمال ندوة تاريخ التحصينات بالبلاد التونسية أيام 4 و5 و6 أكتوبر، 1999، تونس: دائرة الاعلام والثقافة، (2001)، ص39.

(3) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص55، ابن وردان، المرجع السابق، ص37-38، ناجي جلول، المرجع السابق، ص87-109.

(4) - ابن وردان، المرجع السابق، ص38، t1، G.S.COLIN: "Burdj", Encyclopedie, nouvelle edition, P1355. MERCIER Ernest: انظر: G,P,Maisonneuve et la Rose, Edition, S.A, Paris, 1975, P1355. L'Afrique septentrionale (bérbérie)- Depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française Rachid bourouiba: L'architecture militaire. 56(1830), Tome2, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868, p55- de l'Algérie médiévale, office des publications universitaires l'Algérie, 198,118.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

بمعسكرات الجنود للقيام بمهام المدافعة والمهاجمة والحراسة والمراقبة والأسلحة، مدعومين بالأسلحة الدفاعية والهجومية الثقيلة والخفيفة<sup>(1)</sup>.

2.4 روح الجهاد: فمعلوم أنّ المحرك الأساس لرغبة الفتح في نفوس المسلمين هو العامل الروحي المنبعث من إيمانهم بقدسية الجهاد في سبيل الله، ومكانة الاستشهاد في سبيل إعلاء كلمته.

ومن المشاهد التي يمكن أن ترسم لنا هذا في منحنى أهلية القائد ومكانته في نفوس المحاربين إلى صفه، حملة أسد بن الفرات<sup>(2)</sup> على جزيرة صقلية وخروجه لجهاد النصارى بها. ولعلّه من الجدير التنويه في مسألة مقومات القيادة العسكرية والأهلية لقيادة الجيش، إلى مدى كفاءة الفقيه والقاضي أسد بن الفرات الذي تولي قيادة الجيش الأغلي المتجه لفتح صقلية، انطلاقاً من رغبته الملحة في توليها وحرصه العالي على طلبها من الأمير الأغلي. والحقيقة، أنّ هذه مسألة نالت حظها الكافي من الدراسة والبحث من لدن أصحاب الدراسة التاريخية، وخالصة ما توصلت إليه عديد الدراسات في ضوء ما أثبتته النص المصدري، أنّ ذلك الحرص لم يكن نابعا من رغبة في الإمارة ولا طمعا في المنصب، وإنما سعيا للجهاد في سبيل الله. وأنّ مكانة هذا الفقيه العلمية والدينية ومنزلته الرفيعة في نفوس الرعية القيروانية مثلت مقوما هاما من مقومات تحصيل الترابط بين عناصر الجيش الفاتح والتلاحم، والصمود والاستبسال<sup>(3)</sup>،

(1) - ابن وردان، المرجع السابق، ص37-38، محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج2، جامعة تونس: كلية العلوم الانسانية، (1999)، ص735، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص08، الجيهني محمد، المرجع السابق، ص09.

(2) - هو الفقيه المالكي والمجاهد قاضي القيروان، أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان. ولد بخراسان سنة 142هـ/759-760م، وقيل أن ولادته كانت بإفريقية. وهو من تلامذة الإمام مالك بن أنس وطلاب أبي حنيفة، ويعد من أشهر فقهاء إفريقية. وكانت وفاته سنة 213هـ/828م.

(3) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص62، الثعالبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص213.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

إلى درجة أنّ أحدهم يرى بأنّ الجيش بقيادة قاضي القيروان: "كان جيشا مختارا، يؤمن بصدق قائده ونزاهته، ويحدوه العزم على النصر أو الموت، لأسباب روحية وكذلك مادية"<sup>(1)</sup>، وأنّ الجنود ابتهجوا بقيادته كما ابتهجوا بولايته للقضاء يوم انتدبه الأمير الأغلي لولاية القضاء على القيروان سنة 204هـ/820م<sup>(2)</sup>.

### 3. مراحل فتح صقلية خلال العهد الأغلي:

نشير في البداية إلى أنّ تكتيك الفتح الاسلامي الأغلي لجزيرة صقلية كان يقتضي العمل التدريجي؛ فطبيعة الجغرافية الصقلية ليست في المتناول أمام التحصينات الدفاعية الطبيعية والصناعية التي تحوزها والمقومات الهجومية التي تتمتع بها وفي طليعتها الأسطول البحري، والدعم المستمر من طرف القيادة البيزنطية. ومن خلال ملاحقة مسار الفتوح بهذه الجزيرة على يد الجيوش الأغلبية، لمسنا بأنّ الإقليم الغربي من جغرافيتها الذي عاصمته مدينة "مازرة" (Mazara) كان الهدف الأول للقيادة الأغلبية الساعية للفتح، ثمّ توسعت حركة الفتوح نحو الشرق. وعلى هذا الأساس، تشير الدراسة التاريخية التي سلطت الضوء على تاريخ الفتوح الأغلبية بهذه الجزيرة، بأنّ نسبة المسلمين كانت تقلّ كلّما اتجهنا شرقا ضمن جغرافية الجزيرة الصقلية<sup>3</sup>. وبديهي أن يتخذ مسار الفتوح بالجزيرة الصقلية هذا المنحى، وتتوزع نسب حضور الفئة المسلمة على جغرافيتها على تلك الصورة؛ على اعتبار أنّ الجهة الصقلية المحاذية لبلاد افريقية هي الجهة الغربية منها، أمّا أقصى الشرق منها فيحاذي ايطاليا.

(1) - الطالب محمد، المرجع السابق، ص474.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص55، الثعالبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص213.

(3) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص194، الجيهني محمد، المرجع السابق، ص09، الزبدي مصعب، المرجع

السابق، ص36.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

### 3.1 تشنّت علاقات الأغالبة بالسلطة الصقلية وانطلاق عمليات الفتح:

كانت لصقلية علاقات تجارية هامة متبادلة مع افريقية؛ حيث عمل تجار الطرفين على تنمية تجارتهم وتوسيعها تماشيا والمقتضيات الاقتصادية التي شهدتها المنطقتين، يتبادلون مختلف البضائع بما في ذلك المنتجات الحساسة التي أثارت غضب الفقهاء واستنكروا تبادلها<sup>(1)</sup>. وفي عهد أول أمراء دولة الأغالبة ببلاد افريقية، قام ابراهيم الأغلي (184-197هـ/800-812م) بعقد هدنة وإبرام معاهدة مع حاكم صقلية البطريق قسطنطين الخاضع للإمبراطورية البيزنطية، تدوم مدة عشر سنوات. بيد أن حياة هذه المعاهدة لم تعمّر طويلا وتمّ نقضها، بسبب نقض الصقليين لبند رئيس من بنودها؛ وهو "رد الأسرى المسلمين إلى ديارهم"<sup>(2)</sup>.

وبعد مخالفة بيزنطيو صقلية لهذا البند الأساس، قرّرت السلطة الأغلبية توجيه قواتها لحرب صقلية، حيث سيّروا أسطولا بحريا لغزوها سنة 197هـ/812م، وتمكن الأسطول من مهاجمة بعض الجزر التابعة لها، وأفلح في تكبيد الأسطول البيزنطي الذي انتصب للوقوف في وجه المسلمين وصدّهم عن مقصدهم هزيمة كبيرة، وغنم بعض قطعه الحربية بالقرب من جزيرة "لبندوشة". لكن البيزنطيين أعادوا الكرة على الأسطول الاسلامي وأحرزوا انتصارا عليه، وتم تجديد الهدنة وتحيين المعاهدة من جديد<sup>(3)</sup>.

بيد أنّ حياة هذه المعاهدة لم تعمّر طويلا هي الأخرى ذلك أنّ الأمير الأغلي الثالث على افريقية زيادة الله الأول سيّر أسطولا بحريا لفتح صقلية

(1) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص62، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص450.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص194، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص444، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص63-64، الزبدي مصعب، المرجع السابق، ص36.

(3) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص62، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص445، أبو خليل شوقي، المرجع السابق،

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

تحت قيادة أحد أبناء عمومته، غير أنه عجز عن فتحا، واكتفى بردّ الأسرى المسلمين<sup>(1)</sup>.

ولعله يحسن إلماع النظر إلى أنّ الظروف السياسية المضطربة التي كانت تتخبط بين نسيجها قيادة الامبراطورية البيزنطية انعكست سلبا على الواقع السياسي بجزيرة صقلية، ومثلت مناخا ملائما وظرفية مناسبة لخوض غمار عمليات الفتح الاسلامي لصقلية من طرف مسلمي افريقية خلال العهد الأغلي<sup>(2)</sup>.

ويشير محمد الطالبي إلى أنّ ابن الأبار ينفرد برواية تتعلق ببدايات عمليات الفتوح التي انتصب لها بنو الأغلب لجزيرة صقلية، حين يؤكد بأنّ أول حملة بحرية صريحة سيّرها الأغلبة لفتح جزيرة صقلية كانت خلال سنة 204هـ/819-820م بقيادة محمد بن عبد الله بن الاغلب ابن أخ الأمير ابراهيم الأول، فسبى منها شيئا كثيرا<sup>(3)</sup>.

3.2 حملة أسد بن الفرات: خلال سنة 212هـ/827م وبعد حركة التمرد التي شهدتها القيادة السياسية بصقلية على الامبراطورية البيزنطية واستنجد الثائر "فيمي" -الذي تمكن من قتل قسطنطين حاكم صقلية ولكنه عجز عن مواجهة القائد الأرميني "بلاطة" الذي انتصب لمواجهته- بالأمر الأغلي زيادة الله الأول بعد فراره إلى افريقية، فأرسل زيادة الله بن الأغلب قوة عسكرية لفتح صقلية يقودها الفقيه "أسد بن الفرات"<sup>(4)</sup>.

(1)- الطالبي محمد، المرجع السابق، ص445، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص65.

(2)- المرجع السابق، ص471.

(3)- النويري، المصدر السابق، ج24، ص62، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص445. راجع كذلك: الثعالبي، المرجع السابق، ص221.

(4)- النويري، المصدر السابق، ج24، ص194، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص468، بوتشيش ابراهيم القادري، المرجع السابق، ص04، الثعالبي، المرجع السابق، ص221، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص66، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص08.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

أقلع الأسطول البحري الأغلي صوب جزيرة صقلية من ميناء سوسة، وهو يضم بين قواته تسعمائة فارس وعشرة آلاف راجل، بالإضافة إلى مراكب "فيبي" أو "فيميوس" المتعاون مع الأغلبة<sup>(1)</sup> لعداء بينه وبين الإمبراطور البيزنطي "ميخائيل الثاني"<sup>(2)</sup>، وقد استغرق مسافة خمسة أيام لينزل بمدينة "مازرة" على بساط جغرافية صقلية. ولم يكن اختيار هذا الموضع للنزول عبثاً، بل يحتمل أن يكون عملاً تكتيكياً مدروساً أملتته الضرورة الحربية؛ وذلك لكونه الموقع الأقرب، وبه العناصر المتعاطفة مع القيادة الأغلبية والمتعاونة معها (أنصار فيبي)<sup>(3)</sup>. وبهذا الموضع يعاد ترتيب القوات الاسلامية وتنظيمها، وتحديد الخطط الحربية المتبعة في شن عمليات الهجوم والفتح، والاستعداد الجيد لذلك، مع استكشاف المنطقة بشكل جيد تلافياً للوقوع في كمائن العدو، ولإعداد الكمائن الهجومية لتذليل صعاب الفتح على أحسن وجه.

وكانت أولى الانتصارات التي حققها جيش أسد بن الفرات هي كسر شوكة القائد الأرميني "بلاطة". كما تمكن المسلمون بعد ذلك من فتح العديد من الحصون الصقلية على غرار قلعة "الكراة"<sup>(4)</sup>. ثم عاد القائد أسد بن الفرات

(1) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص62، للمزيد من التفصيل، ينظر: الطالبي محمد، المرجع السابق، ص474-475.

(2) - حيث في ظل ذلك العداء وسوء العلاقة بينهما، لجأ "يوفيموس" إلى الأمير الأغلي زيادة الله الأول، وأشار عليه بفتح صقلية، وكشف له عن حجم خيراتها وأهمية ثرواتها ومقوماتها الطبيعية والاقتصادية، ووعده بتقديم المعونة إن باشر الأمير الأغلي جهوده لفتحها. للمزيد من التفصيل، ينظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص194، المعموري محمد عبد الله، "الدولة النورماندية في صقلية دراسة في تاريخها السياسي وعلاقاتها الخارجية"، مجلة العلوم الانسانية، ع08، جامعة بابل، العراق، (2011)، ص154.

(3) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص194، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص474-475.

(4) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص195، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص474-47، الزيدي مصعب، المرجع السابق، ص36.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

إلى "مازرة" قاعدة الانطلاق بهدف التحضير والاستعداد لشن هجوم جديد على الأهداف المحددة<sup>(1)</sup>.

بعدهما عين القائد أسد بن الفرات من يخلفه على قاعدة "مازرة" سار على رأس القوات الاسلامية لمهاجمة القوات البيزنطية المرابطة بمنطقة "بالرمو" (بلرم) سنة 213هـ/828م، وتمكن من دحرها، دون أن يتمكن من فتحها بشكل تام. وبعدها وجه أنظاره صوب عاصمة صقلية "سرقوسة"، حيث سار إليها من أكثر المسالك أمانا حفاظا على سلامة الجيش وأمنه في طريقه إلى الهدف<sup>(2)</sup>، وما إن بلغها حتى قام بزرع قواته حولها لمحاصرتها، وشدّد الخناق عليها وأحرق بها برا وبحرا. وأمام حصانتها، تكبد جيش المسلمين بعض الخسائر البشرية، ومالت الكفة لغير المسلمين بعدما وصل المدد البيزنطي لأهل لصقلية من طرف الامبراطورية، واستغرق الحصار مسافة زمنية معتبرة تربو عن سنة دون جدوى، إلى درجة أن دبّ الخلاف في صفوف الجيش الأغلي حول فك الحصار والتراجع إلى افريقية الذي دعا إليه البعض لاسيما في أوساط من دب فيهم الكلل، وبين مواصلة الحصار والاستبسال فيه الذي تمسك به القائد أسد بن الفرات وأنصاره، حتى قطع دابر هذا الخلاف المدد الذي وصل إلى صقلية من افريقية<sup>(3)</sup>. وبالرغم من الانتصارات التي حققها الجيش الاسلامي على المرابطين بسرقوسة والمنافحين عنها، عجز أسد بن الفرات عن ملامسة فعل الاقتحام وبلوغ الغرض. وفي ظل كارثة الوباء الذي حلّ بالمنطقة كان

(1) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص195، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص475-476، الثعالبي، المرجع

السابق، ص221، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص70-71، المعموري، المرجع السابق، ص154.

(2) - حيث سلك إليها هذا القائد الفاتح الطريق الرومانية القديمة المحاذية لساحل الجزيرة في الجهة الجنوبية منها.

(3) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص195، الثعالبي، المرجع السابق، ص222، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص70-71، المعموري، المرجع السابق، ص154.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

أسد بن الفرات من ضحايه أو مات بسببه<sup>(1)</sup>. وقال البعض الآخر أنه مات متأثراً بجراحه في صائفة 213هـ/828م بعدما أبلى بلاء حسناً في جهاد البيزنطيين ومحاولة فتح جزيرة صقلية<sup>(2)</sup>.

3.3 مرحلة القائد محمد بن أبي الجواري: بعد وفاة الفقيه القائد أسد بن الفرات في صائفة سنة 213هـ/828م، خلفه محمد بن أبي الجواري على قيادة الجيوش الإسلامية المرابطة بصقلية لفتحها، وذلك في ظروف صعبة. حيث بعدما علم الخصم بوفاة القائد أسد بن الفرات ذو الصيت العالي والمكانة المرموقة في نفوس الجيش الإسلامي، حتى أخذ رهائن الروم في الفرار، وأخذت الخشية التي في نفوس الخصم من المسلمين تتبدد وصيتهم فيها يضعف، والوباء يحصد أرواح الجيش الأغلي<sup>(3)</sup>.

غير أنّ المسمين تأقلموا مع ذلك الظرف ولم يستسلموا وواصلوا صمودهم وتحديهم لها، تحت إمرة هذا القائد الجديد الذي خلف قائدهم أسد. وكان من حنكة هذا القائد أن ينتهج تكتيكا حربيا يقتضي التراجع إلى الخلف نحو الشمال، كأسلوب لاستجماع القوى من جديد، واسترجاع النفس، وإعادة ترتيب الأمور وتنظيم الجيش لمواجهة قوات البيزنطيين لاسيما بعد وصول الدعم العسكري من الامبراطورية البيزنطية بقيادة "ثيودوت" (Théodote) الذي عينه الامبراطور على قيادة أسطول بيزنطي ضخم وبطريقاً على جزيرة

<sup>(1)</sup>- النويري، المصدر السابق، ج24، ص195، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص482، الثعالبي، المرجع السابق، ص222، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص08، المعموري، المرجع السابق، ص154، الزيندي مصعب، المرجع السابق، ص36.

<sup>(2)</sup>- النويري، المصدر السابق، ج24، ص195، الثعالبي، المرجع السابق، ص222، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص72، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص08.

<sup>3</sup> النويري، المصدر السابق، ج24، ص196، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص482-483، الثعالبي، المرجع السابق، ص223، المعموري، المرجع السابق، ص154.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

صقلية، ووصول كذلك الأسطول البندقي الذي جاء هو الآخر لدعم البيزنطيين وشدّ عضدهم. وكان هذا التكتيك الحربي من طرف قائد الجيش الأغلي يقتضي رفع الحصار عن "بالرمو"، وتوجيه الأنظار إلى المدن والحصون الأقل مناعة منها؛ حيث تمكنوا في طريق التراجع من فتح مدينة "مناو" (Mineo) بالشمال الشرقي من "سرقوسة"، وحصن "جرجنت" (Agrigente) الواقع بالساحل الجنوبي<sup>(1)</sup>.

وطبيعي أنّ هذه الانتصارات التي حقّقها الجند الأغلبة ستقوي عزائمهم وترفع من معنوياتهم وتُعلي من مستوى الصمود في النفوس وتطيل عمره فيها. وبذلك تحمّسوا لإعادة الكرة على مدينة "قصريانة" ومهاجمتها بقوة يرجون فتحها، فقاموا بحصارها وأحدقوا بها. ونجح الجيش الاسلامي في هزيمة كل من القوات البيزنطية البحرية الصقلية بالمناطق التي حاصرتها والقوات الداعمة لها سواء بقيادة "ثيودوت" أو الأسطول البندقي<sup>(2)</sup>.

### 3. 4 مرحلة القائد زهير بن عوف<sup>(3)</sup>:

استلم زهير بن عوف قيادة الجيش الاسلامي المرابط بجزيرة صقلية بعد وفاة القائد محمد بن أبي الجواري خلال سنة 214هـ/829-830م، في وقت بلغ بعناصره الإنهاك، وأخذ منهم التعب والإرهاق مأخذه، لذلك لم يتقدم هذا القائد أي خطوة في مسار الفتوح بين سنتي 214هـ و215هـ أمام

(1) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص196، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص483-486، أبو خليل شوقي،

المرجع السابق، ص72، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص08.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص196، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص487، أبو خليل شوقي، المرجع

السابق، ص72، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص08.

(3) - ورد بهذا الاسم عند ابن خلدون. أمّا ابن الأثير في الكامل فقد أورده باسم ابن غوث، في حين نجده عند النويري باسم زهير ابن برغوث. النويري، المصدر السابق، ج24، ص196.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

صمود القوات البيزنطية وتحالفها في وجه قواته، وقلة مصادر التموين ومنابع الدعم<sup>(1)</sup>.

علامات تغير الموازين لصالح القوات الاسلامية وبشائر النصر لصالحهم، أخذت تظهر مع وصول المدد من افريقية إلى صقلية، والدعم الأندلسي بأسطول بحري يتكون من ثلاثمائة قطعة حربية مدعمة بالأسلحة والمعدات الحربية، يقوده "أصبغ بن وكيل" خلال سنة 215هـ/831م. وبذلك أعادت القيادة الاسلامية ترتيب الأمور وهيكله الجيش وتنظيمه، وشرعت في مهاجمة مراكز العدو وحصونه، وقد أفلحت في تكبيده هزائم معتبرة؛ حيث تمكنت من القضاء على القائد "ثيودوت"<sup>(2)</sup>.

3. 5 مرحلة قيادة عثمان بن قرهب: قام بفرض حصار مشدد على "بلرم" في شهر جمادى الثانية سنة 215هـ/830م، استغرق مدة زهاء سنة كاملة، وكثفت من ضرباته على الأهداف المحددة؛ مستغلا انقطاع المدد عن الجزيرة الصقلية من الامبراطورية البيزنطية في ظل الظروف التي تتخبط فيها الأخيرة؛ لانشغالها بحروبها في شرق البلاد وإنهاك قوتها بتلك الجهة، وأزمة الوباء الذي تفشى في أوساط ساكنة المدينة المحصورة وانقطاع الموارد عنهم، ومن جهة ثانية اجتماع المقاتلين المسلمين حوله والتفافهم على رأيه، حيث خضعت المدينة له في رجب من عام 215هـ/831م<sup>(3)</sup>.

(1) - الطالبي محمد، المرجع السابق، ص488. راجع كذلك: المعموري، المرجع السابق، ص154.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص197، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص489-490، الثعالبي، المرجع السابق، ص223، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص72-73.

(3) - الطالبي محمد، المرجع السابق، ص491، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص73، الزبيدي مصعب، المرجع السابق، ص35.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

بعد فتح بالرمو رأّت القيادة الاسلامية اتخاذها عاصمة للمسلمين، بيد أن الخلاف الذي دبّ بين المسلمين الأندلسيين والإفريقيين كان من عوائق استكمال حركة الفتوح للجزيرة الصقلية ومواصلة عملياتها وبسط النفوذ التام عليها<sup>(1)</sup>.

إنّ اتخاذ مدينة "بلرم" قاعدة للمسلمين بالجزيرة الصقلية وعاصمة لحكمهم وتركيز جهود الفتح عليها قبل غيرها من المدن الأخرى المهمة على غرار "سرقوسة"، لم ينطلق من فراغ وإنما من وعي قيادة الجيوش الفاتحة بأهمية موقعها وحيويتها؛ فهذه المدينة بداية، من أهمّ مدن الجزيرة وأقدمها؛ تطل على واجهة بحرية مقابلة لبلاد افريقية، تسمح بالعبور إليها بسهولة وفي وقت قصير والتواصل الدؤوب معها، ولها ميناء قادر على استيعاب أسطول بحري يضم عددا معتبرا من المراكب والسفن<sup>(2)</sup>. فضلا عن موقعها بالجهة الغربية المحاذية لعاصمة الأغالبة ببلاد افريقية، وبذلك تكون أقرب إلى مراكز الدعم العسكري بالبلاد الافريقية في حال الحاجة لذلك أو طلب النجدة من السلطة المركزية.

3.6 مرحلة قيادة أبي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب: بالرغم من الانتصارات التي حققها عثمان بن قره ب إلا أن القيادة الأغلبية لم تكن راضية بما يكفي على إدارته للممتلكات الاسلامية المحققة بالجزيرة الصقلية، لذلك عزله الأمير الأغلي زيادة الله الأول، وعيّن خلفا له ابن عم له هو أبو فهر محمد بن عبد الله الأغلب عام 215هـ/831م، والتحق الأخير بمركز القيادة المنوطة

(1) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص197، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص73، الزندي مصعب، المرجع السابق، ص35.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص197، الجبيني محمد، المرجع السابق، ص19، الزندي مصعب، المرجع السابق، ص35.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

به خلال سنة 217هـ/832-833م<sup>(1)</sup>. وشرع في تنفيذ سياسة الفتح مع مطلع سنة 219هـ/834م، ويعزو أصحاب المظان ذلك التأخر في مباشرة عمليات الفتح بصقلية فور وصول القائد محمد بن عبد الله بن الأغلب إلى صقلية لانشغال الأخير بإعادة الأمور إلى نصابها بإفريقية واستدعائه من طرف القيادة الأغلبية العليا لمهام مستعجلة حلها أولى من ذلك<sup>(2)</sup>.

ويُذكر أنّ هذا القائد انتهج سياسة حرب الاستنزاف وإنهاك قوى الخصم بخطوات متباطئة؛ تُشنُّ الهجومات أحيانا بما وتُحصَد الغنائم وتُجبي، وتُبرم في أحيان أخرى الاتفاقيات المؤقتة وتُعقد الصلح بما يخدم المصلحة وفي الغرض، وكانت "قصريانة" هدفا رئيسا للقوات الفاتحة بيد أنّ حصانة المدينة حالت دون تحقيق تقدم ملحوظ في مسار الفتح؛ فقد سار إليها القائد الأغلي في شتاء سنة 219هـ/834م وكبّد الروم خسائر معتبرة، وكزّر الهجوم عليها في فصل الربيع من ذات السنة وحقق نصرا مظفرا، وخرج إليها خلال سنة 220هـ/835م وكان النصر كذلك حليف جيش الأغلبة. وبذلك، فبالرغم من تكراره الحملات العسكرية عليها ومعاودتها بشكل مستمر إلا أنه عجز عن اقتحام المدينة وكان في كل حملة يعود إلى العاصمة "بلرم" منتصرا في حرب المواجهة وظافرا بالغنائم والأسلاب، حتى تمّ قتله في خضم مؤامرة دُبّرت له سنة 220هـ/835م<sup>(3)</sup>.

(1) - حول السياسة الداخلية لبني الأغلب في إدارة شؤون الممتلكات الاسلامية بالجزيرة الصقلية، وأسباب تعويض الأمير الأغلي زيادة الله الأول لعثمان بن قرهب بابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب. راجع: الطالبي محمد، المرجع السابق، ص493.

(2) - الثعالبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص224، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص495.

(3) - الطالبي محمد، المرجع السابق، ص495-496. راجع أيضا في هذا المضمار: الثعالبي، المرجع السابق، ص224.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

3. 7 مرحلة قيادة الفضل بن يعقوب: بعد مقتل محمد بن عبد الله بن الأغلب استخلفه زيادة الله الأول بالفضل بن يعقوب. فشرع هذا القائد في شن الهجومات على "سرقوسة"، وظفر بغنائم وأسلاب وكبّد الروم خسائر كبيرة. وظل الأمر على ذلك الحال حتى وفد على الجزيرة والي صقلية الجديد في رمضان من سنة 221هـ/836م، أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب؛ وهو ابن أخ الأمير زيادة الله. ولم يدخر هذا الوالي الجديد جهدا في تحريك عجلة عمليات الفتوح؛ فما إن نزل "بلرم" حتى شرع في تنظيم الحملات وتكليف قواده بتسيير الجيوش لغرض الفتح على المناطق البيزنطية البرية والبحرية التي استعصى فتحها والتي لم تبلغها عملياته بعد. حيث شن القائد الفضل بن يعقوب خلال سنة 221هـ/836م والسنة الموالية لها عدد معتبر من الحملات والغارات العسكرية على العديد من المناطق والحصون كناحية "الأتنا" (Etna) والحصون المحاذية لها، والجزر "الأيولية" (Eoliennes)، وبعض الحصون الساحلية على غرار حصن "مدنار"، وكان يعود بانتصارات مظفرة وغنائم وفيرة. كما لم يغمض هذا الوالي الجديد عينه عن القلعة الرئيسة بجزيرة صقلية وهي "قصريانة"، بل وجّه إليها حملتين متتاليتين، قاد الأولى عبد السلام بن عبد الوهاب ولم تحرز أي نصر، وحقق الجيش الأغلي في الحملة الثانية انتصارا على الخصم وعاد إلى العاصمة "بلرم"، وسيّر بالموازاة مع ذلك قسما من قواته لفتح مدينة "جَفْلُوذِي" (Cefalu) الواقعة إلى الشرق من بلرم<sup>(1)</sup>.

(1) ابن الأثير أبو الحسن محمد (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، مج2، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، (1407هـ/1987م)، ص49، النويري، المصدر السابق، ج24، ص197. انظر كذلك: الثعالبي، المرجع السابق، ص225، الطالبي محمد، المرجع السابق، ص498-499.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبى "فتح صقلية أنموذجا"

وفي الوقت الذي لم تكن عين القيادة الأغلبية بافريقية نائمة عما يحدث بجغرافية جزيرة صقلية وإنما كانت تراقب الأحداث عن كثب، فإنه ما إن اعتلى عرش افريقية الأمير الأغلبى الجديد أبو عقاب الأغلب خلفا للأمير زيادة الله الأول بعد وفاته سنة 225هـ/839م، حتى أرسل الدعم لقائد الجيوش الاسلامية بصقلية. وما إن بلغ هذا المدد الهدف المنشود حتى تقدمت الجيوش لمحاصرة مجموعة من الحصون كقلعة "البلوط" (ballota) وحصن "إبلاطانو" (Platini)، وحصن "قرلون" (Corleone)، وحصن "سوترة". وفي هذا الظرف وأمام عجز القوات البيزنطية بصقلية عن مجابهة القوة الاسلامية، استنجدت بالقوات الفرنجية، والقيادة البندقية التي أرسلت لها أسطولا بحريا. إلا أن هذه القوات البيزنطية والفرنجية والبندقية لم تستطع الصمود في وجه القوة الأغلبية، حيث تمكن الأسطول الاسلامي من تدميرها في مياه "تارانت" جنوب إيطاليا<sup>(1)</sup>.

وبفضل هذه الانتصارات التي حققها الجيش الأغلبى على بساط صقلية الجغرافي يمكن القول أن مساحة التقدم في مسار الفتح بلغت نسبة 30 بالمائة أي الثلث بالتقريب<sup>(2)</sup>.

3. 8 مرحلة فتوح القائد الفضل بن جعفر الهمداني: تواصلت حركة الفتوح في ولاية الوالى أبى الأغلب؛ حيث تمكن الجيش الأغلبى بقيادة الفضل بن جعفر الهمداني من فتح بعض المدن الصقلية بين سنتي 228-234هـ

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 6، ص 67، النويرى، المصدر السابق، ج 24، ص 197. راجع كذلك: الطالبي محمد، المرجع السابق، ص 500-502، الثعالبي، المرجع السابق، ص 228، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص 74-73.

(2) - أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص 74-73.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

843-849م، على غرار: "كالتا جيروني"، و"مسينا" (Messina)، "لنتيني" (Lentini)،  
"موديكا" (Modica)، و"رغوصة" (raguse)<sup>(1)</sup>.

كما توجهت حملات الفتح بقيادة الفضل بن جعفر نحو قصريانة  
سنة 235هـ/850م، إذ تمكن المسلمون من تحقيق عدة انتصارات خلال  
المواجهات العسكرية التي خاضوها ضد الروم، وغنموا ذخائر كثيرة، وأسلابا  
متلونة<sup>(2)</sup>.

### 3. 9 الفتوح بصقلية في ولاية العباس بن الفضل بن يعقوب (236-

246هـ/851-861م):

تولى العباس بن الفضل ولاية<sup>(3)</sup> بلرم وقيادة الجيوش الاسلامية المرابطة  
لاستكمال فتح صقلية. ولقد تمكن هذا القائد من توسيع نطاق الفتوح  
الاسلامية ليشمل جغرافية الجزيرة الصقلية بأكملها، ويحوز شرف الفاتح  
الحقيقي لهذه الجزيرة، ويُمنَح كذلك منصب حاكم صقلية بعد موافقة الأمير  
الأغلي بافريقية أبو العباس محمد على تعيينه. حيث لم يتوان هذا القائد  
بعد تعيينه على رأس الجيش وإدارة شؤون الجزيرة في شن الغارات وقيادة  
الحملات على المدن والحصون التي لم تُفتح بعد أو استعصى فتحها من قبل  
أو التي استردّها البيزنطيون من المسلمين؛ حيث ضمّ "أنا" (Enna) إلى حظيرة  
الدولة سنة 237هـ/852م، ووجّه أنظاره خلال السنة الموالية صوب الساحل

<sup>(1)</sup>- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص75. وللمزيد من التفصيل، ينظر: الطالبي محمد، المرجع السابق، ص507-508، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص74.

<sup>(2)</sup>- ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص75، النويري، المصدر السابق، ج24، ص198.

<sup>(3)</sup>- كان المشرف على شؤون ولاية صقلية يسمى الوالي، أو الأمير، أو صاحب الولاية. ويتمتع هذا الوالي بصلاحيات واسعة في إدارة شؤون الولاية، ومن ذلك: أنه هو يعلن الحرب، ويعقد الصلح بقرار منه دون الرجوع إلى القيادة الأغلبية بافريقية، وبشرف على توزيع الغنائم والأسلاب، ويأمر بضرب السكة باسمه مع اسم الحاكم الأغلي بافريقية وذلك في مرحلة معينة. راجع ما أورده في هذا الشأن: الجهيني، المرجع السابق، ص09.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

الشرقي للجزيرة حيث هاجم "قطانيا" و"نوتو" و"رغوصة"، وحاصر "بويترا" بضع شهر حتى أخضعها<sup>(1)</sup>. ولم يكتف بما حقق من انتصارات على البيزنطيين، بل تمكن خلال سنة 241هـ/856م من فتح خمسة حصون صقلية، وأفلح في السنة التي تلتها في ضمّ كل من "تورمينا" (Taormina) و"سرقوسة" (سيراكوزا Siracusa) إلى حظيرة الدولة الاسلامية<sup>(2)</sup>.

وبالرغم من أنّ مدينة "قصريانة" ظلت تقاوم المسلمين مدة زمنية تقارب ثلاثين (30) سنة، وصامدة في وجه عمليات الفتح الاسلامي نظير مقومات الحصانة العسكرية التي تحوزها، إلا أن القوات الاسلامية تمكّنت بقيادة العباس بن الفضل من فتحها وإخضاعها لسلطان المسلمين سنة 244هـ/859م. ثم قام هذا القائد ببناء مسجد بالمدينة، ونقل دار الملك إليها بعدما كان في "سرقوسة"<sup>(3)</sup>.

وتستوقفنا الحيل الحربية التي انتهجها هذا القائد لبيسط النفوذ الاسلامي على هذه المدينة الحصينة ففي ضوء ما أبانت عنه النصوص المصدرية أنّ أحد الأسرى الروم الذين قبض عليهم الجيش الاسلامي في غاراته على "قصريانة"، أشار على القائد العباس بن الفضل بطريقة تساعده على دخول المدينة والسيطرة عليها مقابل أن يبقيه حيا ولا يقتله حين أصدر القائد أمرا بقتله. حيث دلّ على نقاط ضعف المدينة، والطرق الآمنة للتسلل إليها، ونّمّه لاستغلال فصل الشتاء لأن القوم آمنون من قصد المسلمين للقلعة في

(1) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص75، النويري، المصدر السابق، ج24، ص198.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص198، الثعالبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص234، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص75.

(3) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص132، النويري، المصدر السابق، ج24، ص198. للمزيد من التفصيل، ينظر: الطالب محمد، المرجع السابق، ص525-530، الثعالبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص234، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص75.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

ظل كثافة الثلوج وقساوة الطقس وبرودته الشديدة. فوثق فيه القائد وأرسل معه الجنود للتسلل إلى عمق المدينة. فأرشدهم إلى أحسن طريق وأفضله، فنصبوا السلالم من جهته، وتمكنوا من تجاوز السور العالي، وفتحوا الأبواب والحراس نيام، وتمكن العباس بن الفضل من دخول المدينة وفتحها. كما أفلح في ردّ الأسطول الذي أرسله ملك الروم لنجدة المدينة، وهزمه، وغنم عددا معتبرا من القطع الحربية المكونة لذلك الأسطول<sup>(1)</sup>.

وبعد ضمّ مدينة "قصريانة" الحصينة لأملاك الدولة الاسلامية، التفت هذا القائد إلى ناحية مدينة "سرقوسة" الحصينة هي الأخرى، وطوّقها بالحصار مدة تسعة شهور، حتى أذعنّت بالطاعة للمسلمين وفتحت أبوابها لهم سنة 264هـ/878م<sup>(2)</sup>. كما تم فتح مدينة "تاورومنيوم" آخر معاقل البيزنطيين في صقلية في بحر سنة 289هـ/902م<sup>(3)</sup>.

### خاتمة:

بفتح مدينة "تاورومنيوم" آخر معاقل البيزنطيين في صقلية في بحر سنة 289هـ/902م، خلا المجال بصقلية للمسلمين وصفا الجو لهم هناك، وضاعت أحلام البيزنطيين في الحفاظ على صقلية بيزنطية نصرانية، وقامت بصقلية دولة الاسلامية أسهمت في نشر حضارة المسلمين وثقافتهم، وباتت مركزا من مراكز الإشعاع الثقافي والفكري خلال أواخر العهد الأغلي بافريقية

(1) - الثعالبي عبد العزيز، المرجع السابق، ص234، الطالب محمد، المرجع السابق، ص525-530، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص76-77.

(2) - النويري، المصدر السابق، ج24، ص198، أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص77، المعموري، المرجع السابق، ص154.

(3) - أبو خليل شوقي، المرجع السابق، ص78-79، الجهيني محمد، المرجع السابق، ص08، المعموري، المرجع السابق، ص154، الزندي مصعب، المرجع السابق، ص36.

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلبي "فتح صقلية أنموذجا"

والفاطمي ببلاد المغرب إلى أن سقطت في يد النورمانديين (Normans): أين أخذ دورها الحضاري يتراجع شيئاً فشيئاً ونجمها الثقافي والفكري الاسلامي يأفل شيئاً فشيئاً إلى أن ودّعت أملاك المسلمين وصارت في يد غيرهم.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### أولاً: المصادر:

1. ابن الأثير أبو الحسن محمد (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، مج2، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، (1407هـ/1987م).
2. ابن بطوطة محمد، تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، المطبعة الخيرية، (1322هـ-1903م).
3. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، ضبطه، خليل شحادة، راجعه، سهيل زكار، بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1421هـ-2000م).
4. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تج، ج. س. كولان وإ. ليثي بروقنسال، ج1، بيروت، لبنان: دار الثقافة، ط3، (1983).
5. البكري أبو عبيد الله بن عبد الله الأندلسي (ت487هـ/1097م)، المسالك والممالك، مج2، تج، جمال طلبة، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، (1424هـ-2003م).

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

6. التجاني أبو محمد عبد الله بن محمد، رحلة التجاني، قدم لها، حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا-تونس: الدار العربية للكتاب، (1981).
7. الحموي ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله الرومي (ت 626هـ/1229م)، معجم البلدان، بيروت، لبنان: دار صادر، (1397هـ-1977م).
8. القلقشندي أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، القاهرة: المطبعة الأميرية، (1333هـ/1915م).
9. النويري شهاب الدين (ت733هـ/1332م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، ج24، تج، عبد المجيد ترحيني، بيروت، لبنان: منشورات دار الكتب العلمية، (1424هـ/2004م).
10. الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي، ط2، (1983).

### ثانيا: المراجع:

11. ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق، محمد زينهم محمد عذب، القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي، ط1، (1408هـ/1988م).
12. أبو خليل شوقي، فتح صقلية بقيادة الفقيه المجاهد أسد بن الفرات، دمشق، سوريا: دار الفكر، (1418هـ/1998م).
13. الجيهيني محمد، صقلية وعمائرهما الاسلامية في العصر الفاطمي، القاهرة، مصر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، (1428هـ/2007م).
14. الثعالبي عبد العزيز، تاريخ شمال افريقيا من الفتح الاسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق، أحمد بن ميلاد ومحمد ادريس، تقديم ومراجعة، حمادي الساحلي، بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي، ط1، (1407هـ/1987م).

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

15. الزيدي مصعب حمادي نجم، "صقلية ودورها في الحروب الصليبية"، مجلة علوم التربية، مج20، ع04، العراق، (2013).
16. الطالبي محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م، تعريب، المنجي الصيادي، مراجعة، حمادي الساحلي، بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي، ط2، (1415هـ/1995م).
17. المعموري محمد عبد الله، "الدولة النورماندية في صقلية دراسة في تاريخها السياسي وعلاقتها الخارجية"، مجلة العلوم الانسانية، ع08، جامعة بابل، العراق، (2011).
18. بوتشيش ابراهيم القادري، الأقلية الاسلامية في صقلية بين الاندماج والصدام وصراع الهوية (484-591هـ/1091-1194م) مساهمة في دراسة تاريخ الأقليات، مكناس، المغرب: كلية الآداب والعلوم الانسانية، (2016).
19. فرحات الدشراوي، "دور الرباط في الحرب البحرية أثناء العهد الوسيط"، أعمال ندوة تاريخ التحصينات بالبلاد التونسية أيام 4 و5 و6 أكتوبر، 1999، تونس: دائرة الاعلام والثقافة، (2001).
20. ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999.
21. مامي محمد ورقاد عماد، الجيش في الإمارة الأغلبية 168-296هـ/800-909م، برج بوعرييج، الجزائر: دار خيال للنشر والترجمة، (2021).
22. محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج2، جامعة تونس: كلية العلوم الانسانية، (1999).

## حروب الفتح الاسلامي لجزر البحر المتوسط خلال العهد الأغلي "فتح صقلية أنموذجا"

---

23. هيصام موسى، الجيش الجزائري في العهد الحمادي (405-547هـ / 1014-1152م)، المدية، الجزائر: منشورات مديرية الثقافة لولاية المدية، (2008).
24. وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي، جامعة حلب، سوريا: منشورات جامعة حلب معهد التراث العلمي العربي، 1416هـ / 1995م).
25. Rachid bourouiba: L'architecture militaire de l'Algérie médiévale, office des publications universitaires l'Algérie.
- 26 . G.S.COLIN: "Burdj", Encyclopidie, nouvelle edition, t1, G,P, Maisonneuve et la Rose, Edition, S.A, Paris, 1975.
27. MERCIER Ernest: L'Afrique septentrionale (bérberie)- Depuis les temps les plusreculés jusqu'àla conquête française (1830), Tome2, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1868.

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع  
إلى القرن العاشر الميلادي

---

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن  
العاشر الميلادي

The Islamic conquest of Sicily between Sunni attempts and  
Shiite domination from the first to the fourth century AH /  
seventh to tenth century AD

أ.د. مريم بوخاوش (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة)

meriem.boukhaouche@yahoo.com

boukhaouche.meriem@ensb.dz

---

ملخص:

يعد الحوض الشرقي للبحر المتوسط أهم المنافذ البحرية المطللة على العالم الإسلامي، خاصة بعد فتح المسلمين لمصر على يدي عمرو بن العاص سنة 18 هـ / 639 م، ومنذ ذلك الحين فكر الفاتحون في محاولة بسط النفوذ، وكسر شوكة البيزنطيين من أجل حماية سواحل البلاد الإسلامية من مخاطر الغزو والاسترداد البيزنطي من جهة، ومواصلة مسيرة الفتح الإسلامي من جهة أخرى.

وقد فكر المسلمون في فتح جزيرة صقلية في مراحل متعددة حسب العصور التاريخية التي مر بها المغرب الإسلامي، والذي حافظ لسنوات طويلة على الوجود السني خاصة في القيروان وما جاورها من مدن المغرب الأدنى،

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

فكانت هناك محاولات زمن الفتح الإسلامي، ثم محاولات بعض ولاة القيروان، بالإضافة إلى جهود الأغالبة في المحافظة على الفتح إلى مجيء العبيديين وسيطرتهم على جميع بلاد المغرب الإسلامي ومن ثم التفكير في السيطرة على جزيرة صقلية وصبغها صبغة شيعية وعليه فإن مشكلة البحث الرئيسية هي: إلى أي مدى ساهمت الفتوحات البحرية في ترسيخ الوجود الإسلامي في جزيرة صقلية؟ وتندرج تحتها العديد من التساؤلات الفرعية أهمها: ما هي المحاولات الأولى لفتح جزيرة صقلية؟ وهل يعتبر اختيار أسد بن الفرات لفتح جزيرة صقلية دعماً لتعزيز الوجود السني فيها؟ وهل سيطرة العبيديين على الدولة الأغلبية يمثل استمراراً لتعزيز الوجود الشيعي في جزيرة صقلية؟

ولعل حروب المسلمين في صقلية بصبغتها السنية والشيعية لها أهمية تاريخية في توضيح القوة البحرية الإسلامية على اختلاف مذاهب سلطتها السياسية.

وتهدف الدراسة إلى بيان قوة المسلمين البحرية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وكذا إبراز الجهود السنية في الفتوحات البحرية الإسلامية، وتقصي حقيقة قوة الغزو البحري العبيدي لجزيرة صقلية.

وسأعتمد في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي بمناهجه المختلفة كالمنهج المقارن خاصة في ذكر الروايات على اختلاف مصادرها (سنية وشيعية)، والمنهج الوصفي والتحليلي من خلال وصف وتحليل أبرز أحداث الفتح ونتائجه كلمات مفتاحية: جزيرة صقلية، الفتح الإسلامي، حوض البحر المتوسط، السنة، الشيعة.

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع  
إلى القرن العاشر الميلادي

---

**Abstract :**

The eastern basin of the Mediterranean sea is considered the most important sea port overlooking the Islamic world , especially after the Muslim's conquest of Egypt at the hands of Amr ibn al –Aas in the year 18 AH /639 AD . Sins then , the conquerors thought about trying to extend influence and break the power of the Byzantines in order to protect the coasts of the Islamic country from the dangers of the one hand , and the continuation of the path of Islamic conquest on the other hand .

The Muslims thought about conquering the island of Scily in various stages according to the historical eras that the Islamic Maghreb passed through , witch maintained for many years the sunni presence, especially in kairouan and the neighboring cities of the Lower Maghreb . There were attempts by some of the gove nis of kairouan in addition to the efforts of the Aghlabids in preserving the conquest , to the coming of the Ubaidids and their control over all the countries of the Islamic Maghreb , and then thinking about controlling the island of Sicily and giving it a Shiite character . Accordingly the main research problem is To what extern did the maritime conquests contribute to consolidating the Islamic presence on the island of Sicily? Many sub-questions fall under it, the most important of which is:

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع  
إلى القرن العاشر الميلادي

---

What were the first attempts to conquer the island of Sicily? Is the choice of Asad bin Al-Furat to conquer the island of Sicily considered a support for strengthening the Sunni presence there? Does the control of the Ubaidids over the majority state represent a continuation of the strengthening of the popular presence on the island of Sicily?

Perhaps the Muslim wars in Sicily, with their Sunni and Shiite overtones, have historical importance in clarifying the Islamic naval power despite the different sects of its political authority.

The study aims to demonstrate the maritime power of Muslims in the eastern basin of the Mediterranean, as well as to highlight the Sunni efforts in Islamic maritime conquests. Investigating the truth about the Ubaid naval invasion of the island of Sicily.

In studying this topic, I will rely on the historical approach with its various approaches, such as the comparative approach in mentioning narratives from their different sources (Sunni and Shiite), and the descriptive and analytical approach by describing and analyzing the most prominent events of the conquest and its results.

**Keywords:** Sicily Island , Islamic conquest , Mediterranean Basin , Sunnah , Shiites .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

مقدمة :

تعد جزيرة صقلية من الجزر القريبة من ديار المسلمين في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، فهي بذلك تحمل خطرا على السواحل الشرقية للدولة الإسلامية في المنطقة، وقد تكون موطننا للاسترداد الصليبي لمستعمراتها في بلاد المغرب، وعليه كانت أولى المناطق التي اهتم المسلمون بفتحها من أجل حماية حدودهم من جهة، واستمرار الجهاد الإسلامي من جهة أخرى، وقد اختلفت تلك الأحداث، وتوالى فيها المعارك البحرية حسب الوقائع السياسية التي كان يعيشها المغرب لاعتباره المدد اعسكري القريب للغزوات البحرية في جزيرة صقلية .

فكيف تجلت صورة ذلك الجهاد البحري والصراع الصليبي الإسلامي في المنطقة، وما هي جملة الفوارق بين تلك الجهود التي عرفت بزعتين مذهبتين مختلفتين سنية وشيعية ؟

أولا : جزيرة صقلية الموقع <sup>(1)</sup> والتسمية:

يفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيق مسينة الضيق، ولذلك فإن الجزيرة امتداد لشبه الجزيرة الإيطالية، كما تقع الجزيرة من الناحية الأخرى على مسافة يسهل عبورها بحرا من شمال إفريقيا حيث توطد الإسلام ديننا ودولة منذ القرن السابع الميلادي، ويمكن تقسيم صقلية إلى ثلاثة أقاليم جغرافية هي: إقليم مازرر Valdi Mazara وإقليم نوطس Valdi Noto وإقليم دمنش <sup>(2)</sup> Val Demone .

<sup>(1)</sup> - أنظر الخريطة في الملحق آخر البحث .

<sup>(2)</sup> - عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة : أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، د . ط. 1980 م، ص : 17.

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنوية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

ذكرها ياقوت الحموي في معجمه بقوله : من جزائر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام، وبين الجزيرة وبر إفريقية مائة وأربعون ميلا، وهي جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار، وذكر في روايات متعددة أن بها ثمانى عشرة مدينة إحداها بلرم<sup>(1)</sup> وأن فيها ثلاثمائة ونيفا وعشرين قلعة، وبها عيون غزيرة وأنهار جارية ونزه عجيبة، وفي وسطها جبل يسمى قصريانة، وهي كثيرة المواشي، وفيها معدن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق وجميع الفواكه، وكلاهما لا ينقطع صيفا ولا شتاء، وكانت قليلة العمارة قبل الإسلام، فلما فتح المسلمون بلاد إفريقية هرب أهل إفريقية إليها فأقاموا فيها فعمروها فأحسنوا عمارتها<sup>(2)</sup>.

أما القزويني فقد جعلها في الإقليم الرابع فقال : " يبتدئ من أرض الصين والتبت ... ورودس وصقلية إلى البحر المحيط من الأندلس"<sup>(3)</sup>، كما وصفها وصفا طبيعيا وجغرافيا ذاكرا أهم المظاهر الطبيعية التي تزخر بها المنطقة والتي جذبت أعين الكثير من زوارها، فيقول على سبيل المثال : " وزعمت الروم أن كثيرا من الحكماء يرحلون إلى جزيرة صقلية للنظر إلى عجائب هذا الجبل واجتماع النار والثلج فيه ... وبها البركان العظيم ليس في الدنيا بركان أشنع منه .. وبها آبار ثلاث يخرج منها من أول الربيع إلى آخره ... وهي مملوءة

(1) - وصفها ابن حوقل بقوله : المدينة الكبرى عليها سور عظيم من حجارة شامخ منيع يسكنها التجار، وفيها مسجد الجامع الأكبر، وكان بيعة للروم قبيل فتحها، وهي مدينة قديمة، وأشهر أبوابها باب البحر وسي بذلك لقربه من البحر. أنظر : ابن حوقل ( أبو القاسم النصيبي )، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د . ط، د . ت، ص : 113 .

(2) - الحموي ( ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله )، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د . ط، 1977 م، ج : 3، ص : 417، وانظر أيضا نفس القول عند القزويني ( زكريا بن محمد بن محمود )، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د . ط، د . ت، ص : 219 .

(3) - نفسه، ص : 287 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

من الخيرات والمياه والأشجار والمزارع والفواكه بها جبل يقال له قصريانة وهو من عجائب الدنيا، على هذا الجبل مدينة عظيمة شامخة وحولها مزارع وبساتين كثيرة<sup>(1)</sup>.

وقد ألهمت هذه الجزيرة العديد من الشعراء لما امتازت به من مظاهر طبيعية، وخيرات اقتصادية، وموقع هام، ومن بين الشعراء الذين تحدثوا عنها شوقا إليها ابن حمديس حيث قال فيها:

ذَكَرْتُ صَقْلِيَّةَ وَالْهَوَى ... يَهِيحُ لِلنَّفْسِ تَذَكَرُهَا  
فَإِنْ كُنْتُ أَخْرَجْتُ مِنْ جَنَّةٍ ... فَإِنِّي أَحْدِثُ أَخْبَارَهَا

ثانيا : صقلية والنشاط الثغري الإسلامي السني ضد الروم :

1 . فتح صقلية في عهد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ( 50 . 90 هـ ):

ارتبط فتح صقلية بفتح بلاد المغرب من قبل ولاة عينهم الخلفاء الأمويون استمرارا لحركة الفتح الإسلامي التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام، ومن خلال التعريفات السابقة لموقع جزيرة صقلية يتبين أمرين هامين أولهما قربها من بلاد المسلمين المفتوحة خاصة بعد وصول عبد الله بن سعد بن أبي سرح<sup>(2)</sup> إلى سبیطلة<sup>(1)</sup> أهم معقل للروم البيزنطيين في إفريقيا، وثانيا الخطر

(1) - نفسه، ص : 220 .

(2) - عبد الله بن سعد: هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن عامر بن لؤي القرشي العامري من قريش الظواهر وليس من قريش البطاح يكنى أبا يحيى، وهو أخ عثمان بن عفان من الرضاعة، أنظر: ابن الأثير (عز الدين)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، نج: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د . ط، د . ت، ج : 3، ص : 260 . 261 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

المحذوق بالأمة الإسلامية، ومكتسبات الفتح الإسلامي، خاصة بعد الانتكاسة البرية لجرجير في إفريقية .

وكان أول من فكر في دخول هذه الجزيرة من المسلمين معاوية بن حديج<sup>(2)</sup>، وكانت الفتوحات الإسلامية قبله تقتصر على المعارك البرية أكثر من المعارك البحرية لأسباب كثيرة، وكثير من المؤرخين نسبوا فتح صقلية لمعاوية بن حديج، وربطوا فتحه هذا بكثرة الغنائم التي حصل عليها، وهذا يدل على صدق المواصفات الجغرافية في وصف هذه الجزيرة، فابن عذاري ذكر أن معاوية بن حديج " أغزى جيشا في البحر إلى صقلية في مائتي مركب فسبوا وغنموا، وأقاموا شهرا، ثم انصرفوا إلى إفريقية بغنائم كثيرة ورقيق وأصنام منظومة بالجوهر، فاقتسموا فيأهم، وبعث معاوية بالخمس إلى معاوية بن أبي سفيان"<sup>(3)</sup>، ومسألة الغنائم وردت في الكثير من المصادر، وهذا ابن عبد الحكم الذي يعتبر

(1) - سببلة : يضم أوله، وفتح ثانيه وياء مثناة من تحت وطاء مكسورة ولام مدينة من مدن إفريقية، وهي كما يزعمون مدينة جرجير بينها وبين القيروان سبعون ميلا . أنظر : ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج : 3، ص 187:

(2) - معاوية بن حديج : معاوية بن حديج بن جفنة بن قنبرة بن حارثة بن عبد شمس بن ماوية بن جعفر بن أسامة بن سعد بن شبيب بن السكون السكوني، وقد قيل الكندي وقيل الخولاني، وقيل التجيبي، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وكان رسوله إلى عمر بن الخطاب يخبره بفتح الإسكندرية، وذهبت عينه في غزوة النوبة مع ابن أبي سرح، صحابي على قول الأكثرين، من الأحاديث التي رواها قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، دخل إفريقية عام 45هـ، كان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية، وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة واحتجوا في ذلك بحديث حدثناه أبي عبد الله عبد الحكم ... للمزيد أنظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج : 5، ص 198-199، ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح : عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، د . ط، د . ت، ج : 1، ص : 137، 138 .

(3) - ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح : ج . س . كولان، إ . ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط : 3، 1983 م، ج : 1، ص : 16، 17 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

كتابه من أقدم المصادر التي وثقت للفتوحات في إفريقية يذكر " أن معاوية بن حديج كان ينفل في الغزو فقال لم أر أحدا صنعه غير ابن حديج نفلنا بإفريقية النصف بعد الخمس ومعنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين ناس كثير "(1)، وقال أيضا البلاذري : " ثم عزله معاوية وولى معاوية بن حديج، فأقام بها سنين ثم غزا فغنم "(2).

ذكر البلاذري أيضا في سياق حديثه عن " فتح جزائر في البحر " تفصيلا لفتوحات معاوية بن حديج لجزيرة صقلية، وهذا نص ما قاله عن هذه الغزوة المباركة : " غزا معاوية بن حديج الكندي أيام معاوية بن أبي سفيان صقلية، وكان أول من غزاها، ولم تزل تغزى بعد ذلك ... وقال الواقدي سبى عبد الله بن قيس بن مخلد صقلية فأصاب أصنام ذهب وفضة مكللة بالجواهر فبعث بها إلى معاوية فوجه بها معاوية إلى البصرة لتحمل إلى الهند، فتباع هناك ليثمن بها "(3).

ووجدت رواية عند صاحب كتاب " المؤنس "، لكنه لم يذكر أن الغزوة كانت بقيادة معاوية بن حديج، بل بعثة من بعثاته، وهذا واضح في جميع المصادر التي توقفت عند مسألة أن معاوية كان يرسل البعثات الاستكشافية قبل الفتح المباشر فقال: " وأرسل معاوية بن حديج جيشا في البحر في مائتي مركب إلى صقلية ففتحوها وسبوا وغنموا وأقاموا شهرا وانصرفوا بغنائم كثيرة، وبعث معاوية بالخمسة إلى معاوية بن أبي سفيان "(4).

(1) - ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج : 1، ص : 260 .

(2) - البلاذري ( أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر)، فتوح البلدان. تج : عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د . ط، 1987م، ص : 320 .

(3) - المصدر نفسه، ص : 329، ونقل الرواية أيضا ابن عذاري، البيان المغرب، ج : 1، ص : 18 .

(4) - ابن أبي دينار ( أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم )، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط : 1، د . ت، ص : 25 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

وهكذا ركزت المصادر على أن غزو صقلية كان من الغزوات البحرية المباركة التي قام بها ولاة الدولة الأموية السنية، وأجمعوا أقوالهم على أن فتحها كان انطلاقة هامة نظرا للغنائم الكثيرة التي حصلوا عليها من جهة، ولأهمية هذا الفتح في حماية الحدود الشمالية لإفريقية ومكتسبات الفتح من جهة أخرى .

وإن كانت المصادر لم تشر إلى تكرار هذا الغزو في مرحلة الفتح المنظم لأن أغلب الفاتحين اكتفوا ببسط نفوذهم على المناطق الداخلية لبلاد المغرب، لكنهم لم يهملوا في سياق حديثهم عن تفكير الفاتحين في الغزو البحري بدليل أن حسان بن النعمان الغساني اهتم بصناعة السفن البحرية، وجلب ما يقارب مائة أسرة قبطية لتنفيذ مشروعه ذلك، وما هو إلا بداية موفقة للتركيز على ركوب البحر بعد أن كانت أغلب غزوات المسلمين برية، وكان موسى بن نصير قد غير الوجهة العسكرية البحرية إلى الحوض الغربي للبحر المتوسط ففتح الأندلس<sup>(1)</sup>، ويشير الرقيق إلى أن موسى بن نصير عقد لولده عبد الله عليها وأمره بالانصراف إلى صقلية، وكانت أول غزوة غزيت في بحر إفريقية فسار عبد الله إلى صقلية فافتتح فيها وأصاب ما لا تدرى قيمته، ثم انصرف قافلا سالما، وكانت تسمى غزوة الأشراف، وعقد بعده لولده لبعض أصحابه على مراكب أخر فوصل سرقوسة والله أعلم بحقيقة ذلك<sup>(2)</sup> .

(1) - مجهول، أخبار مجموعة، ص : 94

(2) - المؤنس، ص : 37 . ولا بد من الإشارة هنا إلى أمرين هامين أولهما أنه ينسب عمل صناعة المراكب وإنشاء قناة تونس إلى موسى بن نصير، والأصح حسان من فعل ذلك، وثانيهما أنه يجعل غزو صقلية من أولى الغزوات وهذا مخالف لما ذكرناه من قبل .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

### 2. فتح صقلية في عهد الولاة ( 96 . 184 هـ ) :

ذكر المؤرخون فتح صقلية في سياق حديثهم عن ولاية يزيد بن أبي مسلم فقال بن عذاري: " فقال له ابنه عبد الله إن يزيد بن أبي مسلم قتل بحضرتك فإن قمت بهذا الأمر اتهمت بقتله، ولكن الرأي أن نتراضى لمحمد بن أوس الأنصاري، وكان غازيا بصقلية، فلم يلبث إلا يسيرا حتى قدم بغنائم قد أصابها فقلدوه أمر إفريقية فكتب إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما حدث من الأمر فاستعمل على إفريقية بشر بن صفوان"<sup>(1)</sup>.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن البربر رغم أنهم خرجوا على الوالي يزيد بن أبي مسلم إلا أن الفكر الخارجي لم يظهر للعلن بعد، بل كان المغرب حكمه مذهبيا سنيا بشهادة ابن الأثير في روايته التي نقلها عن الطبري قبله قائلا: " لم يزل أهل إفريقية من أطوع أهل البلد وأسمعهم إلى زمن هشام حيث دب إليهم أهل العراق (الخوارج) فاستثاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم .."<sup>(2)</sup>، إلا أن الرقيق أشار أن الذي قتله من الخوارج في قوله: " وقيل إن الذي قتله من الخوارج"<sup>(3)</sup>.

شارك العديد من الولاة في استمرارية مشروع فتح صقلية، وتوالت الغزوات السنية إلى هذه المنطقة مرات عديدة نكر منها :

أ. حملة عبيدة بن عبد الرحمن السلمي: الذي بعث المستنير بن الحارث غازيا إلى صقلية فأصابهم ريح فأغرقتهم وسلم المركب الذي به المستنير وألقته

(1) - ابن عذاري، المصدر السابق، ج : 1، ص : 49 .

(2) - ابن الأثير، الكامل، مراجعة : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط : 1، بيروت، 1987 م ج : 5، ص : 175 .

(3) - المؤنس، ص : 37 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنوية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

الريح إلى طرابلس فكتب عبيدة إلى عامله بطرابلس يأمره بإمساك المستنير وأن يشد وثاقه، ويرسله إليه ففعل به ذلك وأرسله إلى القيروان، فلما وصل إلى عبيدة طيف به في القيروان وألقاه في السجن، وإنما انتقم من المستنير لأنه أقام بأرض الروم حتى دخل الشتاء واشتدت عليه أمواج البحر حتى عطبت المراكب، ولم يزل محبوسا إلى ولاية عبيد الله بن الحبحاب فأطلقه<sup>(1)</sup>.

ب. حملة عبيد الله بن الحبحاب: عين هذا الوالي لتنظيم شؤون المغرب، وكان أول ما فكر فيه استكمال الفتوحات سيرتها الأولى، فأرسل " حبيب بن أبي عبيدة في البحر غازيا إلى صقلية في سنة 122 هـ، فظفر ظفرا لم ير مثله ونزل على سرقوسة، وهي أعظم مدنها بصقلية فقاتلهم وقاتلوه حتى ضرب بابها بالسيف فأثر فيه فهابته النصرى فأذعنوا بأداء الجزية فأخذها منهم ورجع سالما"<sup>(2)</sup>، وقال عنه ابن عذاري: " فغزا صقلية وظفر بأمر لم ير مثله"<sup>(3)</sup>.

ولا بد من الإشارة في سيرة عبيد الله بن الحبحاب أن أمرا جديدا قد حل ببلاد المغرب ألا وهو بداية ظهور التمدد الإسلامي للعلن، واندلاع الثورات الخارجية<sup>(4)</sup> بقيادة ميسرة المطغري<sup>(1)</sup> رأس الصفرية<sup>(2)</sup> آنذاك، إذ كتب عبيد

(1) - المؤنس، نفسه، ص : 38 .

(2) - المؤنس، نفسه، ص : 39 .

(3) - ابن عذاري، المصدر السابق، ج : 1، ص : 51 .

(4) - الخوارج: كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا وكبار الفرق منهم : المحكمة والأزارقة والنجدات والبهسية والعجاردة والنعالبة والإباضية والصفيرية والباقون فروعهم، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويكفرون أصحاب الكباثر، ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا . ينظر تفاصيل مفرقهم ومعتقداتهم في : ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ط : 2، 1996م، ج : 5، ص : 50 وما بعدها، أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، تج : علي مهنا، علي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط : 3، 1993م، ج : 1، ص : 133 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

الله بن الحبحاب إلى حبيب بن أبي عبيدة يأمره بالرجوع من صقلية ليأخذ في الحركة مع أهل إفريقية إلى ميسرة<sup>(3)</sup>، ولولا ذلك لاستمرت الفتوحات السنية في جزيرة صقلية، ولكانت الغنيمة أكبر.

ورغم اهتمام الخلافة الأموية فيما بعد بالقضاء على الحركة الخارجية في بلاد المغرب فسيرت الجيوش إثر الجيوش بقيادة كل من كلثوم بن عياض القشيري، وحنظلة بن صفوان وغيرهما، إلا أن صقلية ظلت من اهتماماتها فنجد مثلا أن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة أغزى صقلية ثم بعث إلى سردانية فقتل من بها قتلا ذريعا ثم صالحوه على الجزية<sup>(4)</sup>.

(1) - ميسرة المطغري : المعروف بالخفير من أحواز طنجة ومطغرة بطن من بني فاتن بن تامصيت بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأتر، نعته ابن خلدون بقوله : "مقدم الصفرية". وكان تولى الثورة الصفرية ضد عبيد الله بن الحبحاب بطنجة فقتلوا عامله عمر بن عبد الله المرادي، وهو ميسرة البربري ثم المذغري، وهو الذي قام بأمر البربر وادعى الخلافة وتسمى بها ويبيع عليها، ثم أنكرت البربر سيرته وتغيره عما كانوا بايعوه عليه فقتلوه . أنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج : 1، ص : 293 . 294، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، مراجعة : سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، د . ط، 2001 م، ج : 6، ص : 144 . 145، مجهول، أخبار مجموعة في ذكر فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، تح : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط : 2، 1989م، ص : 37، أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، د . ط، د . ت، ج : 1، ص : 49.

(2) - الصفرية : هم أتباع عبد الله بن الصفار، أو زياد الأصفر، أو لصفرة ألوانهم، أو لخلوهم من الدين، وظهروا حينما خالف عبد الله بن الصفار ناعفا بن الأزرق حول مسألة القعدة سنة 65 هـ / 684 م، وهو خلاف فقهي اتخذوا بذلك موقفا وسطا بين الأزارقة المتطرفين والإباضية المعتدلين فلم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد . أنظر : الشهرستاني، الملل والنحل، ص : 123، البغدادي ( أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد )، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح : محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د . ط، د . ت، ص : 90، السلاوي، الاستقصا، ج : 1، ص : 49، محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط : 2، 1985م، ص : 42 .

(3) - نفسه، ص : 52 .

(4) - ابن عذاري، البيان، ج : 1، ص : 61 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

ثالثا. غزو صقلية في عهد الدولة الأغلبية (الشيخ أسد بن الفرات نموذجاً):

أ. سبب تولي الشيخ أسد بن الفرات قيادة الفتح: ذكر المالكي أن زيادة الله الأغلبي<sup>(1)</sup> لما عزم على غزو صقلية نظر في من يكون أصح لهذه الحملة فوجد في شخص أسد بن الفرات أنه الأنسب لتحمل هذه الحملة، ويذكر أن أسداً قال له: "أصلح الله الأمير، من بعد القضاء والنظر في حلال الله وحرامه تعزلي وتوليئي الإمارة؟ فقال له زيادة الله: "إني لم أعزلك عن القضاء فأنت قاض أمير"<sup>(2)</sup>، ولا شك أن تعيين أسد بن الفرات يوضح طبيعة هذه الحملة، ذلك أن الكثير من الباحثين جعلوا أهداف الحملة القرصنة أو مجرد حرب توسعية ذات أهداف اقتصادية، وأنه لم يكن فتحاً منظماً بقدر ما كان عملية سلب ونهب، فاختيار أسد بن الفرات على رأس الحملة يدل على الطبيعة الجهادية لها، ثم إن الاستشارة التي قام بها زيادة الله الأغلبي حول هذه القضية وتدخل القضاة فيها دليل على اتجاهها الديني.

ويضاف إلى ما سبق الفتوى التي أصدرها الشيخ أسد بن الفرات في جواز العبور إلى صقلية، إذ يذكر بعض المؤرخين أنه كانت هناك هدنة بين المسلمين والبيزنطيين، وأن الأغلبية قرروا نقض هذه الهدنة، وقد أفتى لهم أسد بن الفرات بابطالها، وهذا ما جعل زيادة الله الأغلبي يفكر في منحه غزو صقلية، قال سليمان بن عمران: "كنت حضرت في أيام أبي العباس في هدنة صقلية، وقد جمع شيوخ القيروان ووجوههم، وكنت فيمن حضر، فكتب بين يديه كتاب الهدنة، وقرئ على جماعة من الناس وكان فيه: إن من نحل إليهم من

(1) - عزيز أحمد، المرجع السابق، ص: 9 وما بعدها.

(2) - المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، تج: بشير البكوش، مرا: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1، 1983 م، ط: 2، 1994 م، ج: 1، ص: 271.

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

المسلمين، وأراد أن يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم، فلما قدم فيمه الرومي في هذه الهدنة أيام زيادة الله رفع إليه أن عند الروم أسارى من المسلمين، فجمع زيادة الله الناس وأحضر أسدا وأبا محرز، وسألهما عن ذلك، فقال أبو محرز: " نستأني في هذا الأمر حتى يتبين "، وأما أسد فقال نسأل رسلهم عن ذلك فقال أبو محرز: وكيف نقبل قول الرسل عليهم أو دفعهم عنهم، فقال أسد: بالرسل هادناهم، وبالرسل نجعلهم ناقضين، قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾<sup>(1)</sup>، فكذا لا تتماسك به ونحن الأعلون، قال فأمر يومئذ زيادة الله بالغزو إليها، فسارع أسد إلى الخروج.

ب. أسباب الغزوة: يذكر ابن الأثير أن سبب إنفاذ الجيش الذي بعث به زيادة بن الأغلب أمير الدولة الأغلبية أن ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقا اسمه قسطنطين سنة إحدى عشر ومائتين، فلما وصل إليها استعمل على جيش الأسطول إنسانا روميا اسمه فيبي، كان حازما شجاعا فغزا إفريقية، وأخذ من سواحلها تجارا، ونهب وبقي هناك مديدة، ثم إن ملك الروم كتب إلى قسطنطين يأمره بالقبض على فيبي مقدم الأسطول وتعذيبه، فبلغ الخبر فيبي، فسار في مراكبه إلى صقلية واستولى على مدينة سرقوسة، فسار إليه قسطنطين فالتقوا واقتتلوا، فانهزم قسطنطين إلى مدينة قطنانية فسير إليه فيبي جيشا فهرب منهم، فأخذ وقتل وخوطب فيبي بالملك، واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلا اسمه بلاطة، فخالف على فيبي، وعصى واستولى على مدينة سرقوسة، فركب فيبي ومن معه في مراكبهم إلى إفريقية وأرسل إلى الأمير زيادة الله يستنجده ويعدده بملك جزيرة صقلية<sup>(2)</sup>.

(1) - الآية 139، سورة: آل عمران .

(2) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج: 5، ص: 436 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

وفي مقابل الصراع القائم بين أفراد الحكم البيزنطي، فإن الأوضاع السياسية في عهد الدولة الأغلبية لم تكن مستقرة أيضا بسبب كثرة النزاعات والفتن، مما أدى إلى تفكير الأغلبية بإرسال تلك الشحنات الغاضبة إلى خارج الدولة الأغلبية، إذ يذكر ابن عذاري المراكشي أن الجند الأغلب كان يثور على زيادة الله الأغلب، ويتحين الفرص لذلك<sup>(1)</sup>.

- تهديدات البيزنطيين ففي سنة 212 هـ شن فيمي قائد أسطول صقلية . بتحريض من الامبراطور . غارة على شواطئ إفريقية، وتمكن من اختطاف عدد من التجار المغاربة<sup>(2)</sup>.

- سوء أوضاع صقلية الداخلية، بحيث ساعد الأغلبية على فتح هذه الجزيرة ما وصلت إليه أحوالها من فساد واضطراب، ذلك أن العمال البيزنطيين بالجزيرة أسرفوا في استغلال مواردها دون عناية بأحوال السكان فأجذبت الأرض وكسدت التجارة والصناعة، وانهارت الأحوال الاجتماعية<sup>(3)</sup>.

ج. وقائع الحملة: في ربيع الأول من عام 212 هـ أقفلت الحملة من ميناء سوسة متجهة إلى صقلية، وألقت مراسمها بمدينة مازر، حيث التقت بالجيش البيزنطي بقيادة بلاطة، وقد خرج معه أشرف إفريقية من العرب والجند والبربر والأندلسيين وأهل العلم والبصائر، وأمر زيادة الله أن لا يبقى أحد من رجاله إلا شيعه، فركب أسد في جمع عظيم، فلما رأى جمع الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقد صهلت الخيول، وضربت الطبول، ونشرت

(1) - ابن عذاري، البيان، ج: 1، ص: 201.

(2) - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج: 5، ص: 181. محمود إسماعيل، الأغلبية سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط: 3، 2000 م، ص: 145.

(3) - ابن الأثير، المرجع السابق، ص: 146.

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

البنود قال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم قال : والله يا معشر الناس ما ولي لي أب ولا جد ولا ولاية قط، ولا رأى أحد من سلفي مثل هذا قط، وما رأيت ما ترون إلا بالأقلام فأجهدوا أنفسكم، وأتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه، وثابروا عليه، واصبروا على شدته فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة "

ووصل الجيش الأغليبي إلى مدينة مازر من صقلية فساروا إلى بلاطة الذي قاتل فيمي، فلقيهم جمع للروم فقاتلهم المسلمون وأمروا فيمي ومن معه أن يعتزلوهم، واشتد القتال بين المسلمين والروم فانهزمت الروم وغنم المسلمون أموالهم ودوابهم، وهرب بلاطة إلى قلورية فقتل بها.

ويقال أن أسدا لما وصل إلى صقلية زحف إلى بلاطة ملك صقلية في خلق عظيم، يقال إنه كان في مائة وخمسين ألفا، وكان أسد بن الفرات في يده اللواء، وهو يزمزم فحملوا عليه، وأقبل على قراءة يس فلما فرغ منها قال للناس : " هؤلاء عجم الساحل، هؤلاء عبيدكم، لا تهابوهم، وحمل باللواء وحمل الناس معه فهزم الله عز وجل بلاطة وأصحابه، فلما انصرف أسد رأيت والله أعلم الدم قد سال مع قناة اللواء مع ذراعه حتى صارت تحت إبطه<sup>(1)</sup>.

ومن شدة البلاء الذي أصاب المسلمين في صقلية، تتجلى صورة الصبر التي اتصف بها المسلمون في حرب أعدائهم، فرغم قساوة الأمر إلا أن ذلك لم يثبط عزيمة المسلمين في الزحف، وتحقيق النصر، وفي هذه الأثناء تتضح معالم شخصية أسد بن الفرات القيادية التي لم تستسلم للهزيمة رغم العراقيل التي كانت تعصف بالحملة، فمن شدة حماسه في هذه الحملة ما روي عن رفضه التراجع بسبب المحنة التي أصابت المسلمين إذ يذكر المالكي " أن الناس

(1) - المالكي، رياض النفوس، ج : 1، ص : 272 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنوية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

أضرهم في صقلية الجوع حتى أكلوا لحم الخيل فمشى الناس إلى ابن قادم فمضى إلى أسد وقال له : ارجع بنا إلى إفريقية، فإن حياة رجل مسلم أحب إلينا من أهل الشرك كلهم، فقال له أسد : " ما كنت لأكسر غزوة على المسلمين، وفي المسلمين خير كثير"، فقاتل الروم قتالا شديدا حتى قتلهم وهزمهم واستأصلهم<sup>(1)</sup>.

استولى المسلمون على عدة حصون من الجزيرة، ووصل إلى قلعة تعرف بقلعة الكراث، وقد اجتمع إليها خلق كثير فخدعوا القاضي أسد بن الفرات أمير المسلمين وذلوا له، فلما رأهم فيعي، مال إليهم، وراسلهم أن يثبتوا، ويحفظوا بلدهم، فبذلوا لأسد الجزية، وسألوه أن لا يقرب منهم، فأجابهم إلى ذلك، وتأخر عنهم أياما، فاستعدوا للحصار، ودفعوا إليهم ما يحتاجون إليه فامتنعوا عليه، وناصرهم الحرب، وبث السرايا في كل ناحية، فغنموا كثيرا، وافتتحوا عمراننا كثيرة حول سرقوسة، وحاصروها برا وبحرا، ولحقته الأمداد من إفريقية فسار إليهم والي بلرم في عساكر كثيرة فخندق المسلمون عليهم وحفروا خارج الخندق حفرا كثيرة فحمل الروم عليهم، فسقط في تلك الحفر كثير منهم، وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات<sup>(2)</sup>، فتوفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومائتين<sup>(3)</sup>.

ولم تتوقف الحرب في صقلية بموت أسد بن الفرات بل استأنفت من جديد بقيادة محمد بن أبي الجواري، ولكن الوباء ثبط من عزيمتهم وقرروا رفع الحصار

(1)- المالكي، المرجع السابق، ص : 273 .

(2)- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج : 6، ص : 335 .

(3)- ابن العماد ( شهاب الدين أبو الفلاح عبد العي بن أحمد بن محمد العسكري الحنيلي الدمشقي )، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق : عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، د . ط، بيروت، د . ت، ج : 3، ص : 60 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنوية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

عن سرقوسة، والإقلاع إلى إفريقية، لكن مراكب البيزنطيين اعترضت سبيلهم فساروا صوب داخل الجزيرة، واحتلوا ميناو، ثم استولوا على جرجنت، ووصوا إلى قصريانة، وتولى الأمر من بعده زهير بن الغوث<sup>(1)</sup>.

ومن جملة الأخبار في فتوحات الأغالبة في جزيرة صقلية ما قام به إبراهيم بن عبد الله بن الأغلب الذي عينه زيادة الله الأغلب أميراً عليها فخرج في منتصف رمضان، وبعث أسطولاً فلقى أسطولاً للروم فغنمه وقتل من كان فيه .

كما وجهت فتوحات في عهد أبي عقاب الذي بعث سرية إلى صقلية سنة 224 هـ فغنموا وعادوا ظافرين، وتكررت العملية سنة 225 هـ و 226 هـ و 244 هـ ومن جملة المدن التي سيطروا عليها قلورية وقصريانة، حتى ذكر أن الخليفة المتوكل نال من غنائم فتحها<sup>(2)</sup>.

### رابعا. صقلية والنشاط البحري الشيعي:

أ. بوادر السيطرة الشيعية على جزيرة صقلية: قامت الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي سنة 297 هـ، وكان قيامها راجعا لعاملين مهمين : العامل الديني ممثلا في الدعوة الشيعية، التي عمل على ترسيخها دعاة مهرة<sup>(3)</sup>،

(1) - عزيز أحمد، المرجع السابق، ص : 16 . 15 .

(2) - ابن خلدون، العبر، ج : 4، ص : 255 . 256 . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أواصر العلاقة الرابطة بين الدولة الأغلبية والخلافة العباسية، والتعاون السني القائم بين الطرفين في تمكين الفتوحات الإسلامية واستمرارية سيرتها الأولى .

(3) - يرجع أصل الدعوة إلى اليمن وبالتحديد إلى داعيتها ابن حوشب الذي سعي بمنصور اليمن، والذي بعث داعيتين هما أبو سفيان نزل مدينة مرماجنة، وأما الثاني فكان يعرف بالحلواني، وأنه تقدم حتى وصل سوجمار فزل منه موضعا يقال له الناظور . أنظر: القاضي النعمان، تاريخ افتتاح الدعوة، تحقيق : فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، وديوان المطبوعات الجامعية، تونس، الجزائر، ط : 2، 1986 م، ص : 26 . 27 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

وخاصة منهم أبا عبد الله الشيعي<sup>(1)</sup> الذي عمل على بسط النفوذ الشيعي في كامل بلاد المغرب، وهياً الأرضية لإمامه عبيد الله المهدي، وعامل عصبي ممثلاً في عصبية قبيلة كتامة<sup>(2)</sup>.

ولا شك أن كل المؤرخين أجمعوا على ذكر الحروب التي شنها العبيديون ضد الدويلات القائمة في بلاد المغرب على اختلاف أصولها ومذاهبها ومعتقداتها، فسقطت الدولة الرستمية الإباضية، ودولة بني مدرار الصفرية، لتتلوها صراعات عسكرية مع الأغالبة زعماء المذهب السني في القيروان وما جاورها من مدن<sup>(3)</sup>.

وعليه فإن اهتمام الدولة الفاطمية بالجانب العسكري كان راجعاً بالدرجة الأولى إلى تمكين المذهب الشيعي والسيطرة على جميع الأقاليم من أجل توحيد الدولة على مذهب واحد وهذا يتجلى من خلال سياستها التوسعية " وكان للتنظيم الحربي نصيب من عناية الفاطميين، فقد رأوا أنهم بحاجة إلى جيش قوي يحمي دولتهم ويساعدهم على امتداد نفوذهم في أراضي الدولة الإسلامية،

(1) - أبو عبد الله الشيعي : بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي من أهل صنعاء، وقد سار إلى بن حوشب النجار وصحبه بعدن، وصار من كبار أصحابه، وكان له علم ودهاء وفهم ومكر... خرج إلى مكة وسأل عن حجاج كتامة فاجتمع بهم وخرج معهم يريد مصر... فلما أراد وداعهم قالوا له : أي شيء تطلب بمصر؟ فقال أطلب التعليم بها، قالوا : إن كنت تقصد هذا فيبلادنا أنفع لك ... فسار معهم . للتفصيل أكثر أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج : 6، ص : 450 وما بعدها .

(2) - كتامة : ينسبهم بن خلدون إلى كتام بن برنس، ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير ... موطنهم بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غرباً إلى جبل أوراس من ناحية القبلة، وبين ديارهم ومجالات تقلبهم مثل : إيكجان وسطييف وبغااية ... وميلة وقسنطينة والقل وجيجل ... يعتقد النسابة أن جميع بطون كتامة ترجع إلى فرعين أساسيين هما غرسن بن كتام وسودة بن كتام .. للمزيد أنظر: ابن خلدون، العبر، ج : ص : موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري . 11 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د . ط، 1979 م، ص : وما بعدها .

(3) - راجع هذه الصراعات السنية الشيعية والخارجية الشيعية في : ابن عذاري، البيان، ابن خلدون، العبر، ابن الأثير، الكامل .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنوية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

كما اهتموا بإنشاء أسطول لصد الأعداء الذين يغيرون على دولتهم من ناحية البحر، وليكون عوناً لقواتهم البرية"<sup>(1)</sup>.

وقد أشار بن خلدون إلى اهتمام الفاطميين بالحركة البحرية في سياق حديثه عن مدينة المهديّة<sup>(2)</sup> فقال: " ثم أمر أن يبحث في الجبل داراً<sup>(3)</sup> لإنشاء السفن تسع مائة سفينة، وبحث في أرضها أهراء للطعام، ومصانع للماء، وبني فيها القصور والدور فكمّلت سنة ست "

كما بذلت الدولة جهوداً في تحقيق نشأة أسطولها الحربي " فتنوعت السفن الحربية التي يتكون ومنها الشواني (جمع شيني أو شوني)<sup>(4)</sup> التي امتازت بأبراج الدفاع والهجوم، واحتوت على أهراء لخزن القمح، وصهاريج لخزن الماء العذب، وأيضاً الحراريق (جمع حراقة)، وهي من المراكب الحربية الكبيرة المخصصة لمهاجمة سفن العدو بالنفط الذي يرمي بالمجانيق والسهم "

(1) - محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، د . ط، د . ت، ص : 128 .

(2) - المهديّة : خرج المهدي بنفسه يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة، وكان يجد في الكتب خروج أبي يزيد النكاري على دولته، فلم يجد موضعاً أحسن من موضع المهديّة وهي جزيرة متصلة بالبركينة كف متصلة بزند فيناها وجعلها دار ملكه، وجعل لها سورا محكما، وأبواباً عظيمة زنة كل مصراع مائة قنطار وكان ابتداء بنائها في يوم السبت لخمس خلون من ذي القعدة سنة 303 هـ، وكان يأمر الصناع بما يعملون، وأمر أن تقر دار الصناعة في الجبل مائة شيني . أنظر: ابن خلدون، العبر، ج : 4، ص : 450، المقريزي ( تقي الدين أحمد بن علي )، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تج : جمال الدين الشيال، القاهرة، د . ط، 1996 م، ج : 1، ص : 70 .

(3) - وذكر صاحب الخطط اهتمام الدولة العبيدية بالمسائل الحربية البحرية عنايتهم الفائقة في صناعة الأساطيل، ذكراً أن الدولة العبيدية اهتمت بإنشاء دار الصناعة، وهو اسم لمكان قد غدا لإنشاء المراكب البحرية، وقد عنيت الدول الإسلامية بإنشاء الأساطيل، وكان أكثرها عناية بها الدولة الفاطمية . أنظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تج : محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط : 1، 1998 م، ج : 3، ص : 397 .

(4) - الشيني جمع شواني، وهو السفينة الحربية، أنظر: نفسه، ج : 1، ص : 70 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

ومع ظاهرة ضعف الأساطيل الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس، فقد بقي البحر الأبيض المتوسط حتى فترة طويلة بمثابة البحرية الإسلامية بسبب قوة البحرية الفاطمية، ونشاط مسلمي بلاد المغرب وصقلية ضد جنوب إيطاليا<sup>(1)</sup>.

ولا شك أن للحركة التوسعية الفاطمية نحو الشرق والغرب له علاقة بمبادرة هذه الدولة بغزو جزيرة صقلية التي اعتبرتها منذ سقوط الإمارة الأغلبية منطقة تابعة لها " فغداة دخول الداعي رقادة أقر عامل الجزيرة القديم علي بن أبي الفوارس، وأمره بالغزو في البر والبحر وخص جزيرة صقلية في كتاب الأمان الذي منح لأهل إفريقية "<sup>(2)</sup>.

ومما يدل على محاولة الدولة العبيدية السيطرة على ممتلكات الدولة الأغلبية السنية، أن هذا الوالي كان قد انحاز إلى الدعوة الفاطمية كان قد عزل وتزعم الفئة المناصرة للفاطميين على الفئة المناصرة للأغلبية، واعتقلت الوالي أحمد بن أبي الحسين، وقد أقر المهدي عبيد الله الفاطمي علي بن أحمد واليا إلا أنه لم يلبث أن عزل واستبدل سنة 910م بأحد رجال الفاطميين الأكثر إخلاصا هو الحسن بن أحمد المعروف بابن أبي خزير وتلا القاضي الجديد اسحاق بن أبي المناهل اسم المهدي في الخطبة في بلرم وبذلك توطد الحكم الفاطمي الشيعي في صقلية عمليا ونظريا<sup>(3)</sup>. والرواية نفسها وردت في مصادر متعددة تدل دلالة قاطعة أن اجتياز العبيديين لجزيرة صقلية خاصة في بداية عهد الدولة العبيدية كان ناجما عن صراع مذهبي، ومحاولة لتثبيت المذهب الشيعي فيها كما فعلت في بلاد المغرب، والرواية تنص على أنه " لما بلغ أهل

(1) - موسى لقبال، المرجع السابق، ص : 388 .

(2) - نفسه .

(3) - ابن الأثير، الكامل، ج : 8، ص : 403، صقلية الإسلامية، ص : 32، ابن عذاري، البيان المغرب، ج : 1، ص : 168 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

صقلية ما أحرزه أبو عبد الله الشيعي من نصر على الأغالبة ثاروا على والمهم السني الحسن بن رباح وولوا بدله علي بن أبي الفوارس سنة 296هـ وكتبوا إلى داعي الفاطميين يطلبون منه أن يقرهم على ما فعلوه فأجاب طلبهم<sup>(1)</sup>.

ومن خلال رواية ابن الأثير يتبين الصراع المذهبي على جزيرة صقلية ومحاولة السيطرة الشيعية على المنطقة فقد ذكر في عنوان مهم " ذكر طاعة أهل صقلية للمقتدر وعودهم إلى طاعة المهدي العلوي "، وسنأخذ من هذه الرواية الأقوال التالية : أن المهدي استعمل علي بن عمر على صقلية فلما ولما كان شيخا سنيا لم يرض أهل صقلية بسيرته فعزلوه وولوا على أنفسهم أحمد بن قرهب، فلما ولي سير سرية إلى أرض قلورية، فغنموا منها وأسروا من الروم وعادوا، وأرسل سنة 300 هـ ابنه عليا إلى قلعة طبرمين المحدثه في جيش وأمره بحصرها ... ودعا أحمد بن قرهب الناس إلى طاعة المقتدر فأجابوه إلى ذلك فخطب له بصقلية وقطع خطبة المهدي<sup>(2)</sup>.

ومن هنا تتجلى صورة الصراع المذهبي على ولاية صقلية بين المذهبين السني والشيعي، ولمحاولة الدولة الفاطمية بسط سيطرتها على صقلية وردها على تجاوزات هذا الوالي على حدودها في سواحلها البحرية، قد أمر المهدي بالقضاء عليه " فأخذه أسيرا سنة 300 هـ وحبسوه وأرسلوه إلى المهدي واستعمل على صقلية أبا سعيد موسى بن أحمد وسير معه جماعة كثيرة من شيوخ كتامة فوصلوا إلى طرابنش، وسبب إرسال العسكر معه أن بن قرهب كان قد كتب إلى المهدي يقول له : إن أهل صقلية يكثرون الشغب على

(1) - ابن خلدون، العبر، ج : 4، ص : 207 .

(2) - ابن الأثير، الكامل، ج : 6، ص : 475 .

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنوية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

أمراءهم ولا يطيعون وينهبون أموالهم، ولا يزول ذلك إلا بعسكر يقرهم ويزيل  
الرياسة عن رؤسائهم ففعل المهدي ذلك ... فانهم أهل صقلية" (1).

ومر على صقلية الحكم العبيدي في صراعه المذهبي، فقد ذكر المقرئ أيضاً  
" أن أهل صقلية خالفوا على المهدي فأنفذ إليهما، وقتل من أهلها" (2) وهذا  
بعد قتل أبي عبد الله الشيعي واستقام الأمر لعبيد الله المهدي، ولا شك أن  
صقلية كانت تتأثر أيضاً بالأحداث الحاصلة في إفريقية .

وإن عرفت صقلية وجهاً من السيطرة الترهيبية الشيعية، إلا أنها في الوقت  
ذاتها كانت من اهتمامات الأئمة العبيديين في النفقة والإكرام ونورد على ذلك  
ما نقله المقرئ أيضاً أنه " في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ... كاتب عماله  
وولاته من لدن برقة (3) إلى أقصى سجلماسة (4)، وما بين ذلك وما حوته مملكته  
إلى جزيرة صقلية وما والاها في حضر وبدو ولحرو وسهل وجبل ... فكان من

(1) - ابن خلدون، العبر، ج : 4، ص : 49 .

(2) - المقرئ، اتعاظ الحنفاء، ج : 1، ص : 68 .

(3) - برقة : مدينة كبيرة بين الاسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال افتتحها عمرو بن العاص سنة  
إحدى وعشرين، وفيها آثار للأول ... وهي أول منبر ينزلها القادم من ديار مصر إلى القيروان، ولها كور عامرة، وهي  
برية بحرية . ذكرها الزهري في الصقع الأول بإفريقية، وقال عنها ياقوت الحموي أنه يحيط بها البرابر من كل  
جانب، ولها ساحل يقال له اجية . أنظر: الحميري، الروض المعطار،، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،  
ط : 1، 1985م، ص : 113، 114، الزهري ( أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)، كتاب الجغرافية، تح : محمد حاج  
صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د . ط، د . ت، ص : 107، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج : 1،  
ص : 288 . 389 .

(4) - سجلماسة : مدينة محدثة، بنيت سنة أربعين ومائة، أسسها مدرار بن عبد الله، ولها 12 باباً وبساتين كثيرة،  
وبسجلماسة كان قيام الدعوة العبيدية وإخراج أبي عبد الله الشيعي لعبيد الله المهدي من سجن اليسع بن  
مدرار، وهي مدينة حسنة الموضوع جلييلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل ولها نخيل  
وبساتين حسنة وأجنة ... للمزيد أنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص :  
305 . 306، ابن حوقل، صورة الأرض، ص : 92.

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

جملة المنفق في ذلك معا حمل إلى جزيرة صقلية وحدها من المال خمسون حملا من الدنانير كل حمل عشرة آلاف دينار<sup>(1)</sup>.

ب. فتوحات العبيديين في جزيرة صقلية: مر على الدولة العبيدية العديد من الأئمة قبل لجوئهم إلى مصر وبعده، وكان لبعضهم نصيب في المشاركة في فتح جزيرة صقلية، وقد أشار صاحب كتاب افتتاح الدعوة الطابع الجهادي للدولة العبيدية، واهتمامها بجزيرة صقلية في نص جاء فيه ما يلي: " وأنتم معشر أهل جزيرة صقلية أحق بما أوليته بالمعروف والإحسان وأزديته وأولى به وأقرب إليه لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة الظالمين، وسوف أملاً إن شاء الله جزيتركم خيلا ورجالا من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيعز الله الدين والمسلمين، وينزل بهم الشرك والمشركين والحوّل والقوة لله العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل"، فلما قرئت كتبه في البلاد أمن أهلها واطمأنوا وسكنوا وشكروا، وهدأت روعتهم، وأتوه وفودا من كل بلد يشكرون له، ويهنئونه ورأوا من عدله ورفقه وحسن سياسته ما زادهم غبطة وسرورا<sup>(2)</sup>.

ومن أعمال أئمة الفاطميين في الحروب البحرية في جزيرة صقلية ما قام به المهدي إذ بعث سنة 322 هـ جيشا في البحر مع يعقوب بن إسحاق فعاث في نواحي جنوة ورجعوا، ثم بعث جيشه من قبل ففتحوا مدينة جنوة ومروا بسردانية فأحرقوا فيها المراكب وانصرفوا<sup>(3)</sup>.

(1) - محمد بن عبد المنعم الحميري، المرجع السابق، ص: 95.

(2) - القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 2، 1986 م، ص: 257.

(3) - ابن خلدون، العبر، ج: 4، ص: 265.

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

وفي عهد المنصور كانت فتنة أبي يزيد<sup>(1)</sup>، فلما انقضت عهد المنصور على صقلية للحسن بن أبي الحسن الكلي من صنائعهم ووجوه قواده، وكنيته أبو الغنائم، وكان له في الدولة محل كبير وفي مدافعة أبي يزيد عناء عظيم فولى الحسن بن علي على صقلية وركب البحر إلى مآزر وأرسي بها فلم يلقه أحد منهم<sup>(2)</sup>.

أما على الجانب الرومي فقد أعطى الروم أهمية لهذه الغزوة إذ وصف ابن خلدون دفاعهم بكثرة الجيوش التي أرسلوها لدرجة أن هذا الوالي بعث يستنجد الإمام الفاطمي فقال: وبعث ملك الروم بطريقا في البحر في عسكر كبير إلى صقلية، واستمد الحسن بن علي المنصور فأمدته بسبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف وخمسمائة راجل، وجمع الحسن من عنده، وسار برا وبحرا، وبعث السرايا في أرض قلورية ونزل على أبراجه فحاصرها، وزحف إليه الروم وصالحه على مال أخذه، وزحف إلى الروم ففروا من غير حرب<sup>(3)</sup>.

كما شهدت صقلية غزوات بحرية في عهد الإمام المعز، وكان القائم على الحرب فيها أحمد بن الحسن حيث أمره المعز بفتح القلاع التي بقيت للروم في صقلية فغزاها وفتح طرمين وغيرها سنة إحدى وخمسين، وأعيته رمطة فحاصرها وجاءها من القسطنطينية أربعون ألفا مددا، وبعث أحمد<sup>(4)</sup> يستمد المعز فبعث إليه المدد بالعساكر والأموال مع أبيه الحسن، وفي هذه المعركة

(1) - أنظر تفاصيلها في: اتعاظ الحنفا، ج: 1، ص: 75 وما بعدها.

(2) - ابن خلدون، العبر، ج: 4، ص: 265.

(3) - نفسه.

(4) - أحدث في مدينة بلرم حسب ابن حوقل بابا لشكوى أهل هذه الناحية بعد مخرجهم فعمله على نشز مطل على مهر وعين تدعى عين شفاء وبها يعرف هذا الباب. أنظر صورة الأرض: ص: 116.

## الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي

هزم الروم وتبعهم المسلمون بالقتل وامتألت أيديهم بالغنائم والأسرى والسبي وفتحوا رمطة عنوة وغنموا ما فيها<sup>(1)</sup>.

خاتمة :

توصلت من خلال هذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- يعود الفضل الأول في دخول المسلمين إلى جزيرة صقلية إلى الصحابة الفاتحين وعلى رأسهم معاوية بن حديج السكوني الذي اتفقت المصادر على كونه أول من دخل صقلية غازيا وغانما من المسلمين .

- توالى انتصارات المسلمين في جزيرة صقلية في عهد الولاة الذين أكملوا مسيرة الجهاد الإسلامي، والأسماء والوقائع والانتصارات كثيرة، هذا وإن دلت على شيء فإنما تدل على أن الحملات الجهادية لم تنقطع بنهاية فتح المغرب والأندلس، ورغم العراقيل الكثيرة التي تسبب فيها الخوارج في عرقلة مسيرة الفتح الإسلامي .

- أكبر الانتصارات في جزيرة صقلية حققها الأغالبة في مواقع كثيرة، وأشهر تلك الحملات صيتا حملة أسد بن الفرات لما حملته من دلائل دينية وروحية.

- سقوط دولة الأغالبة وبداية دولة العبيديين في بلاد المغرب الإسلامي، كان يتسم بالنزعة المذهبية بالدرجة الأولى، لذلك كان اللجوء العبيدي إلى جزيرة صقلية استكمالاً للسياسة السلطوية للمذهب الشيعي في المنطقة بدليل استبدال ولائها السنين بولاة شيعيين يحملون الولاء للمذهب الشيعي، ومع مرور الوقت عملت الدولة العبيدية على تمكين سيطرتها البحرية على جزيرة صقلية فكان لأئمتها دور في بعض المعارك البحرية الفاصلة في المنطقة .

(1) - ابن خلدون، العبر، ج : 4، ص : 265 .

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع  
إلى القرن العاشر الميلادي

ملحق

خريطة توضح موقع جزيرة صقلية



الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع  
إلى القرن العاشر الميلادي

---

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

1. المصادر :

- (1) . ابن أبي دینار ( أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم )، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط : 1، د . ت .
- (2) . ابن الأثير، الكامل، مراجعة : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط : 1، بيروت، 1987 م ج : 5 ، ص : 175.
- (3) . ابن الأثير ( عز الدين )، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د . ط، د . ت .
- (4) . ابن العماد ( شهاب الدين أبو الفلاح عبد العلي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي )، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق وتعليق : عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، د . ط، بيروت، د . ت .
- (5) . ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار الجيل، بيروت، ط : 2، 1996 م
- (6) . ابن حوقل ( أبو القاسم النصيبي )، كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د . ط، د . ت.
- (7) . ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح : عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، د . ط، د . ت .
- (8) . ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح : ج . س . كولان، إ . ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط : 3، 1983 م.

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع  
إلى القرن العاشر الميلادي

- (9) . أحمد الشهرستاني، الممل والنحل، تح : علي مهنا، علي حسن فاعود، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط : 3، 1993 م .
- (10) . أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مكتبة نبراس الصفا التاريخية، د . ط، د . ت .
- (11) . البغدادي ( أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد )، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح : محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د . ط، د . ت .
- (12) . البلاذري ( أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر )، فتوح البلدان، تح : عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د . ط، 1987 م .
- (13) . الحموي ( ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله )، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د . ط، 1977 م .
- (14) الحميري، الروض المعطار،، تح :إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط : 1، 1985 م .
- (15) الزهري ( أبو عبد الله محمد بن أبي بكر )، كتاب الجغرافية، تح : محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د . ط، د . ت .
- (16) القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تح : فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط : 2، 1986 م .
- (17) . القزويني ( زكريا بن محمد بن محمود )، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د . ط، د . ت .
- (18) . المالكي ( أبو بكر عبد الله بن محمد )، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان، تح : بشير البكوش، مرا : محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط : 1، 1983 م، ط : 2، 1994 م .

الفتح الإسلامي لجزيرة صقلية بين المحاولات السنية والسيطرة الشيعية  
من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري / القرن السابع  
إلى القرن العاشر الميلادي

---

- 19) المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تح : محمد زينهم،  
مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، ط : 1، 1998 م .
- 20) . المقرئزي ( تقي الدين أحمد بن علي )، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة  
الفاطميين الخلفاء، تح : جمال الدين الشيال، القاهرة، د . ط، 1996 م .
- 21) عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، مراجعة : سهيل زكار، دار الفكر،  
بيروت، لبنان، د . ط، 2001 م .
- 22) . مجهول، أخبار مجموعة في ذكر فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب  
الواقعة بينهم، تح : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب  
اللبناني، ط : 2، 1989 م .

2. المراجع :

- 1) . عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة : أمين توفيق الطيبي، الدار  
العربية للكتاب، د . ط، 1980 م .
- 2) . محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي،  
( د . ط )، ( د . ت ) .
- 3) . محمود اسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، دار الثقافة،  
الدار البيضاء، المغرب، ط : 2، 1985 م .
- 4) . محمود إسماعيل، الأغالبة سياستهم الخارجية، عين للدراسات والبحوث  
الإنسانية والاجتماعية، ط : 3، 2000 م .
- 5) . موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، منذ تأسيسها إلى  
منتصف القرن الخامس الهجري . 11 م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،  
الجزائر، د . ط، 1979 م .

جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

The efforts of Youssef bin Tashfin in building the  
Almoravid navy

453-500 AH / 1061-1106 AD

د. زوييدة عبدي (المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة)

Abdellianfal81@gmail.com/

ملخص:

يرجع الفضل في بناء البحرية المرابطية إلى يوسف بن تاشفين، الذي تطلع بعد توحيد بلاد المغرب الأقصى إلى فتح الثغور الشمالية مثل سبتة وطنجة، لذلك شرع في بناء أسطول لهذا الغرض، وتيقن بن تاشفين بعد فتح سبتة سنة 476هـ/1083م أهمية الأسطول البحري في تحقيق الانتصار، والواقع أن السيطرة على هذه الثغور الشمالية مثل خطوة هامة في بناء أسطول مرابطي قوي، إذ اتخذ بن تاشفين من سبتة وطنجة قواعد لأسطول دولته الناشئ.

كما تجدر الإشارة إلى أن سيطرة يوسف بن تاشفين بعد ذلك على بلاد الأندلس وضمها لدولته، شكل نقطة تحول كبرى في تاريخ البحرية المرابطية، ومثل بداية عهد جديد لها، إذ وضعوا أيديهم على أهم الموانئ في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وسيطروا على دور صناعتها التي اشتهرت بصناعة السفن وفنون البحر.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

وعليه، فإن هذه الدراسة تهدف إلى تسليط الضوء بالدراسة والتحليل على جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية، بالتعرف على أسباب ودوافع بن تاشفين للاهتمام بالأسطول البحري، والعوامل التي ساعدته في نشاطه، وكيف برز الأسطول البحري في الاستراتيجية العسكرية لدولة المرابطين. كلمات مفتاحية: المرابطون؛ البحرية؛ الأسطول؛ يوسف بن تاشفين.

### Abstract:

The credit for building the Almoravid navy goes to Yusuf ibn Tashfin, who, after the unification of the Far Morocco, aspired to open the northern frontiers such as Ceuta and Tangier, so he began building a fleet for this purpose, and Ibn Tashfin became certain after the conquest of Ceuta in 476 AH / 1083 AD the importance of the naval fleet in achieving victory. In fact, controlling these northern coastal ports was an important step in building a strong Almoravid fleet, as Ibn Tashfin took Ceuta and Tangier as bases for his nascent state fleet.

It should also be noted that Youssef bin Tashfin's control over the country of Andalusia and its annexation to his state constituted a major turning point in the history of the Almoravid navy, and represented the beginning of a new era for it, as they took control of the most important ports in the western basin of the Mediterranean, and controlled the role of its industry, which was famous for its industry Ships and marine arts.

Accordingly, this study aims to shed light, through study and analysis, on the efforts of Yusuf Ibn Tashfin in building the Almoravid navy, by identifying the reasons and motives of Ibn Tashfin for his interest in the naval fleet, the factors that helped him in his activity, and how the naval fleet emerged in the Almoravid military strategy.

**key words:** Almoravids; Navy; Navy fleet; Yusuf bin Tashfin.

#### مقدمة:

مع مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي ظهرت بين قبائل صنهاجة الجنوب من لمتونة وجدالة وغيرهما، حركة سياسية دينية تزعمها عبد الله بن ياسين الجازولي، والأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي كانت له الرئاسة على قبائل صنهاجة الجنوب، وبعد وفاة يحيى بن إبراهيم في احدى المعارك سنة 447هـ/1055م، أسند ابن ياسين إمارة صنهاجة ليحيى بن عمر اللمتوني، الذي ما لبث أن توفي سنة 448هـ/1056م، فخلفه أبو بكر بن عمر اللمتوني، بينما أسندت قيادة الجيش لابن عمه يوسف بن تاشفين، الذي ما فتئ أن تولى رئاسة المرابطين سنة 453هـ/1061م، نيابة عن أبي بكر بن عمر الذي انصرف إلى الجهاد في الجهات الصحراوية.

تمكن يوسف بن تاشفين بما تميز به من دهاء سياسي وخبرة عسكرية، من توطيد سلطة الدولة المرابطية بالمغرب الأقصى وغرب المغرب الأوسط والأندلس، فأصبحت تشرف على سواحل هامة بالبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، أين تكثر الخلجان والجزر البحرية، مما أهلها لتطويع قدراتها

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

500-453هـ/1061-1106م

البحرية، خاصة مع حنكة القائد يوسف بن تاشفين، الذي وجه عنايته وعظيم اهتمامه لبناء وتطوير البحرية المرابطية.

وعليه، فإن هذه الدراسة تهدف إلى البحث والتحليل في الإشكالية التالية: ما هو دور يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية؟ وإلى أي مدى تطورت البحرية المرابطية في عهده؟

### 1. نشأة وتطور البحرية المرابطية في عهد يوسف بن تاشفين 500-453هـ/ 1106-1061م:

في مستهل الحديث عن نشأة البحرية المرابطية، لا يفوتنا أن ننوه إلى أن المرابطين في بداية عهدهم كانوا بدو صحراويين<sup>(1)</sup>، لم يتمرسوا على ركوب البحر وخوض غمار المعارك البحرية، يصفهم ياقوت الحموي بقوله: "الملمثين في بلادهم كانوا لا يأوون إلى الجدران، وإنما كانوا أرباب خيام وسكان بادية، وحبال خيامهم من الكتان الأبيض ينتجعون الكلاً"<sup>(2)</sup>، لذلك فلا غرو أن درايتهم بالشؤون البحرية كانت قليلة، ولا يمتلكون خبرة وتقاليد بحرية.

كما تجدر الإشارة إلى تدهور البحرية الإسلامية في غربي حوض البحر الأبيض المتوسط مع حلول القرن 5هـ/11م<sup>(3)</sup>، وعلى خلاف ذلك برزت قوى

(1) - استوطن المرابطون الصحراء الكبرى بين جنوب المغرب الأقصى وحتى بلاد السنغال. أنظر: عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، بيروت لبنان: (دار الفكر للطباعة والنشر 2001م)، ص 73؛ مؤلف أندلسي، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء: (دار الرشد الحديثة 1979)، ص 48؛ شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، بيروت: (دار صادر 1995م)، ص 431؛ أبو عبد الله محمد الحميري، الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ط 2، (1980م)، ص 584.

(2) - الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 431.

(3) - حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة: (دار الفكر العربي)، ص 241.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

بحرية جديدة مثل جنوة<sup>(1)</sup> وبيزا<sup>(2)</sup> وبرشلونة<sup>(3)</sup> وغيرها، وأخذت تقوى وتزدهر، وتمكنت أساطيلها من السيطرة على البحر المتوسط وتجارته<sup>(4)</sup>، وقد صور الشاعر أبو العرب الصقلي<sup>(5)</sup> هذا الوضع قائلاً:

لا تعجبين لرأسي كيف شاب أسي ... واعجب لأسود عيني كيف لم يشب  
البحر للروم لا يجرى السفين به ... إلا على غرر والبر للعرب<sup>(6)</sup>

أ. جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية ببلاد المغرب:  
أدرك يوسف بن تاشفين أهمية ركوب البحر وبناء أسطول قوي قادر على خوض غمار المعارك البحرية، يساعده في فتح الثغور الشمالية المطلة على

(1) - جنوة: مدينة بحرية في شبه الجزيرة الإيطالية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، اشتهرت بأسطولها والمعرفة البحرية، برزت منذ بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كقوة مستقلة، تساهم مساهمة فعلية في الحروب الصليبية، امتازت بموقع استراتيجي ممتاز جعلها من أهم موانئ البحر الأبيض المتوسط، وحلقة اتصال هامة بين الشرق الأدنى الإسلامي والغرب الأوربي. للمزيد أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص173؛ مصطفى حسن محمد الكناني، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى1095-

1171م/488-567هـ، مصر: (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1981)، ص76-77.

(2) - بيزا: ذكرت أيضا باسم بيش، وهي مدينة في شبه الجزيرة الإيطالية على البحر الأبيض المتوسط، يمتاز أهلها بكثرة المراكب البحرية وركوب البحر. أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص120؛ الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت: (عالم الكتب 1409هـ)، ص750.

(3) - برشلونة: مدينة ساحلية في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية على البحر المتوسط، عليها سور منيع، تميزت بكثرة المراكب البحرية التي تستغل في التنقل والغزو، كما عرفت بانتعاش الزراعة من الحبوب والحنطة والعسل. للمزيد أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص734؛ الحميري، الروض المعطار، ص ص86-87.

(4) - السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، ج2، بيروت لبنان: (دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1969)، ص237.

(5) - أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي الزبيري الصقلي، ولد بصقلية سنة 423هـ/1032م، بعث إليه المعتمد بن عباد خمسمائة دينار وأمره أن يتجهز بها ويتوجه إليه، بعد أن تمت سيطرة النورمان على صقلية سنة 484هـ/1091م، فكتب إليه أبو العرب هذه الأبيات. للمزيد أنظر: أبو العباس شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج3، بيروت: (دارصادر 1900)، ص333.

(6) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص333.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

البحر الأبيض المتوسط مثل سبتة<sup>(1)</sup> وطنجة<sup>(2)</sup> ومليلة<sup>(3)</sup> في أقصى شمال المغرب الأقصى، واتخاذها قواعد انطلاق لفتح الأندلس والجزر البحرية في البحر المتوسط، ولا سيما بعد أن تمكن من بسط نفوذه على سائر المغرب الأقصى باستثناء طنجة وسبتة، الخاضعتين لنفوذ إمارة بحرية قوية، وهي إمارة الحاجب سكوت البرغواطي<sup>(4)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه خلال هذه الفترة أن الأندلس كانت تعرف ظروف صعبة، بضغط من الملك الفونسو السادس<sup>(5)</sup>، ويذكر ابن أبي زرع أن ملك إشبيلية المعتمد بن عباد<sup>(6)</sup>، استنجد بيوسف بن تاشفين ليواجه النصارى

(1) - سبتة: مدينة حصينة ضاربة في البحر داخلة كدخول كف على زند، تقع في أقصى شمال المغرب الأقصى، وتقابل الجزيرة الخضراء، وتتحكم في الناحية الجنوبية لمضيق جبل طارق. للمزيد أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص303؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص182-183.

(2) - طنجة: مدينة تقع شمال المغرب الأقصى، بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، بينها وبين مدينة سبتة مسيرة يوم واحد. للمزيد أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص43؛ الحميري، الروض المعطار، ص ص395-396.

(3) - مليلة: بالفتح ثم الكسر، مدينة شمال المغرب الأقصى، قريبة من سبتة، على ساحل البحر الأبيض المتوسط. للمزيد أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص197.

(4) - نشأت هذه الإمارة في سبتة وطنجة، بقيادة سقوط أو سكوت البرغواطي، الذي تسمى بلقب المنصور المعان، وكان في خصومة مع ملك إشبيلية المعتمد بن عباد، وتساعد الخلاف بينهما حتى وصل إلى الاقتتال في البحر سنة 457هـ/1064م. للمزيد أنظر: بوزياني الدراحي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، الجزائر: (دار الكتاب العربي)، ص ص63-66.

(5) - ألفونسو السادس: ابن فرديناند الأول، يعرف في المصادر العربية باسم الأذفونش، وهو ملك ليون وقشتالة، تزعم حرب الاسترداد الصليبية ضد المسلمين في الأندلس، تمكن من احتلال طليطلة سنة 478هـ / 1085م، وأجبر المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية على دفع الجزية. للمزيد أنظر: مجهول، الحلل المشوية، ص39؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: احسان عباس، ج4، بيروت لبنان: (دار الثقافة 1983)، ص50؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد الناصري السلاوي، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، الدار البيضاء: (دار الكتاب)، ص ص33 وما بعدها.

(6) - المعتمد بن عباد: هو أبو القاسم محمد بن عباد المعتمد على الله، ويلقب أيضا بالظافر والمؤيد، ملك إشبيلية وقرطبة بعد وفاة والده المعتمد سنة 461هـ/1069م، عرف بالجود والشجاعة وحب الأدب والشعر. للمزيد

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

الصلبيين، فأجابه يوسف بن تاشفين بالموافقة بعد فتح سبتة وطنجة فيقول: "بعث المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد، فقال له لا يمكنني ذلك إلا أن أتملك سبتة وطنجة"<sup>(1)</sup>، مما يدل على أهمية سبتة وطنجة بالنسبة ليوسف بن تاشفين، ويبدو أن إقدامه على فتح هذه الثغور لم يكن حبا في التوسع والفتح فحسب، بل ليتمكن دولته الصاعدة من أن تتخذ قواعد لأسطولها الناشئ، الذي سوف يسخره لمواجهة القوى النصرانية في البحر، وحماية قوات المرابطين حين تعبر إلى الأندلس مجاهدة في سبيل الله<sup>(2)</sup>.

ومما لا شك فيه أن يوسف بن تاشفين كان يعي جيدا أهمية القوة البحرية في السيطرة على سبتة وطنجة، كما كان يعلم أنه لا يملك القوة البحرية الكافية، لذلك شرع في بناء أسطول بحري لتحقيق هذا الهدف<sup>(3)</sup>، وتمكن جيش المرابطين من قتل سكوت البرغواطي وهزيمة جيشه، والسيطرة على طنجة سنة 470هـ/1077م<sup>(4)</sup>، أما سبتة فبقيت تحت حكم ضياء الدولة يحيى بن سكوت<sup>(5)</sup>، الملقب بالحاجب العز، فوجه إليها يوسف بن تاشفين ابنه المعز الذي أحكم الحصار عليها، لكنه لم يتمكن من دخولها، لأن

أنظر: ابن الأبار محمد بن عبد الله، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة: (دار المعارف 1985)، ص 52 وما بعدها.

<sup>(1)</sup> - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 142.

<sup>(2)</sup> - فوزية محمد عبد الحميد نوح، البحرية الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، (جامعة أم القرى السعودية: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1419هـ)، ص 36.

<sup>(3)</sup> - عبد العزيز سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 238؛ أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: (دار النهضة العربية للطباعة والنشر)، ص 305.

<sup>(4)</sup> - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 142-143.

<sup>(5)</sup> - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 143.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

البحر مثل حاجزا طبيعيا وقف حائلا بينه وبينها<sup>(1)</sup>، لا سيما أن هذه الإمارة البرغواطية كانت تمتلك أسطول بحري قوي، وتتحكم في مضيق جبل طارق، كما عرفت بممارسة القرصنة في البحر المتوسط<sup>(2)</sup>، وأشار إلى ذلك ابن بسام بقوله: "رجل -سقوط البرغواطي- استعان بالشر، وتهاون بالأمر، لا يجبي إلا من غلول، ولا يجيش إلا إلى ابن سبيل، لا سيما البحر فانه أضرم لججه نارا، ولقي ريحه إعصارا، أخذ كل سفينة غصبا، وأضاف إلى كل رعب رعبا، فضجت منه الأرض والسماء، والتقت الشكوى عليه والدعاء"<sup>(3)</sup>، مما يدل على القوة البحرية لهذه الإمارة التي حاصرها المرابطون لمدة طويلة، وأدركوا أهمية القوة البحرية، والحاجة الملحة لبناء أسطول لدولتهم الصاعدة.

ونرجح أن فترة الحصار استغلها يوسف بن تاشفين في بناء وتطوير قدراته البحرية ليتمكن من السيطرة على سبتة، إذ سيطر على عدة مدن ساحلية، فما إن دخلت سنة 473هـ/1080م حتى تمكن من فتح مدينة مليلة وبلاد الريف ومدينة نكور<sup>(4)</sup>، ثم اتجه صوب المغرب الأوسط وفتح تلمسان<sup>(1)</sup>.

(1) - محمد بن تاويت، تاريخ سبتة، الدار البيضاء المغرب: (الشركة الجديدة دار الثقافة 1982)، ص51.

(2) - عبد العزيز سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص238.

(3) - أبو الحسن علي بن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ج4، ليبيا: (الدار العربية للكتاب 1981)، ص662؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوبايا، الرباط: (دار أبي الرقاق للطباعة والنشر 2005)، ص148.

(4) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص144؛ أما نكور: فهي مدينة بالمغرب الأقصى قرب مدينة مليلة سميت نسبة لنهر نكور، تأسست بها إمارة سنة 143هـ/760م على يد صالح بن منصور المعروف بالعبد الصالح، سميت بإمارة نكور أو دولة بني صالح، وتولى إمارتها سلالة بني صالح إلى أن كان سقوطها سنة 410هـ/1019م على يد قبيلة أزداجة وزعيمها يعلى بن أبي الفتوح الأزداجي، واستمر حكمهم بها حتى سيطر المرابطون عليها. أنظر: الحميري، الروض المعطار، ص576؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق3، ص179؛ عبد الرحمن بن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ج6، بيروت: (دار الفكر 1988م)، صص283-286.

ومدينة تنس<sup>(2)</sup> ثم وهران<sup>(3)</sup> حتى وصل إلى الجزائر، يذكر ابن خلدون: "ثم نهض يوسف بن تاشفين بنفسه في جموع المرابطين سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، فافتتح تلمسان، واستلحم بني يعلى<sup>(4)</sup> ومن كان بها من مغراوة<sup>(5)</sup>، وقتل العباس بن بختي أميرها من بني يعلى، ثم افتتح وهران وتنس، وملك جبل وانشريس وشلف إلى الجزائر، وانكف راجعا وقد محا أثر مغراوة من المغرب الأوسط"<sup>(6)</sup>، وأغلب الظن أن يوسف بن تاشفين قد استفاد من السفن المتواجدة في موانئ المغرب الأوسط بحوض البحر الأبيض المتوسط ليسيتر على سبتة، علاوة على استفادته من السفن المتواجدة بطنجة ودور صناعتها.

(1) - تلمسان : ويقال تنمسان، مركبة من كلمتين تلم سان ومعناها تجمع اثنين بعنوان البر والبحر، مدينة مسورة في سفح جبل، لها خمسة أبواب، وهي قاعدة المغرب الأوسط. للمزيد أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص76؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص250؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص ص51-52.

(2) - تنس: مدينة وميناء تقع في الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط بالمغرب الأوسط. للمزيد أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص48.

(3) - وهران: مدينة تقع غرب المغرب الأوسط، تشرف على البحر الأبيض المتوسط، قريبة المسافة من الأندلس، بها مرسى كبير يعتبر من أهم المراسي في أواخر القرن الثالث وبداية القرن الرابع للهجرة، تقابل المرية في الأندلس. للمزيد أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص385؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص714.

(4) - أحفاد يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى، من قبائل بني يفرن الزناتية من البربر البتر، ينقسم بنو يفرن بدورهم إلى بطون وأفخاذ عديدة أشهرها بنو واركو ومرنجيصة، عرفوا صراع مستمر مع قبائل صنهاجة البرانس، تركزت مواطنهم بالمغرب الأوسط ما بين تلمسان وتيهرت، كما انتقلوا إلى المغرب الأقصى، وبسطوا سيادتهم به. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص18-24؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثالث، تحقيق: ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت لبنان: (دار الثقافة 1983)، ص217.

(5) - مغراوة: أبناء مغراو بن يصلتين، من أوسع بطون قبيلة زناتة من البربر البتر، من أهم بطونهم بنو خزون، لقواط، ريغة، بنوسنجاس، بنو ورا وغيرهم، برزت كقوة لا يستهان بها ببلاد المغرب، وعرفت صراع مستمر مع قبائل صنهاجة من البرانس، حدد ابن خلدون الموطن الأصلي لقبائل مغراوة بالمغرب الأوسط، كما امتد نفوذها إلى المغرب الأقصى وهمنوا على بعض أقطاره. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص33-34.

(6) - ابن خلدون، العبر، ج7، ص62.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

واستنادا إلى ابن بسام وصاحب مفاخر البربر، فإن يوسف بن تاشفين جهز أسطول لقتال المعز بن سقوت البرغواطي في سبتة سنة 476هـ/1083م، وعلى حد تعبير ابن بسام فإنه "أسطولا فخما"<sup>(1)</sup>، أما صاحب مفاخر البربر فيذكر أنه "أسطولا ضخما"<sup>(2)</sup>، التقى مع أسطول ابن سقوت، لكنه مني بالهزيمة، واستولى ابن سقوت على قطعة جلييلة منه، واستاء المرابطون لأخذ تلك القطعة حتى هموا بتراجع، ويقدم لنا ابن بسام صورة موجزة عن أسطول المرابطين الناشئ الذي جهز لمواجهة أسطول برغواطة في سبتة فيقول: "فلما كان يوم الخميس من صفر سنة ست وسبعين وأربعمائة قدم أمير المسلمين لقتال سبتة أسطولا فخما، ولقيه العز بن سقوت ببقية أسطول طالما أوسع البلاد شرا، وملاً قلوب أهلها ذعرا، فكان لأول ذلك اليوم ظهور على أسطول المرابطين، حتى أخذ منه قطعة جلييلة المقدار، ظاهرة الحماة والأنصار، فارتاعت محلة المرابطين لأخذ تلك القطعة حتى هموا بالإحجام، وقوضوا بعض الخيام، وغضب أمير المسلمين رحمه الله إحدى غضباته"<sup>(3)</sup>.

وهنا حري بنا أن نتساءل، هل محاولة فتح سبتة مثلت أولى المعارك البحرية للمرابطين؟ وهل فعلا تمكن يوسف بن تاشفين خلال هذه الفترة من بناء أسطول "فخم" على حسب ما رواه ابن بسام، أو "ضخم" على حد تعبير صاحب مفاخر البربر؟

مما ذكر نرجح أن ظهور الأسطول المرابطي الناشئ وأولى معاركه البحرية برز مع محاولة يوسف بن تاشفين فتح سبتة، إذ لا تشير المصادر المتوفرة

(1) - ابن بسام الذخيرة، ج4، ص663.

(2) - مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص149.

(3) - مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص149.

لدينا إلى ذكر للأسطول المرابطي ودوره في المؤسسة العسكرية للمرابطين قبل ذلك.

ويبدو لي أن هذا الأسطول لم يشكل قوة بحرية كافية خلال هذه الفترة، وأنه ما يزال في بدايات بنائه، بدليل أنه لم يتمكن من السيطرة على سبتة لولا مساعدة المعتمد بن عباد الذي دعم المرابطين بأسطول، واعتمادا على رواية ابن بسام<sup>(1)</sup> وصاحب مفاخر البربر<sup>(2)</sup>، فإن يوسف بن تاشفين طلب من المعتمد المساعدة بعدما رأى سفينة ضخمة وجهها هذا الأخير إلى مدينة طنجة، وأشار ابن بسام إلى هذه السفينة فيقول: "وكان من الاتفاق العجيب أن أنشأ المعتمد سفينة ضاهى بها مصانع الملوك القاهرين بعد العهد بمثلها: شدة أسر، وسعة بطن، وظهر، كأنما بناها على الماء صرحا ممردا، وأخذ بها على الريح ميثاقا مؤكدا، ووجهها على مدينة طنجة لتمتار، وقد أنجد أمر الله وغار، ولما رأى أمير المسلمين وناصر الدين تلك السفينة، خاطب المعتمد في ذلك، فشحنت على سبتة موتا ذريعا، وأقيمت بإزاء أسوارها حصنا منيعا... وتقدمت تلك السفينة حتى أطلت على أسوارها ورفعت صوتها ببوارها، وأفضت بدولة صاحب سبتة إلى سوء قرارها"<sup>(3)</sup>.

ومما لا شك فيه أن المعتمد كانت لديه الرغبة في تدعيم الأسطول المرابطي في مواجهة إمارة سقوط البرغواطي في سبتة، بسبب القرصنة التي كانت تمارسها هذه الإمارة في حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة، علاوة على حاجته إلى جيوش المرابطين في مواجهة الفندس السادس من جهة ثانية،

(1) - ابن بسام، الذخيرة، ج 4، ص 662-663.

(2) - مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 149.

(3) - ابن بسام، الذخيرة، ج 4، ص 662-663.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

خصوصاً أن يوسف بن تاشفين كان قد وافق على مساعدة المعتمد، لكن بعد أن يتمكن من فتح سبتة.

أما ابن خلدون فيرى أن فتح سبتة تم بالتعاون بين جيش المرابطين من جهة البر، وأسطول ابن عباد من جهة البحر<sup>(1)</sup>، وحسب ابن أبي زرع فيذكر أنه لما تواترت الكتب على يوسف لنجدة المسلمين في الأندلس، بعث ولده المعز إلى سبتة في جيش كبير، فنزل عليها وحاصرها حتى تمكن من فتحها في ربيع الأول 477هـ/1084م<sup>(2)</sup>.

لكننا نرجح أن النواة الأولى لأسطول المرابطين الجديد قد اشتركت في حصار سبتة، والوقوف إلى جانب القوات البرية في مواجهة سقوت البرغواطي<sup>(3)</sup>، ونتوافق مع ما ذكره ابن بسام وصاحب مفاخر البربر بأن الأسطول المرابطي تعاون مع أسطول المعتمد بن عباد في فتح سبتة، استناداً لما ذكر سابقاً بأن المرابطين قبل سيطرتهم على سبتة كانوا سيطروا على عدة مدن ساحلية بالمغرب الأوسط والأقصى، مثل طنجة ومليلة ونكور ووهران وتلمسان، وأغلب الظن أنهم استفادوا من موانئها وسفنها ودور صناعتها لسيطرة على سبتة، خصوصاً بعد حصارها لفترة طويلة، بيد أن هذه القوة البحرية لم تكن كافية لمواجهة إمارة بحرية قوية مثل برغواطة في سبتة، ولعل هذا ما يفسر استنجادهم بالمعتمد، وتعاونهم مع أسطوله لفتحها.

وبطبيعة الحال فإن نجاح هذا الأسطول المرابطي الناشئ في السيطرة على سبتة بالتعاون مع أسطول المعتمد، شجع يوسف بن تاشفين ليولي اهتمامه

(1) - ابن خلدون، العبر، ج6، ص248.

(2) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص144.

(3) - حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص392.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

500-453هـ/1061-1106م

وعنايته ببناء بحرية قوية، لذلك ما إن تمكن من فتح سبتة حتى عمل على الاستفادة من أسطولها، يذكر ابن أبي زرع: "ودخل يوسف سبتة فهدمها وأصلح أحوالها وسفنها"<sup>(1)</sup>، فسيطرة المرابطين على هذه الثغور الشمالية شكل خطوة هامة في بناء أسطول مرابطي، إذ تم لهم التحكم في الناحية الجنوبية لمضيق جبل طارق الاستراتيجي، واستفادوا من دور صناعتها وما فيها من سفن وآلات<sup>(2)</sup>، كما استفادوا من خبرة أهلها المشتغلين في حرفة صناعة السفن، واستعانوا بالخبراء والفنيين في الصناعة البحرية، علاوة على اتخاذها قواعد لأسطول المرابطين الناشئ، وأدرك يوسف بن تاشفين أهمية الأسطول البحري في كسب المعارك، فبدأ يهتم به ويولييه عظيم اهتمامه، محاولاً إحياء البحرية الإسلامية التي كانت قد ذهبت ريحها<sup>(3)</sup>، بعد أن فرضت سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط ردحا من الزمن.

ب. جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية بتوحيد بلاد المغرب والأندلس:

عرفت الأندلس خلال القرن 5هـ/11م حالة من التشتت والتناحر، على إثر تفكك وحدتها السياسية إلى ممالك وإمارات صغيرة مستقلة، اصطلحت المصادر التاريخية على تسمية حكامها بملوك الطوائف<sup>(4)</sup>، الذين استفحلت عليهم حركة الاسترداد، وعجزوا عن التصدي للخطر المسيحي بزعامة الفنسو

(1) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 144.

(2) - عبد العزيز سالم والعبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص 240.

(3) - حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص 242.

(4) - من هذه الدويلات: دولة بني عباد في إشبيلية، ودولة بني جهور في قرطبة، ودولة بني حمود في مالقة، ودولة بني زيري في غرناطة، وبني الأفطس في بطليوس، وبني ذي النون في طليطلة. للمزيد أنظر: أسعد حومد، محنة العرب في الأندلس، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر (1988)، ص ص 96 وما بعدها.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

السادس، الذي فرض عليهم الجزية، وجعلهم يرزحون تحت وطأة نفوذه، مما اضطرهم إلى الاستنجاد بالمرابطين بزعامة يوسف بن تاشفين<sup>(1)</sup>.

وكان لذلك أثره البارز في بناء البحرية المرابطية، بداية بامتلاكهم للجزيرة الخضراء، التي منحها لهم المعتمد بن عباد مقابل مساعدتهم في مواجهة النصارى بالأندلس<sup>(2)</sup>، وجعلها رباطا لجيش المرابطين<sup>(3)</sup>، وكانت هذه الجزيرة تمثل قاعدة بحرية تربط بين المغرب والأندلس، فضلا عن ما كان بها من دور صناعة السفن وامتلاكها للكثير من السفن الحربية<sup>(4)</sup>، وفي هذا الصدد يذكر صاحب الحلل الموشية، أن المعتمد بن عباد بعث بكتاب إلى يوسف بن تاشفين يستنجده لمحاربة النصارى وإحياء شريعة الإسلام، ويطلب منه الجواز إلى الأندلس<sup>(5)</sup>، فانفرد يوسف بن تاشفين بأحد كتبه يدعى عبد الرحمن بن أسباط، وكان أندلسيا من أهل مدينة المرية<sup>(6)</sup>، واستشاره، فقال

(1)- ابن أبي زرع، الأندلس المطرب، ص144؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ص 44-45؛ لسان الدين بن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، بيروت لبنان: (دار المكشوف 1956م)، ص245؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص248؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص55.

(2)- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص50-51.

(3)- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص50؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص248.

(4)- سالم أبو القاسم محمد غومة، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، جامعة ليبيا: شعبة الحضارات المقارنة، 2003/2004)، ص33.

(5)- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ص 44-45.

(6)- المرية: أو ألمرية (Almeria). مدينة كبيرة من أجل بلاد الأندلس، تميزت بموقع استراتيجي يشرف على البحر الأبيض المتوسط، بها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، كانت قاعدة الأسطول البحري بالأندلس للدفاع عن السواحل المطلة على البحر المتوسط، بها دار صناعة أمر ببناءها عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 344هـ. أنظر: أبو محمد الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: إيميليو مولينا وخواثينتو بوسك بيلا، مدريد: (المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي 1990)، ص ص 59-60؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص119؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، الإسكندرية: (مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر 1984)، ص44.

له ابن أسباط: "تعلم أن الأندلس جزيرة مقطوعة في البحر، يعمر المسلمون منها الثمن، وسبعة أثمان يعمرها النصارى، وهي ضيقة حرجة، سجن لمن دخلها، لا يخرج إلا تحت حكم صاحبها... فاكتب إليه انك لا يمكنك الجواز إليه إلا أن يعطيك الجزيرة الخضراء، فتجعل فيها ثقاتك وأجنادك، ويكون الجواز بيدك متى شئت"<sup>(1)</sup>، وبناء على ذلك رد يوسف بجواب لابن عباد يقول فيه: "لا يمكننا الجواز إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء، تكون لنا، لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا، فإن رأيت ذلك فاشهد به على نفسك، وابعث إلينا بعقودها، ونحن في أثر خطابك، إن شاء الله... فجمع ابن عباد القاضي والفقهاء، وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء ليوسف بن تاشفين، وتسليمها له بمحضر ذلك الجمع، وبعث به إليه"<sup>(2)</sup>، ويظهر من قراءة تفاصيل هذا النص ما يلي:

- استشارة يوسف بن تاشفين لشخص يملك خبرة في المناطق البحرية والأسطول البحري، فابن أسباط هذا يقول عنه صاحب الحلل الموشية أنه أندلسيا من أهل المرية، التي كانت تمثل قاعدة لدار صناعة السفن، وبذلك فيوسف بن تاشفين كان يدرك تمام الإدراك أهمية الأسطول البحري عند الانتقال إلى الأندلس، لذلك فسؤاله كان لأهل الاختصاص.
- تفتن ابن تاشفين لأهمية الجزيرة الخضراء للربط بين المغرب والأندلس.
- قول يوسف بن تاشفين "جوازنا إليك بأيدينا متى شئنا"، هذا يعني أن هدفه ضمان الاتصال ببلاد المغرب في أي وقت، سواء في النصر أو الهزيمة، وذلك لا يتم إلا بامتلاكه لأسطول بحري يمكنه من التنقل بين العدوتين،

(1) - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 49-50.

(2) - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 50-51.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

وهذا ما يجعلني أرجح أن مطالبته بالجزيرة الخضراء كانت بهدف جعلها قاعدة لأسطوله الناشئ عند الانتقال إلى الأندلس.

- سعي بن تاشفين إلى حماية الجيوش المرابطية عندما تعبر البحر المتوسط إلى الأندلس مجاهدة في سبيل الله، بحفظ المواصلات بين المغرب والأندلس وتأمين العبور.

وحسب رواية ابن خلكان فان يوسف بن تاشفين "تاق إلى العبور إلى جزيرة الأندلس، وكانت محصنة بالبحر، فأنشأ شواني<sup>(1)</sup> ومراكب وأراد العبور إليها"<sup>(2)</sup>، واستنادا إلى هذه الرواية يفهم أن يوسف بن تاشفين فكر في العبور إلى الأندلس قبل استنجد ملوك الطوائف به، وأنه جهز أسطوله لهذا الغرض، ويبدو لي أن هذه الرواية بعيدة عن الواقع، ولا تؤيدها الحقائق التاريخية، لأن الجواز الأول للمرابطين إلى الأندلس تم بدعم من أسطول بني عباد، إذ وجه المعتمد للمرابطين أسطولا من الأندلس لينقلهم<sup>(3)</sup>، كما أن يوسف بن تاشفين لم يسع لضم الأندلس في جوازه الأول، علاوة على ذلك، لو أن يوسف بن تاشفين امتلك أسطول كيبأر، وكانت له النية في السيطرة على الجزيرة الخضراء والأندلس، لما وثق فيه المعتمد بن عباد، وساعده في الدخول إلى الأندلس، والتحالف معه في مواجهة النصارى في معركة الزلاقة الشهيرة.

(1) - الشواني: مراكب حربية كبيرة، تنصب فيها أبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وهي أهم القطع التي كان يتألف منها الأسطول في الدولة الإسلامية. أنظر: عبد الفتاح عيادة، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مصر: (مطبعة الهلال 1913)، ص4.

(2) - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص113.

(3) - الحميري، الروض المعطار، ص289؛ شهاب الدين أحمد المقرئ، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: (دار صادر 1997)، ص360.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

المهم في الأمر أن يوسف بن تاشفين عزم على العبور بجنده إلى الأندلس، فكان جوازه الأول سنة 479هـ/1086م<sup>(1)</sup>، واستطاع الأسطول الجديد أن يمد العون لقوات المرابطين وهي تجتاز البحر لأول مرة، وكان هذا الأسطول حتى هذا الوقت يتألف من سفن النقل أكثر من سفن القتال<sup>(2)</sup>، إذ كان لا يزال في طور البناء والتأسيس، لذلك وجه المعتمد بن عباد للمرابطين أسطولا من الأندلس لينقلهم<sup>(3)</sup>.

الجدير بالذكر أن المرابطين تمكنوا من إحراز نصرهم المشهور على جيوش الفندس السادس في وقعة الزلاقة<sup>(4)</sup> غربي الأندلس سنة 479هـ/1086م<sup>(5)</sup>، وتكررت حملات يوسف بن تاشفين للأندلس من أجل نجدة ملوك الطوائف، وأضطر أخيرا لعزلهم، وتم توحيد بلاد المغرب والأندلس سنة 484هـ/1091م، وبذلك أصبحت الدولة المرابطية تمتد من بلاد الأندلس شمالا إلى بلاد السودان والسنغال جنوبا، ومن المحيط الأطلسي غربا إلى غرب المغرب الأوسط شرقا، موحدة للمغرب الأقصى والأوسط والأندلس.

وشكل توحيد المغرب مع الأندلس بداية عهد جديد، ونقطة تحول كبرى في تاريخ البحرية المرابطية، إذ وضعوا أيديهم على أهم الموانئ في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وسيطروا على دور صناعتها التي اشتهرت بصناعة السفن وفنون البحر، واستفادوا من خبرة سكان الأندلس في الشؤون البحرية،

(1) - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت: المكتبة العصرية (2006م)، ص 98.

(2) - يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، ج 2، القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (2011م)، ص 237.

(3) - الحميري، الروض المعطار، ص 289؛ المقري، نفع الطيب، ص 360.

(4) - للتفصيل حول معركة الزلاقة أنظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 52 وما بعدها؛ بطرس البستاني: معارك العرب في الأندلس، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة (2012م)، ص 15 وما بعدها.

(5) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 149؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 64.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

هذا بالإضافة إلى تزايد الحاجة إلى الأسطول لتأمين عبور الجيوش المرابطية إلى الأندلس من جهة، ولحماية شواطئ الأندلس التي ضمها لدولتهم من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.

وشرع المرابطون في إنشاء أسطولهم الحربي الكبير بعد سيطرتهم على مدينة ألمرية سنة 484هـ/1091م<sup>(2)</sup>، واستغلال دور صناعتها في بناء السفن، إذ كان ثغر ألمرية ودار صناعتها ذات شهرة لا تنافس في هذا المجال<sup>(3)</sup>، باعتبارها الميناء الأول في الأندلس، الذي كانت تقصده السفن من كل أنحاء البحر الأبيض المتوسط، وتربطه بالمدن الساحلية لبلاد المغرب صلات بحرية وثيقة<sup>(4)</sup>، فهذه المدينة برزت منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كقاعدة بحرية هامة، تمكنت من تبوأ الريادة البحرية بالأندلس<sup>(5)</sup>، يصفها ابن غالب فيقول: "وبالمرية دار الصنعة، وسورها على ضفة البحر، قد استقرت فيها العدة والآلات للسفن ولما يقوم به الأسطول...ومنها كان يسفن إلى جميع الآفاق"<sup>(6)</sup>، واستمرت المرية تحتل المركز الأول بين قواعد الأسطول الأندلسي في عصر الطوائف، لكثرة عدد سفنها ونشاط دار صناعتها في الإنتاج، وكان هذا الأسطول يتألف من عدد كبير من الجواري<sup>(7)</sup> والفلك والأجفان<sup>(1)</sup>.

(1) - عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت: (دار الشروق 1983م)، ص 49-50.

(2) - ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثالث، تحقيق: ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت لبنان: (دار الثقافة 1983)، ص 167.

(3) - حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص 392.

(4) - عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 88.

(5) - عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص 42: مريم طويل، مملكة المرية، ص 12.

(6) - لطفي عبد البديع، "نص أندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، (1955م)، ص 283-284.

(7) - مفردها الجارية، يقصد بها السفينة، وفي التنزيل قوله تعالى: "حملناكم في الجارية". أنظر: سورة الحاقة، الآية 11: أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج 14، بيروت: (دار صادر 1414هـ)، ص 141.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

بيد أن هذا الأسطول لم يصل جميعه إلى المرابطين، إذ أحرقت معظم قطعه على يد معز الدولة بن المعتصم بن صمادح<sup>(2)</sup>، عندما تغلب المرابطون على ألمرية<sup>(3)</sup>، وعمل يوسف بن تاشفين على استخدام دارصناعتها لبناء السفن، والاستفادة من خبرة سكانها، فصار بحوزتهم أسطول حربي تطور مع مرور الوقت<sup>(4)</sup>.

وعليه، فإنه بسيطرة يوسف بن تاشفين على موانئ الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ودور صناعتها ذات الشهرة العالمية في فنون البحر وصناعة السفن، بزغ دور البحرية في الاستراتيجية العسكرية للمرابطين، حيث بدأ المرابطون يعدون السفن ليس لمجرد النقل بين العدوتين، بل للحرب والمعارك البحرية، فاشترك أسطول المرابطين في معركة بلنسية التي دارت بين المرابطين والنصارى، إذ عاونت سفن الأسطول المرابطي القوات البرية في شرق الأندلس، وساهمت في فتح بلنسية<sup>(5)</sup> سنة 495هـ/1102م<sup>(6)</sup>.

ونتيجة لذلك انتقلت البحرية المرابطية في أواخر عهد يوسف بن تاشفين من مرحلة البناء إلى مرحلة الازدهار والنشاط، وعين عليها أميراً يقودها، لقب بأmir البحر، ينسب لعائلة ابن ميمون المشهورة، إذ كان عيسى بن ميمون

(1) - عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية، ص49؛ والأجفان: سفن دائرية تشبه القصة، وهي سفن حربية تستخدم في الغزو، لذلك فالنصوص التي تتعرض لتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب نادرا ما تذكر لفظة أجفان وحدها، بل تضيف صفة عليها فتذكرها "الأجفان الغزوية". للمزيد أنظر: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، مصر: مطابع الأهرام التجارية (1974)، ص ص 23-25.

(2) - آخر حكام المرية في عهد ملوك الطوائف. للمزيد أنظر: مريم طويل، مملكة ألمرية، ص ص 48 وما بعدها.

(3) - ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص192.

(4) - مريم الطويل، مملكة ألمرية، ص17.

(5) - حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص393.

(6) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج4، ص42.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

أمير البحر في أواخر أيام يوسف بن تاشفين، وقد ورث أبناؤه وأحفاده هذا المنصب من بعده طوال عصر المرابطين<sup>(1)</sup>.

فنشأت وتطورت البحرية المرابطية تطورا واضحا خلال عهد يوسف بن تاشفين، وإن كانت نتائجه ستظهر بوضوح في عهد خليفته علي بن يوسف، الذي تولى إمارة المرابطين بعد وفاة والده يوسف بن تاشفين سنة 500هـ/1106م<sup>(2)</sup>، إذ بلغت البحرية المرابطية عهدها الذهبي، وساهمت مساهمة فعالة في المعارك البحرية أمام النصارى الصليبيين، يذكر ابن خلدون: "وكان الجنب الغربي من هذا البحر المتوسط. لهذا العهد-المرابطي- موفور الأساطيل، ثابت القوة، لم يتحيفه عدو، ولا كانت لهم به كرة"<sup>(3)</sup>.

2. العوامل المساعدة على بناء وتطور البحرية المرابطية في عهد يوسف بن تاشفين:

تضافرت جملة من العوامل التي ساعدت على بزوغ البحرية المرابطية وتطورها في عهد يوسف بن تاشفين، يمكن توضيحها في النقاط التالية:

**الموقع الجغرافي:** إن توسع الدولة المرابطية، وتوحيدها للمغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط والأندلس، أهلها لامتلاك موقع استراتيجي يشرف على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وما يحتويه من الخلجان والجزر البحرية، مما ساعدها في تطوير قدراتها البحرية، باستغلال هذا الموقع في بناء أسطول بحري، علاوة على أن هذا الشريط الساحلي كان في حاجة إلى قوة بحرية تحمية من غارات القراصنة والنصارى الصليبيين.

(1) - علي قنبر الياس، "بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي 508-599هـ/1115-1202م"، مجلة أبحاث

كلية التربية الإسلامية، المجلد 10، العدد 2، (2010)، ص 419.

(2) - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 156؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 250.

(3) - ابن خلدون، مقدمة، ص 315-316.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

الرغبة في الجهاد ومواجهة الخطر الصليبي والاستجابة لنداء أهل الأندلس: دفع يوسف بن تاشفين إلى تركيز اهتمامه ببناء أسطول قادر على مواجهة أساطيل النصارى الصليبيين، المسيطرة على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي من جهة، وفتح الجزر البحرية والأندلس من جهة أخرى، وعليه أصبح الأسطول البحري العسكري ضرورة ملحة في الاستراتيجية العسكرية للدولة المرابطية.

اهتمام يوسف بن تاشفين بالبحرية: إذ أدرك يوسف بن تاشفين ضرورة القوة البحرية، والحاجة الملحة لبناء أسطول لدولته الصاعدة، فوجه جل اهتمامه وعنايته ببناء أسطول بحري.

وفرة الموارد الطبيعية: زخرت الدولة المرابطية التي امتدت من بلاد الأندلس شمالاً إلى بلاد السودان والسنغال جنوباً، ومن المغرب الأوسط شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، بموارد طبيعية هامة، ساهمت في توفير المواد الأولية الضرورية في بناء الأسطول البحري، مثل الغابات التي تصلح أخشابها لبناء السفن، والمعادن وغيرها، علاوة على طول الشريط الساحلي، مما يساهم في إقامة الموانئ والقواعد البحرية.

الاستفادة من البحرية الأندلسية و الثغور الشمالية لبلاد المغرب: بتوحيد يوسف بن تاشفين لبلاد المغرب والأندلس، سيطر على السفن في المناطق الساحلية المفتوحة بالمغرب والأندلس، ودعم بها أسطولها، كما استفاد من دور صناعة السفن المنتشرة على طول السواحل الأندلسية والمغربية، التي كانت محاطة بغابات تصلح أخشابها لصناعة السفن<sup>(1)</sup>، وانتفع أيضاً من خبرة أهل السواحل المشغولين بركوب البحر.

(1) - حمدي عبد المنعم محمد حسين. التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين الإسكندرية: (دار المعرفة الجامعية 1997)، ص307.

السيطرة على التجارة البحرية: نرجح أن الأسباب العسكرية لم تكن الوحيدة لاهتمام يوسف بن تاشفين بالأسطول البحري، وإنما للأسباب الاقتصادية وخاصة التجارية دور في ذلك، بالسيطرة على التجارة في البحر الأبيض المتوسط، ومنافسة القوى النصرانية في هذا المجال، فالإدرسي يصف مدينة المرية التي أصبحت قاعدة الأسطول المرابطي فيقول: "وكانت المرية إليهما تقصد مراكب الطريق من الإسكندرية والشام كله، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالا ولا أتعرج منهم في جميع التجارات تصريفا وادخارا"<sup>(1)</sup>، وهذا النص يبعث إلى الظن بأن يوسف بن تاشفين بتوحيده للمغرب والأندلس، استفاد من أسطول تجاري كانت تعتمد عليه المدن الساحلية مثل المرية في تجارتها البحرية.

#### خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، ومن خلال ما تم عرضه، توصلنا للنتائج التالية: يرجع الفضل الأول في بناء البحرية المرابطية إلى يوسف بن تاشفين، الذي أدرك ضرورة القوة البحرية، والحاجة الملحة لبناء أسطول لدولته الصاعدة، فبدأ يولي اهتمامه وعنايته ببناء أسطول بحري يساعده على فتح الثغور الشمالية مثل طنجة وسبتة، ليظهر الأسطول المرابطي الناشئ أثناء محاولة فتح سبتة سنة 476هـ/1083م، والواقع أن السيطرة على هذه الثغور الشمالية مثل خطوة هامة في بناء أسطول مرابطي قوي، إذ اتخذ بن تاشفين من سبتة وطنجة قواعد للأسطول دولته الناشئ.

وشكل توحيد المغرب والأندلس على يد يوسف بن تاشفين نقطة تحول كبرى في تاريخ البحرية المرابطية، ومثل بداية عهد جديد لها، إذ وضعوا أيديهم

(1) - الإدرسي، نزهة المشتاق، ج2، ص562.

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

على أهم الموانئ في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وسيطروا على دور صناعتها التي اشتهرت بصناعة السفن وفنون البحر، كما استفادوا من خبرة أهلها المشغولين في حرفة صناعة السفن، واستعانوا بالخبراء والفنيين في الصناعة والقيادة البحرية.

كما شرع المرابطون في إنشاء أسطولهم الحربي الكبير بعد سيطرتهم على مدينة ألمرية سنة 484هـ/1091م، التي ستصبح مركزا لقيادة الأساطيل المرابطية المنتشرة في سواحل الأندلس وبلاد المغرب.

أدرك يوسف بن تاشفين أهمية الأسطول البحري في كسب المعارك، فبدأ يهتم به ويوليه عظيم اهتمامه، محاولا إحياء البحرية الإسلامية التي كانت قد ذهبت ريحها، وكللت جهوده بوضع اللبنة الأولى في بناء أسطول مرابطي قوي.

### قائمة المصادر والمراجع:

- ابن الآبار محمد بن عبد الله، الحلة السرياء، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة: (دار المعارف 1985).
- ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، بيروت لبنان: (دار المكشوف 1956م).
- ابن خلدون عبد الرحمن ، مقدمة ، بيروت لبنان: (دار الفكر للطباعة والنشر 2001م).
- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: (دار الفكر 1988م).

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

500-453هـ/1061-1106م

- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج3، بيروت: (دار صادر 1900).
- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت لبنان: (دار الثقافة 1983).
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج14، بيروت: (دار صادر 1414هـ).
- الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت: (عالم الكتب 1409هـ).
- أشياخ يوسف، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق: محمد عبد الله عنان، ج2، القاهرة: (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 2011م).
- البستاني بطرس: معارك العرب في الأندلس، القاهرة: (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012م).
- بن تاويت محمد، تاريخ سبتة، الدار البيضاء المغرب: (الشركة الجديدة دار الثقافة 1982).
- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، القاهرة: (دار الفكر العربي).
- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين الإسكندرية: (دار المعرفة الجامعية 1997).
- الحموي شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، ج4، بيروت: (دار صادر 1995م).
- الحميري أبو عبد الله محمد، الروض المعطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، (1980م).

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

453-500هـ/1061-1106م

- حومد أسعد، محنة العرب في الأندلس، بيروت: (المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1988).
- الدراجي بوزياني، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، الجزائر: (دار الكتاب العربي).
- الرشاطي أبو محمد وابن الخراط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: إيميليو مولينا وخايننتو بوسك بيلا، مدريد: (المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي 1990).
- السلاوي شهاب الدين أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: (دار الكتاب).
- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت لبنان: (دار النهضة العربية للطباعة والنشر 1969).
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، الإسكندرية: (مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر 1984).
- الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ج4، ليبيا: (الدار العربية للكتاب 1981).
- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، بيروت: (دار النهضة العربية للطباعة والنشر).
- عز الدين عمر أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، بيروت: (دار الشروق 1983م).

- علي قنبر الياس، "بنو ميمون قادة الأسطول المرابطي والموحدي 508-599هـ/1115-1202م"، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، المجلد 10، العدد2، (2010).
- عيادة عبد الفتاح، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتهما في الإسلام، مصر: (مطبعة الهلال 1913).
- غومة سالم أبو القاسم محمد، تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، (جامعة ليبيا: شعبة الحضارات المقارنة، 2004/2003).
- فوزية محمد عبد الحميد نوح، البحرية الإسلامية في عهد المرابطين والموحدين، أطروحة دكتوراه، (جامعة أم القرى السعودية: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1419هـ).
- الكنانى مصطفى حسن محمد، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى 1095-1171م/488-567هـ، مصر: (الهيئة المصرية العامة للكتاب 1981).
- لطفي عبد البديع، "نص أندلسي جديد قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمئة"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، (1955م).
- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت: (المكتبة العصرية 2006م).
- المقرئ شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: (دار صادر 1997).

## جهود يوسف بن تاشفين في بناء البحرية المرابطية

500-453هـ/1061-1106م

---

- مؤلف أندلسي، الحلل الموسية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء: (دار الرشاد الحديثة 1979).
- مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، الرباط: (دار أبي الرقاق للطباعة والنشر 2005).
- النخيلي درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، مصر: (مطابع الأهرام التجارية 1974).

الحرب البحرية بين الموحيدين ومملكة البرتغال  
في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

---

الحرب البحرية بين الموحيدين ومملكة البرتغال  
في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م  
Naval warfare between the Almohads and the Kingdom of  
PortugalIn the second half of the sixth century AH 12 AD

أ.د توفيق مزارى عبد الصمد  
جامعة يحي فارس المدية  
mazaro64@yahoo.com

---

ملخص:

المقال عبارة عن دراسة تاريخية لفترة هامة وحساسة من تاريخ الصراع الإسلامي النصراني في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وهي الفترة التي تلت تدهور أوضاع دولة المرابطين، وتقلص دورهم البحري، وتبعها نمو دولة الموحيدين وتطلعها إلى السيطرة على الأندلس، التي كانت تعرف نمو الإمارات النصرانية، منها إمارة البرتغال بقيادة مؤسسها "ألفونسو انريكث " Elfonso Enriquez الذي تسميه الرواية العربية "ابن الرنك" أو "ابن الريق"، وما نتج عن ذلك من صراع بين الموحيدين وإمارة البرتغال على مناطق النفوذ في الغرب الأندلسي، لاسيما على مستوى المعارك البحرية.

**Abstract:**

The article is a historical study of an important and sensitive period in the history of the Islamic-Christian conflict in the western

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

Mediterranean basin, which is the period that followed the deterioration of the Almoravid state and the decline of their maritime role, followed by the growth of the Almohad state and its aspiration to control Andalusia, which was witnessing the growth of Christian emirates, including the Emirate of Portugal led by its founder "Alfonso Enriquez", whom the Arab novel calls "Ibn Al-Rink" or "Ibn Al-Riq", and the resulting conflict between the Almohads and the Emirate of Portugal over areas of influence in western Andalusia, especially at the level of naval battles.

تمهيد:

في الوقت الذي كانت فيه الأندلس تعيش الاضطراب بسبب الفتن التي أعقبت ضعف المرابطين وتقلص دورهم البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط، كان الغرب الأندلسي يعرف نمو إمارة البرتغال الناشئة التي استقلت عن مملكة قشتالة، وأخذت تنمو وتتسع جنوباً على حساب المسلمين بقيادة ملكها "ألفونسو انريكث" "Elfonso Enriquez" الذي تسميه الرواية العربية "ابن الرنك" أو "ابن الريق"، وما لبث أن اعترف البابا بها كدولة مستقلة، ومنح أميرها لقب الملك سنة 575هـ/1179م<sup>(1)</sup>، وهذا دلالة على ما أصبحت تمثله هذه الإمارة في الصراع ضد المسلمين.

قد نجد صعوبة في دراسة المعارك البحرية في هذه المرحلة، لأن المصادر لا تقدم تفصيلات عنها وتكتفي بذكرها، ثم إن معارك الأساطيل لم تكن في مجملها بحرية بحتة فكثير منها غزوات على السواحل أو الجزر، وفي أغلب الأحيان كانت تغطية الجيوش البرية للأسطول عنصراً بارزاً في الخطة، وأحياناً يكون

(1) - العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص 264

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

الأسطول في التغطية والحماية لمعارك برية خوفاً من أي هجوم أو غزو بحري على السواحل. ولهذا كانت مهمة السفن تقتصر على نقل الجند والعدة الحربية في القتال يكون بالالتحام على الأرض أو على ظهر السفن، وقد وحرص أمراء البحر العرب عموماً على ابتكار خطة جديدة للالتحام في المعارك البحرية وتسييرها على النمط البري، وذلك بأن يلقي على مراكب الأعداء الكلاب ثم تجذب سفنهم حتى تقترب من سفن المسلمين ثم توضع ألواح بين جوانب السفن حتى تكون جسراً ينتقل عليه جند المسلمين إلى العدو داخل سفنه ويقاثلونه عليها<sup>(1)</sup>، هذا فضلاً عن استخدام الحصار البحري، وعادة ما كان مرادفاً للحصار البري، وبذلك سنركز في هذه الدراسة على ذلك الصراع البحري الذي خاضه الموحدون ضد مملكة البرتغال الناشئة وتأثيره على القوى البحرية الموحدية والوجود الإسلامي في الأندلس.

### تهديدات إمارة البرتغال البحرية:

عرف ألفونسو انريكس بالذكاء واغتنام الفرص، فلم يفوت فرصة انهيار دولة المرابطين في الأندلس وصراعهم مع الموحدين لمحاولة الاستيلاء على أهم القواعد الإسلامية الكبرى في الغرب الأندلسي. ونقصد بذلك مدينة لشبونة التي اتخذ منها الموحدون منذ بداية نفوذهم في الأندلس كأعظم المراكز لشن الغارات على الأراضي البرتغالية، ولما لم تكن "لألفونسو هنريكس" القوة البحرية الكافية لأداء هذه العملية، فإنه استعان بحملة صليبية تتألف من عدد من الإنجليز والألمان والفلمنك (الهولنديين) كانت في طريقها إلى المشرق، فعوض بذلك ضعفه البحري.

(1) - إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص 187. وزغروت: المرجع السابق، ص 296

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

في أواخر 541هـ/ أوائل 1147 حاصرت قواته لشبونة، ورابطت القوات الصليبية في البحر في مدخل الميناء لتحول دون وصول أية إمدادات إلى المدينة من جهة البحر وهو الباب القبلي، ودام الحصار عدة شهور دافع خلاله المسلمون عن المدينة دفاعا مستميتا، لكن إصرار "ملك البرتغال" على احتلالها طمعا فيما يوجد بها من كنوز وحلي، حمّسه على مواصلة القتال حتى دخلها في جمادي الأولى سنة 542هـ/ أكتوبر 1147م<sup>(1)</sup>

ولم يكتف بذلك فقد تمكن كذلك من الاستحواذ على مدينة شنترين والمناطق المحيطة بها، وفي عام 555هـ/ 1160م استغل ملك البرتغال انشغال عبد المومن بن علي بحملته إلى إفريقية وحروبه البحرية ضد النورمان، وثورة ابن مردنيش في شرق الأندلس الذي أخذ يتوسع في جيان وقرمونة وتهديده قرطبة<sup>(2)</sup>. وتمكن من الاستيلاء على "قصر أبي دانس" سنة 555هـ/ 1160م أو المسمى "قصر الفتح" *Alcacer dosal* الواقع على مصب نهر سادو و على المحيط الجنوبي شرق لشبونة وذلك بعد حصاره من البر والبحر مدة شهرين كاملين<sup>(3)</sup>. ولم تأت أواخر 557هـ/ ديسمبر 1162 حتى كان نصارى شنترين قد تمكنوا من غزو مدينة باجة والاستيلاء عليها ومكثوا فيها أربعة أشهر عاثوا خلالها فسادا في ساحتها وهدموا أسوارها ثم رحلوا عنها<sup>(4)</sup>. وبذلك أصبحت مملكة البرتغال تشكل خطرا داهما على وجود الموحدين في الأندلس.

### رد فعل الموحدين البحري:

(1) - و أول خطوة بادر ألفونسو هنريكز في اتخاذها هي تحويل المسجد الجامع بلشبونة إلى كنيسة و تنصيب

أسقف لها . راجع سحر السيد عبد العزيز: تاريخ بطليوس الإسلامية ، ط الإسكندرية ، ج 2 ص ص 191 192

(2) - الاستقصا ، ج 2 ص 126

(3) - محمد عنان : م س ج 2 ص 25

(4) - المن بالإمامة ، ص 289 ، تاريخ بطليوس ، ج 2 ص 193

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

رغم كثرة مشاغل عبد المومن بن علي في بلاد العدو الأولى، فقد رتب اهتماماته حسب أولوياتها، وما تبع ذلك من أحداث في عهده بينت مدى اهتمامه بمواجهة مملكة البرتغال الناشئة في الغرب الأندلسي، فعندما اتصل به " ابن القسي" صاحب ثورة المريدين بغرب الأندلس، وجدنا عبد المومن يأمر ببناء السفن في سبته ويجهز حملة بحرية بقيادة " عمران بن سعيد" قوامها عشرون ألف راجل وعشرة آلاف فارس اجتازت الجزيرة الخضراء واستولت عليها و على شريش ثم أشبيلية و مالقة<sup>(1)</sup>، ولولا أحداث إفريقية لواصلت تقدمها نحو السواحل الغربية الأندلسية.

ولما تفاقم عدوان البرتغال على قواعد الغرب عبر "ابن وزير" صاحب باجة ويابرة البحر إلى المغرب مستغيثا بالخليفة عبد المومن سنة 549هـ/1154، ولكن انشغال الموحدين بفتنة الأندلس وربما لعدم وجود وحدات بحرية كافية في هذه المرحلة للسيطرة على السواحل الغربية، فاكتفى عبد المومن عندئذ ببذل وعوده في الإنقاذ و العون<sup>(2)</sup>.

وبعد إتمام عبد المومن بناء جبل الفتح، نزل به وقام شهرين استشرف خلالها أحوال الأندلس، ووفد عليه قوادها وأشاخها فأمر بغزو (مملكة البرتغال) فنهض إليها الشيخ "أبي حفص الهنتاني" من قرطبة وفتح حصن "المركنش" من أحواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارى، ورغم محاولة ألفونسو من طليطلة إعانته إلا أنه انهزم أمام أبي حفص، وساق المسلمون السبي والغنائم إلى قرطبة وأشبيلية وتمكن الموحدون سنة 556هـ/1160م تملك بطليوس

(1) - الأندلس الزاهية ، ج 2 ص 11

(2) - محمد عنان : م س ج 2 ص 25

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

وباجة ويابورة وحصن القصر وعاد عبد المومن إلى مراكش بعد أن ولى عليها محمد بن الحاج<sup>(1)</sup>.

وتذكر المصادر الإسلامية أن عبد المومن عزم على الخروج في ربيع الأول 558هـ / فبراير 1163م، الجواز إلى الأندلس لرسم الجهاد وللقيام بغزوة أندلسية كبيرة فنزل برباط الفتح ثم استشار الحاضرين فدلوه على المتاعب التي أصبحت تشكلها دولة البرتغال الناشئة في ظل ألفونسو انريكيز التي لا تتوقف عن ضرب الجزء الغربي من الأندلس بلا هوادة، ولذلك اقترح عليه أحد الحاضرين وهو " أبو محمد سيداري بن وزير علي " أن يوجه جيوشه توجهات أربع (( تكون جهة ابن الرنك (ألفونسو انريكيز) بقلمرية أولا، وجهة الببوج بالسبساط ثانية، وجهة أذفونش بطليطلة ثالثة، وجهة برشلونة رابعة ..))<sup>(2)</sup>

وقد أعد عبد المومن لهذه الحملة جيدا، فاستنفر الناس للجهاد وأنشأ عددا ضخما من القطائع بلغ حوالي ثلاثمائة أو أربعمائة مركب<sup>(3)</sup>، لكنه لما باشر العبور ابتدأه المرض فتوفي في 2 جمادي الآخرة عام 558هـ/1162م دون إتمام مشروع غزو غرب الأندلس.

ويبدو أن هناك ظروفًا<sup>(4)</sup> ما حالت دون أن يواصل خليفته " أبو يعقوب يوسف " مشروع أبيه في غزو الأندلس والغرب على الخصوص برا وبحرا، واهتم بتوطيد

(1)- الاستقصا ، ج2 ص 126 ، رزق الله منقربوس الصرفي : تاريخ دول الإسلام ، ج2 ص 156

(2)- المن بالإمامة ، ص 153

(3)- تقي الدين عارف الدوري: تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس، جامعة نصر الخميس ليبيا 1997، ص291

(4)- فبعد وفاة عبد المومن ظهر الخلاف بين أولاده حول الخلافة ، ولم يحل هذا الخلاف حتى عام 563هـم و هذا ما شغل يوسف عن مواصلة مشروع أبيه ، كما ظهرت في بداية حكمه الثورة الجليلة التي قاب بها في نواحي غمارة " سبع بن منغفاد" في جبل تيزراب، وهو جبل منبع جد مرتفع يسمى أيا بجبل الكواكب، وقد تفاقمت هذه الثورة وشغلت رؤساء الموحدين الذين فشلوا في إخمادها ، فاضطر يوسف أن يخرج بنفسه ففضى عليها وقتل مترعماها بن منغفاد "ل راجع روض القرطاس ، ص 148 ، العبر ، ج6 ص 320 ، الاستقصا ، ج2 ص 133

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

نفوذ حكمه، فبعدما أخذ البيعة لنفسه سرح الجيوش المجتمعة إلى بلادهم وقبائلهم، وكان ذلك فرصة لاستمرار النشاط النصراني على القواعد الإسلامية في الغرب الأندلسي.

### القضاء على المغامر جيرالدو الجليقي:

ظهر المغامر "جيرالدو" في غرب الأندلس، وهو الذي تنعته التواريخ النصرانية بالباسل *sempavor Gerado* أما الرواية العربية تعرفه بالعلاج "جراندة الجليقي" قاطع الطريق أو رئيس عصابة، وكان يقوم بالغزو لحساب نفسه على نحو ما كان يفعل السيد "القمبيطور" (الكمبيادور) في شرق الأندلس. وكان ملك البرتغال يؤازره ويعاونه وسماه بعض البرتغاليين "السيد البرتغالي" أي قرين السيد القمبيطور، كما كان أذفونش الرنك صاحب قلمرية يعاونه بالرجال و سلطه على الثغور الإسلامية.

وقد استغل جيرالدو الجليقي هذا انشغال عبد المومن بمحاربة الثائر ابن مردنيش في الشرق الأندلسي، وانشغال يوسف بن عبد المومن بعده بقمع فتنة غمارة أوائل 562هـ/ 1166م، وقام بأكبر حركة عسكرية في الغرب استولى من خلالها على كثير من المعاقل الإسلامية<sup>(1)</sup> حتى وصل إلى بطليوس واستولى عليها. وقد أحس يوسف الموحد بضرورة حسم الموقف في الغرب الأندلسي، فلما بدأ الوضع الداخلي للدولة يستقر، أرسل حملة إلى ثغر طبيرة الواقع في جنوبي البرتغال غربي مصب نهر وادي بانه، جنوب شرق شلب، وكان النصراني قد سيطروا عليها منذ 546هـ/ 1151م، فحاصرها الموحدون برا وبحرا حتى أذعنوا للطاعة والتسليم<sup>(2)</sup>.

(1) - المن بالإمامة ، ص ص 289 290 ، محمد عنان : م س ج 2 ص ص 26 27

(2) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 103 ، المن بالإمامة ص ص 283 284

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

وتحضيرا لغزو الغرب الأندلسي عقد "أبو يعقوب" في أواخر عام 563هـ/1167م معاهدة صلح وتحالف مع "فرناند والثاني" ملك ليون، وكان الحلف موجها ضد ملك البرتغال، وقد أثمر هذا الحلف عن تخليص مدينة بطليوس من يد البرتغاليين بمساعدة فرناندو<sup>(1)</sup> الذي سلم المدينة إلى واليها الموحد "ابن تيمصلت" عام 564هـ/1169م .

وأدرك الخليفة يوسف والموحدون أهمية أشبيلية في سياستهم البحرية والصراع مع البرتغال بحكم موقعها على مصب الوادي الكبير، فاتخذوا منها عاصمة بدل قرطبة، ولاستكمال دورها في مواجهة مملكة البرتغال في غرب الأندلس، أمر الخليفة يوسف بن عبد المومن عام 567هـ/1172م ببناء قنطرة عظيمة من السفن على نهر الوادي الكبير الذي تقع عليه أشبيلية تثبت معا بالسلاسل، تصل بين أشبيلية وطريانة Triana ضاحية على الضفة المقابلة، وأقيمت على ضفتي النهر كي يصلها الدرج بالنهر، وكان ذلك من شأنه تسهيل تسيير تنقل الجيوش للغزو<sup>(2)</sup> .

وظل البرتغاليون يترقبون الوضع الموحد في الأندلس ويتحينون المناسبة، فعندما تحرك الخليفة أبو يعقوب في أواخر عام 567هـ/1172م إلى غزو مدينة وبذة<sup>(3)</sup> ، أعد ألفونسو هونيكردته لغزو مدينة باجة، واحتلها مدة خمسة شهور ثم تركها بعد أن أحرقها وأخذ الكثير من أهلها أسرى .

وكان رد الفعل الموحدى سريعا وقويا حين خرج الجيش بقيادة "أبي زكريا يحيى بن الخليفة" وحقق نصرا مؤزرا على القوات النصرانية، فطلب ملك

(1) - وتسميه المصادر الإسلامية "صاحب السبباط" أو البيوج وهو تحريف للكلمة القشتالية Elbaboso و

معناه كثير اللعاب ، راجع محمد عنان : م س ج 2 ص 38

(2) - المن بالإمامة ، ص ، ص . ص 370.372 ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 165

(3) - مدينة بالأندلس وهي حصن على واد بغرب "أقليش" صفة جزيرة الأندلس ، ص 194

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

البرتغال الهدنة بين ملوك النصارى والخليفة فعقدت بعد شهرين من المفاوضات من ذي الحجة 568هـ/ يولييه 1173م، وكان مما حمل الخليفة على إثثار الصلح رغبته في التفرغ لتعزيز المواقع ولأعمال الإنشاء والتعمير.

وكان من نتائج ذلك أن شعر حليف ملك البرتغال وقائده السابق "جيرالدو الجليقي" بأن فرص المغامرة قد أغلقت في وجهه، فجاء إلى الخليفة مستسلما وعبدا له. وتذكر الروايات أن الخليفة أحسن إليه وبقي عنده حتى ضبطت عليه مراسلات سرية مريبة مع ملك البرتغال، فاعتقل مع أصحابه وأرسلوا إلى سجلماسة، وهناك حاول مرة أخرى الاتصال بملك البرتغال سرا، مغريا إياه بإرسال أسطول لفتح السوس وامتلاك بعض المراكز على الساحل المغربي، ولهذا أرسل الخليفة إلى عامله بدرعة يأمره بإعدام الجليقي وتوزيع أصحابه على القبائل<sup>(1)</sup>.

### عودة المعارك البحرية مع مملكة البرتغال:

وفي سنة 573هـ/1177م نقض ألفونسو هونيكز الهدنة المبرمة مع الموحدين، وقام بغزو طرسانة وعاث فسادا في أحواز أشبيلية ثم رجع إلى باجة، وكان أهلها قد تركوها لشدة ما قاسوه من معاملة النصارى، بينما قام أسطولهم بغزو الشواطئ الجنوبية لغربي الأندلس، فعبروا النهر الكبير ودمروا عدة سفن موحدية كانت راسية في ميناء أشبيلية<sup>(2)</sup>، وعندئذ قرر الخليفة أبو يعقوب أن يقوم بمجهود لرد هذا العدوان، فالتحمت أساطيل الموحدين

(1) - عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج6 ص 51، محمد عنان: م س ج 2 ص 90

(2) - هشام أبو رميلة: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الأردن الطبعة الأولى، 1984، ص 321<sup>(20)</sup> يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص 490

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

بأساطيل البرتغاليين في معارك بحرية أحرز فيها الأسطول الموحدى كثيرا من ضروب التفوق<sup>(1)</sup>.

ورغم ضآلة المادة التاريخية في هذا الجانب، ولاسيما فيما يتعلق بالجانب البحري المبكر لمملكة البرتغال، فثمة ما يبين أن نمو هذه المملكة كان في إطار علاقاتها التجارية والبحرية مع أقطار شمال أوروبا والبحر المتوسط حيث أنشأوا تدريجيا أسطول المملكة البرتغالية<sup>(2)</sup>.

ويذكر ابن عذاري أنه لما اشتدت وطأة البرتغاليين على أملاك الموحدين برا وبحرا، أمر الخليفة "أبو يعقوب يوسف" بغزو شواطئ مملكة البرتغال وولى أمير البحر "غانم بن مردنيش" قيادة الأسطول في عام 575هـ/1179م، فسار بأسطول سبته غازيا إلى مدينة أشبونة وهاجم ثغرها وأسر سفينتين برتغاليين وعاد إلى قاعدته بسبته دون أن يتكبد أية خسائر<sup>(3)</sup>.

وردا على الغارة البحرية الموحدية أرسل البرتغاليون حملة بحرية انتقامية وأغاروا على إقليم الغرب الجنوبي، وتمكنوا من الاستيلاء على جزيرة "سلطيش"<sup>(4)</sup> القريبة من مدينة "وبله" Huelva عند مصب نهر أوديل، وأسروا الكثير من سكانها، فبقوا في الأسر حتى افتداهم الخليفة أبو يعقوب بالمال<sup>(5)</sup>.

(1) - يوسف أشياخ : المرجع السابق ، ص 490

(2) - أبو رميلة : المرجع السابق ، ص 321 ، J. f c jallaghan ; History OF Spain p 329

(3) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 140 ، العبر ، ج 6 ص 323 ، الاستقصا ، ج 2 ص 136

(4) - جزيرة سلطيش Salte ، جزيرة ساحلية صغيرة بالقرب من مدينة وبه غربي أشبيلية على البحر ، وهي جزيرة لا سور لها ولا حظيرة إنما هي بنيان متصل ببعضه ببعض تقع بإزاء مدينة أوتية على بعد أربعة أميال ، بها دار صناعة للسفن ودار صناعة الحديد وهي عامرة كثيرة البساتين ، ومدينة سلطيش مرفأ للسفن وركاب البحر ومرساها كثير السفن .. "الروض المعطار" ، ص 140 ، معجم البلدان ، ج 3 ص 407

(5) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 140 ، محمد عنان : م س ج 2 ص 100<sup>(25)</sup> البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 143 ، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 351 352 ، أبو رميلة : المرجع السابق ص 322 ، محمد عنان : م س ج 2 ص 100

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

ورغم انشغال الخليفة بغزو قفصة في إفريقية لم يتوان في الرد على هذا الاعتداء، وجهز حملة لغزو الأراضي البرتغالية وخرج الأسطول الموحي من مدينة سبته بإمارة "غانم بن مردنيش" وأخيه أبي العلاء وعبر المجاز في شهر محرم 576هـ/1180م، ونزل الموحدون في ميناء "سان مارتن دي بورتو" San Martin doporto الواقع شمال أشبونة، وتوغل الموحدون إلى الداخل، وحاولوا مهاجمة مدينة "بورتوديموس" Porto demos التي تقع على مقربة من الشاطئ، لكن أمير البحر البرتغالي "فواس روينهو Fuas Roupinno كان يستعد خلال ذلك للقاء الموحدين فاستدعى نصارى مدينتي شنترين وألكينينا لمساعدته، وأعد كميناً في جبال منديجا أو مندين Mandija عند المنابع العليا لنهر بوتوديموس، وما أن نشبت الموقعة حتى باغتت الكمائن الموحدون وانقضت عليهم فألحقت بهم الهزيمة، وأسرت قائد أسطولهم "غانم بن مردنيش" وأخاه أبا العلاء وخمسين من أعيان الموحدين، واستشهد معظم من في الحملة من غزاة البحر الموحدين، واستولى البرتغاليون على أسلحتهم ومتاعهم كما استولوا على تسع سفن من الأسطول الموحي بملاحمها وساروا بها إلى أشبونة .

وكتب الخليفة إلى أخيه "هلال ابن مردنيش" بهذه المهمة، فذهب إلى مراكش كي يجمع المال اللازم لذلك، ثم عبر أبو القمر هلال البحر إلى أشبيلية ودفع المال إلى الفكاك فانصرف الفكاك إلى النصارى ودفع لهم فتم إطلاق سراح غانم وأخيه أبي العلاء وبقيّة أصحابهما<sup>(1)</sup>، بعدما تعرضوا لمعاملة سيئة من البرتغاليين<sup>(2)</sup>.

(1) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 143، أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 351 352 ، أبو رميلة : المرجع السابق ص 322 ، محمد عنان : م س ج 2 ص 100

(2) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 143

## الحرب البحرية بين الموحيدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

وحاول البرتغاليون استثمار هذا النصر لتحقيق تقدم بحري أكبر، وكتبوا على المسلمين في البر والبحر<sup>(1)</sup>، وحشدوا أسطولاً ضخماً بقيادة الأميرال "روينو" فأغار على سواحل الأندلس القريبة ثم سار بحذاء الساحل المغربي، وكان المقصد أن يقوموا بضربة لميناء سبته مركز الأسطول الموحيدي.

ولكن من حسن طالع الموحيدين أن الخليفة "أبو يعقوب يوسف" الذي نشطت نفسه للجهاد البحري، كان يتأهب لثأر هزيمة "رأس أسبيشل" وأصدر أوامره إلى غزاة البحر الموحيدين بذلك، فخرج القائد "عبد الله بن جامع" -الذي تولى قيادة الأسطول منذ أسر غانم- من سبته بأسطوله وخرج في نفس الوقت "أبو العباس الصقلي" بإمرة أسطول أشبيلية، واجتمعت الأساطيل الموحيدية بثغر قادس، وقد بلغ عدد سفنها أربعين قطعة<sup>(2)</sup>. وسارت مجتمعة صوب شاطئ البرتغال الجنوبي ثم انقطعت لتسير شمالاً بحذاء شاطئ ولاية الغرب، وكان أسطول البرتغال قد بدأ عندئذ يسير نحو الجنوب، و يشاء القدر أن يشتبك الأسطولان الموحيدي والبرتغالي قبالة رأس أسبيشل جنوبي أشبونة في 15 محرم 577هـ/ أواخر 1181م، أي بعد عام بالضبط من اليوم الذي وقعت فيه هزيمة الموحيدين في موقعة "بورتوديموس وعلى مقربة من المكان الذي رسا فيه الأسطول الموحيدي بقيادة ابن مردنيش، فنشبت معركة بحرية حامية الوطيس هزم فيها البرتغاليون شر هزيمة، وقتل قائدهم الأميرال "روبنو" واستولى المسلمون على عشرين سفينة من سفنهم وأسروا نحو ألف وثمانمائة أسير وغنموا غنائم وفيرة من العتاد والسلاح، فكان نصراً موحيدياً باهراً<sup>(3)</sup>،

(1) - أحمد خليفة : التاريخ المغربي لمدينة سبته ، ج 1 ص 147

(2) - البيان المغرب (قسم الموحيدين) ص 145

(3) - البيان المغرب (قسم الموحيدين) ص 145 ، العبر ، ج 6 ص 324 ، محمد عنان : م س ج 2 ص 101

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

وبادر القائدان ابن جامع و الصقلي فسارا إلى الحضرة في الأسرى والغنائم<sup>(1)</sup>. وفي رواية ابن خلدون ورواية ثانية لصاحبا البيان المغرب، أن أبا يعقوب يوسف أمر بتخصيص بعض الأسرى لافتداء ابن مردنيش وأصحابه وإعدام الباقين وهذا ينافي الرواية الأولى التي تذكر افتدائه للأسرى .

وتوالت الأحداث والحروب بين الفريقين برا وبحرا دون أن يحسم الصراع، مما جعل الخليفة الموحي يستشاط من تفاقم التهديدات البرتغالية، ويقرر تنظيم حركة جهادية يقودها بنفسه لاسترداد مدينتي شنترين وأشبونة اللتين اتخذاهما النصارى قاعدتين لغزو البلاد الإسلامية برا وبحرا، فاتخذ الخليفة التدابير لذلك حتى أمر للقيام بحركة تمييز جديدة في صفوف الموحدين، وأمر بصنع عشرة مجانيق جديدة في طنجة شاهد بنفسه مدى صلاحيتها للرمي أمامه في منطقة البحيرة خارج مراكش طول شهر كامل<sup>(2)</sup> .

وبعد إتمام الاستعداد عقد الخليفة وهو برياط الفتح مجلس شورى، واستشار شيوخ الموحدين عن أحسن وجهة توجهها الحملة إلى إفريقية أم الأندلس، فكان رأيهم بالإجماع أن توجه إلى الأندلس لغزو النصارى و الجهاد في سبيل الله، فأبدى الخليفة ارتياحه لذلك<sup>(3)</sup>. ولست أدري هل كان هذا يندرج ضمن إستراتيجية الحملة و سرّيتها أم يكشف جانبا من ضعف الخطط العسكرية لأبي يعقوب الموحي .

وعبرت القوات مضيق الزقاق، فنزلت بجبل الفتح (جبل طارق)، ومنه إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى أشبيلية، حتى تواصلت الاستعدادات البرية والبحرية

(1)- العبادي : تاريخ البحرية ، ص 268 ، أحمد خليفة: التاريخ المغربي لمدينة سبتة ، ج 1 ص 147

(2)- البيان المغرب (قسم الموحدين) ص155

(3)- محمد عنان : م س ج 2 ص 116

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

على مدى أسبوعين، فحشدت قوات عظيمة وأسطولا ضخما من سفن القتال ومراكب النقل لشحن آلات الحصار والمؤن والسلاح بقيادة أمير البحر "أبي العباس الصقلي" لغزو مدينة أشبونة<sup>(1)</sup>.

وكانت خطة الموحدين تقتضي مهاجمة مملكة البرتغال (أشبونة) من البر بينما يحاصرها الأسطول من جهة البحر عند مصب نهر التاجو Tajo<sup>(2)</sup> في محاولة للقضاء على مكنم الداء لأن الحية تقتل في رأسها، ومنها يتم الاستيلاء على شنترين ليقوم بافتتاح مملكة البرتغال كلها حتى نهر دويرة، ثم يسير بعد ذلك إلى غزو مدينة طليطلة حاضرة قشتالة<sup>(3)</sup>، ودلت على ذلك الحشود الموحدية فيذكر ابن صاحب الصلاة وصاحب الروض المعطار الذي نقل عنه أنها بلغت "أربعين ألفا من أنجاد العرب والفرسان والموحدين والجنود المطوعة وفرسان الأندلس وأجنادها ما ينيف على مائة ألف فارس"<sup>(4)</sup>

خرجت الحملة من أشبيلية قاصدة أشبونة ولكن الخليفة الموحي رأى لإنجاح خطته قبل السير إلى أشبونة، ضرورة الاستيلاء على مدينة شنترين Santaren مفتاح تاجو المجاورة لها و حصن أشبونة من الشمال، وبذلك يؤمن مؤخرة الجيش الموحي ضد أي هجوم يقوم به النصارى من تلك الناحية<sup>(5)</sup>. وفي نفس الوقت اتجه الأسطول بقيادة المقدم "أحمد الصقلي" إلى هدفه الرئيسي "أشبونة" وضرب عليها حصار لمدة عشرين يوما<sup>(6)</sup>، دون أن تذكر المصادر

(1) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 159 ، العبادي : المرجع نفسه ، ص 269

(2) - أبورميلا : المرجع السابق ص 325 ، تاريخ البحري ، ص 2

(3) - محمد عنان : م س ج 2 ص 118

(4) - المن بالإمامة ، ص الروض المعطار ، ص 346

(5) - محمد عنان : نفسه ، ص 120

(6) - الروض المعطار ، ص 347

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

التاريخية النتائج التي توصل إليها الأسطول في حصاره في حين ركزت على الحصار البري الذي ضربته الموحدون على شنترين .

وفي نهاية يونيو 580هـ/1184م حاصرت الجيوش الموحدية شنترين ودمرت أرباضها واستولت عليها إلا قصبها استعصت، وفشل الموحدون دخولها، ولما طال الحصار عليها أمر الخليفة أبو يعقوب بالرحيل عنها وهنا تختلف الروايات في تعليل ذلك.

فالرواية النصرانية للحبر الانجليزي "راؤول دي ديستو" التي أوردها محمد عبد الله عنان، خلاصتها أن الموحدين وصلوا إلى شنترين في يوم القديس خوان 24 يونيو 1184م، وبعد ثلاثة ليال من القتال المستمر نجحوا في اقتحام المدينة من ثلثة أحدثوها، ولكن وصل في الثاني "أسقف بوركو" وابن الملك وقتلوا من الموحدين خمسة عشر ألف وسدوا تلك الثلثة بجثثهم، وفي اليوم التالي الذي يليه وصل أسقف "شانت ياقب" ومعه عشرون ألف مقاتل، وفي الفجر قتلوا ثلاثين ألف مقاتل من الموحدين<sup>(1)</sup>، وألحقوا بهم الهزيمة وأجبروهم على الانسحاب والفرار، فلما بلغ ذلك أسطول الموحدين وهو على حصار أشبونة أقلع هو الآخر ولاذ بالفرار<sup>(2)</sup>.

أما الروايات الإسلامية وإن اختلفت فيما بينها إلا أنها تتفق في صدور أمر الخليفة المفاجئ بالكف عن القتال والرحيل عن شنترين، فصاحب المعجب يعلل ذلك بقوله: "وخشي الموحدون هجوم البرد، إذ كان الوقت آخر الصيف وخافوا أن يفيض النهر فلا يستطيعون عبوره، وتنقطع عنهم الإمدادات، فأشاروا على الخليفة بالارتداد عن شنترين إلى أشبيلية، فإذا تغيرت الظروف عادوا

(1) - H. Miranda ، نقلا عن محمد عنان : م س ج 2 ص 122

(2) - مراجع عقيلة الغنای : سقوط دولة الموحدین ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف حسن حبشي، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، 1971، ص 154.

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

إلى حصارها فاستمع الخليفة إلى نصحهم وقال : نحن راحلون غدا إن شاء الله ..<sup>(1)</sup> ولكن هذه الرواية يقوضها التحليل العلمي البسيط، لأن الحصار لم يقع في أواخر الصيف وإنما في شهر يونيو أي أوائل الصيف، كما أن الحصار لم يدم سوى أيام، وعلى هذا فالتعليق بالبرد و الشتاء غير وارد.

ويتفق ابن عذارى وابن أبي زرع في القول: "حاصرهما وضيق عليها الحصار ثم انتقل من موضع نزوله إلى غربيها فأنكر المسلمون ذلك، ولم يعلموا شيئا فلما جنّ الليل بعث إلى السيد أبي إسحاق والي أشبيلية بالرحيل من تلك الليلة إلى غزو مدينة أشبونة وشن الغارات على أنحاءها .."<sup>(2)</sup> وقد تبدو هذه الرواية منطقية إلى حد ما في سياق الأحداث، حيث أراد الخليفة الانتقال بمعظم جيشه إلى أشبونة كي يتعاون مع الأسطول في حصارها، لكن القرار المفاجئ للخليفة وسوء إعلان القرار هو الذي أدى اضطراب الجيش، فالخليفة أمر بالرحيل من غد تلك الليلة، وأن يكون الرحيل نهارا فأساء قاداته الفهم وظنوا أنه أمر بالرحيل ليلا، وتحدث الناس بذلك، ورحلت طائفة منهم بالليل وتتابع الناس بالرحيل، فلما أصبح وصلى الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله من أهل المحلات إلا عددا يسيرا في خاصته وحشمه، فلما طلعت الشمس وتطلع النصارى المحصورين من سور البلد على المحلة و تحققوا ذلك من جواسيسهم خرجوا إليه وهم ينادون الري .. الري .. أي اقصدوا الخليفة لأن كلمة ري Rey تعني الملك عندهم، فضربوا في محلته إلى أن وصلوا إلى خبائه وطعنوه طعنة قاتلة، وتصايح العبيد ونادوا بالفرسان والأجناد فتراجع المسلمون وقاتلوا الفرنج بالسيف حتى أدخلوهم المدينة، ثم ارتحل الناس ولا يدرون 1184 أين، ثم اهدتوا بالطبول فقصدوا جهة أشبيلية، ومات الخليفة في

(1) - المراكشي : المعجب ، ص ص 245 259

(2) - روض القرطاس ، ص 118 ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 163 ، الاستقصا ، ج 2 ص 138

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

الطريق في 10 ربيع الثاني 580هـ / 1184م<sup>(1)</sup> في حين تذكر بعض المصادر أنه مات من المرض وهو قول شاذ.<sup>(2)</sup>

ومهما يكن الأمر فقد كان ذلك نكسة قوية للموحدين في المغرب والأندلس، فرغم المبايعة الفورية لأبي يعقوب المنصور وفي هدوء وسلام<sup>(3)</sup>، إلا أن الجيش الموحد استمر في العودة إلى العدو المغربية، وتولى الأسطول الموحد بقيادة "أبي العباس الصقلي" هذه المهمة، فنقل على ظهر ثلاثة عشر سفينة الجيش الموحد من جزيرة طريف إلى العدو المغربية<sup>(4)</sup>.

### هدوء الجبهة البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال:

تذكر المصادر أن الخليفة الجديد "يعقوب المنصور" أنفق خمس سنوات قبل أن يستطيع استئناف الجهاد في الأندلس.<sup>(5)</sup> إذ انشغل خلالها بتنظيم الشؤون الداخلية للدولة ومطاردة بني غانية الميورقيين في بجاية وإفريقية الذين استغلوا وفاة أبي يعقوب يوسف للاستيلاء على بعض المواقع في المغرب الأوسط وإفريقية<sup>(6)</sup>.

وكان هذا الفراغ الذي عقب نكبة سنتين من شأنه أن يزيد أطماع البرتغاليين على حساب الوجود الإسلامي في الغرب الأندلسي، حيث قام ألفونسو هنريكز (ابن الرنك) بمواصلة هجماته على الأراضي الإسلامية في إقليم الغرب، إلا أن

(1) - روض القرطاس ، ص 149 ، الاستقصا ، ج 2 ص 139 ، العبر ، ج 6 ص 325 ، سير أعلام النبلاء ج 21 ص 102 س د ، ج 2 ص 267 ، نهاية الأرب ، ج 24 ، ص 326

(2) - الروض المعطار ، ص 347 ، الكامل ، ج 9 ص 105 .

(3) - نفع الطيب ، ج 4 ص 379 ، الكامل في التاريخ ، ج 9 ص 480 ، وفيات الأعيان ، ج 7 ص 4

(4) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 171

(5) - نفسه ، ص 203 ، الاستقصا ، ج 2 ص 162 ، نهاية الأرب ، ج 24 ص 331 ، الكامل ، ج 10 ص 89

(6) - راجع فصل الصراع بين الموحدين وبني غانية البحري من البحث .

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

ألفونسو توفي في أواخر 581هـ/ ديسمبر 1285م، بعد أن أسس لسياسة صراع مبنية على روح صليبية ضد المسلمين، و بعد أن حقق جزءا من أهدافه التوسعية على حساب الأراضي الإسلامية.

دخول الصليبيين على الخط وسقوط شلب في ( 585هـ/ 1189م):

بعد وفاة ألفونسو هنركز" خلفه ابنه "شانجه الأول" Sancho 1 (585 611هـ/ 1185.1211م)، والذي كان متشبعا بأفكار أبيه، راح يستأنف الغزوات البرية والبحرية للأراضي الإسلامية مستغلا فرصة انشغال المنصور الموحدى بأحداث إفريقية أمام مشاكسات بني غانية ومؤامرات الخوارج، كما أن تحالف الممالك المسيحية في الأندلس (قشتالة، أراغون، البرتغال) سهل عليه الأخذ بزمام المبادرة، ولقد أصبحت الظروف مهيأة أكثر بعد سنة 583هـم 1187م، وهي السنة التي استعاد فيها صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس، وما نتج عنه من سقوط المملكة اللاتينية، فأخذت الإمدادات الصليبية تتقاطر على المشرق من ناحية المحيط لتتجد الصليبيين في المشرق، وكانت أساطيلهم كثيرا ما ترسو في الموانئ البرتغالية إما رغبة أو اضطرارا<sup>(1)</sup> فاستغلها الملك البرتغالي لتحقيق مشروعه التوسعي على حساب الأراضي الإسلامية في الغرب الأندلسي .

ففي أوائل عام 595هـ/ 1189 م، وصل أسطول صليبي ضخم من شمال أوربا يتكون من خمسين سفينة<sup>(2)</sup>، تحمل عشرة آلاف من الجند الألمان والفلمنك (الهولنديين) في طريقه إلى بيت المقدس، وقد رست سفن هذا الأسطول في مياه جليقية قبالة مدينة شانت Santiago قصد زيارة قبر أحد الحواريين

(1) - محمد عنان : م س ج 2 ص 170 ، تاريخ البحرية ، ص 271

(2) - نفسه، ص 10، ويذكر أمين توفيق طيبي أن عدد السفن نقلًا عن كتاب أجنبي بلغ ستين سفينة ، راجع مقال: وقعنا حطين والأرك، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين، السنة العاشرة ، العدد الأول

ليناير 1988، ص66

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

هناك، وهو القديس "يعقوب"، لكن أهل المدينة تخوفوا أن تمتد أيدي أولئك الجند إلى الذخائر التي يحفل بها مزار هذا القديس، فقاتلوهم حتى اضطروهم للعودة إلى سفنهم التي اتجهوا بها نحو الجنوب<sup>(1)</sup>.

وفي نفس الوقت وصل المياه البرتغالية أسطول صليبي آخر من انجلترا وبلاد الفلاندر وكان أكثر عدة وعددا، ودفعته الأنواء والعواصف إلى الرسو في ميناء أشبونة على البحر المتوسط<sup>(2)</sup>، ثم انضمت إليه السفن القادمة من مياه جليقية فاجتمع بذلك في مياه أشبونة عدد كبير من السفن الصليبية وهي تحمل الأعداد المؤلفة من الجنود والمقاتلة وذلك في شهر ربيع الثاني 585هـ/يوليو 1189م، ولما كان الوقت متأخرا وينذر بقدم فصل الشتاء استغل الملك البرتغالي "شانجة الأول" الفرصة لإقناعهم بمساعدته في الأخذ بمخنق مدينة شلب للخروج إلى السواحل البرتغالية فيقتلون النصارى وينهبون ثغورها<sup>(3)</sup>، واتفق معهم أن يجعل لهم سبي البلد وله هو المدينة خاصة، فاستجاب الصليبيون للعرض طمعا في الغنائم والثروات التي تتمتع بها شلب<sup>(4)</sup>.

ويذكر صاحب المعجب أن بطروين الريق نزل عليها بعساكره وأعانه من البحر الإفرنج بالبطس والشواني<sup>(5)</sup> ونظرا لحصانة المدينة فقد استدعى شانجة الأول أربعين سفينة محملة بالمقاتلين لاقتحام المدينة وحاول الجند الفلمنك من جهة أخرى أن يحفروا السرايب تحت الأسوار لدخول المدينة،

(1) - محمد عنان : م س ج 2 ص 171

(2) - يوسف أشباخ : المرجع السابق ، ص 330

(3) - أبو رميلة : المرجع السابق ، ص 329

(4) - المعجب ، ص 280

(5) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 202

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

إضافة إلى استخدام المحاصرين للمجانيق، إلا أن أهلها دافعوا ببسالة نادرة، لكنهم أهدقوا بها من كل جهاتها برا بحرا مدة ثلاثة شهور، وتمكنوا من الاستيلاء على بئر قراجة الذي يزود المدينة بالماء، فاشتد الجوع والعطش بأهل المدينة، فعندئذ اضطر والي الموحدين بها "الحافظ عيسى بن أبي حفص بن علي" إلى التفاوض مع المحاصرين والاتفاق معهم على تأمين أهل شلب ومغادرتها لتترك أسلأبا للنصارى<sup>(1)</sup>.

وبذلك سقطت عاصمة المسلمين في الغرب الأندلسي في 20 رجب 585هـ/ 3 سبتمبر 1189م، مما شكل ضربة قاسية للوجود ليس في الغرب الأندلسي فحسب، وإنما في الأندلس كلها لاسيما وأن القشتاليين كانوا في نفس الوقت يعيثون بأحوال قرطبة ويهددون موسطة الأندلس ويحاولون الوصول إلى أشبيلية<sup>(2)</sup>.

وقد ترتب على سقوط شلب دخول الصراع بين المسيحيين والمسلمين دورا جديدا، فلم يعد مجرد حروب محلية متفرقة، وإنما صراعا شاملا بين حضارتين مختلفتين وديانتين سماويين ظلا يتقاسما الصليبية والنصرانية لتهديد ما تبقى من إقليم الغرب من أراضي المسلمين في الأندلس.

ومن جهة أخرى كان للغنائم الكثيرة التي نهبا الصليبيون في شلب، وذاع صيتها في العالم الصليبي دافعا مهما لاتساع دائرة الأطماع الصليبية، ففي أوائل 586هـ/ 1190م جاء إلى شلب أسطول من عشرة سفن تحمل صليبيين انجليز،

(1) - تذكر رواية نصرانية" أن اتفاق أهل شلب قد تم مع ملك البرتغال دون علم الصليبيين، فارتكب الصليبية مذابح مروعة فور دخولهم ، فقتلوا و سبوا زهاء خمسين ألفا من أهلها ، ولم يبق من أهلها على قيد الحياة سوى ثلاثة عشر ألفا ، فاستولوا على الأسلاب وقسموها بينهم ، و رغب كثير من الصليبيين الإقامة في المدينة ، فاختراروا قسا من أهل فلاندر يدعى "نيقولاس" ، جعلوه أسقفا للمدينة بينما استولى الملك البرتغالي على المدينة " أشباخ ، ص 330

(2) - الكامل في التاريخ ، ج 10 ص 89

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

واتفقوا مع أسقفها " نيقولاس " على حرب المسلمين وساروا معه حتى استولوا على بعض الحصون والثغور القريبة من مدينة شلب<sup>(1)</sup>. ويبدو أن نصارى البرتغال غزو غرب الأندلس حتى بلغوا أحواز أشبيلية واقتحموا كثيرا من حصونها فاستولوا على باجة ويابورة بغرب الأندلس<sup>(2)</sup>، وهزموا الجيش الموحي الذي خرج بقيادة " السيد أبي يوسف يعقوب بن أبي حفص لصدها، ولذلك أرسل الخليفة يعقوب المنصور يبلغه مخاطر الأمور واستفحال التحرش الصليبي بالأندلس<sup>(3)</sup>.

### استرجاع الموحدين شلب 587هـ / 1191م:

اضطر المنصور أن يشد انتباهه للأندلس بعدما نجح في تأديب ابن غانية في إفريقية، وأعاد توحيد المغرب من ليبيا شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، فحشد قواته في رباط الفتح ثم عبر البحر فنزل بجزيرة طريف ومنها إلى أركش Arcos ثم قرطبة في ربيع الآخرة 586هـ/مايو 1190م، وكانت خطته التي شرحها في رسائله إلى ولاته، ألا يقاتل في جهات متعددة في الأندلس، ويتجنب لقاء أعدائه في الأندلس مجتمعين على أن ينفرد بهم واحدا بعد الآخر، فعندما وصل قرطبة بقواته جاءته رسل قشتالة تلتمس الهدنة فأجابه بالإيجاب<sup>(4)</sup>، وفي نفس الوقت عقد هدنة مماثلة مع ملك ليون كي يتفرغ لمحاربة ملك البرتغال<sup>(5)</sup>، ورأى المنصور أن يسترد مدينة "شلب" بنفس الطريقة التي استولى عليها الصليبيون بحصارها برا وبحرا، ولاشك أن أخبار

(1) - أبورميلا : المرجع السابق ، ص 331

(2) - الاستقصا ، ج2 ص116

(3) - ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 329

(4) - نفع الطيب ، ج4 ص 380 ، وفيات الأعيان ، ج 7 ص 4 س د ، الكامل في التاريخ ، ج 10 ص ص 88 89

(5) - مجموعة رسائل موحديّة (الرسالة الرابعة و الثلاثون) ص ص 222 223<sup>(63)</sup> حسين مؤنس : موسوعة

تاريخ الأندلس ، ج 2 ص 120<sup>(63)</sup> حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس ، ج 2 ص 120

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12 م

انتصار صلاح الدين على الصليبيين في حطين كان له عظيم الأثر في نفس أبي يعقوب المنصور وحركته إلى غرب الأندلس<sup>(1)</sup>. وكانت خطته أن يسير الموحدون بجيشين منفصلين، فسير الجيش الأول لغزو جهات شنترين فيمنع الإمدادات عن مدينة شلب، أما الجيش الثاني فيتجه إلى شلب لمحاصرتها برا ويعاونه الأسطول في البحر<sup>(2)</sup>.

ويذكر ابن عذاري أن الأسطول الموحيدي التقى الأسطول البرتغالي وهو في طريقه إلى شلب، واستطاع إلحاق الهزيمة به وقتل أعدادا من جنوده، والاستيلاء على بعض أجزائه بمن كان فيها، وقد اعتبر هذا النصر من بواكر الفتوحات، حتى جادت قريحة الشعراء به فقال ابن مجبر في ذلك:

دلائل فتح كان يذخرها الدهر ... فلما أردت الغزو أبرزها النصر<sup>(3)</sup>

ثم استمر حتى وصل المياه البرتغالية على مقربة من ثغر "بورتمار" ولمنع الإمدادات البحرية عن شلب<sup>(4)</sup>، وفي نفس الوقت حاصر "أبو يوسف" مدينة شلب ونصب عليها المجانيق وآلات الرمي وضربوا عليها حصارا مرهقا، ثم سار الخليفة بالقسم الثاني من الجيش فغزا أحواز مدينة شنترين، وحاصر حصن "طرش" Torresnovas شمال شنترين حتى اضطر النصارى تسليمه مقابل طلب الأمان والسماح لهم المغادرة إلى بلادهم<sup>(5)</sup>. ثم زحفت جيوش الموحدين نحو حصن "طمار" Tomar الذي كان في حوزة فرسان الداوية Templar1

(1) - حسين مؤنس : موسوعة تاريخ الأندلس ، ج 2 ص 120

(2) - أبورميلا : المرجع السابق ، ص 332

(3) - البيان المغرب (قسم الموحدين) ص 203

(4) - نفسه ، ص 205

(5) - المعجب ، ص 280

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

فهاجمه و ضرب عليه الحصار، ولم يستمر الموحدون في هذه الحملة عندما بعث إليه ملك البرتغال من شنترين يطلب منه السلم والمهادنة فأجابه وأمر جيوشه بالكف عن الغزو وكتب إلى عساكره بشلب بالإقلاع منها عاجلا، وبذلك عادت الحملة دون أن تحقق نتائج مهمة، وقد حاول البعض تفسير هذا التراجع وكف القتال بسبب وعكة صحية أصابت المنصور، إلا أن حقيقة الأمر أن الحملة لم تحضر جيدا، فلما اشتد الحصار أخذت المؤونة والمعلوفات تنضب، وكانت بعيدة تحمل إليهم على خط يمتد إلى قرطبة<sup>(1)</sup>. ولهذا فإن اختلال شؤون التموين كانت دائما في مقدمة أسباب فشل<sup>(2)</sup> الحملات البحرية الموحدية، ومع هذا فقد انسحب المنصور في الوقت المناسب الموحدين كارثة أخرى على طراز شنترين التي كانت لا تزال قريبة من ذهن الموحدين .

بعد فشل الغزوة الأولى لاستعادة شلب عاد المنصور إلى أشبيلية، وهو ينوي إعادة الكرة لتدويخ بلاد "ابن الرنك" على حد تعبير ابن عذارى ولعله جدّ في استدراك ما فاتته في الحملة، فجدد في أهباته العسكرية بجميع الآلات والعدد الحربية، واستنفار الحشود من كل الجهات<sup>(3)</sup>.

وما كاد الخليفة يستريح ويتعافى من مرضه حتى أكمل استعداداته وخرج من أشبيلية في ربيع الثاني 587هـ/أبريل 1191م، وعبر نهر وادي "آنة" ودخل الأرض البرتغالية، فاتجه أولا صوب القاعدة البحرية الهامة المعروفة "بقصر أبي دانس" Alcacer desal الواقعة جنوب شرق أشبونة على الضفة اليمنى لنهر سادو

(1) - وكان البرتغاليون حضروا أنفسهم جيدا لحصار طويل، فحصدوا معظم زروعهم و خزنوا المؤن الكافية قبل

الغزو" راجع مجموعة رسائل موحدية (الرسالة 34) ص 217

(2) - عنان : م س ج 2 ص 178

(3) - عنان : م س ج 2 ص 178

## الحرب البحرية بين الموحيدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

على مقربة من البحر<sup>(1)</sup>، وأقام الجند الموحيدي بتطويقها من جهاتها الأربع ودمروا الخندق المحيط بها ثم حاولوا اقتحامها، لكنهم فشلوا بسبب حصانة المدينة وشراسة المقاومة، فكان النصراري يرمون الجند الموحيدي من فوق الأسوار بالنبال والحجارة وأكثروا الجراح فيهم وألحقوا بهم خسائر فادحة<sup>(2)</sup>.

ورأى المنصور ضرورة توقيف القتال لمدة ثلاثة أيام يستريح خلالها الجند، وفي انتظار وصول الأسطول لإعادة ترتيب خطة الهجوم وتنظيم صفوف الجند، وما هي إلا بضعة أيام حتى وصل قسم من الأسطول الموحيدي بعد أن تمكنت سفنه من عبور نهر "شطوبر" الذي تقع عليه المدينة وهي تحمل آلات الحصار وأربعة عشر منجنيقا نصبها الموحدون ودكوا بها أسوار المدينة .

وقد أشاد ابن عذاري بدور الأسطول الموحيدي في الاستيلاء على المدينة بقوله:

ووصلت الأجفان البحرية بالعدد الحربية، وقد تسابقت لدخول الوادي بتيسير  
تعجز العقول عن تكييفه، فيمت الذي كفر وسقط في أيدي المشركين من  
كان ألقى السمع وأبصر<sup>(3)</sup>

ولما عجز البرتغاليون على الصمود طلبوا الأمان و سلموا المدينة للموحيدين في جمادى الأولى 587هـ/ يونيو 1191 فأبدعوا في بطون الجواري المنشآت وحملوا إلى أشبيلية فكانوا عنوان الفتوحات<sup>(4)</sup>. وحرص المنصور على تنظيم شأن "قصر أبي دانس" فأصلح أسوارها وشحنه بالمقاتلين وخصص لهم رواتب شهرية وسنوية، وجعل لهم حصصا من المؤن من مخازن سبته

(1) - البيان المغرب (قسم الموحيدين) ص 210

(2) - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2 ص 544، عنان: م س ج 2 ص 186

(3) - أبو ريميلة: المرجع السابق، ص 333

(4) - البيان المغرب (قسم الموحيدين)، ص 210

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

وأشبيلية وعين على الحصن زعيم الغرب السابق "أبا بكر محمد سيد الرأي بن وزير"<sup>(1)</sup>.

وسار المنصور بعدها للاستيلاء على حصن بلماله Palmela كان من أمنع الحصون، لكن نصارى الحصن ورجال الحامية خشوا قتال الموحدين فرغبوا في الاستسلام وطلب الأمان على أن يسمح لهم الانصراف إلى بلادهم فأجابهم المنصور إلى ذلك، واستولى الموحدون على ما كان في الحصن من الآلات والأسلحة ثم قاموا بهدم الحصن<sup>(2)</sup>، وساروا إلى حصن المعدن في طريقهم إلى هدفهم مدينة شلب فاستولوا عليه وهدموه، وإن كانت الرواية النصرانية تذكر أن نصارى بلماله و المعدن لاذوا بالفرار حين بلغهم سقوط قصر أبي دانس، فوجدها الموحدون خالية من أهلها فأمر الخليفة بهدمها فهدمت<sup>(3)</sup>.

ثم اتجه الموحدون جنوبا قاصدين الهدف الرئيسي مدينة شلب، ولما وصلوها ردموا خنادقها وطوقوها بقوات كثيفة، ويذكر النويري أن المنصور حاصرها وسيّر طائفة كثيرة في البحر وقاتل من بها قتالا شديدا حتى ذلوا وطلبوا الأمان<sup>(4)</sup>، فأمرهم المنصور عشرة أيام لإخلاء المدينة، فخرج النصارى من قصبها وتسلم الموحدون شلب في 25 جمادى الثانية 587هـ/ 23 يولييه 1191م<sup>(5)</sup>. وبذلك استعاد المنصور أهم قواعد الإسلام في الغرب الأندلسي، بعدما لبث بأيدي البرتغاليين زهاء عامين فعين الخليفة ابن الوزير واليا عليها، وعاد إلى أشبيلية بعدما فتح أربع مدن مما بأيدي الإفرنج من البلاد التي أخذوها من المسلمين<sup>(6)</sup>.

(1)-البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص 211

(2)- أبورميلا : المرجع السابق ، ص 334<sup>(76)</sup> البيان المغرب (قسم الموحدين) ص211

(3)- البيان المغرب (قسم الموحدين) ص211

(4)- عنان : م س ج 2 188 J.f c jallaghan , opcit p 243<sup>(78)</sup> نهاية الأرب ، ج 24 ص 331

(5)- المعجب ، ص 280 ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص211 ، الروض المعطار ، ص 343

(6)- نفع الطيب ، ج4 ص 380 ، الكامل في التاريخ ، ج 10 ص 89 ، الاستقصا ، ج2 ص 166

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

وتذكر الرواية الإنجليزية أنه خلال حصار الموحدين لشلب وصل أسطول يحمل صليبيين إلى ميناء أشبونة، ثم اتجه إلى مدينة شلب ولكنه لم يشتبك مع الموحدين في معارك بحرية، إذ أجرى المنصور مع هؤلاء الصليبيين الانجليز مفاوضات انصرفوا بموجبها عن مدينة شلب، وكان المنصور ينوي أن يواصل غزواته لكي يسترد أشبونة بعد شلب، لكنه عدل عن ذلك بعد حضور الصليبيين فانصرف عائدا إلى أشبيلية<sup>(1)</sup>.

وعرفت الجهة الغربية بعد ذلك هدوء، فلم تذكر المصادر أية غزوات موحدية ضد مملكة البرتغال، فقد كان كلا الطرفين بحاجة إلى هدوء دام ما يقارب عشرين سنة بسبب انشغال كل واحد عن الآخر. فملك البرتغال انشغل بالنزاع مع ملك قشتالة، ثم النزاع مع البابوية عندما رفض أن يدفع الجزية التي كان يدفعها والده إلى البابوية مقابل حمايته من مطالبة ملك قشتالة بحقه في الأراضي البرتغالية.

أما الخليفة المنصور فقد أراد من مهادنة البرتغاليين إكمال الفصل الثاني من مشروعه العسكري في الأندلس بالتفرغ لملك قشتالة، وقد تحالف من أجل ذلك مع ملكي ليون وأراغون، رغم أن المنصور كان يهيم بالتوجه إلى إفريقية لتأديب يحي بن غانية، إلا أن الأخبار المقلقة التي وصلتته من ولاته وقادة ثغوره باشتداد وطأة ملك قشتالة على موسطة الأندلس، فاكتفى بإرسال الإمدادات إلى إفريقية وأعهد العدة للجهد في الأندلس (( فسار إلى الزقاق وجمع الشواني والمراكب وعرض جيشه فكانوا مائتي ألف مقاتل، مائة ألف يأكلون من الديوان ومائة ألف مطوعة و عبر الزقاق ))<sup>(2)</sup>، واستطاع

(1) - نيفل باربر: الأندلس في المدونات الإنجليزية، ص 275، نقلا عن أبي رميلة: المرجع السابق، ص 335

(2) - أبو شامة المقدسي: تراجم رجال القرنين السادس والسابع، دار الجيل بيروت، ط 2، 1974، ص 8

## الحرب البحرية بين الموحيدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

أن يهزم ملك قشتالة "ألفونسو الثامن" الملقب بالصغير Elchico موقعه الأرك Alarcos في شعبان 591هـ/ يوليو 1194.

وبعدها استغل النصارى الأوضاع السياسية في الأندلس على عهد "محمد الناصر" وقاموا باستدراجه إلى معركة برية، كانت وخيمة ليس على البحرية الموحدية فحسب وإنما على الوجود الموحيدي والإسلامي في الأندلس كلها .

خاتمة:

الخلاصة هي أن نجاح هؤلاء في تحييد الأسطول الموحيدي في معركة حاسمة مع أعدائه النصارى الذين كانوا في هذه المرحلة متأخرين في هذا المجال، كان من أهم أسباب الهزيمة الموحدية وتقلص دورها في الأندلس، والأحداث التي توالى فيما بعد بينت اهتمام الممالك النصرانية في الأندلس بالأساطيل و تطويرها، حتى رجحت كفتهم في مياه البحر المتوسط والسواحل الأندلسية، ونجحوا في افتكاك العديد من الموانئ و المواقع البحرية الهامة بما في ذلك جزر الحوض الغربي للمتوسط، في وقت أخذت فيه البحرية الإسلامية الموحدية في التدهور فعجزت عن حماية أراضيها .

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

### المصادر والمراجع:

#### 1. المصادر:

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي) (عاش في القرن 6هـ/12م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزءان طبعة عالم الكتاب بيروت 1409هـ/1989م.

- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني) (630هـ/1232م) الكامل في التاريخ، دار الفكر بيروت 1978. ونسخة دار الكتاب العربي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري 1417هـ/1997م.

- أبوشامة (شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجيل بيروت 1287هـ وطبعة مؤسسة الرسالة، تحقيق إبراهيم الزنيق، ط1 1418هـ/1197م.

- الحموي (أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) (ت626هـ) معجم البلدان، 5 أجزاء دار الفكر بيروت د ن ط.

- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) (ت866هـ/1461م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقق إحسان عباس، دار القلم للطباعة والنشر لبنان 1975.

- الحميري: صفة جزيرة أندلس، منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح ليفي بروفنسال، ط2 دار الجيل بيروت لبنان 1408هـ/1988م.

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) (ت 808هـ/1406م) العبر وديوان  
المبتدأ والخبر-تاريخ العلامة – ابن خلدون- والمقدمة طبعة دار الفكر دمشق  
1988.

- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)  
(681.608هـ/م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار  
الثقافة بيروت 1968.

- ابن أبي زرع (أبو الحسين عل بن عبد الله الفاسي) (726هـ/1325) الأنيس  
المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، نسخة  
حجرية بمكتبة الأسد دمشق دون تاريخ ولا دار طبع.

- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) (594هـ-1198م) المن بالإمامة، تحقيق  
عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3 بيروت لبنان 1978.

- ابن عذاري (أبو العباس أحمد) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب  
(قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، طبعة الرباط  
1985.

- المراكشي(عبد الواحد بن علي) (ت 669هـ/1270م) المعجب في تلخيص أخبار  
المغرب، ضبط وتصحيح ونشر محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي،  
مطبعة الاستقامة القاهرة 1368هـ/ 1949م.

- المقري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني) (أحمد بن  
محمد) (986/1041هـ): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها  
لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت  
1388هـ/1968م.

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) (677-733هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسن نصار وعبد العزيز الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1403هـ/1983.

### 2. المراجع:

- أشباح (يوسف) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1377هـ/1958/.

- باشا (ضيا) الأندلس الزاهبة، تعريب عبد الرحمن أرشيدالت، ط1 المملكة الأردنية الهاشمية عمان 1989.

- التازي (عبد الهادي) التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الجزءان الخامس والسادس، مطبعة فضالة المحمدية المغرب 1407هـ/1987م.  
- تقي الدين عارف الدوري: تاريخ العرب المسلمين وحضارتهم في الأندلس، جامعة نصر الخميس ليبيا 1997.

- خليفة (إدريس أحمد) التاريخ المغربي لمدينة سبتة، الجزء الأول مطبعة ومكتبة الأمينية 1408هـ/1988.

- زغروت (فتحي) الجيوش الإسلامية وحركة التغيير في دولتي المرابطين والموحدين، ط1 دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة 1426هـ/2005م.

- سالم (السيد عبد العزيز) والعبادي (أحمد مختار) تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1969.

- سالم (سحر السيد عبد العزيز) تاريخ بطليوس الإسلامية أو غرب الأندلس في العصر الإسلام، الجزء الثاني (التاريخ السياسي)، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1991.

## الحرب البحرية بين الموحدين ومملكة البرتغال في النصف الثاني من القرن السادس الهجري 12م

- الصرفي (رزق الله منقريوس) تاريخ دول الإسلام، المجلد الثاني الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع 1325هـ/1907م.
- العدوي (أحمد إبراهيم) الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، مكتبة النهضة مصر بالفجالة 1957.
- عنان (محمد عبد الله) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الجزء الأول والثاني، القاهرة 1383هـ/1964م.
- مراجع عقيلة الغناي : سقوط دولة الموحدين ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف حسن حبشي، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، 1971.
- مؤنس (حسين) موسوعة تاريخ الأندلس، تاريخ، فكر، حضارة وتراث، الجزء الثاني ط1، مكتبة القاهرة 1411هـ/1987م.
- هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الأردن الطبعة الأولى، 1984.
- السلوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصر، الجزء الثاني دار الكتاب دار البيضاء طبعة 1954 وطبعة 1997.
- الطبيي أمين توفيق: وقعتا حطين والأرك، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين، السنة العاشرة ، العدد الأول ليناير 1988.
- O'Callaghan, j. f; History OF Medieval Spain, London 1975.

دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس  
(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهاد بالأندلس (662هـ-  
743هـ/1260م-1341م)

-The role of the Marinid fleet in the development of jihadist  
activity in Andalusia (662 AH - 743 AH / 1260 AD - 1341 AD).

د. هشام بن سالم أستاذ محاضر (ب)  
(المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة)  
hicham.bensalem@ensb.dz

ملخص:

كان دور الأسطول البحري المريني هاما ومؤثرا في تطور الحركة الجهادية التي خاضها المرينيون ضد ممالك النصارى المتكالبية على مملكة غرناطة، إذ ساهم الأسطول المريني في استمرار عمليات الجواز للجيوش المرينية بدون انقطاع، سواء خرج السلطان المريني بنفسه على رأس الجيش أو من ينوب عنه، مما حقق كثيرا من الانتصارات في المعارك البرية خاصة في عهد السلطان يعقوب المنصور والسلطان أبي الحسن المريني، كما عرف الأسطول عدة تطورات من حيث عدد السفن التي ناهزت 600 في عهد السلطان أبي الحسن، بمختلف أنواعها وأحجامها، وبالمقابل خاض الأسطول المريني معارك بحرية في عهد كل من السلطان يوسف الناصر والسلطان أبي الحسن، كانت سجالا بين الطرفين، فقد انتصر الأسطول المريني في معركتين وهزم في معركتين.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس (662هـ-743هـ/1260م-1341م)

---

كلمات مفتاحية: الدولة المرينية، مملكة غرناطة، الأسطول المريني، جهاد المرينيين، السلطان أبو الحسن المريني.

### Summary:

The role of the Marinid naval fleet was important and influential in the development of the jihad movement that the Marinids waged against the Christian kingdoms fighting against the Kingdom of Granada, as the Marinid fleet contributed to the continuation of the Marinid armies' passport operations without interruption, whether the Marinid Sultan himself came out at the head of the army or someone on his behalf. Which achieved many victories in land battles, especially during the reign of Sultan Yaqub Al-Mansur and Sultan Abi. Hassan Al-Marini, the fleet also witnessed several developments in terms of the number of ships that reached approximately 600 during the reign of Sultan Abi Al-Hassan, of various types and sizes. On the other hand, the Marinid fleet fought naval battles during the era of both Sultan Yusuf Al-Nasser and Sultan Abi Al-Hassan. It was a debate between the two parties. It was victorious. The Marinid fleet fought in two battles and was defeated in two battles.

**Keywords:** The Marinid State, The Kingdom of Granada, The Marinid Fleet, The Marinid Jihad, Sultan Abu Al-Hasan Al-Marini.

مقدمة:

إن الحديث عن الجهاد الذي قام به المرينيون في الأندلس حديث يكتسي خصوصية فيما جرى بهذه البلاد، ومعرفة لمواطن القوة والضعف التي عرفها تاريخها الطويل، هذا ما جعل دولة الإسلام في الأندلس في مواجهة دائمة مع نصارى الشمال حيث لم تتوقف الحرب بين الطرفين إلى غاية سقوط آخر معاقل المسلمين بها وضياعها إلى الأبد، وفي كل مرة يبعث الله من ينقذ المسلمين خصوصا إذا أدركنا بأن الوجود الإسلامي في الأندلس تميز بالمد والجزر، على حسب قوة المسلمين وطبيعة السلطة الحاكمة لذلك كله بذل العلماء كل ما في وسعهم للحفاظ على كل قطعة من أرض الأندلس، فالمتمعن لصيرورة تاريخ المسلمين في الأندلس يتضح له أن بقاء الحكم الإسلامي بها مرهون بوحدة المسلمين وتراص صفوفهم فيها يغلبون أعداءهم ويكون لهم التمكين، وتأتلف قلوبهم ويتعدون عن الفرقة والاختلاف والتشردم والتنازع، فهو كفيل بمنعهم من تهديد النصارى المتربصين بهم الدوائر سواء الممالك في الشمال أو الأقليات الموجودة في صلب الدولة الإسلامية بالأندلس.

والواقع أنّ التاريخ الأندلسي تشعبت أحداثه، مما جعل المؤرخين حائرين في تقييمه، فقد شهد تاريخ الأندلس عهودا من القوة والعظمة والوحدة السياسية والفكرية والمذهبية والتماسك الاجتماعي، كما عرف عهودا من التناحر والتقاتل والخيانات والتفتت السياسي والصراع الفكري والمذهبي وطغيان المصالح الضيقة، وبذلك يعد تاريخ الأندلس أنموذجا يقتدى به للاستفادة من أحداث الماضي ومعالجة الأحداث والمشاكل التي يعرفها حاضر العالم الإسلامي، والتخطيط لمستقبل العالم الإسلامي.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

فمنذ سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ اختل ميزان القوى بين المسلمين والنصارى، أضحت الكلمة العليا للممالك النصرانية في الأندلس إبان عهد ملوك الطوائف، وتمكنوا من احتلال طليطلة سنة 478هـ، واشتدت هجمتهم على المدن الأندلسية، لكن تدخل المرابطين أوقف زحفهم في معركة الزلاقة سنة 479هـ، وبذلك عاد ميزان القوة للمسلمين، كما انتصر الموحدين في معركة الأرك سنة 593هـ، لكن معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م كانت أكبر كارثة شهدت الأندلس، فقد هزم الموحدون وانسحبوا منها، واستغل النصارى ذلك واحتلوا معظم مدن الأندلس، وانحصر المسلمون في أقصى جنوب العدو الأندلسية مدافعين عن ما تبقى من الحكم الإسلامي، لكن قوتهم لم تصمد أمام جيوش العدو، فاستنجدوا بدولة المرينيين، التي لبى سلاطينها داعي الجهاد بدءاً بالسلطان يعقوب المنصور وانتهاء بالسلطان أبي الحسن المريني، وسخروا لذلك جميع إمكانيات دولتهم في سبيل دعم المسلمين في الأندلس، وعلى رأسها الأسطول البحري الذي كان دوره هاماً ومؤثراً في تطور الحركة الجهادية التي خاضها المرينيون ضد ممالك النصارى المتكالبية على مملكة غرناطة، إذ ساهم الأسطول المريني في استمرار عمليات الجواز للجيوش المرينية بدون انقطاع، سواء خرج السلطان المريني بنفسه على رأس الجيش أو من ينوب عنه، مما حقق كثيراً من الانتصارات في المعارك البرية خاصة في عهد السلطان يعقوب المنصور والسلطان أبي الحسن المريني، كما عرف الأسطول عدة تطورات من حيث عدد السفن التي ناهزت 600 في عهد السلطان أبي الحسن، بمختلف أنواعها وأحجامها، وبالمقابل خاض الأسطول المريني معارك بحرية في عهد كل من السلطان يوسف الناصر والسلطان أبي الحسن، كانت سجالاتها بين الطرفين، فقد انتصر الأسطول المريني في معركتين وهزم في معركتين.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

وعلى ضوء ذلك يمكننا القول بأن الأسطول البحري المريني كان من أهم العوامل المؤثرة في تطور النشاط الجهادي في الأندلس، واشتداد الصراع الإسلامي النصراني في الحوض الغربي للبحر المتوسط، أمام تنامي قوة الممالك النصرانية وتراجع قوة المسلمين في بلاد المغرب والأندلس، فكان الدعم المريني للوجود الإسلامي في الأندلس ذا أثر كبير في تأخير سقوطها المحتوم في سنة 897هـ/1492م، على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله المرينيون برا وبحرا في سبيل ذلك، لكن بهزيمة السلطان أبي الحسن المريني في معركة طريف سنة 743هـ، وهزيمة أسطوله بعدها انتهت الحركة الجهادية المرينية في الأندلس.

### 1. الأسطول البحري المريني (النشأة والتطور):

بعد أن أنهى المرينيون تأسيس دولتهم سنة 668هـ/1269م، اتجهت جهودهم لتطوير قوتهم العسكرية البرية والبحرية، خصوصا بعد رفعهم لواء الجهاد في الأندلس، فاحتاجوا إلى بناء أسطول بحري يكفل لهم المضي قدما لخوض المعارك ضد الممالك النصرانية التي تتوسع على حساب مملكة بني نصر (بني الأحمر) آخر معقل للمسلمين في الأندلس، كما أنه لا سبيل للمرينيين في إنقاذ الأندلسيين إلا بجواز بحر الزقاق بأسطول قوي يقارع الأسطول النصراني الذي أضحى يتحكم في مضيق جبل طارق الاستراتيجي.

يعتبر السلطان المريني يعقوب المنصور المؤسس الحقيقي للأسطول البحري المريني، من خلال بنائه دارا للصناعة في مدينة سلا، بإشراف المهندس الأندلسي محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج الإشبيلي (ت714هـ)، وكان موقعها من جهة وادي أبي الرقراق، وجعل لها بابان، حيث تدخل مياه الوادي من أحدهما وتخرج من الآخر، وفق نمط هندسي محكم، حتى تصل إلى الباب المحاذي لجامع حسان في ترعة عميقة، وبذلك تسهل عملية ارسال سفينة

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

حديثاً الصنع في الوادي، عن طريق فتح التربة ليدخل الماء وتعم فيه السفينة، ثم تخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي، لذا ارتفع قوس الباب القبلي جداً، فيخرج المركب منشور القلاع. وقام يعقوب المنصور أيضاً بتحسين بعض القواعد البحرية التابعة له على الضفة الأخرى للمضيق، من ذلك بناؤه لقاعدة عسكرية قرب الجزيرة الخضراء، ينزل فيها هو وجيشه بهدف الجهاد<sup>(1)</sup>.

وفي عهد السلطان المريني الناصر يوسف استمرت عملية صناعة السفن الحربية بدار الصناعة في سلا، كما بنى قسبة تطوان سنة 685هـ، وسور قصر المجاز الذي يعرف بقصر مصمودة، والقصر الصغير بمحاذاة طنجة سنة 686هـ<sup>(2)</sup>.

وأولى السلطان المريني أبو سعيد وابنه السلطان أبو الحسن اهتماماً بالغاً بالأسطول، حيث يروي لنا الفقيه ابن مرزوق الخطيب ما قام به في هذا الصدد بقوله: "...ومن سنة ولاية المولى أبي سعيد والده، رضي الله عنهما، لم تزل المراكب تترى وتتعاقب شفعاً ووتراً في كل فصل من القراقير والمراكب والغزويات والقوارب والشواني كراء وشراء صيفا وشتاء إلى سنة تسع وأربعين..."<sup>(3)</sup>. ثم يضيف ابن مرزوق كلاماً آخر يؤكد الأهمية الكبيرة التي أولها السلطان أبو الحسن للأسطول وحراسة وتأمين سواحل المغرب الإسلامي وبناء الأبراج البحرية، "...فمنها برج الماء الذي أنشأه داخل البحر ووسط الأمواج ببحر بسول من ساحل سبتة. وقد حضرت إنشائه، وكان قد اجتمع

(1) - المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، ط3، الدار البيضاء، مطبعة النجاشي الجديدة، 1420 هـ/2000م، ص108، السيد عبد العزيز سالم والعبادي أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1969م، 291-292.

(2) - السيد عبد العزيز سالم والعبادي أحمد مختار، المرجع نفسه، ص292.

(3) - ابن مرزوق محمد، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود آغا بوعبيد، طبعة خاصة، الجزائر، موفم للنشر، 2011م، ص393.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

الملا على عدم امكان بنائه هنالك، فنقلت الصخور التي هي كالروابي والأحجار التي لا يتزحج مثلها إلا بهندسة وأحكام وعجل. فألقيت في تلك التروش وضم إليها أمثالها حتى صارت جزيرة في وسط البحر. فأقام عليها ذلك البرج المشيد المعروف هناك. ثم أمر بعمل جسر يمر من الساحل إلى هذا البرج، بحيث يتمكن مشي الهيمة عليه واتصال ممشاه من البر إلى البرج. صان ذلك البرج جميع المرسى، فلا يتهيأ لأحد من المراكب الدخول لذلك المرسى إلا أن يكون صديقاً، وإلا فهو يشرف على جميع ما يدخل تحته وهو من أعاجيب معمرات المعمورة. ومنها البرج الذي يلي المشحن أيضاً من المدينة المذكورة، وأخران من هذا النمط بالجبل المحروس..<sup>(1)</sup>، وبنى السلطان أبو الحسن أيضاً دار الصنعة بجبل الفتح<sup>(2)</sup>.

وإذا حاولنا تتبع عدد سفن الأسطول المريني، فالمعلومات حولها متضاربة، بدءاً بأول عملية نقل لإحدى فرق الجيش المريني في عهد السلطان يعقوب المنصور، إذ " فلما قدم عليه هذا الوفد نهبوا عزائمه وذكروا همته، فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير. ونهض من فاس شهر شوال من سنة ثلاث وسبعين وستمائة إلى فرضة المجاز من طنجة. وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عليهم واستوفى أعطياتهم وعقد عليهم لابنه منديل وأعطاه الراية. واستدعى من الغد صاحب سبته في السفن لإجازتهم فواه بقصر الجواز عشرون من الأساطيل، فأجاز العسكر ونزل بطريف وأراح ثلاثاً، ودخل دار الحرب وتوغل فيها، وأجلب على ثغورها وبساتيها"<sup>(3)</sup>، يبين هذا الكلام أن عدد السفن التي تم الجواز بها إلى الأندلس، بلغ عشرين سفينة. أما في سنة 678هـ

(1)- ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص 398-399.

(2)- المنوني محمد، المرجع السابق، ص 108.

(3)- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه الأستاذ خليل شحادة وراجعه الدكتور سهيل زكار، الجزء

السابع، ط 2، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/2000م، ص 253.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

فقد أضحى العدد يناهز السبعين سفينة تم تجميعها في مرفأ سبتة<sup>(1)</sup>، ووجدنا نصف هذا العدد أي 36 سفينة في إحدى المعارك البحرية مع مملكة قشتالة، "واستدعى أساطيله فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا متكاملة في عدتها وعديدها، فأحجمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها"<sup>(2)</sup>، في حين وصل العدد في عهد السلطان أبي الحسن المريني إلى حوالي مائة أسطول اجتمعت في مرفأ سبتة، منها 16 سفينة من إفريقية قادمة من الحفصيين حلفاء المرينيين<sup>3</sup>، وبذلك يكون عدد سفن السلطان أبي الحسن هو 84. ثم تضاعف هذا العدد بشكل قياسي حتى وصل إلى 600 قطعة بحرية في حملته على تونس، وهذا أقصى ما بلغه الأسطول المريني، وعمل السلطان أبو عنان على تجديد الأسطول المريني بعد النكبة التي رزى بها في القيروان حينما تحطم الأسطول في آخر عهد السلطان أبي الحسن<sup>(4)</sup>. أما بخصوص قيادة الأسطول فقد كان يقوده قائد يسمى "الملند"، وهذه الكلمة مأخوذة من الكلمة الإسبانية (Maland)، التي تعني القائد الأعلى للجيش والقوات المرينية البحرية بالمغرب والأندلس، كما أن صاحب هذه الخطة يشرف على إنشاء الأساطيل والتهيؤ للجهاد والسفر في البحر وهو مرؤوس للوزير<sup>(5)</sup>.

تعددت أنواع السفن التي تشكل منها الأسطول المريني، كالجفان؛ مفردها جفنة، التي هي مركب حربي، يصنع لغرض القتال، وتم استخدامها في الحروب والجهاد بالمغرب والأندلس، وكذلك اعتمد عليها المرينيون كثيرا في نقل جيوشهم

(1) - المصدر نفسه، ج7، ص268.

(2) - المصدر نفسه، ج7، ص276.

(3) - المصدر نفسه، ج7، ص345-346.

(4) - المنوني محمد، المرجع السابق، ص108.

(5) - مال الله نضال مؤيد عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب (685هـ-706هـ/1286م-1306م) دراسة سياسية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، صفر 1425هـ/نيسان 2004م، ص82-83.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

إلى الأندلس<sup>(1)</sup>. بالإضافة إلى القراقير؛ مفردها قرقورة، وهي سفن عظيمة تحمل مؤن الأسطول، وأصل اسمها بالإسبانية كاراكا، ومنها ما هو بثلاثة ظهور (طبقات) ولها ثلاثة قلاع تسير بها في الريح العاصف. وأيضا نجد الشواني؛ مفردها الشيني، وهي مركب طويل يجذف بمائة مجذاف، وتقوم فيه أبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وكانت تستعمل لحمل المجاهدين للجهاد، حيث يتراوح متوسط عددهم 150 رجلا، وهناك الغراب الذي هو سفينة سوداء مقدمتها على شكل رأس الغراب، وجناحها بيضاوان، تسير بالقلع والمجاذيف، منها ما له 180 مجذافا وأقل من ذلك، وتستخدم لحمل المجاهدين<sup>(2)</sup>، ومن أنواع السفن الأخرى نذكر الطريدة التي هي مركب صغير سريع يشبه البرميل الهائل، وهي مفتوحة المواخر بأبواب تفتح وتغلق، وتستعمل غالبا في حمل الخيول للحرب، وأكثر ما يحمل فيها أربعون فرسا، وكذا القارب الذي هو سفينة صغيرة تستعمل لربط الصلة بين الشاطئ والسفن الكبيرة، ولا ننسى الشيطي الذي هو الآخر مركب يجذف بثمانين مجذافا، مخصص للاستطلاع وكشف الموانئ، والقُدوم بالأخبار لرؤساء القراقير والغريان وغيرها<sup>(3)</sup>.

### 2. صيرورة الحركة الجهادية المرينية في الأندلس:

لقد أضى الموقف حرجا بعد معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م، وما انجر عنها من انفراط عقد السلطان على الجملة وضياع حواضر الأندلس الكبرى تباعا، أمام اتحاد جبهة النصارى الذين انطلقوا لدك الحصون واحتلال المدن الأندلسية، وبالمقابل حالة الذعر والفوضى وانحطاط الروح المعنوية،

(1) - ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الأنييس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م، ص 313-314..

(2) - المنوني محمد، المرجع السابق، ص 110.

(3) - المرجع نفسه، ص 111.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

ومما زاد الطين بلة هو دخول الموحديين وأشياخهم في صراع حول الحكم أدى إلى استقلال عدة أقاليم عن الدولة الموحدية وإهمال الأندلس التي أصبحت كالريشة في مهب الريح<sup>(1)</sup>، وزيادة على ذلك فقد انحصر الوجود الإسلامي في أقصى جنوب الأندلس بمدينة غرناطة، التي تأسست فيها دولة بني نصر أو بني الأحمر (635هـ-897هـ/1237م-1492م)<sup>(2)</sup>، حيث تمكن محمد بن الأحمر في ظل هذه الظروف من تأسيس آخر مملكة إسلامية حفظت سلطان المسلمين بالأندلس. وقد ضمت الطرف الجنوبي من الجزيرة الأندلسية جنوب نهر الوادي الكبير إلى البحر المتوسط، حيث الجزيرة الخضراء وجبل طارق؛ وفي لورقة في ولاية مرسية شرقا إلى البحر المتوسط؛ ومن الشمال حتى قلعة يحصب في ولاية جيان إلى شذونة في ولاية قادس غربا؛ شملت ثلاث ولايات كبيرة: ولاية غرناطة في الوسط وفيها العاصمة غرناطة وولاية ألمرية في الشرق، وولاية مالقة في الجنوب والغرب<sup>(3)</sup>، لقد مهد محمد بن الأحمر لبداية أمره في سنة 629هـ/1232م حيث بوع بالإمارة في مدينة أراجونة مسقط رأسه، وأبدى همة عالية وسموا إلى الملك حيث دخلت في طاعته إشبيلية وقرطبة وجيان، كما دعا للخليفة العباسي المستنصر<sup>(4)</sup>، بحثا عن الشرعية حتى استقام له ويمكن لدولته على أسس ثابتة وبذلك تأسست مملكة غرناطة في وقت عصيب، مغتتما هذا الظرف واستعمل كل الطرق والوسائل لبلوغ غايته مدركا خطورة الوضع

(1) - طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م، صص 559-575.

(2) - المرجع نفسه، ص577، الحجي عبد الرحمان علي، التاريخ الأندلسي (من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ-897هـ/711م-1492م)، ط2، دمشق، بيروت، دار القلم، 1402هـ/1981م، ص157، ابن الخطيب لسان الدين، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1400هـ/1980م، ص42.

(3) - ابن الخطيب، المصدر السابق، صص 28-30، الحجي، المرجع السابق، ص518.

(4) - ابن الخطيب، المصدر نفسه، صص 42-43.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

والمغامرة والمجازفة غير المحمودة العواقب في مقاومة المد النصراني الجارف الذي التهم كل حواضر الأندلس ومدنها الكبرى، فاكتشف استحالة رده مقابل التفاهم على تأمين مملكته والانضواء تحت ملك قشتالة، مضحيا بحريته السياسية متطلعا إلى تطورات جديدة في وضع الأندلس، ووجه نظره إلى بلاد المغرب جريا على نهج الأندلسيين الذين رأوا في أمراء المغرب أعظم سند لهم ورأى أن يلتزم مساعدتهم<sup>(1)</sup>، وطبيعي أن يكون المرينيون -بحكم القرب الجغرافي- أكثر الدول استجابة لاستغاثة ابن الأحمر حيث رفعوا راية الجهاد، وحز في نفس السلطان يعقوب المنصور ما بلغه من أخبار الأندلس المتردية ووصلته رسائل مشحونة بطلب المساعدة للذود عن حياض الإسلام وبتدارك الوضع قبل وقوع الكارثة، فثارت حميته وقرر إرسال الجيوش إلى الأندلس حيث يقول ابن أبي زرع... "وفي هذه السنة (662هـ) جاز الفارس الأنجد عامر بن إدريس في جمع من بني مرين المطوعة يزيدون عن ثلاثة آلاف فارس برسم الجهاد، فعد لهم أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رايته المنصورة، وأعطاهم العدد والخيل وودعهم ودعا لهم، وهو أول جيش من بني مرين جاز إلى الأندلس..."<sup>(2)</sup>، فاستقوى بهم محمد بن الأحمر وتمكن بفضلهم أن يجبر ألفونسو العاشر ملك قشتالة، على رفع الحصار الذي فرصة على حاضرة ملكه، وحصل بعض الظفر عندما استولى على مدينة شريش من أيدي النصارى<sup>(3)</sup>، وكان المنصور قد كتب إلى الفقيه أبي القاسم العزفي طالبا منه تجويز المقاتلين إلى العودة الأندلسية<sup>(4)</sup>، المهم أن السلطان أبا يوسف لما فرغ من تأسيس الدولة

(1) - طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص579-580.

(2) - ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص303.

(3) - ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار

المنصور للطباعة والوراقة، د.ت، ص100.

(4) - المصدر نفسه، ص89.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

المرينية ودخول مراكش، واتجه للاهتمام بشؤون الأندلس حيث في سنة 672هـ " ... اتصل به ماهي عليه بلاد الأندلس من الضعف ومكاثرة العدو وشدة الخوف..."<sup>(1)</sup>، وفي نفس الوقت بلغه كتاب من ملك غرناطة يطلب منه العون والمدد وإعانة المسلمين في الأندلس، فوافق فيه عزمًا على المضي قدما للجهاد في سبيل الله فلبى استغاثته؛ مدركا أن الأمر يحتاج إلى انتصار كبير يقطع خطر النصارى زمنا طويلا ويعيد للأندلس بعض ما ضاع منها<sup>(2)</sup>، والظاهر أن أمير المسلمين بدأ بالتعبئة على وجه السرعة، كانت هذه الحملة جس نبض واستكشاف للبلاد ولطرق العدو في الحرب لذلك عادت الحملة محملة بالغنائم والسبي<sup>(3)</sup>، شجعت هذه الحملة المنصور على الجواز بنفسه هذه المرة معتمدا على جهود العلماء وواجههم الشرعي في رفع الهمم وتعبئة المجاهدين لتأدية واجب الجهاد والنصرة<sup>(4)</sup>، وفي نفس الصدد طلب من ابن الأحمر أن يتنازل له عن بعض المعاقل ليتخذها قاعدة ينطلق منها لجهاد العدو فأعطاه رندة وطريف<sup>(5)</sup>، وعليه لما تكامل جمع المرينيين وعساكرهم واستقروا ببلاد الأندلس وانتشرت من مدينة طريف إلى الجزيرة الخضراء، قدم المنصور مع خاصته ووزرائه وخدام دولته ومعهم جماعة من صلحاء المغرب يوم الخميس 21 صفر 674هـ<sup>(6)</sup>، وسار من فوره بجيوشه إلى حصن الفرنتيرة مستبيحا البسائط والحصون القشتالية حتى بلغ حصن القورة وأبدا على مقربة من شرقي قرطبة،

(1) - المصدر نفسه، ص140.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص253، ابن أبي زرع الفاسي، الأنييس...، ص313.

(3) - المصدر نفسه، ج7، ص254، المصدر نفسه، ص314، 5.

(4) - ولد خسال سليمان، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ-962هـ،

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، كلية العلوم الإسلامية، قسم

الشرعية، جامعة الجزائر (1)، 1429هـ/2008م، ص352.

(5) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص254.

(6) - ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة...، المصدر السابق، ص145.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

مما أدى إلى خروج القشتاليين للذود عن أراضيهم في جيش ضخم بقيادة "دون نونيو دي لارا" صهر الملك ألفونسو العاشر<sup>(1)</sup>، وفي هذه الأثناء كان المنصور وجيشه في مدينة أستجة فاتمتهز الفرصة ودعا "...أشياخ قبائل مرين وأمراء العرب وقواد الأندلس والأعزاز ومن في عسكره من الفقهاء والصلحاء والقبائل وأشياخهم المطوعين ليشاورهم كيف يكون العمل في لقاء العدو المقبل إليهم إتباعا لأمر الله تعالى واقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم..."<sup>(2)</sup>، كان واضحا أن المعركة ستكون مصيرية على المدى المتوسط والبعيد بالنسبة للجانبين، نشبت المعركة يوم السبت 15 ربيع الأول 674هـ/08 أيلول 1275م وتمخض عنها انتصار حاسم للمسلمين ثبت أقدامهم بالأندلس وقطع دابر ملك قشتالة الذي تكبد جيشه خسائر فادحة بما فيهم "نونيو دي لارا" قائد الجيش وغنم المسلمون جميع ما في المعسكر من غنائم<sup>(3)</sup>، كما كتب المنصور رسالة بعث بها إلى المغرب يشرح فيها مجريات المعركة والنصر الذي تحقق على أعداء الملة، والأكثر من ذلك أثبت العلماء حضورهم بحيث كتب الفقيه أبو القاسم العزفي إلى فقهاء المغرب وصلحائه بتفاصيل الغزوة مما يوضح تكاثف العلماء والفقهاء وتشوقهم لمعرفة أخبار الجهاد وأحوال النصر والتمكين للإسلام<sup>(4)</sup>، مدركين أهمية هذا النصر وأبعاده حيث كان بوزن معركتي الزلاقة والأرك، وأعاد بذلك الروح في نفوس المسلمين وأزال الخطر على مملكة غرناطة ولو إلى حين وأنساهم هزيمة معركة العقاب الوخيمة<sup>(5)</sup>، وفي نفس السياق شجع هذا الظفر الكبير على مواصلة المنصور جوازه إلى الأندلس وتحقيق

(1) - طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 586.

(2) - ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة... المصدر السابق، ص 148.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 255، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 57.

(4) - ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة... المصدر السابق، ص 152.

(5) - طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 586.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

انتصارات أخرى؛ ذلك أن التدخل المريني في الأندلس تمخض عنه عدة نتائج أثرت في مستقبل كلتا الدولتين ولكن بدرجات متفاوتة<sup>(1)</sup>، والظاهر أن هذه الغزوات التي غزاها المنصور الأراضي القشتالية لم تغير شيئاً من حال الطرفين المتحاربين وبقيت الأراضي والثغور على حالها، إذ كانت المبادرة بالهجوم خيراً من المدافعة وإبرازاً لقوة المرينيين وبحثاً عن الشرعية بإقامة رسم الجهاد<sup>(2)</sup>، وبغض النظر عن ما شاب علاقة المنصور بابن الأحمر محمد الثاني، من فتور ودسائس ووحشة وتخوف<sup>(3)</sup>، لذلك تميز الجواز الرابع للسلطان يعقوب المنصور سنة 681هـ بإعادة الأمور إلى مجاريها وسابق عهدها وتعهدها بعدم التدخل في شأن ابن الأحمر في أي أمر من الأمور وأن لا يضره فيما سواه<sup>(4)</sup>.

وقبل محمد الثاني من جهته باستقبال نفر من بني مرين في دولته حتى يعينوه على مدافعة النصارى ويرابطوا بشكل مستمر، وسموا بمشيخة الغزاة وهي منصب مستحدث دعت إليه الضرورة الملحة، كانت هذه المشيخة عنواناً على تواصل الدعم المريني لمملكة غرناطة حيث يقول عنها: "...ولم يزل ملوك بني مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال، وتركوا منهم حصّة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة، فكانت لهم وقائع في العدو المذكورة، ومواقف مشكورة، وكان عند ابن الأحمر منهم جماعة بغرناطة، وعليهم رئيس من بيت ملك بني مرين يسمونه شيخ الغزاة..."<sup>(5)</sup>، وسار على نهج يعقوب

(1) - هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة (670هـ-783هـ/1271م-1381م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م-2009م، ص 42.

(2) - المرجع نفسه، ص 42، طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 586-587.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 262.

(4) - ابن أبي زرع الفاسي، الأنييس...، المصدر السابق، ص 273.

(5) - المقرئ أبو العباس أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان

عباس، بيروت، دار صادر، 1408هـ/1988م، ص 385.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

المنصور ابنه يوسف الناصر، في التعامل مع ملوك غرناطة ومواصلة الجهاد؛ إذ "...كان أول شيء أحدث من أمره أن بعث إلى ابن الأحمر وضرب له موعداً للاجتماع به فبادر إليه ولقيه بظاهر مريالة...وتجافى له عن جميع الثغور الأندلسية التي كانت في ملكة أبيه ونزل له عنها ما عدا الجزيرة ورندة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة..."<sup>(1)</sup>، وبذلك توطأ للسلطان يوسف أمر الأندلس واستراح باله منها فكانت الخطوة الآتية أنه عقد لأخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوماً إليه بضبطها وولى الشيخ المجاهد أبي الحسن علي بن يوسف بن يزكاتن على مسلحتها وفوض إليه أمور الحرب وأمدته بثلاثة آلاف من بني مرين والعرب ثم عبر البحر إلى المغرب<sup>(2)</sup>، وفي سنة 690هـ/1291م نقض شانجة الرابع معاهدة الصلح في ظروف غامضة وهاجم ثغور مملكة غرناطة، فأوعز أبو يعقوب إلى صاحب الحرب الشيخ علي بن يوسف بن يزكاتن بالإغارة على شريش وأتخن في بلاد العدو شرقاً وغرباً<sup>(3)</sup>، في انتظار جواز السلطان يوسف على رأس جنده، وعلى أية حال تواصلت عمليات الجهاد في زمن السلطان أبي يعقوب يوسف الذي كان على شاكلة والده المنصور، فقد بذل كل جهده لدعم بني الأحمر وأثبت لهم أن غرضه هو الجهاد ورفع راية الإسلام، وأظهر لهم حسن نيته منذ توليه السلطنة كما ذكرنا سابقاً، لذلك ستعرف الحركة الجهادية المرينية نوعاً من الفتور خاصة بعد مقتل هذا السلطان حيث اضطرت أوضاع الدولة المرينية<sup>(4)</sup>. ولكن بعد تولي السلطان المريني أبي الحسن علي، عادت الحركة الجهادية إلى سابق عهدها من الدعم والنصرة لمملكة غرناطة، فالمتمعن في شخصية هذا

(1) - ابن أبي زرع الفاسي، الأنييس...، المصدر السابق، ص 376.

(2) - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) - المصدر نفسه، ص 380، ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 284.

(4) - طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص 595.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

السلطان يدرك مدى غيرته على الإسلام والمسلمين وحبه للجهاد وتمتين الصلات مع بني الأحمر؛ وهذا ما أكده ابن مرزوق في سياق كلامه عن جهاد السلطان أبي الحسن حيث وصفه أنه كان أشد ملوك الأرض قياما برسم الجهاد بنفسه وماله وحرصه الشديد على تواصل الحركة الجهادية<sup>(1)</sup>، لقد ساهم العلماء في عصر أبي الحسن المريني بقسط كبير في أمور الجهاد، فقد تباروا في ملاحقة العدو وحماية بلاد المسلمين بأذلين أغلى ما يملكون<sup>(2)</sup>، وأثبتوا أنهم أهل للمهمات الصعبة فكان ديدنهم مشاركة المسلمين في محنهم وأفراحهم.

استطاع أبو الحسن المريني أن يستعيد جبل طارق لما اشترك مع صاحب غرناطة محمد الرابع حيث قاما معا بافتكاكه من حوزة القشتاليين في يوم الثلاثاء الثاني عشر من ذي الحجة عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة<sup>(3)</sup>، بحكم موقعه الاستراتيجي حيث أضحى "...فيه للمسلمين أجل المنح استخلاص جبل الفتح، الذي هو فرضة المجاز، وهو الجبل الذي لانظير له في العدوتين، هو باب عدوة الأندلس ومغلقها ومفتاحها على القدم وقفلها منها..."<sup>(4)</sup>، لذلك كان فتحه نصرا كبيرا بلغ صداه الآفاق وشاع خبره في مدن وحواضر بلاد المغرب، وكان العلماء في طليعة من تلقف خبر الفتح بأفئدة ملؤها الفرح والسرور ومباركة فعل السلطان أبي الحسن والدعاء له<sup>(5)</sup>، مما جعله يرغب أكثر في مواصلة الجهاد حيث أوماً بذلك إلى ابنه الأمير أبي مالك الذي اضطلع بمهمة اكتساح الأراضي القشتالية، فتوغل في سهول الجزيرة الخضراء فسبى وغنم<sup>(6)</sup>، ولم يسكت

(1) - ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص388.

(2) - ولد خسال محمد، المرجع السابق، ص353.

(3) - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص94. طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص597.

(4) - ابن مرزوق محمد، المصدر السابق، ص389.

(5) - المصدر نفسه، ص390-391.

(6) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص345.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر وعجل بإرسال قواته "...فصحبهم عساكر النصرانية في مضاجعهم قبل أن يركبوا وخاطبوه في إبايتهم، وأدرك الأمير أبو مالك بالأرض قبل أن يستوي على فرسه فجدلوه واستلحموا الكثير من قومه، واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم، ورجعوا على أعقابهم..."<sup>(1)</sup>، لم يفت استشهاد الأمير أبو مالك في عضد السلطان أبي الحسن بل صمم على المضي قدما للجهاد في سبيل الله والأخذ بثأر ابنه مهما بلغ الثمن، وبالمقابل توغلت القوات النصرانية في عمق أراضي مملكة غرناطة حتى بلغت بسائط الجزيرة الخضراء كما أرسلوا أسطولا ليحول دون تدفق المدد والمؤن<sup>(2)</sup>، لذلك أوعز السلطان أبو الحسن إلى محمد بن علي العزفي بقتالهم ومناجرتهم واستئصال شأفتهم، حتى نصرهم الله على القشتاليين، بعدها واصل أبو الحسن في إرسال المقاتلين بكل أصنافهم حتى انتهى من إجازتهم جميعا إلى العدو الأندلسية، فكان آخر من جاز مع خاصته وحشمه وذلك سبعمائة وأربعين للهجرة ضاربا معسكره في طريف<sup>(3)</sup>، حيث انضم إليه ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف (733هـ-755هـ) بجيشه استعدادا للمعركة الحاسمة التي حشد فيها القشتاليون جيشا ضخما ضم جموعا من الصليبيين الذين أتوا من أقصى شمال أوروبا بمباركة البابا<sup>(4)</sup>، حتى بلغ عددهم 100 ألف مقاتل إمعانا في إعطاء المعركة صبغة دينية، وأسفرت عن انتصار كبير للصليبيين وهزيمة منكرة للمسلمين<sup>(5)</sup>، كانت وبالاً عليهم وشبهية بواقعة العقاب حيث يقول المقري عنها: "...فقضى الله الذي لامرد لما قدره

(1) - المصدر نفسه، ج7، الصفحة نفسها.

(2) - طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص599.

(3) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص346.

(4) - طقوش محمد سهيل، المرجع السابق، ص599.

(5) - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص106.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

أن صارت تلك الجموع مكسرة، ورجع السلطان أبو الحسن مغلولاً وأضحى حسام الهزيمة عليه وعلى من معه مسلولاً... وقتل جمع من أهل الإسلام وملة وافرة من الأعلام... واشترأب العدو الكافر لأخذ ما بقى من الجزيرة ذات الظل الوريث، وثبت قدمه إذ ذاك في بلد طريف وبالجملة فهذه المواقع من الدواهي المعضلة الداء، والأرزاء، التي تضعضع لها ركن الدين بالمغرب، وقرت بذلك عيون الأعداء...<sup>(1)</sup>، ونستشف من كلام المقرئ مدى الأبعاد التي خلفتها معركة طريف على صعيد الحركة الجهادية، وما نتج عنها من كثرة الشهداء وفي مقدمتهم العلماء الذين شاركوا في هذه المعركة بجموع كبيرة وفيما يلي قائمة لأسمائهم:

- الفقيه المالكي المشهور ابن جزي الكلبي الغرناطي.
- الفقيه أحمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي السعدي.
- الفقيه محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن بكر بن سعيد الأشعري المالقي ويكنى أبا عبد الله.
- الفقيه محمد بن أحمد بن محمد بن علي الغساني.
- الفقيه أبو محمد عبد الله بن علي الكناني الغرناطي.
- الفقيه أبو محمد عبد الله بن سعيد السلماني، والد الوزير الغرناطي والأديب الكاتب لسان الدين بن الخطيب. وغيرهم من العلماء والفقهاء والصلحاء الذين كان همهم نصرة دين الله والموت في سبيل الله تعالى، كما وقع البعض منهم في الأسر مثل الفقيه محمد بن عبد الرحمان بن سعد التميمي السلي الكرسوطي من أهل فاس نزيل مالقة الذي يكنى أبو عبد الله، أسر مع

(1) - المقرئ، المصدر السابق، ص 317.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

والده إبان المعركة حيث لقياً شدة ونكالا ثم سرحا وخلصا، وفي سياق الكلام عن أدوار العلماء في المعارك فقد صحب ابني الإمام أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى السلطان أبا الحسن وشهدا معه المعركة ولا ننسى كذلك محمد بن مرزوق صاحب المسند، كما عملوا على رفع الروح المعنوية للسلطان أبي الحسن والربط على قلبه والوقوف إلى جانبه في محنته<sup>(1)</sup>، حيث قال ابن مرزوق: "...وحدثني رضي الله عنه قال: كنت أجد في نفسي ما أجد وأكابد من مرارة الصبر ما أكابد حتى وصل فقهاء فاس، قال: فلما دخل علي الفقيه عبد النور تلا بعد الاستعادة" وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله" (إلى قوله تعالى: الكافرين)، قال: فذهب من نفسي ما كنت أجد، لما وصل الفقيه أبو زيد ابن الإمام زادني سلوة هذا كله، ولم يظهر عليه رضي الله عنه أثر الحزن ولا دليل كرب..."<sup>(2)</sup>، ويضيف ابن مرزوق مشاركته مع الفقهاء في تنفيذ أمر السلطان أبي الحسن بحمل الشهداء الذين كانوا في طريق إلى شالة<sup>(3)</sup>.

### 3. أهم المعارك البحرية بين الأسطول المريني والأسطول القشتالي:

ساهم الأسطول البحري المريني في تطور الحركة الجهادية للدفاع عن مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، كما كان دوره مؤثرا في تصاعد وتيرة الصراع وخوض المعارك البرية والبحرية بين المسلمين والقشتاليين، وفي عمليات الجواز من المغرب الأقصى إلى الأندلس، خصوصا "...حين استكمل أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من عدوه سنة إحدى وسبعين وستمائة على أن بني مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون إليه وفي نفوسهم جنوح

(1) - ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص354.

(2) - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص225.

(3) - المصدر نفسه، ص307.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

إليه وصاغية..."<sup>(1)</sup>، لذا عمل السلطان المريني يعقوب المنصور منذ البداية حينما "استوحش بنو إدريس بن عبد الحق وخرجوا سنة إحدى وستين وستمائة على السلطان يعقوب بن عبد الحق واسترضاهم واستصلحهم انتدب الكثير منهم للغزو وإجازة البحر لصريح المسلمين بالأندلس"<sup>(2)</sup>، على تنظيم عمليات الجواز إلى عدوة الأندلس لإقامة رسم الجهاد، وكانت أولى المواجهات البحرية بين الطرفين انتصر فيها المرينيون، حينما "هتبل الطاغية غرتها ونكث عهد أمير المسلمين، ونقض السلم ونبذ إليه العهد، وأغزى أساطيله الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره. وأرست بالزقاق حيث فرض الجواز. هنا وانقطع المسلمون من جنود السلطان وقومه وراء البحر ويئسوا من صريخه. وعقد لولي عهده ابنه الأمير أبي يعقوب من مراکش على الغزو إليها وأغزى الأساطيل في البحر إلى جهاد عدوهم، فوصل إلى طنجة لصف من سنة ثمان وسبعين وستمائة وأوعز إلى البلاد البحرية لاعداد الأساطيل بسبته وسلا، وقسم الأعطيات وتوفرت همم المسلمين على الجهاد. واجتمعت الأساطيل بمرفأ سبته تناهز السبعين، قد أخذ بطرفي الزقاق في أحفل زي وأحسن قوة وأكمل عدة وأوفر عدد. وعقد عليهم الأمير أبو يعقوب رايته، وأقلعوا عن طنجة ثامن ربيع الأول. وانتشرت قلوبهم في البحر فأجازوه، وباتوا ليلة المولد الكريم بمرفق الجبل، وصبحوا العدو وأساطيلهم تناهز أربعمائة..... ولم يكن إلا كلالوا حتى نضحوا العدو بالنبل، فانكشفوا وتساقطوا في العباب. فاستلحمهم السيف وغشيم اليم، وملك المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرفق الجزيرة وفرضتها عنوة، فاختل معسكر الطاغية. وداخلهم الرعب من إجازة الأمير أبي يعقوب ومن معه من الحامية، فأفرج

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 252.

(2) - المصدر نفسه، ج 7، ص 253.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

لحينه عن البلد..."<sup>(1)</sup>. ثم هزم المرينيون في معركة بحرية أخرى عندما بعث شانجه أسطوله إلى بحر الزقاق لقطع الطريق ويمنع الإمدادات من بلوغ العدو الأندلسية. فأرسل السلطان المريني يوسف الناصر أسطوله لمواجهة الأسطول القشتالي في شعبان 690هـ/ آب 1291م، غير أنه تعرض للهزيمة ثم أرسل أسطولا ثانيا لكن الأسطول القشتالي أثار الإنسحاب على المواجهة مع المرينيين، كما ساهم العلماء بدورهم في دفع المقاتلين إلى إخلاص العزائم لله ووعظهم ورفع هممهم وذكرهم بالصبر ومجالدة العدو، وقد أحسن الفقيه أبو حاتم العزفي صاحب سبته باستنفار الأساطيل على وجه السرعة، وهياً خمسة وأربعين سفينة لقتال العدو كما عبأ جميع أهل سبته من المحتلم إلى الشيخ من نصرة إخوانهم في بحر الزقاق.

وفي عهد السلطان أبي الحسن المريني انتصر الأسطول المريني على الأسطول القشتالي انتصارا كبيرا، يقول ابن خلدون في ذلك: "...لما بلغ الخبر إلى السلطان باستشهاد ابنه، أخرج وزراه إلى السواحل لتجهيز الأساطيل. وفتح ديوان العطاء، واعترض الجنود وأزاح علهم. واستنفر أهل المغرب وارتحل إلى سبته ليباشر أحوال الجهاد. وتسامعت أمم النصرانية بذلك، فاستعدوا للدفاع. وأخرج الطاغية أسطوله إلى الزقاق ليمنع السلطان من الإجازة. واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسي العدو. وبعث إلى الموحدين بتجهيز أسطولهم إليه، فغعدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم، ووافى سبته في ستة عشرة من أساطيل إفريقية، كان من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية. وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبته تناهز المائة. وعقد السلطان عليها لمحمد بن علي العزفي الذي

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، صص 265-267.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

كان صاحب سبته يوم فتحها، وأمر بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق. وقد اكتمل عددهم وعدتهم، فستلأموا وتظاهروا في السلاح. وزحفوا إلى أسطول النصارى وتواقفوا ملياً. ثم قربوا الأساطيل بعضها إلى بعض وقرنوها للمصاف، فلم يمض إلا كلا ولا حتى هبت ريح النصر، وأظفر الله المسلمين بعدوهم. وخالطوهم في أساطيلهم واستلحموهم هبوا بالسيوف، وطعنا بالرماح، وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم المندد واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى مرسى سبته، فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم في جوانب البلد. ونظمت أصفاد الأسرى بدار الإنشاء. وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة، وأنشدت الشعراء بين يديه، وكان يوماً من أعز الأيام، والمنة لله...<sup>(1)</sup>.

ورغم هذا الانتصار الباهر إلا أنَّ الأسطول المريني تعرض لهزيمة نكراء، اعتبرت آخر المعارك البحرية بين الأسطولين، إذ لما... بلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله أجراه إلى بحر الزقاق لمدافعته. وتلاقت الأساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعاد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوه دون المسلمين وأقبل الطاغية من إشبيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة المجاز...<sup>(2)</sup>.

لقد كان لهزيمة السلطان أبي الحسن في معركة طريف سنة 743هـ/1341م، ثم هزيمة أسطوله بعدها في معركة حاسمة ضد الأسطول القشتالي، النهاية الفعلية للنشاط الجهادي والمعارك البحرية بين المرينيين ومملكة قشتالة النصرانية، حيث حاول السلطان أبو الحسن توحيد بلاد المغرب تحت سلطته

(1) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص345-346.

(2) - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص2.348.

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

لكي يستأنف جهاده في الأندلس، إلا هزيمته في معركة القيروان سنة 748هـ/1349م، وغرق أسطوله الذي ألق على متنه راجعا إلى عاصمة ملكه، وتمرده ابنه أبي عنان عليه، حالت كلها دون استكمال غايته.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن القول بأن:

- المرينيين أدوا دورا جهاديا كبيرا في الدفاع عن الأندلس، مسخرين بذلك كل إمكانيات دولتهم في سبيل بقاء الحكم الإسلامي في هذه البلاد.

- السلاطين المرينيين اهتموا اهتماما كبيرا بتطويرا قواتهم البحرية منذ استكمال تأسيس دولتهم في عهد السلطان يعقوب المنصور إلى غاية عهد السلطان أبو الحسن المريني، حيث أضحى الأسطول في عهد أبي الحسن أعظم أسطول بحري في بلاد المغرب، إذ بلغ عدد سفنه 600 من كل الأنواع والأحجام.

- الأسطول البحري المريني لعب دورا هاما في تطور النشاط الجهادي للمرينيين، من خلال كثرة عمليات الجواز التي تنقل الجيوش المرينية لخوض المعارك البرية ضد ممالك النصارى في الأندلس ودعم مملكة غرناطة.

- الأسطول البحري المريني حقق انتصارين كبيرين على القوات القشتالية في عهد السلطان الناصريوسف والسلطان أبي الحسن.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن الخطيب لسان الدين، اللمحة البديرة في الدولة النصرية، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط3، منشورات دارالآفاق الجديدة، 1400هـ/1980م.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، تاريخ ابن خلدون المسعى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبطه

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس

(662هـ-743هـ/1260م-1341م)

الأستاذ خليل شحادة وراجعه الدكتور سهيل زكار، الجزء السابع، ط2، بيروت، دار الفكر، 1421هـ/2000م.

3- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الذخيرة السننية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، دت.

4- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، الأنييس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972م.

5- ابن مرزوق محمد، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود آغا بوعباد، طبعة خاصة، الجزائر، موفم للنشر، 2011م.

6- المقري أبو العباس أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1408هـ/1988م.

7- الحجي عبد الرحمان علي، التاريخ الأندلسي (من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92هـ-897هـ/711م-1492م)، ط2، دمشق، بيروت، دار القلم، 1402هـ/1981م.

8- السيد عبد العزيز سالم والعبادي أحمد مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1969م.

9- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م.

10- مال الله نضال مؤيد عزيز الأعرجي، الدولة المرينية على عهد السلطان يوسف بن يعقوب (685هـ-706هـ/1286م-1306م) دراسة سياسية حضارية،

## دور الأسطول المريني في تطور النشاط الجهادي بالأندلس (662هـ-743هـ/1260م-1341م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، صفر 1425هـ/نيسان 2004م.

11- المنوني محمد، ورقات عن حضارة المرينيين، ط3، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1420هـ/2000م.

12- ولد خسال سليمان، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة 633هـ-962هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، كلية العلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة الجزائر (1)، 1429هـ/2008م.

13- هلال فؤاد، خطة مشيخة الغزاة (670هـ-783هـ/1271م-1381م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م-2009م.



## الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهبى

- من مواليد عام 1950 في ولاية بسكرة.
- تخرج في جامعة الجزائر - قسم التاريخ.
- أستاذ بقسم التاريخ في جامعة الجزائر-2 أبو القاسم سعد الله
- أشغل فترة طويلة في المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر ( قسم التاريخ والجغرافيا )، حتى التقاعد.
- تولى وظيفة التدريس ومهام بيداغوجية عديدة.
- ساهم في نشاطات علمية مختلفة، منها: الإشراف على الرسائل الجامعية ومناقشتها (ماجستير ودكتوراه). وكذا عضوية هيئات علمية مختلفة، وطنية ودولية.
- شارك في فرق بحث بالمدرسة العليا للأساتذة وخارجها.
- شارك بمحاضرات في ملتقيات عديدة وطنية ودولية.
- نشر كثيرا من المقالات في المجلات، داخل الوطن وخارجه.

### من مؤلفاته:

- كتاب تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأموية.
- كتاب الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر.
- التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م، كتاب جماعي.
- كتاب مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ.
- كتاب تاريخ المغرب الإسلامي.

أ/د. عبد العزيز شهبى